

دولة الكويت  
سلسلة مطبوعات  
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة

**الندوة العالمية حول  
«الوراثة والتكاثر البشري  
وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية  
ووجهة نظر العلمانية»**

بالتعاون مع  
المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية  
ومنظمة الإيسيسكو ومنظمة Cioms

خلال الفترة من ٧ - ١٠ محرم ١٤٢٧ هـ  
الموافق ٦ - ٩ فبراير ٢٠٠٦ م  
القاهرة ٢٠٠٦  
(الجزء الأول)



تحرير

الدكتور

أحمد رجائي الجندي

الأمين العام المساعد للمنظمة  
الإسلامية للعلوم الطبية

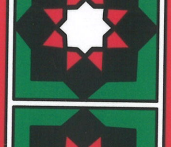
إشراف وتقديم

الدكتور

عبدالرحمن عبدالله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية  
للعلوم الطبية

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



دولة الكويت  
سلسلة مطبوعات  
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
الإسلام والمشكلات الطبية المعاصرة

**الندوة العالمية حول  
«الوراثة والتكاثر البشري  
وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية  
ووجهة نظر العلمانية»**

بالتعاون مع  
المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية  
ومنظمة الإيسيسكو ومنظمة Cioms

خلال الفترة من ٧ - ١٠ محرم ١٤٢٧ هـ  
الموافق ٦ - ٩ فبراير ٢٠٠٦ م  
القاهرة ٢٠٠٦  
(الجزء الأول)



تحرير

الدكتور

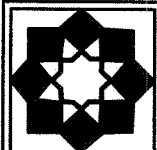
أحمد رجائي الجندي  
الأمين العام المساعد للمنظمة  
الإسلامية للعلوم الطبية

إشراف وتقديم

الدكتور

عبدالرحمن عبدالله العوضي  
رئيس المنظمة الإسلامية  
للعلوم الطبية

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م



فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

٥٧٥.١ الكويت. المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ٢٠٠٦م

الندوة العالمية نحو الوراثة والتكاثر البشري ... - ط١ - الكويت:  
المنظمة، ٢٠٠٨

ج١ (٧٦١ص)؛ ٢٤سم.

ردمك: 978-99906-683-0-8

١. الوراثة - مؤتمرات وندوات ٢. الأحياء، علم ٣. الإسلام والعلم  
أ. العنوان ب. المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية. الكويت (ناشر)

رقم الإيداع: 2008/243 Depository Number:

ردمك: ISBN: 978-99906-683-0-8

Home Page: <http://www.islamset.org>

العنوان: المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

ص ب: ٣١٢٨٠ الصليبخات

رمز بريدي: 90803 الكويت

ت: ٠٠٩٦٥ / ٢٤٨٣٤٩٨٤

فاكس: ٠٠٩٦٥ / ٢٤٨٣٧٨٥٤

E - mail: [ioms@islamset.org](mailto:ioms@islamset.org)

[arabic@islamset.org](mailto:arabic@islamset.org)

[iomskuwait@gmail.com](mailto:iomskuwait@gmail.com)

Home Page: <http://www.islamset.org>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تنويه :

### نظرا لضخامة الكتاب فقد رأينا أن نصدرة في جزأين :

#### ١ - الجزء الأول - ويشمل :

- فهرس الكتاب .
- برنامج الندوة .
- التقديم .
- المقدمة .
- كلمات الافتتاح .
- تقرير عن مؤتمر الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية .
- المحاضرة التذكارية للدكتور حسان حتحوت .
- المحور الأول «الإنسانية واخلق/ العالم على الفطرة» ويشمل ثلاث جلسات علمية .
- القسم الأول من المحور الثاني: «الجينات، وتكنولوجيات التكاثر، والأسرة» ويتضمن ثلاث جلسات علمية .
- التوصيات .
- أسماء المشاركين .

#### ٢ - الجزء الثاني - ويشمل :

- فهرس الكتاب .
- برنامج الندوة .
- التقديم .
- المقدمة .
- كلمات الافتتاح .
- تقرير عن مؤتمر الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية .
- المحاضرة التذكارية للدكتور حسان حتحوت .
- القسم المتبقي من المحور الثاني المتضمن جلسة علمية واحدة .
- المحور الثالث «الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر» المتضمن ثلاث جلسات علمية .
- المحور الرابع «كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟» المتضمن ثلاث جلسات علمية .
- التوصيات .
- أسماء المشاركين .

## المحتويات

### (الجزء الأول من الكتاب)

الصفحة	الموضوع
	- التقديم
١٧	الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي
	- المقدمة
٢٣	الدكتور أحمد رجائي الجندي
٥٥	- البرنامج
	- كلمة وزير الصحة والسكان بجمهورية مصر العربية
٧٣	الدكتور حاتم الجبلي
	- كلمة المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق المتوسط
٧٧	الدكتور حسين الجزائري
	- كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاييسكو)
٨٣	
	- كلمة رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية
٩٣	الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

- تأملات في التفاعلات بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية.  
للدكتور جون براينت ..... ١٠٣
- تقرير عن مؤتمر " الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية  
الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية"  
للدكتور أحمد رجائي الجندي ..... ١١٥
- المحاضرة التذكارية:**
- تقنيات علم الوراثة والتناسل عند الإنسان بين المنظور  
الديني والمنظور العلماني - رؤية إسلامية.  
الدكتور حسان تحتوت ..... ١٧٧

### المحور الأول

(الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة)

### الجلسة العلمية الأولى

(خلق الإنسان - الفطرة والطبيعة -  
رؤية إسلامية - مسيحية - علمانية)

- "أنها كلها قد أصبحت لكم" من بستاني وراعى للطبيعة إلى  
متأمل وسيد لها.  
الدكتور بروس فولتز ..... ٢٠٩
- إعادة التفكير في المنظور العلماني لعلوم الحياة  
الدكتور مصطفى اكيول ..... ٢٣١

- الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة.

الدكتور أسعد السحمراني ..... ٢٤٣

\* المناقشات ..... ٢٧٩

تابع: المحور الأول

(الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة)

**الجلسة العلمية الثانية**

**(خلق الإنسان في الإسلام والمسيحية)**

- الخلق والإنسان من المنظور المسيحي

الدكتور سيريل تينت ..... ٣٠٥

- الإنسانية والخلق رؤية إسلامية

الدكتور جمال بدوي ..... ٣٢٣

- خلق الإنسان بصورته الطبيعية

الدكتور نصر فريد واصل ..... ٣٣٥

\* المناقشات ..... ٣٥٧

تابع: المحور الأول

(الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة)

**الجلسة العلمية الثالثة**

**(الخلق ... والتحكم في الطبيعة والأخلاقيات**

**رؤية إسلامية علمانية)**

- الإنسان الفطرة الطبيعية والتقنية

الدكتور عمار الطالبي ..... ٣٦٩



- الله والإنسانية والطبيعة من منظور إسلامي  
الدكتور مظفر إقبال ..... ٤٣١
- \* المناقشات ..... ٤٦٣

### المحور الثاني

(الجينات، وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة)

### الجلسة العلمية الرابعة فلسفة الوراثة والتكاثر البشري من وجهة نظر الإسلام والمسيحية والعلمانية)

- التشخيص الوراثي قبل الزرع في الرحم.  
الدكتورة ليزا ليحمان .....  
(غير متوفر بالطبعة العربية ويوجد في الطبعة الإنجليزية)
- المشاكل الأخلاقية المتعلقة بالتشخيص الوراثي قبل الولادة  
وقبل الزرع في الرحم  
الدكتور منير فرج ..... ٤٨٥
- الوراثة البشرية والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان  
الكتابية الثلاثة والتصور العلماني.  
الشيخ محمد المختار السلامي ..... ٥٠٧
- \* المناقشات ..... ٥٣١

تابع: المحور الثاني  
(الجينات، وتكنولوجيات التكاثر، والأسرة)

### الجلسة العلمية الخامسة (رؤية إسلامية ومهنية حول القضايا الأخلاقية للتقنيات الحديثة للإنجاب)

- وجهات النظر الإسلامية في القضايا الأخلاقية المتعلقة بتقنيات الإنجاب.
- الدكتور جمال أبو السرور ..... ٥٦١
- التكاثر البشري عبر الاستعانة بالتقنية الحديثة.
- الشيخ محمد علي التسخيري ..... ٥٨٣
- الوراثة البشرية وتكنولوجيا التكاثر وانعكاس ذلك على الأسرة.
- الدكتورة صديقة العوضي ..... ٦٠١
- \* المناقشات ..... ٦١١

تابع: المحور الثاني  
(الجينات، وتكنولوجيات التكاثر، والأسرة)

### الجلسة العلمية السادسة (التكاثر البشري والوراثة وجهة نظر الإسلام والمسيحية والمهنية)

- المبادئ المسيحية المنظمة للإنجاب البشري والمعان.
- الدكتور جيرالد وينسلو ..... ٦٢٧

- تقنيات الوراثة والتكاثر البشري من المنظور الإسلامي  
الدكتور محمد علي البار ..... ٦٤٩
- الوراثة البشرية (والجينات) وتكنولوجيا التكاثر وموقف  
الشريعة الإسلامية منها  
الدكتور عبد الستار أبو غدة ..... ٦٨٣
- \* المناقشات ..... ٧١٥
- \* البيان الختامي والتوصيات ..... ٧٢٩
- \* أسماء المشاركين ..... ٧٤٧

## (الجزء الثاني من الكتاب)

- التقديم:  
الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي ..... ١٧
- المقدمة:  
الدكتور أحمد رجائي الجندي ..... ٢٣
- البرنامج ..... ٥٥
- كلمة وزير الصحة والسكان بجمهورية مصر العربية  
الدكتور حاتم الجبلى ..... ٧٣
- كلمة المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق  
المتوسط  
الدكتور حسين الجزائري ..... ٧٧
- كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة  
(الاييسكو) ..... ٨٣

- كلمة رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية
- ٩٣ ..... الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي
- تأملات في التفاعلات بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية.
- ١٠٣ ..... للدكتور جون براينت
- تقرير عن مؤتمر "الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية  
الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية"
- ١١٥ ..... للدكتور أحمد رجائي الجندي

### المحاضرة التذكارية:

- تقنيات علم الوراثة والتناسل عند الإنسان بين المنظور  
الديني والمنظور العلماني - رؤية إسلامية.
- ١٧٧ ..... الدكتور حسان حتوت

تابع: المحور الثاني

(الجينات، وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة)

### الجلسة العلمية السابعة

(التكاثر البشري وحامض الدانا والاستنساخ -  
رؤية إسلامية مهنية)

- الإسهامات المهمة للحضارة الإسلامية في مجالات الوراثة  
وبيولوجيا التكاثر
- ٢٠٩ ..... الدكتور مالك البدري

- الرأي الإسلامي حول الاستنساخ البشري والخلايا الجذعية  
والتشخيص الجيني قبل الغرس.  
الدكتورة عايذة عقيل  
.....  
(غير متوفر بالطبعة العربية ويوجد في الطبعة الإنجليزية)
- إسهامات أبحاث الهندسة الوراثية في فهم الإسلام كديانة  
مع حقائق من القرآن والسنة.  
الدكتور عبد العظيم فاروق جاد ..... ٢٢٩
- \* المناقشات ..... ٢٥١

### المحور الثالث

(الأثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر)

### الجلسة العلمية الثامنة (الوراثة والتكاثر السكاني رؤية إسلامية - يهودية - علمانية)

- تقنيات التناسل البشري والهندسة الوراثية من المنظور  
العلماني.  
الدكتور شاهد أظهر ..... ٢٦٩
- تكنولوجيا الإنجاب: القيم اليهودية وأثرها على السياسات  
العامة والبنية الاجتماعية في دولة إسرائيل.  
الدكتور فارديت رافيتكس ..... ٢٨١
- التأثيرات الاجتماعية والأخلاقية للجينوم البشري تفسير إسلامي.  
الدكتور حامد عيد أحمد ..... ٢٩٣
- \* المناقشات ..... ٣٠٩

تابع: المحور الثالث

(الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر)

### الجلسة العلمية التاسعة

(الكشف المبكر: العوامل الوراثية رؤية  
إسلامية - يهودية وعلمانية)

- الإنجاب والجينومات الأبعاد العلمية والأخلاقية.

الدكتور علي مشعل ..... ٣٢٩

- الاختبارات المعملية والصوتية قبل الولادة فحص الجنين  
لاكتشاف الأمراض الوراثية: مداها، وتطبيقاته وحدوده في  
الدول العربية.

الدكتورة حنان حمامي ..... ٣٤٥

- حق الإنجاب: المساواة لا الحرية

الدكتورة موريان كويجلي ..... ٣٦١

\* المناقشات ..... ٣٧٧

تابع: المحور الثالث

(الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر)

### الجلسة العلمية العاشرة

(الاستنساخ والخلود والوراثة  
نظرة إسلامية وعلمانية)

- الهندسة الوراثية والعدالة الاجتماعية ومستقبل الإنسانية:  
التقاء المخاوف الدينية والعلمانية.

الدكتورة فرحات معظم ..... ٣٨٧

- الأبحاث الحديثة عن أنزيم التيلوميريز ومفهوم الخلود  
الدكتور عمر الألفي ..... ٤٠٩
- الاستنساخ البشري من وجهة النظر الفقهية والأخلاقية  
الدكتور مصطفى محقق الداماد ..... ٤١٧
- \* المناقشات ..... ٤٣١

### المحور الرابع

(كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟)

## الجلسة العلمية الحادية عشرة (خلق الإنسان وإنسانيته - وأين وكيف ومتى توضع الخطوط الحمراء؟ رؤية إسلامية - مسيحية - فلسفية)

- خلق الإنسان والخطوط الحمراء . . رؤية إسلامية .  
الدكتور إبراهيم جميل بدران ..... ٤٤٧
- موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه القضايا الجينية  
المطران كاميللو بالين ..... ٤٦١
- إنسانيتنا جوهر ثابت وواقع يتغير .  
الدكتور جعفر شيخ إدريس . ..... ٤٦٩
- \* المناقشات ..... ٤٨١

تابع: المحور الرابع  
(كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟)

### الجلسة العلمية الثانية عشرة (الخلايا الجذعية والمشاكل الأخلاقية رؤية إسلامية - مسيحية - يهودية)

- متناقضات الآراء حول الخلايا الجذعية بين العلمانية والأديان.
- ٥١٥ ..... الدكتور تيد بيتر
- أطفال الأنابيب.
- ٥٤١ ..... الدكتور دافيد بلايش
- أبحاث الخلايا الجذعية والخلايا المستنسله للبحث العلمي ... التشابه والاختلاف.
- ٥٨٧ ..... الدكتور عبد العزيز بن محمد السويلم
- ٦٠٩ ..... \* المناقشات

تابع: المحور الرابع  
(كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟)

### الجلسة العلمية الثالثة عشرة (الخلايا الجذعية ... الإنجاب بالوسائل التقنية وفحص الجنين قبل الولادة - رؤية إسلامية)

- الأخلاقيات الإسلامية في المجال الطبي في ظل تطورات التكنولوجيا الحيوية.
- ٦٢٥ ..... الدكتور موسى نور الدين



- الخلايا الجذعية وال DNA التحديات الأخلاقية .  
الدكتور ماهر حتوت ..... ٦٤٩
- علم الوراثة وتقنيات الإنجاب والأسرة الحمل البديل : من  
المنظور الأخلاقي القانوني والاجتماعي والإسلامي .  
الدكتور أبو الفضل محسن إبراهيم ..... ٦٦٧
- تقنيات الإنجاب والجينوم البشري والأسرة  
الدكتور محمود فتح الله ..... ٦٩٥
- \* المناقشات ..... ٧٢٥
- \* البيان الختامي والتوصيات ..... ٧٣٧
- \* أسماء المشاركين ..... ٧٥٥

## تقديم

الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية



## تقديم

### الدكتور عبدالرحمن عبدالله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

يأتي انعقاد هذه الندوة في ظروف عالمية مضطربة اختلط فيها الحق بالباطل، ولم يقتصر الاختلاف على اختلاف الآراء، بل امتد إلى أبعد من ذلك بكثير، لدرجة الاقتتال وإراقة الدماء وتكفير كل فريق للآخر، واعتقاد كل فريق بأنه صاحب الحقيقة والحق المطلق وانعكس ذلك على كثير من مناحي الحياة العلمية والعملية التطبيقية، فهناك من يرى أن التقدم العلمي في التكاثر البشري أمر مباح بضوابط شرعية، ليعلم الإنسان ويتغلب على آلامه ويحقق آماله، وآخر يراه عملاً شيطانياً وتدخلًا في مشيئة الإله ويجب وقفه وعدم دعمه، وآخرون يرون أن الحرية المطلقة يجب أن تمتد إلى البحث العلمي للتعرف على كثير من الظواهر المحيطة بالإنسان دون أي ضابط أو رابط لإمالة اللثام عن ما غمض على الإنسان منذ خلق آدم وحتى اليوم، هذا الصراع الهائل بين الفرقاء جميعاً قد يبدو صحيحاً، فهو من أجل الإنسان وسعادته.

لكن من وجهة نظر البعض الآخر يراه فوضى قد تؤدي إلى خلط الأنساب والتعدي على خليفة الله في الأرض بوضعه موضع التجريب والتلاعب بجيناته وصفاته الوراثية والتي قد تؤدي إلى جنوح البعض ليرى أن الشعوب يجب ألا تتساوى في الحقوق والواجبات، فهناك من

يستحقون الحياة بترفها ونعيمها وهم الأسياد، وهؤلاء يجب أن يتمتعوا بصفات خاصة من الشكل واللون والذكاء والشجاعة والقوة وغير ذلك مما لا تتوافر في أقرانهم الآخرين. أما غيرهم من العبيد فيجب أن يتمتعوا بصفات أخرى تتناسب مع وظائفهم والمهام الموكلة إليهم . . . ، فهل هذا هو الهدف من البحث العلمي وتطبيقاته المستقبلية؟ هل نحن أمام (يوجينيا) جديدة يقودها الصفوة في المجتمع العلمي العالمي؟ وماذا بعد . . ؟ يتصور بعض الباحثين أن الأمر لن يكون أكثر من محاولة لاستكشاف غموض العمليات البيولوجية في الإنسان، ولن يتعدى الأمر إلى غير ذلك، وهم يعلمون علم اليقين أن الساسة يراقبون كل نتائجهم لحظة بلحظة، لتتحول أبحاثهم إلى قنابل وصواريخ تهدم وتحرق الأخضر واليابس وتأتي على كل ما فيه حياة.

لذلك كان لابد من دعوة الأديان السماوية الثلاثة بالإضافة إلى الرؤية العلمانية لاستطلاع آرائهم وإيجاد حد أدنى للاتفاق بينهم، فالأديان جاءت من عند الله إلى عباده بنظرة متساوية، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود، فكلهم عبيده، أرسل إليهم رسله وأنبياءه لهدایتهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم وما فيه خيرهم وسعادتهم، وحرّم عليهم ما يضرهم ويسبب لهم الأذى وذلك إن هم اتبعوا تعاليمه بالحل والحرمة.

وبرغم وضوح رسالات الأنبياء والمرسلين إلا أن الإنسان ومنذ آدم كان محط غواية الشيطان ليعصي ربه حبا للمعرفة، وظنا منه أنه قادر على كل شيء، وأنه بعقله المحدود وعلمه القليل يمكن ألا يطيع ربه، فدخل آدم أبو البشر تلك التجربة، ولولا توبته وقبول خالقه لهذه التوبة لامتلأت الأرض بالفساد والطغيان والرذيلة . . ، فكان هناك الخير والشر، وترك الله عباده كل يختار طريقه، فهدى الله بعضا منهم فحملوا تلك الأمانة التي عرضها رب العزة على السماوات والأرض

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفق منها فحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا .

كان لا بد من اختيار صفوة من أتباع الديانات الثلاثة ومن العلمانيين، لإدارة حوار حول بعض المواضيع الشائكة التي اختلفت حولها الآراء والرؤى، فاخترنا موضوع (الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها) واستطعنا أن نعقد تلك الندوة في جو من الحب والتسامح، ليعرض كل فريق ما يراه حول كل نقطة في محاولة لتوضيح ما غمض حولها، مستشهدا بما لديه من الكتب السماوية أو البراهين المادية. لم يكن هناك تعصب أو تشنج، بل تقبل الجميع الرأي الآخر برحابة صدر ومناقشة له، لزيادة المعرفة دون محاولة إنقاص لقدر أحد من المشاركين .

شارك في أعمال الندوة علماء من الأديان السماوية الثلاثة (الإسلام - المسيحية - اليهودية) وممثلون للعلمانية بجانب أساتذة في الفلسفة - وعلم الاجتماع وأطباء وصيادلة، وصناع سياسة ومؤرخين وغيرهم، وشارك الجميع مناقشين وباحثين ومحاورين، الكل يبحث عن الحقيقة بعقل مفتوح ونفس راضية مرتاحة، وفي نهاية المطاف خرجت الندوة باتفاق حول كثير من النقاط التي هي بالقطع تصب في مصلحة الإنسان من حيث هو إنسان دون النظر إلى جنسه أو ديانته أو مكانته، لأن معظم ما تم الاتفاق عليه جاء موافقا للشرائع السماوية، أي من عند رب العالمين، العالم بعباده؛ فهو أرحم بهم من أنفسهم .

انتهت الندوة والكل يطالب بتكرارها لعلها تكون نورا يهدي طريق أصحاب السياسة والقرارات، لتأتي قراراتهم وسياساتهم متوافقة مع الشرائع السماوية .

وقبل أن أنهى هذا التقديم، أتقدم بخالص الشكر وجزيل

الامتنان، إلى الإخوة في منظمة الصحة العالمية، والمنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم والآداب، الذين شاركوا المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الإعداد والتقديم والمساهمة في تحمل المسؤولية، داعين المولى جلت قدرته أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يحتسب ذلك في ميزان أعمال كل من ساهم في عقد هذه الندوة المباركة.

والله الموفق لما يحبه ويرضاه، ، ،

## مقدمة

الدكتور أحمد رجائي الجندي

الأمين العام المساعد للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية





## تكنولوجيا التكاثر البشري والجينات بين الأخلاقيات الدينية والعلمانية

للدكتور أحمد رجائي الجندي

الأمين العام المساعد للمنظمة

يأتي انعقاد ندوتنا هذه علامة فارقة في تاريخ المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية فعلى تاريخها المديد منذ عام ١٩٧٨م لم تشهد المنظمة مثل هذا الحدث في لقاء مع ممثلي الأديان السماوية مع بعضها البعض والعلمانية.

ورغم أن العالم اليوم به الكثير من المنظمات والهيئات التي ظهرت في الفترة الأخيرة والتي تؤيد مثل هذه الحوارات إلا أن معظمها يركز فقط على أمور سياسية أو عقائدية.

بينما ندوتنا هذه تمتاز عن غيرها من الندوات الأخرى من ناحية المحتوى وكذلك نوعية المشاركين.

فأما المحتوى فأمره خطير حيث ظهر في النصف الأخير من القرن الماضي وبدأت تطبيقاته تتداول داخل أروقة المعامل على الإنسان .....

ورغم أن المشكلة التي ستناقش مشكلة علمية مستجدة إلا أنها ستناقش من خلال العقيدة والفلسفة، وآثارها سلبا أو إيجابا على الإنسان والمجتمع والعالم أجمع.

وأما نوعية المشاركين من الباحثين والحضور فهم علماء متخصصون في المجالات: العلمية والدينية والفلسفية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل والأمنية.

فالمشكلة خرجت بذلك من إطار حصرها في دائرة علماء الدين وأهله إلى مجالات أرحب من مكاسب ومثالب لا يعلم مداها إلا الله .

وأتصور - والحالة هكذا - أنها رسالة إلى المسؤولين وأصحاب القرار مفادها [أن اتخاذ قرار الحرب والسلام بين الشعوب، والعيش في رفاهية وأمان ليس مسئوليتهم وحدهم بل مسئولية الجميع من علماء وفقهاء وقانونيين واجتماعيين وفلاسفة] فهم أصحاب الحق في المشاركة في تقرير مصير أبناء أمتهم .

وإن دروس التاريخ لمليئة بالعبر؛ فالانتصارات في الحروب والتغلب على الأمراض والاقتصاد والتحويلات الاجتماعية ليس إلا نتاجا علميا خرج إلى حيز التطبيق .

وليست القنبلة النووية إلا مثالا على ذلك، فقد كان من الممكن الاستفادة من التجارب النووية في تخفيف آلام الكثير من بني البشر والتغلب على الفقر والجهل والمرض . . . . لكن الأمر تم تسييسه وتحول إلى أضخم أداة قتل وإبادة وتدمير للإنسانية، ومن المفيد أن نذكر تلك العبارة الشهيرة التي قالها (أبنهيمر) عندما رأى القوة التدميرية الهائلة التي أنتجتها القنبلة النووية حيث قال: "اليوم واليوم فقط وقع العلم في الخطيئة" لأن الساسة هم الذين كانت لهم اليد العليا في التوجيه وإصدار القرارات، إن القنبلتين اللتين ألقيتا على "هيروشيما، ونكازاكي" كانتا بعد توقف الحرب فماذا كان يعني ذلك؟ ولماذا ألقيتا؟ وماذا كانت النتيجة من إلقائهما؟!؟!!

إن العالم اليوم يعيش مرحلة من أخطر مراحل تاريخه؛ حيث

غابت الحكمة وتوارى الحق والعدل، وحل محلها أزيز المقاتلات وهدير المدافع والقنابل، وبدلاً من البحث عن علاج للأمراض المستعصية أنتجت المعامل الميكروبات المحوّرة جينياً لتستعصي على العلاج وتهلك الحرث والنسل.

إن ترسانات السلاح تغص بالقنابل: العنقودية والذرية والنوية والنيوترونية ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بما يمكنها من تدمير الكرة الأرضية خمس عشرة مرة بما عليها ومن عليها.

بينما هناك على الجانب الآخر الملايين الذين يموتون كل يوم بسبب الجوع والفقر والمرض، ملايين من البشر ليس لديهم مأوى ولا مياه صالحة للشرب ولا كساء يحميهم من زمهرير الشتاء أو حر الصيف، ولو تم توفير جزء يسير من تكاليف هذه الآلة الجهنمية وصرفه على البرامج الإنسانية لاختفى الكثير من معاناة البشر.

ولكن الحروب تُصنَّع وتُخلَق لها المبررات حتى تنتج مصانع السلاح القنابل والصواريخ، وكذلك ابتكار أسلحة جديدة وتجريبها لقتل البشر وتشريدهم وإفقارهم بدلاً من السعي إلى إسعادهم والتغلب على شقائهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إن النفايات السامة والمسرطنة المنتجة في الدول الصناعية لا تدفنها في دولها لكنها ترسلها إلى الدول النامية، وكأن هذه الدول لاقيمة لأبنائها إذا ما أصيبوا بأمراض مثل السرطان أو غير ذلك.

ما أتعس هذا الجيل؛ فالإنسان يدمر أخاه ويقتله ويقدم له السم والقنابل والصواريخ بدلاً من رغيف الخبز والدواء والكساء، وينطبق عليه قول الحق ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (سورة الروم آية ٤١).

إننا في حاجه شديدة إلى أن يحل السلام محل الإرهاب، والعدل مكان الجور والظلم، والحب بدل الكراهية، حتى تجني البشرية ثمار تقدمها العلمي العالمي في رحاب الأمن والسلام، ولا ينطبق عليها قول الحق ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ (سورة العلق آية ٦، ٧).

إن ذلك كله ليس بعيد المنال ويمكن أن يكون بين أيدي البشرية إذا تحققت عدة أمور منها: أن يقود المسيرة أهل الأديان السماوية وبقية العقائد ويعلمون جميعا (أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) وألا تسود ثقافة تنحية الآخر؛ فخلال المسيرة البشرية وعبر تاريخها الطويل لم نر فريقا حقق نجاحا بتنحية فريق آخر.

إن الحروب الطاحنة التي خاضتها البشرية في ماضيها البعيد والقريب، والتي نخوضها الآن لن يكون فيها رابح أو خاسر فالجميع خاسرون، وسيتجرعون علقما مرا.

ليس أمام الجميع الآن إلا التعايش مع بعضهم البعض في تعاون تام، وحب ووثام، ولم يغب ذلك كله عن الإسلام؛ فالمؤمن في الإسلام كما جاء في الحديث الشريف هو "من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" وفي القرآن الكريم يصف رب العزة المؤمنين بقوله تعالى ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة البقرة آية ٢٨٥)، وفي آية أخرى يأمرنا ربنا أن يتحاور المسلمون مع غيرهم فيقول سبحانه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ (سورة آل عمران ٦٤) ويأمرنا الله سبحانه أن نترفق في

المجادلة بيننا وبين أي إنسان مسلما كان أو غير مسلم في قوله ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل ١٢٥) تلك هي توجيهات الإسلام لأتباعه ورسالته إلى غيرهم بأن [لهم مالنا وعليهم ما علينا]، وإنني على ثقة بأن تلك الدعوة نفسها قد نادى بها جميع الأديان السماوية الأخرى.

ونحن اليوم نجتمع لنناقش أمرا خطيرا من المستجدات الحديثة وهي [الوراثة والهندسة الوراثية وتكنولوجيا التناسل الصناعي] وآثارها على الإنسان فردا كان أو أسرة أو مجتمعا.

إن هذه المستجدات حصيلة أبحاث دائمة ودءوبة، ونتاج تكنولوجيا رفيعة المستوى ما إن تظهر وتذاع أبحاثها إلا ونجد أن الساحة العالمية قد انقسمت على نفسها؛ فمن رافضٍ للأمر جملة وتفصيلا، ومن مهللٍ ومبشرٍ بالتغلب على كل مشكلات الإنسان وأنها الطريق إلى السعادة والعيشة الهنيئة.

وكلا الفريقين له أسانيده وحججه التي يوردها للرفض أو القبول. والمواطن البسيط حائر: هل يُقدم عليها أو يرفضها خاصة وأنها تمس حياته الشخصية واليومية؟!؟!

فالرافضون لمثل هذه التكنولوجيا لديهم أسباب كثيرة من بينها: الجوانب الأخلاقية فبعض التجارب السريرية أجريت بأسلوب خاطئ فيه الكثير من التعدي على إنسانية الإنسان وكانت نتائجها تغطي منها القلوب، وبعضها الآخر كان تصميم التجربة فيه خطأ فادح، أو أن النتائج المنشورة ملفقة، وهناك الكثير الكثير الذي تطالعنا به الصحف اليومية والمجلات السيارة والعلمية؛ منهم من يثير بأن (اليوجينيا) سابقا كانت برعاية الحكومات وكانت تحت نزعات (فاشستية) ولم يكتب لها النجاح، فهل ستعود اليوم (اليوجينيا) على المستوى الفردي والأسري؟

فيمكن للوالدين - مثلاً - أن يختارا ما يريدان من أوصاف ومواصفات لأبناهما... وهناك - أيضاً - الكثير من الأسئلة التي تدور حول كرامة الإنسان وحرية البحث العلمي وحرية المعرفة وهل العلم للعلم؟.

لقد أثبت تاريخ العلم بأن التكنولوجيا والعلم يمثلان موطن الضعف في حضارتنا المعاصرة؛ فاستخدام العلم والتكنولوجيا الطبية تحت دعاوى تحسين النسل والتغلب على أمراض كثيرة صورة جميلة ومشرفة علينا أن نوافق عليها آنيا ولكن يشوبها أمور:

**الأول:** من الذي يستطيع أن يحسم ويقرر بأن هذا الأمر طيب وليس خبيثاً؟ من له هذا الحق؟ هل الأب، هل الطبيب، هل المجتمع؟ وما هي الحدود بين كل منهم؟ هل ذلك بناء على المظهر أم المخبر؟ وهل هناك حدود آمنة لما يقوم عليه العالم نحو الإصلاح؟.

**الأمر الثاني:** ما تأثير ذلك على الأجيال القادمة؟ إذ من المعروف أن كل جين يعمل في محيطه مع بقية الجينات في شكل منسق وبيديع..... ولا يستطيع شخص ما أن يعرف إذا أُصلِحَ هذا الجين أو ذاك ماذا سيحدث للمحيط حوله أو كيف سيؤثر على بقية الجينات؟

المشكلة الرئيسية في هذا الأمر أن التجريب يجري على الإنسان خليفة الله في الأرض ولا توجد ضمانات للاطمئنان بأن هذا الأمر سيجرى كما تم التخطيط له، إننا نتعامل مع كائن له قدسيته وليس مع جماد أو كائن حي آخر يمكن التغاضي عما قد يظهر عليه من مضاعفات.

**الأمر الثالث:** أننا دائماً نناقش حقوق الأحياء، ولكن هناك طرف آخر هام وهم المواليد الذين لم يؤخذ رأيهم في شيء مما نقوم به نحوهم.... فقد لا يعترض مولود على أننا قمنا بتحسين صفة معينة

عنده، ولكن ماذا لو جاء هذا الطفل عن طريق استنساخه من امرأتين أو من والد، فمن حقه أن يعرف مَنْ أمه مِنْ هاتين المرأتين؟ ومن والده؟ وحتى لو كانت النواة من والده فما هي علاقته به هل هو ابنه أم توأمه؟ . . . . أليس من حقه حينئذٍ أن يرفض هذه العلاقة المشوبة والتي قد تسبب له أذى في المجتمع؟

وهنا يقع العبء على العلماء بضرورة تسليحهم بالأخلاق الكريمة، لكن منهم - وللأسف - من لا يعترف بالأخلاق، وذلك بادعاء أن العلم أمر موضوعي حيث يدرس الوقائع؛ ومناهجه - كذلك - موضوعية، بينما الأخلاق قيمة إنسانية تدرس القيم والمناهج الذاتية وينشأ عنها مجرد رأي يثير الاختلاف ومن هنا فإنهم يرون عدم الخلط بين الاثنين، وبالإضافة إلى ذلك فإن سوء السلوك له أسباب أخرى أدت إلى الوقوع في مثل هذه المشكلات غير الأخلاقية.

### من هذه الأسباب:

أ - تقليص الدعم الحكومي للأبحاث، والذي فتح المجال أمام القطاع الخاص لتبنيها ودعمها؛ فعلى سبيل المثال فإن إحدى الشركات الأمريكية أنفقت على أبحاث الوراثة والهندسة الوراثية ما يقارب من ١١ بليون دولار وقامت بتشغيل حوالي ١٥٠٠٠ موظف لديها، وهنا يقع المحذور في تضارب المصالح فأهداف الحكومات من الأبحاث يختلف عن أهداف القطاع الخاص؛ فالأخير يهدف بالدرجة الأولى إلى الربح بأي وسيلة كانت تكريسا لمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" وتحت قاعدة "المنفعة".

ب - بعض العلماء يدخل إلى عالم الأبحاث السرية بالتعاون مع الجهات تحت أهداف مالية، وكم هي شكاوى المسؤولين عن الأبحاث في



الجامعات من السلوكيات غير الأخلاقية لمثل هؤلاء، وهي كثيرة ولا يتسع المجال لحصرها.

ج - لكن أخطر ما يشهده العالم الآن ضلوع الهيئات العسكرية والجيوش في الأبحاث وهذه غالباً ما تكون سرية، وتحت بند السرية تنتهك الحرمات والكرامات بحجة دعاوى الأمن القومي فيأتي التجريب لمواد قاتلة أو مسرطنة، أو اختراق للقواعد والنظم واللوائح، والسجلات خاصة بتلك الممارسات ولا يتسع الوقت لذكرها ولعل آخرها - ولن تكون الأخيرة - العالم الكوري الذي ادعى إجراءه لأبحاث لم يُجرها، وعندما سئل: لماذا هذا الادعاء أجاب: بأنها تحت ضغط العمل ومحاولة الحصول على الدعم.

د - كذلك ضغوط الترقيات في الجامعات وضرورة نشر الأبحاث ويتطلب ذلك الحصول على منح مالية لإجراء الأبحاث، ونشرها في المجلات والدوريات العلمية، وقد يلجأ البعض في سبيل ذلك إلى وضع خطط وهمية واحتمالات لا أساس لها . . . والهدف الوحيد هو الحصول على الأموال.

هـ - وهناك من العلماء من يعرفون الضوابط الأخلاقية وحدودها إلا أنهم يلتفون حولها لإيجاد تبريرات مختلفة لإجراء أبحاثهم وتجاربهم، وتحت بنود كثيرة من مبادئ المنفعة فإن كثيراً من التجاوزات تتم؛ فمثلاً يتلاعب أصحاب هذا المبدأ بأنه لا مانع من التضحية ببعض الأفراد في سبيل استفادة المجتمع، وهنا تظهر إشكالية منفعة المجتمع وحماية الفرد.

والإسلام كان في ذلك واضحاً، فقد أحاط الإنسان بسياح من الأمن والأمان حيث يقول الحق تبارك وتعالى ﴿... أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة آية

(٣٢) وفي سورة أخرى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾  
(سورة الإسراء آية ٣٣).

من أجل ذلك كان لابد أن تخضع الأبحاث والباحثون إلى نظم أخلاقية صارمة لضمان أكبر قدر ممكن من الالتزام الأخلاقي والحفاظ على إنسانية الإنسان.

ولنا أن نتساءل: أي مصادر الأخلاق يُهتدى بها؟.

هناك مصدران للأخلاق . . . الأول: الأديان السماوية والآخر: الاجتهادات الإنسانية وهي ما يطلق عليها العلمانية، والاثنتان أهدافهما واحدة وهي: حفظ كرامة الإنسان وإسعاده والتغلب على الفقر والمرض والجوع والعيش بحرية في عالم يسوده الأمان، لكن للطرفين معتقداتهما وفلسفتهما للوصول إلى تلك الأهداف.

فالأديان السماوية منزلة من عند رب العالمين على الرسل والأنبياء، وهدفها إقامة العدل ونشر الأخلاق الحميدة والفضيلة، والحفاظ على كرامة الإنسان من حيث هو إنسان، والمؤمن بالأديان ينظر إلى الأعمال من منظور الخير والشر؛ فإذا كانت في سبيل الله وخالصة له فإنها خير، أما إذا كانت في سبيل الطاغوت أو لدنيا يصيبها فإن الأمر يحتاج إلى إعادة نظر.

وأما مبدأ الغاية تبرر الوسيلة فلا وجود له لأنه مبدأ انتهازي غير أخلاقي، فإذا كان الخير والشر من الأمور النسبية التي يصعب على الإنسان تقديرها فإن الإسلام أمر أتباعه بالحلال لأنه خير ونهاهم عن الحرام لأنه شر وكذلك الديانات الأخرى.

فجميع الأديان لها فلسفتها تجاه الإنسان من حيث هو إنسان، فرغم أن حرите هامة ويؤمن بها أصحاب الأديان إلا أنها تقف إذا ما تعارضت مع مصلحة الأسرة أو المجتمع.

إذن فالحرية هنا ليست حرية مطلقة ولكنها حرية منضبطة؛ فالأسرة عماد المجتمع ولها قدسيته وترابطها وتعاطفها . . . . . ولما كانت الأخلاق لها مكانة كبرى في الأديان فإن رب العزة عندما أراد أن يصف رسول الإسلام قال في كتابه الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (سورة القلم آية ٤) وكذلك جاءت الرسائل السماوية لإخراج الإنسان من الظلمات إلى النور. جاءت لتهدب أخلاقه وتبين له الحلال والحرام، فالحلال خير له والحرام شر له، وقد لا تظهر حكمة الحلال والحرام في التو واللحظة ولكن بمرور الأيام والسنين يظهر صدق كل ما جاء في أمر التحليل والتحريم.

وقد يرى البعض أن الإيمان الديني ليس إلا نوعاً من التحامل اللاعقلاني يقف في وجه التقدم العلمي، ويرى البعض الآخر أن العقيدة الدينية والبحث العلمي متعارضان، وهذه الآراء لا تنطبق على الإسلام، فالحضارة الإسلامية قامت على دعامين أساسيتين: الإيمان الراسخ والعلم النافع، وظل عطاؤها ستة قرون متصلة في كل أنواع العلوم الشرعية والكونية من: الطب والصيدلة والهندسة والجبر والرياضيات والفلك وعلوم الجغرافيا والموسوعات وغير ذلك، وجميعها علوم عقلية وليست غيبية، ولو لم يكن للعقل دور فيها ما وصلت الأمة الإسلامية إلى ما وصلت إليه، والقرآن الكريم يحوي الكثير الكثير من الآيات التي تحض المؤمنين على أن يُعملوا العقل، وأن يسيروا في الأرض، ويتأملوا في خلق السماوات والأرض، وكثير من الدعوات التي تندرج تحت قوله سبحانه " أفلا ينظرون أو أفلا يعقلون . . . وغير ذلك، كما أن القرآن به ما يقارب من ٥٦٠ آية كلها عن العلم والعلماء، ولم يحدث على مر التاريخ في ظل هذه الحضارة الإسلامية أن أضير عالم بسبب فكره، بل إن العلماء في الدول الإسلامية كانوا يتمتعون بحظوة كبيرة لدى حكام المسلمين دون النظر إلى الدين أو العرق أو الجنس،

ومثال ذلك (موسى بن ميمون) كان عالما فذا وقد أشيع عنه بأنه أسلم ثم ارتد، ورغم ذلك ظل في حظوة صلاح الدين الذي كان يحارب الفرنجة . . .

وفي العصر الحديث كانت ومازالت [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] بتاريخها خلال الخمس والثلاثين سنة الماضية شاهدا حيا على استيعاب الفقه الإسلامي والفقهاء لكل مستجدات العصر ففعالجوها بكل حكمة وذكاء، وجاءت قراراتهم في كل ما عرض عليهم متوازنة، بل إنها سبقت الكثير من دول العالم الغربي في أمور كثيرة مثل: الرحم الطئر، والإيدز وغيرها، وهذا يدحض كل من يقول: بأن الفكر الديني يمثل أمرا غير عقلاني أو يقف حجر عثرة في طريق التقدم العلمي .

بينما على الجانب الآخر نرى الفكر العلماني يخضع للاجتهادات البشرية والنظريات الإنسانية . . . وقد وجدت هذه الأفكار هوى في قلوب ونفوس معتقيها من الموافقة ومن التراضى بين جموع المفكرين الذين لا يؤمنون بالأديان . . . ولو نظرنا إلى الاجتهادات البشرية على مدى التاريخ فسنجد أنها لم تثبت أمام الأيام والسنين والاختبارات الحياتية؛ لأنها إما صادرة عن هوى في النفس - ومن منا لا يحب هواه - أو تحت ضغوط مختلفة قد تكون نفسية أو اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، ويطلقون على مثل تلك الأمور "صفقة الشيطان" فالسم في العسل وجه جميل تخفي بشاعته المساحيق التي لا تلبث أن تزول ليظهر ذلك الوجه المخيف .

والممارسات الإنسانية بتاريخها خير شاهد على ذلك؛ فمبدأ تحريم الخمر مبدأ أساسي في الإسلام جاء في القرآن الكريم، وكان التحريم بلغة غاية في البلاغة، حيث قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَقْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (المائدة الآية ٩٠) وعلماء التفسير يصفون الاجتناب هنا بأنه أوسع وأبلغ في نطاق التحريم فلا يقربها ولا يتداولها ولا يشربها ولا يبيعها ولا يصنعها ولا يتاجر فيها ولا يجلس مجالسها؛ فهنا التحريم أوسع نطاقا من عدم شربها فقط، ولم يكن المسلمون يعرفون السر من وراء تحريمها ولا الحكمة من ذلك، ولكن لأنها جاءت من عند رب العالمين كنا على ثقة من ضررها..... فامتنعنا عن شربها، وكنا - نحن المسلمين - نعاني أشد المعاناة في الحفلات بالدول الغربية التي تبيح معاقرتها، ونشعر بالهمز واللمز من قبلهم نتيجة الامتناع عن شربها، واليوم يجني الغرب الحسرة والمرارة ويشرب كأسَي الخسائر المادية والإنسانية حتى وصلت إلى المليارات وصارت وباء غير قابل للسيطرة... وقد كانت اجتهادات بشرية لأصحاب هذا الفكر العلماني وذلك لتعظيم المنفعة واللذة فقط دون النظر إلى أي شيء آخر.

وأیضا فإن الاجتهاد البشري والسلوك غير الأخلاقي في موضوع التدخين.... أوقعهم في ذلك؛ فالقائمون على أبحاث وإنتاج وصناعة التدخين لم يصدر منهم أي تحذير ضد التدخين ومخاطره الصحية والاقتصادية، رغم ما يعلمونه عنه من مخاطر صحية كبيرة بناء على ما كان بين أيديهم من أبحاث أظهرت أن مادة السجائر بها مواد سرطانية ومواد تؤدي إلى الإدمان.

ومما يدعو للأسف والأسى عدم موافقتهم على نشر تلك الأبحاث والتستر عليها..... ولم يكتفِ صنّاع السجائر في الغرب بهذا الأمر وما اقترفت أيديهم من آثام وذنوب بل خضعت للأحكام القضائية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا فأصدرت تحذيرات وخففت من الإعلانات وطرق الإعلان وانخفضت مبيعات السجائر في أوروبا وأمريكا، ويرغم ذلك ولتعويض تلك الخسائر تم التركيز على الدول النامية بزيادة وتكثيف الدعاية، بل إن بعض رؤساء الدول الصناعية

الكبري طلبوا السماح للدعاية عن السجائر وذلك عند تفاوضهم مع رؤساء الدول الفقيرة والضغط عليها لتحقيق ذلك فزادت مبيعاتهم في الدول النامية وتدهورت صحة أبناء تلك الدول . . . ، وكأن إنسان الغرب له حقوق أكثر ويمثل قيمة أكبر من إنسان الدول النامية لكي يمتصوا دماءه عيانا جهارا .

نحن إذن أمام سوء سلوك وتصرف لا أخلاقي ، وجشع مالي من الدول الكبرى يمارس على أعلى المستويات في سبيل جمع المال على حساب أشلاء الدول الفقيرة واستنزاف ثرواتها .

مثال آخر: يمكن تصنيفه تحت بند تعظيم اللذة والحرية المطلقة؛ حيث نادى الغرب بالحرية الجنسية طالما كانت برضى الطرفين وليست تحت الإكراه، فنتج عن ذلك ملايين من حالات الإجهاض مما خلق مشكلة اجتماعية خطيرة في الدول الصناعية الكبرى، وما استتبع ذلك من مخاطر على الأم من مضاعفات قد تؤدي إلى الوفاة أو الإصابة بمشاكل صحية مختلفة، كما سبب ذلك انتشار الأمراض الجنسية من: زهري وسيلان وهربس، وتكاليف علاج ذلك بالملايين إن لم تكن بالمليارات، ولعل أخطر ما نتج عن ذلك الهوس الجنسي طاعون العصر "الإيدز" والذي ثبت أن السبب الرئيسي في نقله - بجانب الطرق الأخرى - هو الاتصال الجنسي مع أكثر من امرأة، والنتيجة ذلك الوباء الخطير الذي يهدد البشرية في أعز ما لديها، ويحصد البشرية غنيها وفقيرها صغيرها وكبيرها، وبالرغم من هذا فإن المسؤولين عن الصحة في العالم لم يعيروا أمر تحريم الزنا أي اهتمام بل أوصوا بالجنس الآمن، وهو اصطلاح خادع ليس له أساس؛ لأن الوصول إلى الجنس الآمن لا بد له من احتياطات كثيرة قبل العملية الجنسية وأثناءها بل الأخطر من ذلك فإن الشركات المنتجة للعوازل الذكرية والأنثوية انتهزت الفرصة وأنتجت عوازل ليست جيدة وصدرتها إلى أفريقيا وبدلا

من الحماية ساعدت على انتشار المرض لزعيمهم أنه آمن وهو غير ذلك بسبب رداءة الصنف، والنتائج العملية تذيبها منظمات عالمية محايدة مثل منظمة الصحة العالمية.

إن العالم الآن في أزمة بالغة حيث يرصدون المليارات في الأبحاث المتعددة للقضاء على هذا الداء العضال، وإن شركات الدواء تنتج أدوية بأسعار مرتفعة لأفريقيا التي تئن تحت خط الفقر وتعيش مأساة المرض بين أيتام فقدوا عائلهم وأرامل لا عائل لهم... فهل هذه هي الأخلاق التي يدعونها؟! وكان من الممكن أن يعودوا إلى الحق بتبني مبدأ العفة والفضيلة، ولكن (مافيا) تجارة الأدوية أكبر من كل من يقف أمامها.

وهذا مثال آخر حديث حيث كانت النفعية بحساب الربح والخسارة وراءه "جنون البقر" فلقد ظهرت أبحاث تقول: لماذا لا نستفيد من بقايا الذبائح من دم وعظام وجلود وغير ذلك! باستخلاصها وتقديمها وجبة للأبقار؟ فأنت ثمارها بزيادة أوزانها وأدرت حليبها وأصيبت بالجنون.... لقد حولنا طبيعة الحيوان وفطرته التي فطره الله عليها من آكلة للنبات إلى آكلة للحوم، ولم يكن أحد يتوقع أن يحدث ما حدث من تلك الطفرة لأحد الأحماض الامينية والتي تقوم بتحويل مخ من يصاب بها إلى ما يشبه الاسفنج ويموت بسرعة، ولقد فقدت انجلترا ما يزيد على مليارين من الاسترليني بإعدام ثروتها الحيوانية.

هذا هو مصدر الخوف، من تبني دعوات وأبحاث لم يجر التدقيق فيها ولا متابعتها، خاصة إذا كانت مخالفة للفطرة التي فطر الله المخلوقات عليها، فنحن لا نعرف ماذا سيحدث على المدى البعيد بعد جيل أو جيلين؟!

ورغم أن ذلك كان اجتهاداً بشرياً إلا أنه - كما تبين - اجتهاد بشري عقلي خاطئ.

ولو نظرنا في الدين الإسلامي لوجدنا أنه يحرم أكل كل ذي ناب أي آكلات اللحوم... ولم نكن نعرف سبب التحريم ساعة ذلك التشريع حتى ظهر مرض "جنون البقر" لكنه تنزيل من حكيم عليم خبير، فالاجتهاد وفق مبدأ المنفعة والمصلحة - الذي فكر في استغلال بقايا ومخلفات الذبائح لزيادة الوزن - أدى إلى كوارث حيوانية وبشرية.

ومن هنا فإننا أمام أفكار واجتهادات عقلية وشخصية تحكمها الأهواء والنوازع والضغوط الاقتصادية والسياسية، والتاريخ فيه الكثير من هذه الأمثلة والتي كان ضحيتها الإنسان والإنسان وحده.

فتلك النظريات العلمانية تجدها مختلفة في التوجهات والأسس، وقد كان مبدأ النفعية أحدها.

ذلك المبدأ الذي ينطلق من (الحرية الكاملة في الفكر والبحث والعلم) تحت بند (أن ما ينفع الإنسان يجب العمل به) وهو مبدأ آني مادي يمكن أن تحوله إلى أرقام في الربح والخسارة من نجاح في التغلب على مرض عضوي أو زيادة في قدرات معينة أو في الاقتصاد والتجارة والسياسة ولكن من منا يستطيع أن يعرف نتائج ذلك على الإنسان من حيث هو إنسان، إنه ليس جسداً فقط ولكنه روح ونفس وجسد يحب ويكره، يحلم ويغضب، له أحاسيسه ومشاعره، ولن نستطيع أن نقيس هذا بميزان الربح والخسارة على مدى عقد أو عقدين أو جيل أو جيلين.

فمنطلقات فلاسفة العلمانية مختلفة ولكل منهم فلسفته ورؤيته والتي قد تتفق مع الآخرين أو تتعارض، فلو أخذنا مثلاً "الكرامة" نجد



أن لها تفسيرات ورؤى ونظريات مختلفة في معنى كرامة الإنسان، بينما نرى الإسلام يحددها بكل وضوح بأن كرامة الإنسان فوق كل ما سواه.

ويعتبرها الإسلام نفحة من نفحات الله، والقرآن الكريم يقول في ذلك التكريم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ (سورة الحجر الآية ٢٩) والأمر هنا للملائكة أي أن السجود لتكريم الإنسان جاء بعد نفخ الروح من الله العلي العظيم، ويذكر رب العزة في القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ (سورة الأعراف الآية ٧٠).

إن الكرامة التي نريد أن نحميها هي ذلك البنيان الكامل، لا نريد إصلاح أمر على حساب الآخر، فالإنسان ليس جسدا فقط بل هو روح ونفس وقلب وعقل وجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، ويقول الرسول ﷺ "الإنسان بنيان الله ملعون من هدمه".

أما الكرامة في منطق الفلاسفة العلمانيين فقد اختلفوا حولها، فمنهم من يعتبر أنها لكل إنسان قادر على الإرادة والفكر والخيار الذهني أو اللغة، ونحن نتساءل: هل ذلك الإنسان المتخلف عقليا ليس له كرامة؟! و(كانط) الذي جادل بأن ذلك العامل يركز على قدرة البشر على الخيار الأخلاقي وهم وحدهم الذين يمتلكون حرية الإرادة فهل الشخص مسلوب الإرادة ليس له كرامة . . . . .

والبعض يرى أن الجوهر الإنساني أمر زائف، ومنهم من يرفضه تماما ولا يوافق على بناء حق مثل حقوق الإنسان على أمر وهمي.

## مثال آخر : قدسية الحياة :

إن الأديان تعتبر أن الحياة منحة من الله وليس لمخلوق أن يهدرها ولا أن يتلاعب فيها، فالإنسان خلقه الله سبحانه في أحسن تقويم، وذلك مصداقا لقوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين الآية ٤) إذن الخلق هنا من الله، ورغم أن جميع المخلوقات خلقها الله إلا أن الإنسان تميز بمميزات وخصائص تميزه عن بقية المخلوقات؛ فقد منحه الله عقلا يدرك به وإرادة يستطيع أن يختار بها ويقرر ما يريده، ولغة يتخاطب بها مع الآخرين، وهو كائن يستطيع أن يبتكر ويصنع ويخطط ويختار ما يشاء، إضافة إلى ذلك فهو يملك حضارة لاتملكها بقية المملكات من المخلوقات. ولذلك فقد اختاره الله ليكون خليفة له في الأرض وأمر الملائكة أن تسجد له احتراماً وتقديراً، قال الله تعالى لملائكته ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ٣٠) وقضى سبحانه: أن الإنسان سيرث الأرض ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآية ١٠٥).

أما الفلاسفة فانقسموا حول هذه النقطة (قدسية الحياة) فمنهم من اعتبرها بسبب قيمة الحياة، وهذا المبدأ غامض وغير دقيق؛ بما يعني أن هناك حياتين إحداها لها قيمة والأخرى ليست ذات قيمة، وبذلك يمكن إهدارها مثل: حياة الجنين التي يمكن إهدارها، وكذلك الميؤوس من حياته أو الكهل فحياتهما ليست ذات قيمة من وجهة نظر البعض.

وفريق آخر يراها في نوعية الحياة: وهو إلى حد ما مثل المبدأ السابق، غير أنه قد يفتح هذا المجال على مصراعيه أمام إمكانية التضحية بعدد من البشر في سبيل الآخرين أي مبدأ النفعية والانتهازية،

وقد يرى المؤمنون بهذا المبدأ إباحة استخدام بعض البشر كمصدر للأعضاء للإفادة منها في إنقاذ حياة نوعية خاصة من البشر، يرى أصحاب هذا المبدأ بأن حياتهم أغلى من الآخرين.

ويرى آخرون بأن قدسية الحياة هي خاصية إنسانية بشرية، فعلى أن نحافظ عليها بكل ما أوتينا من إمكانيات ولعلها هي الأقرب إلى المفهوم الديني وترسخ مبدأ "لا تقتل".

إن قدسية الحياة إذا تحولت إلى مبدأ يرسي أمراً هاما [بأن الإنسان من حقه أن يحيا وأن حياته يجب ألا تهدر إلا بسبب جوهرى وألا يتلاعب فيما منحه الله، فلا تهدر كرامته دون مبرر قوي] بهذا يمكن أن نكون أمام مبادئ شرعية قانونية تعتمد على مفهوم "قدسية الحياة".

لا أريد أن أحول هذه الكلمة إلى مناظرة بين الأديان وبين العلمانية لكن الهدف الرئيسي هو إقامة ذلك الحوار لتقريب وجهات النظر بقلب وعقل مفتوحين.

وهذا الخلاف بين البشر - سواء أكان بين أهل الأديان أم العلمانيين أم غيرهم - هو من سنن الله في الخلق، فمنهم من آمن ومنهم من لم يؤمن ولن يضروا الله شيئاً ذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (سورة الشورى الآية ٨).

لكنني أتساءل: هل العلم والبحث العلمي من الأمور الهامة في الإسلام أم أن الإسلام اضطهد العلماء والباحثين؟ أستطيع أن أؤكد بكل ثقة بأن الإسلام يدعو أهله وأبنائه إلى العلم والسعي من أجله، فقد جعل العلماء ورثة الأنبياء، وحث أبنائه على البحث في ملكوت السموات والأرض وفي أنفسهم . . . .

ولكن أي نوع من العلم وأي نوع من البحث قد أمرنا به؟ لقد

حدد الإسلام العلم بأنه العلم النافع للإنسان، والبحث الذي لا يتناقض مع سنن الله في الخلق ولا يضر الإنسان، ويساعده على التغلب على آلامه، ويفتح أمامه الآمال بحياة سعيدة يجد فيها الكرامة والمسكن الصحي والغذاء والدواء، وأن استكناه سنن الله في الأرض فرض كفاية في ديار المسلمين، ودليل عملي وعلمي على وحدانيته سبحانه وقدرته على الخلق وعظمته في تدبير ذلك الكون . . .

تلك هي القواعد والأسس التي وضعها الإسلام لأبنائه من المسلمين، لكن بعض العلماء يعانون من انعدام البصيرة؛ فيغشى قلوبهم حب المعرفة وشهوتها، ويستولي عليهم سلطان العلم، ويتحولون إلى خدم لذلك السلطان فما يكادون يصلون إلى نقطة إلا ويرحلوا إلى أخرى، وهكذا حتى لو كان ذلك على حساب كرامة الإنسان أو خلط الأنساب أو تغيير خلق الله.

فالعلم سلاح ذو حدين، فليس هناك علم ضار على إطلاقه ولا نافع على إطلاقه؛ لكن له وجهين، لأن ذلك يعتمد على ماذا نريد من العلم؟ هل نريد أن يكتشف نوعين من البكتريا تصيب الإنسان ويحاول أن يجد لها علاجا أم نريد أن يكتشف نوعا جديدا من البكتيريا ويحورها إلى صورة عصية على العلاج ليتحول إلى سلاح فتاك ضد الإنسانية؟!!

هل نريد أن يكتشف جين القوة العضلية لتحويل أمة بكاملها إلى عبيد لأعمال السخرة؟ أم لاستخدام هذا الجين في التغلب على من يصابون بأمراض الهزال؟

وهناك الكثير والكثير من الأسئلة والأمثلة التي يمكن طرحها في هذا المجال.

نحن إذن في حاجة شديدة إلي أن تسود الحكمة والأخلاق

الحميدة ليس فقط بين البشر ولكن بين العلماء بصفة خاصة، نحن في حاجة إلى أن يتحول العالم إلى إنسان رحيم؛ إلى إنسان يسعى إلى الخير ويخشى الله في كل أمر من أموره، فالعلم لم يعد قاصرا على أبحاث نظرية داخل المعامل، ولكن امتد تأثيره على المجتمع سلبا أو إيجابا، لاسيما والمجتمع يقوم بتمويله فله الحق في أن يساهم برأيه أيضا فيما يجري داخل محراب العلماء، وذلك بعد أن يتم شرح كل أبعاد المشكلات التي يعمل فيها العلماء: إيجابية وسلبية؛ لأنه هو المستفيد الوحيد من تلك الأبحاث.

فهل نحن أمام مقولة "إن المعرفة ستكون سببا في نهاية الإنسان" أم "إن عدم المعرفة ستكون سببا في وفاته . . . . . إنه حتما سيموت ولكن بسبب ماذا؟

هل ستتحول الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري إلى أداة لإسعاد الإنسان أم إلى سلاح يدمر حياته ويهدم بنيانه ويغيّر صفاته وسلوكياته . . . . .

لا نريد أن يأتي الجيل القادم ليحاكمنا بسبب ما اقترفت أيدينا إما بالتقصير نحو استصدار قرارات مقيدة للبحث أو بالتفريط في ترك الجيل على الغارب ليتحملوا نتيجة قد تكون بشعة. إن علينا ألا نسير وراء أهداف تعصبية قصيرة المدى قد تنعكس على الجيل أو الجيلين القادمين . . . . .

قد يري البعض أن أحدا منا لن يعارض أن يكون أبناؤه أذكاء أقوىاء ذوي قامة فارهة وجمال أخاذ، ولكن إذا تحول المجتمع بأكمله إلى ذلك فهناك أمران أولهما: أن هذا يعني عودة الیوجينا بعد فشلها نتيجة إصدار قوانين منظمة لها من حكومات فاشية نازية لكنها اليوم تصدر عن طريق الأسرة وينفذها الطبيب.

أما الأمر الآخر: فإن هذه الظاهرة لو تمت فإننا لا نعرف مدى تأثيراتها في المستقبل، فقد يؤدي هذا التدخل في التعديل الجيني إلى تأثيرات أخرى قد لا تظهر في هذا الجيل بل يظهر عطبها في الأجيال القادمة، ثم إذا تحول المجتمع كله إلى أذكاء وأقوياء وغير ذلك من الصفات، واختفى من المجتمع ذوو العاهات وقصار القامة والمرضى... فإن التراحم والشفقة والعطف والحب سيختفي بيننا وسيتحول المجتمع للصفوة، كله يحارب كله ويصبح غابةً كبيرة البقاء فيها للأقوى.

إن الأمر يحتاج إلى وقفة، ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى أن يتحلى العلماء بالأخلاق، وأن يتمسكوا بها، وألا تغيب عن بالهم؛ سواء في وضع أهداف الأبحاث أو الخطوات اللازمة لإجرائها أو موادها... حتى يكون العلم وسيلة من وسائل رحمة الله بالإنسان في الأرض وألا يكون سلاحاً مدمراً له ولبنيته.

كانت تلك الأمور جميعها أمام [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] منذ لحظة إنشائها؛ فقد قامت بدراسة كل تلك المستجدات ساعة إعلانها بخطة علمية محكمة ليس فيها إفراط أو تفريط، وذلك بجمع أهل الطب والعلوم والعلوم الكونية والفقه والفلسفة والاجتماع والقانون وعلم النفس والسياسة لمناقشتها مناقشة حرة بعيدة عن كل ما يمكن أن يؤثر على اتخاذ القرار، فالمنظمة لا تعمل بالسياسة ولا بالاقتصاد، وليس لها أهداف ربحية مادية ومصادرها معروفة ومحددة... ومن هنا فقد جاءت قراراتها متوازنة أشاد بها الجميع... وهذا ما ندعو إليه اليوم أن تكون مناقشاتنا بعيدة عن الهوى الديني أو النفسي أو أي نوع من الهوى لنكون عند حسن ظن الناس بنا، وإرضاء لمرضاة الله سبحانه وتعالى، ولقد قامت المنظمة في العام الماضي (٢٠٠٥م) بإصدار

الميثاق الإسلامي للأخلاقيات الطبية والصحية حيث ناقش كل ما هو متعلق بالأخلاقيات في أجزاء ثلاثة:

**الجزء الأول:** سلوكيات الطبيب وحقوقه وواجباته نحو ربه ونفسه ومجتمعه - وتعرضت للقضايا الاجتماعية للجسم الطبي والصحي .

**الجزء الثاني:** ناقشت فيه القواعد الإرشادية الأخلاقية العالمية لأبحاث الطب الحيوي من المنظور الإسلامي؛ فوضعت المبادئ العامة والقواعد الإرشادية لآداب المهنة، مثل: التبرير الأخلاقي، والمراجعة الأخلاقية للأبحاث، والموافقة الفردية المستنيرة والحصول عليها، وكثيرا من الموضوعات المتعلقة بالأبحاث الطبية والصحية وضرورة الالتزام بالأخلاقيات ومتطلبات ذلك .

**أما الجزء الثالث:** فيشمل الرأي الإسلامي في المستجدات الطبية والصحية التي ظهرت على الساحة العالمية، مثل: طفل الأنابيب، والرحم الظئر، وزراعة الأعضاء، بداية الحياة الإنسانية ونهايتها، الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري، الاستنساخ، مرض الإيدز، وغير ذلك من مواضيع كثيرة تم مناقشة كل مشكلة على حدة وتم وضع التكييف الفقهي لها، وقد تم توزيعه علي حضراتكم .

إن التحدي هنا ليس تحديا أخلاقيا فقط بل تحديا سياسيا أيضا؛ ذلك أن القرار السياسي سيحدد مدى دخولنا وعلاقتنا (بالتكنولوجيا الحيوية) إن كنا سندخل إلى "مستقبل بعد بشري" وهو أيضا الذي سيحدد الهوية الأخلاقية المحتملة التي قد يفتحها هذا المستقبل أمامنا .

إن محاولة تجزئة الإنسان إلى أعضاء وأجهزة، وتصغيرها إلى وحدات أصغر والدخول في تفاصيل التفاصيل جعل علماء العلوم الكونية ينظرون إلى الإنسان نظرة جزئية ومخالفة تماما لنظرة علماء الأديان والفلاسفة .

فالبعض يرى أن تفهمنا (للجينوم البشري) والعمل على إصلاح الخلل فيه سيجنبا الكثير من المعاناة الجسدية، وسنحيا حياة جسدية سعيدة، ولكن هل هذا هو المطلوب؟ فالإنسان ليس ذلك الجسد فقط، بل له روح لا يعرف مكنونها إلا الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء آية ٨٥) وله نفس بشرية تراوح بين النفس المطمئنة والنفس اللوامة والنفس الفاجرة والنفس التقية - ذلك الإنسان له مشاعره يحب ويكره، فيه الكرم وفيه البخل، فيه السعادة وفيه الاكتئاب، فيه الشجاعة وفيه الجبن.

إن اختزال الغايات في الإنسان في شريط ضيق مثل: تخفيف الآلام وتعظيم اللذة والسعادة أمر غير مقبول فهو يسطح الطبيعة البشرية المعقدة التي لم يتوصل العلم إلى معرفتها حتى الآن سواء أكان ذلك أنيًّا أم على المدى البعيد.

فهل ما فشل فيه السابقون سينجح فيه علماء (التكنولوجيا الحيوية) الطبية عن طريق التحكم في خلق الإنسان بالمواصفات المطلوبة؟

إن ثورة (التكنولوجيا الحيوية) لا تعني الهندسة الوراثية فقط ولكنها تعني أمرا أكبر وأعظم من ذلك، إنها ثورة في علم الحياة الأساسي الذي يعتمد على التقدم في مجالات مختلفة، كما أنها ستعكس على إطالة الحياة وما يستتبع ذلك من تغيير ديموغرافي باحتمالات كبيرة في التأثير على القرارات السياسية والاقتصادية، فأوروبا وأمريكا مقبلتان على معضلة زيادة عدد المسنين وقلة المواليد مما سيتتبع عنها قرارات مختلفة عما هي موجودة الآن لتكون في صالح فئة المسنين أكثر، وقد نرى مجتمعات يسود فيها النساء ويتحولن إلى أصحاب قرار مما سينعكس على القرارات السياسية في اتجاهات قد تكون مخالفة تماما وفي صالحهن أكثر....



كما أن هذه الثورة في إطالة العمر قد تكون بدون محتوى، وقد يتحول أصحابها إلى مجرد أدوات بشرية بدون وعي أو إدراك مجرد ليس فيها من الحياة الإنسانية والإدراك إلا الحركة فقط، والتي قد لا تكون موجودة، وقد يتحول العالم إلى مجرد ملجأ كبير لكبار السن.

إننا اليوم يجب أن نحول كل الشعارات إلى قرارات وقوانين ملزمة، وأن يكون التوجه في ذلك توجهها عالميا، وأشدد على أن يكون عالميا فإذا أصدرت دولة ما قرارات تنظيمية صارمة ولم تصدر بعض الدول أياً من تلك القرارات التنظيمية فإن ذلك سيفتح الباب أمام العلماء والباحثين والشركات العاملة في ذلك المجال بإجراء أبحاثها في تلك الدول التي لاتحظر مثل تلك الأبحاث، خاصة وأن المعامل والتجهيزات لمثل هذه الأبحاث يمكن إنشاؤها بسهولة ويسر، فليست هي بالحجم الكبير ولا بالمعقدة، ولا يمكن اكتشافها أو مراقبتها من الجو مثل تجهيزات ومختبرات الأبحاث النووية التي يمكن اكتشافها ومراقبتها من الجو.

إن العالم اليوم في حاجة ماسة إلى إعادة حساباته خاصة في مجال الأخلاقيات والالتزام الأخلاقي، ولنبدأ منذ الصغر حتي إذا وصل إلى مراحل الدخول في المعترك العلمي أو السياسي يكون مؤهلاً تأهيلاً جيداً ليتقبل السلوك الأخلاقي، ويكون التزامه جزءاً من حياته اليومية، وذلك بتنمية وازع الضمير فيه ليكون الرقيب عليه، بحيث يراعي ربه وضميره أثناء عمله: يخشى الله ويعلم أنه يراقبه حيثما كان فلا يخشى في الحق لومة لائم، حينئذ سننظم إلى أننا في أيدي أمينة، وسيكون هذا العالم أكثر حرصاً من المواطن العادي فلن يقدم على خطوة إلا إذا راعى الله فيها واطمأن إلى أنها في سبيل الله، وأن نسبة نجاحها أكثر من نسبة فشلها، ومضاعفاتها ومخاطرها أقل بكثير من عدم إجرائها

وفي الوقت نفسه يجب تشكيل لجان أخلاقية من علماء في العلوم الكونية، وأطباء وفقهاء في الشريعة، وعلماء في الفلسفة وعلم الاجتماع والنفس، وممثلين عن المجتمع لدراسة كل حالة على حدة، واتخاذ القرار المناسب لها.

وعلى اللجنة متابعة ما يستجد من أبحاث في هذا المجال، وإعادة دراسة قرارها في ظل النتائج الجديدة لمعرفة مدى صلاحية قرارها الذي اتخذته، فإن كان لا يزال صالحا يبقى القرار ساريا، وإن احتاج إلى تعديل فيجب النظر فيه.

كما لا ينبغي النظر إلى العلماء في تلك المجالات نظرة الريبة والشك والهرطقة - كما حدث في أوروبا في العصور الوسطى عندما أعلن جاليليو بأن الأرض تدور حول مدار الشمس فأحرقوه - بل يجب أخذ تلك المواضيع على مأخذ الجد ودراستها دراسة متأنية بعقل وقلب مفتوحين، ومناقشتها مناقشة جادة لإعطاء العلماء والمشتغلين في هذا المجال الثقة فيهم حتى يصارحوا المجتمع بأهداف أبحاثهم وتصميم البحث ونتائجه، وتكون هناك مكاشفة على أسس من الشفافية بدلا من دفعهم إلى إجراء الأبحاث في سرية وإخفاء النتائج، وحتى لانصحو يوما على كارثة بشرية حيث البديل الآخر وهو وقف التجارب والأبحاث العلمية نهائيا، وهذا أمر مستحيل بل علينا أن ننظر إلى الأمور بصورة أكثر وضوحا وانفتاحا.

فعلى الدول أن تتحمل مسؤولياتها بحماية رعاياها من التجارب والأبحاث التي ليس فيها ضمان للنجاح أو مراجع أو لم توافق عليها دول أخرى.

وعلى المجتمعات أن توازن بين الحرية العلمية في الفكر والتعبير وبين القيم الدينية والسياسية والأخلاقية.

كما علينا أن نتساءل: هل إذا رفضت حكومة دولة ما تمويل بحث ما فهل للقطاع الخاص الحق في تمويله؟

والإجابة قد تكون: إذا كان الرفض بسبب مالي يمكن للقطاع الخاص أن يموله، ولكن إذا كان بسبب أخلاقي أو علمي أو أن نتائجه ستعكس سلبا على الفرد أو الأسرة أو المجتمع فلا يجوز للقطاع الخاص أن يموله، بل لا يجوز أن يعرض هذا البحث على أية دولة أخرى، وعلى الدولة الراضية تعميم نشره على جميع دول العالم وبخاصة النامية منها والتي ليس لديها الكوادر المؤهلة لفحص تلك الأمور وتمحيصها، فإن واجب الدول الكبرى تجاه تلك الدول هو حمايتها من عبث العابثين وتوجيه النصح لها.

كما أن على علماء كل دولة أن تجيب عن سؤال هام "متي تصبح للحياة قيمة أخلاقية" فإن ذلك سيقدر كثيرا من الأمور مثل: الإجهاض - القتل الرحيم - التجارب على الأجنة المشوهة تشويها كبيرا.

إن على الدول النامية والتي لا تملك الكوادر البشرية المؤهلة ولا الميزانيات للإنفاق على مثل تلك اللجان عليها الاستعانة بالمنظمات العالمية لحمايتها وحماية أبنائها، كما يمكنها أيضا الاستعانة ببعض المنظمات غير الحكومية التي أنشأتها مجموعة من المهتمين بالأخلاقيات من علماء في الفلسفة وفروع العلم المختلفة وعلماء الأديان وهذه المنظمات ذات مصداقية جيدة وتقوم بمراقبة مراكز الأبحاث، وتكتب تقارير وأبحاث حول أخلاقية الأبحاث حتى ولو كانت في المهد، مما يشعر القائمين على تلك الأبحاث بأن هناك عيوننا خفية.

أقول هذا من منطلق أن الدول الكبرى التي تجرى فيها الأبحاث ولديها الإمكانيات المادية والبشرية المؤهلة لديها أيضاً حركة شعبية وأخلاقية وجهات رقابية وحرية تعبير وديموقراطية تستطيع أن تفضح أي

موضوع به خطأ، أو سلوك غير أخلاقي دون خوف أو وجل من أحد، ولذلك فهي مؤهلة لأن تصدر قرارات تنظيمية قد تكون إلى حد ما صارمة على الأبحاث والتي يعتبرها الباحثون والشركات العاملة في مجال التكنولوجيا الطبية حجر عثرة في طريق التقدم العلمي في ذلك المجال، وحينئذ لا يكون أمام تلك الشركات فرصة سوى الهروب والتوجه إلى العالم الثالث؛ لأنها تعلم تماما قصوره المالي والقانوني والبشري، وأمام الإغراءات والوعود المالية والنتائج الباهرة التي ستعود على تلك الدول تحصل هذه الشركات من تلك الدول على الموافقة بإجراء تجاربها على أراضيها، وبالتأكيد لن تسمح تلك الشركات لأي من أفراد تلك الدول - مسئولين أو غير مسئولين - بالدخول إلى معاملها أو حتي الاقتراب منها، وكم من المآسي والمخازي ترتكب داخل تلك الأروقة ولا أحد يعلم بها.

أليس هذا موقفا أخلاقيا آخر تواجهه الدول النامية حيث يُستغل أبنائها وأرضها في التجارب دون أي وازع أخلاقي من القائمين على تلك التجارب؟؟!! لذلك فإن على الدول الكبرى واجبا والتزاما أخلاقيا لحماية تلك الدول من جشع وشره الشركات العاملة في مجال (البيوتكنولوجيا) الطبية.

إن ما أكتبه هنا من اقتراحات قد تبدو سهلة ويسيرة، ولكن الحقيقة والواقع غير ذلك، فالتاريخ يدلنا على أن مافيا المخدرات أصبحت دولة داخل الدولة وصارت تفرض على الدول قوانين تخدم مصالحها بل وتشتري أصحاب النفوذ وتدخل البرلمان والوزارات، بل وبعض رؤساء الدول، ومافيا صناعة السجائر تنفق الملايين وتنتهك الحرمات وتسير على نفس منوال مافيا المخدرات وصناع الدواء وغيرهم وغيرهم.

لذلك فإن الشركات العاملة في (التكنولوجيا الحيوية) الطبية والقائمين عليها سيقاومون كل تنظيم يحد من نشاطهم، أو يقلل من أرباحهم، يساندهم في ذلك بعض العلماء الذين غابت ضمائرهم بكتابة تقارير ملفقة وغير صحيحة لتقبل بها الحكومات والبرلمانات والشعوب .

ولذلك فإن إنشاء أي تنظيم مهما كان هذا التنظيم سيقاوم وبشدة من قبل تلك الشركات، وعلينا ألا نياس ولا يدعوننا ذلك لليأس فهذا ما يريدونه ولكن علينا المثابرة والصبر وفي النهاية سنصل إلى ما نريد .

وكمثال: الأغذية المحورة جينيا لا نعرف ماذا سيحدث لمستهلكيها على مدى جيل أو جيلين؟؟! حيث قوبلت هذه المنتجات بثورة عارمة من المستهلكين في أوروبا وفي أميركا أيضا، إلا أن قوة ضغط مزارعي أميركا والشركات الأميركية المنتجة لمثل هذه المنتجات كانت وراء حركة ضغط لإصدار قرارات لحماية هذه المنتجات وخلوها من أية أضرار جانبية على مستهلكيها .

نحن إذن أمام ثورة لها عدة أضلع:

أ - ضلع شراهة الأرباح والسيطرة على الأسواق دون أي اعتبار لأية مضاعفات، ويقود هذا الضلع شركات (البيوتكنولوجيا) الطبية .

ب - وضلع ثان هو شهوة المعرفة والعلم للعلم، ويقوده العلماء العاملون في هذا المجال .

ج - وضلع ثالث يحاول تزييف النتائج أو فبركتها، وهذا يقوده بعض ذوي النفوس الضعيفة من العلماء .

د - وضلع رابع يحاول أن يرشد المسيرة ويواجه هؤلاء جميعا لحماية الإنسان، وتقديم الخير على الشر بدراسة هذه المستجدات من منظور أخلاقي للسيطرة على الأبحاث وعدم المساس بكرامة الإنسان أو قدسيته للحياة الإنسانية .

هذه المقدمة تعبر عن رأي شخصي لكتبتها، وليست بالضرورة تعبيراً عن رأي المنظمة. كما أنني لم أشأ أن أعلق على أي من الأبحاث سلبي أو إيجاباً رغم قرأتي لها وملاحظاتي الكثيرة؛ فالأمر متروك للعلماء الأجلاء المشاركين في الندوة، وسنسجل كل ما يذكر لتخرج أعمال الندوة شاملة لكل الأبحاث والمناقشات.

ولايفوتني أن أحيي الرجل الشجاع الذي اتخذ قرار عقد هذه الندوة وما بها من مخاطر وتابع أعمالها يوماً بيوم، بل لعلي لا أبالغ إذا قلت ساعة بساعة وبكل التفاصيل العامة والدقيقة ذلك هو الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي رئيس المنظمة.

كما أحيي مجلس الأمناء الذي وافق ودعم عقد هذه الندوة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة التنفيذية التي كان لها الفضل في الموافقة والتخطيط والمتابعة ومناقشة كل ما هو متعلق بالندوة، ولم تبخل يوماً بتقديم النصح والمشورة.

وإلى أخواتي وأعرزائي وأصدقائي في الأمانة العامة فرداً فرداً لهم مني خالص الشكر وجزيل الامتنان على الجهد الذي بذلوه، والإخلاص والتفاني في العمل والذي كان ثمرته انعقاد الندوة بهذا التنظيم الرائع. وهذا النجاح المتميز الذي عهدناه دائماً في أعمال المنظمة نتيجة حبههم للعمل وبذل الغالي والنفيس ليخرج على أحسن وجه، وكذلك الزملاء الذين راجعوا وصححوا الأخطاء اللغوية والتعبيرات الإنشائية وغير ذلك لهم مني خالص الشكر وجزيل الامتنان.

وبعد . . . . فهذه أعمال ندوتنا ندعو الله أن يكون التوفيق قد حالفنا ونأسف إن كان هناك قصور هنا أو هناك [فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون].

والحمد لله رب العالمين.



# برنامج الندوة العالمية حول "الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية"

التي ستعقدتها  
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون  
مع المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية،  
منظمة الإيسيسكو، منظمة CIOMS

خلال الفترة من ٧ - ١٠ محرم ١٤٢٧ هـ  
الموافق: ٦ - ٩ فبراير ٢٠٠٦ م  
القاهرة ٢٠٠٦ م





برنامج الندوة العالمية  
حول " الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان  
السماوية ووجهة نظر العلمانية "  
خلال الفترة من ٧ - ١٠ محرم ١٤٢٧ هـ  
الموافق: ٦ - ٩ فبراير ٢٠٠٦ م  
القاهرة ٢٠٠٦ م

اليوم الأول الاثنين ٦/٢/٢٠٠٦ م

الافتتاح (٩ - ١٠,٣٠)

- التقديم:  
الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي
- المقدمة:  
الدكتور أحمد رجائي الجندي
- البرنامج:  
كلمة وزير الصحة والسكان بجمهورية مصر العربية  
الدكتور حاتم الجبلى
- كلمة المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لإقليم شرق المتوسط  
الدكتور حسين الجزائري
- كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الاييسيسكو)

- كلمة رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي
- تأملات في التفاعلات بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية.  
للدكتور جون براينت
- تقرير عن مؤتمر الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية"  
للدكتور أحمد رجائي الجندي
- ثانياً: المحاضرة التذكارية:
- ١ - تقنيات علم الوراثة والتناسل عند الإنسان بين المنظور الديني والمنظور العلماني - رؤية إسلامية.  
الدكتور حسان حتوت  
( ١٠,٣٠ - ١١,١٥ )
- \* استراحة شاي  
( ١١,١٥ - ١١,٤٥ )

تابع اليوم الأول الاثنين ٦ / ٢ / ٢٠٠٦

● المحور الأول (١١,٤٥ - ١٤,٠٠)

(الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة)

الجلسة العلمية الأولى

(خلق الإنسان - الفطرة والطبيعة

رؤية إسلامية - مسيحية - علمانية)

الرئيس: الدكتور إبراهيم بدران

المقرر: الدكتور عبد العزيز سويلم

المتحدثون:

١ - الدكتور بروس فولتز (١١,٤٥ - ١٢,١٠)

"أنها كلمة قد أصبحت لكم" من بستاني وراعي للطبيعة إلى متأمل  
وسيد لها

٢ - الدكتور مصطفى اكيول (١٢,٣٥ - ١٢,١٠)

أعادة التفكير في المنظور العلماني لعلوم الحياة

٣ - الدكتور أسعد السحمراني (١٢,٣٥ - ١٣,٠٠)

الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة.

\* استراحة للصلاة (١٣,١٥ - ١٣,٠٠)

\* مناقشات (١٣,١٥ - ١٤,٠٠)

\* استراحة للغداء (١٤,٠٠ - ١٥,٠٠)

تابع اليوم الأول الاثني ٦ / ٢ / ٢٠٠٦

● المحور الأول (١٧,٠٠ - ١٥,٠٠)

(الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة)

## الجلسة العلمية الثانية (خلق الإنسان في الإسلام والمسيحية)

الرئيس: الدكتور عز الدين إبراهيم

المقرر: الدكتورة عايذة عقيل

المتحدثون:

١ - الدكتور سيريل تينت (١٥,٢٥ - ١٥,٠٠)

الخلق والإنسان من المنظور المسيحي

٢ - الدكتور جمال بدوي (١٥,٥٠ - ١٥,٢٥)

الإنسانية والخلق رؤية إسلامية

٣ - الدكتور نصر فريد واصل (١٦,١٥ - ١٥,٥٠)

خلق الإنسان بصورته الطبيعية

\* مناقشات (١٧,٠٠ - ١٦,١٥)

\* استراحة شاي (١٧,١٥ - ١٧,٠٠)

تابع اليوم الأول الاثنين ٦ / ٢ / ٢٠٠٦

● المحور الأول (١٧,١٥ - ١٩,٣٠)

(الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة)

الجلسة العلمية الثالثة

(الخلق ... والتحكم في الطبيعة والأخلاقيات  
رؤية إسلامية - علمانية)

الرئيس: الدكتور محمد هيثم الخياط

المقرر: الدكتور ماهر عبد القادر

المتحدثون:

١ - الدكتور عبد الرحمن الرفاعي (١٧,٤٠ - ١٧,١٥)

الوراثة البشرية والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان الثلاثة

٢ - الدكتور عمار الطالبي (١٧,٤٠ - ١٨,٠٥)

الإنسان الفطرة الطبيعية والتقنية

٣ - الدكتور مظفر إقبال (١٨,٣٠ - ١٨,٠٥)

الله والإنسانية والطبيعة من منظور إسلامي

\* استراحة وصلاة المغرب (١٨,٣٠ - ١٨,٤٥)

\* المناقشات (١٩,٣٠ - ١٨,٤٥)

اليوم الثاني الثلاثاء ٢٠٠٦/٢/٧

● المحور الثاني (٨,٣٠ - ١٠,٣٠)

(الجينات، وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة)

### الجلسة العلمية الرابعة

(فلسفة الوراثة والتكاثر البشري من وجهة  
نظر الإسلام والمسيحية والعلمانية)

الرئيس: الدكتور عبد الرحمن العوضي

المقرر: الدكتور علي يوسف السيف

المتحدثون:

١ - الدكتورة ليزا ليهمان (٨,٥٥ - ٨,٣٠)

التشخيص الوراثي قبل الزرع في الرحم.

٢ - الدكتور منير فرج (٩,٢٠ - ٨,٥٥)

المشاكل الأخلاقية المتعلقة بالتشخيص الوراثي قبل الولادة وقبل الزرع  
في الرحم.

٣ - الشيخ محمد المختار السلامي (٩,٤٥ - ٩,٢٠)

الوراثة البشرية والتكاثر البشري وأنعكاساتها رؤية الأديان الكتابية الثلاثة  
والتصور العلماني.

\* مناقشات (٩,٤٥ - ١٠,٣٠)

\* استراحة للصلاة (١١,٠٠ - ١٠,٣٠)

تابع اليوم الثاني الثلاثاء ٢٠٠٦ / ٢ / ٧

● المحور الثاني (١١,٠٠ - ١,٠٠)

(الجينات، وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة)

**الجلسة العلمية الخامسة**  
**(رؤية إسلامية ومهنية حول القضايا الأخلاقية**  
**للتقنيات الحديثة للإنجاب)**

الرئيس: المستشار عبد الله العيسى

المقرر: الدكتورة حبيبة الشعبوني

المتحدثون:

١ - الدكتور جمال أبو السرور (١١,٢٥ - ١١,٠٠)  
وجهات النظر الإسلامية في القضايا الأخلاقية المتعلقة بتقنيات  
الإنجاب.

٢ - الشيخ محمد علي التسخيري (١١,٥٠ - ١١,٢٥)  
التكاثر البشري عبر الاستعانة بالتقنية الحديثة

٣ - الدكتورة صديقة العوضي (١٢,١٥ - ١١,٥٠)  
الوراثة البشرية وتكنولوجيا التكاثر وانعكاس ذلك على الأسرة

\* مناقشات: (١٣,٠٠ - ١٢,١٥)

\* استراحة غداء (١٤,٠٠ - ١٣,٠٠)



تابع اليوم الثاني الثلاثاء ٧ / ٢ / ٢٠٠٦

● المحور الثاني (١٤,٠٠ - ١٦,٠٠)

(الجينات، وتكنولوجيات التكاثر، والأسرة)

**الجلسة العلمية السادسة**  
**(التكاثر البشري والوراثة وجهة**  
**نظر الإسلام والمسيحية والمهنية)**

الرئيس: الدكتور حسين الجزائري

المقرر: الدكتور حامد احمد

المتحدثون:

١ - الدكتور جيرالد وينسلو (١٤,٠٠ - ١٤,٢٥)

المبادئ المسيحية المنظمة للإنجاب البشري والمعان

٢ - الدكتور محمد علي البار (١٤,٢٥ - ١٤,٥٠)

تقنيات الوراثة والتكاثر البشري من المنظور الإسلامي

٣ - الدكتور عبد الستار أبو غذه (١٤,٥٠ - ١٥,١٥)

الوراثة البشرية (والجينات) وتكنولوجيا التكاثر وموقف الشريعة  
الإسلامية منها

\* مناقشات: (١٥,١٥ - ١٦,٠٠)

اليوم الثالث الأربعاء ٢٠٠٦ / ٢ / ٨

● المحور الثاني (٨,٣٠ - ١٠,٣٠)

(الجينات، وتكنولوجيات التكاثر، والأسرة)

الجلسة العلمية السابعة

(التكاثر البشري وحامض الدانا والاستنساخ

رؤية إسلامية مهنية)

الرئيس: الدكتور تيد بيتر

المقرر: الدكتور محمد علي البار

المتحدثون:

١ - الدكتور مالك البدري (٨,٣٠ - ٨,٥٥)

الإسهامات المهمة للحضارة الإسلامية في مجالات الوراثة وبيولوجيا التكاثر

٢ - الدكتورة عائدة عقيل (٨,٥٥ - ٩,٢٠)

الرأي الإسلامي حول الاستنساخ البشري والخلايا الجذعية والتشخيص الجيني قبل الغرس

٣ - الدكتور عبد العظيم فاروق جاد (٩,٢٠ - ٩,٤٥)

إسهامات أبحاث الهندسة الوراثية في فهم الإسلام كديانة مع حقائق من القرآن والسنة

\* مناقشات: (٩,٤٥ - ١٠,٣٠)

\* استراحة شاي (١٠,٣٠ - ١٠,٤٥)

تابع اليوم الثالث الأربعاء ٨ / ٢ / ٢٠٠٦

● المحور الثالث ( ١٠,٤٥ - ١٢,٤٥ )

(الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر)

الجلسة العلمية الثامنة

(الوراثة والتكاثر السكاني

رؤية إسلامية - يهودية - علمانية)

الرئيس: الدكتور ممدوح جبر

المقرر: الدكتور صلاح العتيقي

المتحدثون:

١ - الدكتور شاهد أظهر ( ١٠,٤٥ - ١١,١٠ )

تقنيات التناسل البشري والهندسة الوراثية من المنظور العلماني

٢ - الدكتور فاردت رافيتكس ( ١١,١٠ - ١١,٣٥ )

تكنولوجيا الإنجاب، القيم اليهودية وأثرها على السياسات العامة والبنية الاجتماعية في دولة إسرائيل.

٣ - الدكتور حامد عيد أحمد ( ١١,٣٥ - ١٢,٠٠ )

التأثيرات الاجتماعية والأخلاقية للجينوم البشري تفسير إسلامي

\* المناقشات: ( ١٢,٠٠ - ١٢,٤٥ )

\* استراحة للصلاة ( ١٢,٤٥ - ١٣,١٥ )

تابع اليوم الثالث الأربعاء ٢٠٠٦ / ٢ / ٨

● المحور الثالث (١٥,١٥ - ١٣,١٥)

(الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر)

الجلسة العلمية التاسعة

(الكشف المبكر: العوامل الوراثية رؤية

إسلامية - يهودية - وعلمانية)

الرئيس: الدكتور جيرالد وينسلو

المقرر: الدكتور عبد الله باسلامه

المتحدثون:

١ - الدكتور علي مشعل (١٣,٤٠ - ١٣,١٥)

الإنجاب والجينوميات الأبعاد العلمية والأخلاقية

٢ - الدكتورة حنان حمامي (١٤,٠٥ - ١٣,٤٠)

الاختبارات المعملية والصوتية قبل الولادة فحص الجنين لاكتشاف

الأمراض الوراثية: مدها، وتطبيقاته وحدوده في الدول العربية.

٣ - الدكتورة موريان كويجلي (١٤,٣٠ - ١٤,٠٥)

حق الإنجاب: المساواة لا الحرية

\* مناقشات (١٥,١٥ - ١٤,٣٠)

\* استراحة غداء (١٦,١٥ - ١٥,١٥)

تابع اليوم الثالث الأربعاء ٨ / ٢ / ٢٠٠٦

● المحور الثالث (١٦،١٥ - ١٨،١٥)

(الآثار الاجتماعية لتكنولوجيات الجينات والتكاثر)

### الجلسة العلمية العاشرة الاستنساخ والخلود والوراثة نظرة إسلامية وعلمانية

الرئيس: الدكتور عبد العزيز صالح

المقرر: الدكتور أبو الفضل محسن إبراهيم

المتحدثون:

- ١ - الدكتورة فرحات معظم (١٦،٤٠ - ١٦،١٥)  
الهندسة الوراثية والعدالة الاجتماعية ومستقبل الإنسانية: التقاء  
المخاوف الدينية والعلمانية.
  - ٢ - الدكتور عمر الألفي (١٧،٠٥ - ١٦،٤٠)  
الأبحاث الحديثة عن أنزيم التيلوميريز ومفهوم الخلود
  - ٣ - الدكتور مصطفى محقق الداماد (١٧،٣٠ - ١٧،٠٥)  
الاستنساخ البشري من وجهة النظر الفقهية والأخلاقية
- \* مناقشات (١٨،١٥ - ١٧،٣٠)

اليوم الرابع الخميس ٢٠٠٦/٢/٩

● المحور الرابع (٨،٣٠ - ١٠،٣٠)

(كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟)

### الجلسة العلمية الحادية عشرة

(خلق الإنسان وإنسانيته - وأين وكيف ومتى توضع  
الخطوط الحمراء؟ رؤية إسلامية - مسيحية - فلسفية)

الرئيس: الدكتور عجيل النشمي

المقرر: الدكتور علي مشعل

المتحدثون:

١ - الدكتور إبراهيم جميل بدران (٨،٥٥ - ٨،٣٠)

خلق الإنسان والخطوط الحمراء .. رؤية إسلامية.

٢ - المطران كاميللو بالين (٩،٢٠ - ٨،٥٥)

موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه القضايا الجينية

٣ - الدكتور جعفر شيخ ادريس (٩،٤٥ - ٩،٢٠)

إنسانيتنا جوهر ثابت وواقع يتغير

(٩،٤٥ - ١٠،٣٠)

\* مناقشات

(١٠،٤٥ - ١٠،٣٠)

\* استراحة

تابع اليوم الرابع الخميس ٢٠٠٦/٢/٩

● المحور الرابع (١٠,٤٥ - ١٢,٤٥)

(كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟)

الجلسة العلمية الثانية عشرة  
(الخلايا الجذعية والمشاكل الأخلاقية  
رؤية إسلامية - مسيحية - يهودية)

الرئيس: الدكتور جيرالد ونسلو

المقرر: الدكتور مالك البدرى

المتحدثون:

١ - الدكتور تيد بيتر (١٠,٤٥ - ١١,١٠)

متناقضات الآراء حول الخلايا الجذعية بين العلمانية والأديان

٢ - الدكتور دافيد بلايش (١١,١٠ - ١١,٣٥)

أطفال الأنابيب

٣ - الدكتور عبد العزيز بن محمد السويلم (١١,٣٥ - ١٢,٠٠)

أبحاث الخلايا الجذعية والخلايا المستنسله للبحث العلمي . . . .  
التشابه والأختلاف .

\* مناقشات (١٢,٠٠ - ١٢,٤٥)

\* استراحة للصلاة (١٢,٤٥ - ١٣,١٥)

تابع اليوم الرابع الخميس ٢٠٠٦/٢/٩

● المحور الرابع (١٥,١٥ - ١٣,١٥)

(كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟)

الجلسة العلمية الثالثة عشرة

(الخلايا الجذعية ... الإنجاب بالوسائل التقنية

وفحص الجنين قبل الولادة - رؤية إسلامية)

الرئيس: الدكتور خالد المذكور

المقرر: الدكتور شاهد أظهر

المتحدثون:

١ - الدكتور موسى نور الدين (١٣,٤٠ - ١٣,١٥)

الأخلاقيات الإسلامية في المجال الطبي في ظل تطورات التكنولوجيا الحيوية

٢ - الدكتور ماهر حتوت (١٤,٠٥ - ١٣,٤٠)

الخلايا الجذعية والـ DNA التحديات الأخلاقية

٣ - الدكتور أبو الفضل محسن إبراهيم (١٤,٣٠ - ١٤,٠٥)

علوم الوراثة وتقنيات الإنجاب والأسرة الحمل البديل: من المنظور

الأخلاقي القانوني والاجتماعي والإسلامي.

\* مناقشات (١٥,١٥ - ١٤,٣٠)

\* استراحة غداء (١٦,١٥ - ١٥,١٥)

\* التوصيات (١٦,٤٥ - ١٦,١٥)

\* الجلسة الختامية (١٧,١٥ - ١٦,٤٥)





**كلمة وزير الصحة والسكان  
بجمهورية مصر العربية**



## كلمة وزير الصحة والسكان بجمهورية مصر العربية الدكتور حاتم الجبلي

يلقيها الدكتور حسن القلا  
وكيل أول الوزارة

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر الشريف، الأستاذ الدكتور عبد الرحمن العوضي، الأستاذ الدكتور عبد العزيز التويجري، الأستاذ الدكتور حسين الجزائري، السيد جون براينت، الحضور الكريم من النخبة من العلماء والمفكرين، طاب صباحكم جميعا، ويسعدني أن أنقل لحضراتكم تحيات الأستاذ الدكتور: حاتم الجبلي، وزير الصحة والسكان لجمهورية مصر العربية، والذي كان حريصا أن يكون بينكم اليوم لأهمية هذه الندوة لولا ظروف طارئة اضطرته أن يغادر مدينة القاهرة، والحقيقة أن التقدم المذهل في تقنيات علم الوراثة والتناسل عند البشر قد أوجد تحديات عظيمة في عالمنا المعاصر وقضايا مثل: الاستنساخ البشري واستخدام الخلايا الجذعية وما يسمى بتصميم الأطفال وخلق عالم خاص من تصميمنا وخيالنا، والآثار الاجتماعية المرعبة في المستقبل التي قد تنتج عن ذلك وما يحدث اليوم من الخلط الشديد ما بين مفاهيم الحرية وبين مفاهيم

حرية الاعتقاد والاعتداء على مقدسات الآخرين، هذا دليل على الخلط في كثير من هذه المفاهيم في عالمنا اليوم ويبين أهمية هذه الندوة وبأنها جاءت في توقيت ما أحوجنا إليه اليوم قبل أي يوم آخر، ونأمل أن تكون المناقشات وماتوصلون إليه من نتائج لهذه الندوة مساهمة في رقي البشرية، وحقها في حياة كريمة يتساوى فيها البشر جميعا، بصرف النظر عن معتقداتهم في الحصول على حقهم من الحياة الكريمة دون اضطهاد لفئة أو اضطهاد لجنس بعينه أو لمعتقد بعينه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

# كلمة الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري

المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية  
لإقليم شرق المتوسط



## كلمة الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري

المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية  
لإقليم شرق المتوسط

أصحاب المعالي والسعادة،

أيها الأخوات والإخوة الأكارم،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأستفتح بالذي هو خير، وأرحب بكم في رحاب المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، شاكراً إياكم على استجابتكم لدعوة منظمة الصحة العالمية، والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والمجلس الدولي لمنظمات العلوم الطبية، للمشاركة في ((ندوة الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها، واستعراض رؤية الأديان السماوية، ووجهات النظر العلمانية))، كما أتوجه بخالص الشكر والامتنان للحكومة المصرية الموقرة، وإلى الأخ العزيز الدكتور حاتم الجبلي وزير الصحة والسكان في جمهورية مصر العربية، الذي تتعقد هذه الندوة برعايته. وأرحب بجميع الإخوة والأخوات من المنظمات الشقيقة المساهمة في الندوة، ولاسيما الأخ الدكتور عبد الرحمن العوضي، الذي كان له اليد الطولى في إطلاق هذه المبادرة الكريمة. مغتنماً هذه المناسبة للتثني بجهوده الكبيرة في تأسيس ورعاية مسيرة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية منذ مطلع القرن الخامس عشر للهجرة



النبوية الشريفة، وما حققته من إنجازات، وأبرزها هذه السلسلة من المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمة والتي زاد عددها على بضع وثلاثين مؤتمراً وندوة عالمية، عالجت فيها مختلف القضايا والمشكلات التي واكبت التقدم الباهر في العلوم البيولوجية، مع الالتزام بالمبادئ الأخلاقية. كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى شركائنا في هذا الجهد ولاسيما الإخوة الأكارم في المجلس الدولي لمنظمات العلوم الطبية، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

والشكر كل الشكر لكم جميعاً، أيها الإخوة المشاركون، فأنا أقدر تقديراً عالياً ما بذلتموه من جهد للتحضير لهذه الندوة، وما اقتطعتموه لها من أوقاتكم الثمينة، وما قطعتموه من مسافات شاسعة، وأسأل الله أن يحاسبها لكم في ميزان حسناتكم خيرات ومبررات.

وإذا كان العالم برؤيته قد بلغ مبلغاً مذهلاً من التحضر والمعرفة والتواصل؛ إلا أنني أصدقكم القول أن ما بلغته البشرية في أيامنا هذه من حضارة وتقدم على الصعيد العلمي والتكنولوجي لم يكفُل لها ما تصبو إليه من طمأنينة أخلاقية، ولم يبعدها عن التردّي في مهاوي الخطأ أو الظلم أو التعدي على حقوق الآخرين، أو في مهاوي ازدواجية المعايير والاستهانة بجميع حقوق الإنسان ومقدّساته، وحرمان كثير من الشعوب من أبسط حقوقها في العيش الكريم، أو في الانخراط في جميع ميادين التقدم العلمي، أو في المعاملة على قدم المساواة مع الدول التي استأثرت من دون الناس بأسباب القوة، واختكرت لنفسها تحديد معايير الخطأ والصواب، والتحكّم في مصائر الأحياء.

من أجل ذلك نعتزُّ بمؤاكلة ما سبق أن بدأناه في سياق الحوار الحضاري بين أصحاب العقائد والديانات السماوية في العالم، دون إغفال للآراء التي لا تنضوي تحت مظلة الأديان، بحيث إن المحاور التي ستطرح للبحث والمناقشة في ندوتنا هذه تهتمُّ كلَّ الناس، مهما

اختلفت آراؤهم ومَشَارِبُهُمْ ومعتقداتهم، فالفطرة البشرية التي هي قوام المحور الأول للندوة تُعدُّ العامل المشترك بين جميع الناس، والتَّعَامُلُ مع الجينات وتكنولوجيايات التكاثر والإنجاب تَمَسُّ كل مجتمع وكل أسرة وكل فرد، والآثار الأخلاقية والاجتماعية والنفسية لتكنولوجيا الجينات والتكاثر تستلزم التوافق في الآراء على طائفة من المبادئ والضوابط، ووضَعُ الخطوط الفاصلة بين ما هو مقبول وما هو مرفوض، يجمع في وقتٍ معاً بين الإبداع والإثارة والابتكار، ويمثِّل امتحاناً لما يَتَحَلَّى به كلُّ مشارك من مَوَاهِبَ ومهارات في التَّوَاصُل والتَّوَاظُف والتَّسَامُح.

### أيها الإخوة والأخوات الأكارم،

إن ما تتميز به نَدْوَتُنَا اليوم، هي الرغبة الصادقة لكل منا في أن يَسْتَمَعَ إلى الآخر، وينظر إلى ما يسمعه بعَيْنِ الإنصاف، ويتقبَّل منه ما يقتنع به، ويتجاوَبَ مع حُجَجِهِ وبراهينه، ويقوم في الوقت نفسه بعرض ما يراه صواباً ومفيداً للناس، عرضاً رقيقاً، رقيقاً، دون تعسُّف أو تعصُّب، ودون استهانة بمعتقدات الآخرين أو تحيِّز أو تحزُّب، أو تجريح لفئة أو طائفة تخالفه الرأي، فالحوار القائم على احترام حق المتحاورين في عرض آرائهم ومعتقداتهم يَقَعُ في لُبِّ السلوك الحضاري الذي يَطْبَعُ بطابعه العلماء حَقّاً والمؤمنين حَقّاً، ولا يساورني أي شك في أن كلاً منا سيبدل ما في وسعه للسمع والمناقشة بصدر رحب وقلب منفتح للعلم والحقيقة.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَغَائِبٌ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُ فِي الْأَرْضِ﴾ «الآية ١٧ من سورة الرعد».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،



كلمة المنظمة  
الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة  
(إيسيسكو)



## كلمة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه.

صاحب المعالي الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.

سعادة ممثل المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية

سعادة ممثل الاتحاد العالمي لمنظمات العلوم الطبية.

أصحاب السعادة

حضرات السادة والسيدات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

يسعدني أن أرحب بهذا الجمع الكريم باسم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في افتتاح الندوة الدولية حول الوراثة البشرية والتكاثر البشري وانعكاساتها. رؤية الأديان السماوية (الإسلام - المسيحية - اليهودية) ووجهة نظر العلمانية، التي تنظم بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالتعاون مع المكتب الإقليمي لمنظمة

الصحة العالمية والاتحاد العالمي لمنظمات العلوم الطبية. ويسرني بادئ ذي بدء أن أحمل إليكم تحيات معالي المدير العام للمنظمة الإسلامية الدكتور عبد العزيز التويجري، وتمنياته بالنجاح والتوفيق لأعمال هذه الندوة الهامة، كما يسرني أيضا أن أتقدم إلى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بخالص الشكر لجهودها في الإعداد لهذه الدورة، وأخص بالشكر الجزيل من قاموا على استضافة هذه الحلقة، وكل من ساهم في توفير أحسن الظروف لإنجاح أعمالها، وأتوجه بالتحية والتقدير إلى السادة الخبراء على مشاركتهم المثمرة في إنجاح الحلقة.

أصحاب المعالي

أصحاب السعادة،

حضرات السادة والسيدات،

إن العلم يتقدم تقدما مذهلا في السنوات الحالية حتي يمكن أن يقال: إن العلم تقدم في الربع الأخير من القرن الماضي بما يعادل تقدم البشرية في تاريخها الطويل كله، وفي مجال الوراثة... تقدم هذا العلم تقدما يثير الإعجاب بنيت عليه الآمال الكثيرة من أجل مستقبل أفضل للإنسان.

وتسود الأوساط العلمية في عالمنا العربي والإسلامي اليوم حالة من الانبهار بالثورة البيولوجية، وكيفية اللحاق بها، وامتلاك أسبابها والاستفادة من تطبيقاتها وإنجازاتها العلمية الهائلة، والقليل منها فقط هو الذي يحاول البحث في آثارها الاجتماعية والثقافية، ويسعي لوضع إطار أخلاقي وقانوني يضبطها، يحول دون التسبب في كارثة إنسانية. خاصة بعدما أشيع عن اتجاه بعض المراكز العلمية في الغرب لتطبيق بعض التقنيات البيولوجية والاستنساخ على الإنسان وإمكانية التلاعب بالأجناس البشرية بعد النجاح في اكتشاف الخريطة الجينية للإنسان.

إن عالمنا العربي والإسلامي يعيش اليوم حالة من الثبات القانوني والتشريعي في مواجهة تطور هائل ومستمر للعلوم البيولوجية. يجب أن يستأثر بجهود تشترك فيها كل التخصصات العلمية والفقهية والقانونية والاجتماعية من أجل تقليص الفجوة إن لم يكن سدها كاملة وعلى العلماء أن يستنفروا لهذا الغرض، وخاصة الفقهاء المسلمون المهمومون بإشكالية تنزيل النصوص الدينية على الواقع البيولوجي المتغير بما يتفق والقول بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

أصحاب المعالي،

أصحاب السعادة،

حضرات السادة والسيدات

إن هذه الندوة هي الثانية التي تشارك في تنظيمها المنظمة الإسلامية مع شركاء أفاضل ففي الفترة من ٢٥ - ٢٨ يناير ٢٠٠٥ وبالتعاون مع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وفريق الوراثة البشرية، عقدت بلندن الندوة الأولى بعنوان: التقنيات الوراثة البشرية: مقارنة الرؤى الدينية والعلمانية، حيث تم تدارس عدد من الموضوعات ذات الصلة بالأخلاقيات الحيوية من زوايا دينية متعددة ولأنها - أي تلك القضايا - لها حساسيتها، فقد لزم أن يتم التشجيع على التفاهم والتوافق من خلال الاستماع لوجهات النظر الأخرى ومحاولة فهم بعضنا البعض وبشكل واضح، فمناقشتها تتطلب أن تسود روح من الاحترام المتبادل، واليوم نشارك معا في هذه الندوة الثانية والتي تعقد في القاهرة وتشارك فيها هذه النخبة من العلماء الأجلاء.

إن الأبحاث العلمية قد أكدت أن الثورة في مجال الهندسة الوراثة قد أوجدت معطيات علمية جديدة قلبت موازين ونتائج أبحاث الدم. بحيث أصبح بالإمكان عبر فحص الحمض النووي لأي إنسان الوصول



إلى ما يعرف بالبصمة الوراثية الخاصة به والتي تحمل كل صفاته الوراثية وتبقى ملازمة له مدى الحياة دون أن تتشابه مع البصمة الوراثية لأي إنسان آخر، كما أثبتت الأبحاث العلمية أيضا أن هذه البصمة التي يمكن معرفتها عن طريق فحص الحمض النووي لأحد المواد السائلة في الجسم كالدم، أو اللعاب، أو المنى، أو أحد أنسجة الجسم، كاللحم، أو الجلد، أو أي مادة أخرى من الجسم، كالشعر، أو العظم، يمكن أن تكون دليل نفي ودليل إثبات أيضا في كل المجالات التي يتعين فيها تحديد الشخصية وعلى رأسها الجريمة، حيث يمكن الوصول للمجرم الحقيقي في أي جريمة عن طريق الربط بين بصمة الحمض النووي للمتهم وبين بصمة الحمض النووي الموجود في الأثر الآدمي المتروك في مكان الجريمة، مما دفع بعض القانونيين إلى المطالبة باعتماد دليل البصمة الوراثية ونتائج أبحاث الدم المتعلقة بها في مجال النسب أيضا.

أصحاب المعالي،

أصحاب السعادة،

حضرات السادة والسيدات،

منذ أعلن عن التجارب الأولى للاستنساخ كان الموقف الديني والأخلاقي والقانوني واحدا بطول العالم وعرضه، وهو تحريم وتجريم تطبيق تقنيات الاستنساخ على الإنسان مع جواز الاستفادة منها فيما يتصل بالحيوان والنبات، واتفقت كل المؤسسات الدينية والمجامع الفقهية والمرجعيات الدينية الإسلامية على الفتوى بالتحريم القاطع للاستنساخ البشري، حتي أن مجمع البحوث الإسلامية في مصر أوصى بتطبيق حد الحرابة على من يطبقون تقنيات الاستنساخ على البشر، وتكاد هذه الفتوى أن تكون مستقرة في أنحاء العالم الإسلامي،

ويناظرها في العالم المسيحي فتاوى من الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية تسير في هذا الاتجاه.

أصحاب المعالي،

أصحاب السعادة،

حضرات السادة والسيدات،

إن المحافظة على معالم مجتمعنا وخصوصيتها وحمايتها من مختلف المخاطر ومظاهر التشويه هو واحد من الأهداف التي توليها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الأولوية القصوى. ومن هذا المنطلق فقد اهتمت المنظمة الإسلامية بتحليل الانعكاسات الأخلاقية للمستجدات العلمية والتقنية وتقييمها في ضوء الأخلاق والقيم الإسلامية، وتم إنشاء الهيئة الإسلامية لأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا كأحد أجهزة الايسيسكو لتقييم البحوث والممارسات العلمية طبقاً للمبادئ والقيم والأخلاق الإسلامية، وذلك من أجل بلورة رأي عام حول بعض المواضيع الهامة ذات الحساسية من الناحية الأخلاقية، والمساهمة في التنسيق والتشاور وتبادل الآراء فيما يخص القضايا الإسلامية التي تثار من وقت لآخر مثل ما يثار اليوم، بالإضافة إلى دراسة قضايا الممارسات الطبية والبيولوجية في مجال الإخصاب الصناعي والاستنساخ، كما أدرجت ضمن خطط عملها المتوالية برامج وأنشطة تُعنى بأهمية تعزيز الوعي والشعور بروح المسؤولية تجاه القضايا الأخلاقية الخلاقية، فعقدت في هذا الإطار عددا من الندوات العلمية المتخصصة، وشاركت في العديد من الملتقيات الدولية حول تلك المواضيع، سعياً منها إلى ترسيخ فهم كامل ورصد مركز لها، كما سعت إلى تحقيق التوافق بشأن العديد من القضايا الأخلاقية في الأوساط العلمية من خلال نشر كتب ودراسات تعنى بهذه القضايا،

ومن هذا المنطلق تأتي مشاركة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في تنظيم هذه الندوة الهامة، والتي تعقد اليوم من أجل إقامة حوار علمي وديني فلسفي اجتماعي بين الأديان الثلاثة (الإسلام - المسيحية - واليهودية) ووجهة نظر العلمانية من القضايا الطبية المثارة، وكذلك الانعكاسات الأخلاقية التي تنتج عن تطبيق التقنيات الجديدة في مجال الهندسة الوراثية.

أصحاب المعالي،

أصحاب السعادة،

حضرات السادة والسيدات

لقد أحدثت العولمة تغييرات غير مسبوقة داخل مجتمعاتنا، كما أن الوتيرة المتسارعة لنمو العلم قد ساهمت في التقريب بين بني البشر دون التفريق بين دين وآخر. إن الدين يضطلع بدور مهم داخل مجتمعاتنا، وإغفال هذا العنصر قد يجعلنا نصدر قرارات لاتلقى القبول في الأوساط العامة، والنقاش حول دور الدين في فهم هذا التطور غير المسبوق سيساهم في الارتقاء بمستوى استيعاب الأغلبية لهذه التغيرات وإيجاد رأي موحد حولها.

وأختتم كلمتي بأن أتقدم بالشكر والتقدير إلى جمهورية مصر العربية، على استضافتها هذه الندوة الدولية الهامة على أرضها، وعلى كرم الضيافة، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاحها. والشكر كل الشكر للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على تعاونها الوثيق معنا لإنجازها.

كما لايسعني إلا أن أقدم خالص الشكر لشركاء المنظمين في دعم هذه الدورة: المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية، والاتحاد

العالمي لمنظمات العلوم الطبية، كما لايفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل أيضا إلى السادة العلماء الأجلاء على مساهمتهم العلمية.

وأتقدم بالشكر إلى السادة الحضور على مشاركتهم في هذه الندوة، وأتمنى لهم دوام التوفيق والنجاح وأن يستثمروا كل المعلومات والخبرات التي اكتسبوها من خلالها.

وفقنا الله وسدد خطانا وكلل أعمال ندوتنا بالنجاح والتوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،



# كلمة معالي الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية



## كلمة معالي الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

رئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

السيد الأستاذ الدكتور: أحمد نظيف رئيس وزراء مصر الموقر

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور: محمد سيد طنطاوي الموقر

قداسة الأنبا شنودة بابا الإسكندرية والكنيسة المرقسية

الإخوة الوزراء الإخوة العلماء

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،

يسعدني أن أرحب بحضراتكم على أرض الكنانة الحبيبة، قلب الأمة العربية النابض، وفي رحاب المنظمات الأربع الراعية لهذه الندوة العالمية في سلسلة الندوات التي تعقدها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، إلا أن هذه الندوة تكتسب أهمية خاصة من ناحية نوعية المشاركين، وطبيعة مادتها العلمية وأهميتها في حاضر ومستقبل البشرية.

فالمشاركون يمثلون الأديان السماوية بجانب زملاء أعزاء من العلمانيين، وهذه أول مرة تعقد المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ندوة بهذا التجمع الفريد، كما أن موضوع الندوة يمثل أمرا خطيرا يمس كيان



الإنسان من حيث هو إنسان، كما أنه سينعكس على القرار السياسي في كثير من الأمور . . .

وهي رسالة واضحة إلى أصحاب القرار السياسي مفادها أن مصير الشعوب يجب أن تساهم فيه الشعوب . . . فإذا كان العلماء يواصلون الليل بالنهار سعياً وراء المعرفة لتخفيف آلام المرضى، وتقديم دواء رخيص فعال وآمن، وغذاء يقيم من ضعفهم ويسد رمقهم، وكساء يحميهم من برد الشتاء وزمهرير الصيف، وسكن صحي، وماء نظيف صالح للشرب يتناسب مع آدمية خليفة الله في الأرض، لتحقيق الهدف الرئيسي الذي من أجله تمول الحكومات الأبحاث من أموال الشعوب، وتدعمها الشعوب في سبيل نتائج تحقق طموحاتها خوفاً من أن تقع هذه الإنجازات في أيدي بعض ذوي النفوس الضعيفة، وبدلاً من تدعيم وجه الخير فيها نجد أن وجه الشر يسود ويتحول إلى وسيلة دمار وخراب على البشرية.

وكل ما أخشاه أن يضيع صوت الحكمة ويحل محله انفجارات القنابل وهدير المدافع وأزيز الطائرات وأسلحة الدمار الشامل، لحصد الفقراء والمرضى والشيوخ والأطفال والثكالي.

فلعلنا اليوم في اجتماعنا هذا نرفع أصواتنا وندعو دعوة تضامن مع بعضنا البعض، فيرتفع صوت الحكمة إلى الوجود، ليسود العدل والحب والتراحم بين شعوب العالم أجمع.

وإذا كنا اليوم نجتمع لبحث آثار الإنجازات العلمية في النصف الأخير من القرن الماضي، والتي وضعت الإنسان في دائرة الضوء بحثاً ودراسة وتطبيقاً، فإن القرن الحادي والعشرين سيشهد تطبيقات للبيوتكنولوجيا الطبية على نطاق واسع.

إن اجتماعنا اليوم اجتماع خير، فنحن اليوم رغم أننا نمثل

الديانات السماوية والعلمانية - وقد تكون هناك بعض الخلافات العقائدية - إلا أننا جميعاً تكبدنا مشقة السفر من أقصى الأرض إلى أقصاها من أجل هدف سام وهو حماية إنسانية الإنسان، وتقديس حياته والحفاظ على كرامته وإسعاده وتعظيم الخير له والتحوط حول سوء استخدام البيوتكنولوجيا الطبية على الإنسان خليفة الله في الأرض، إن كل فرد في هذه القاعة لديه فيتو سيعلته ويرفعه حال شعوره بأن هناك احتمالاً ولو ضعيفاً لوجود مخالفة فيها إهانة لكرامة الإنسان أو تدمير لقدسية الحياة الإنسانية، فإن أي مخالفة من هذه المخالفات سترفض فوراً.

هذه الندوة تبحث في الخير وتحطاط من الشر. وعلى النقيض من ذلك تماماً، لو تخيلنا اجتماعاً آخر يبحث نفس الموضوع ولكن بأهداف يحوطها الشر بتسخير ذلك التقدم في الدمار فسيسود الوجه المظلم للعلم من أسلحة فتاكة وتدمير يقضي على البشرية، فالعلم على مر التاريخ الإنساني يدلنا على أن له وجهين الخير والشر، وعن أي الوجهين بحثت فسيليبي نداءك.

لقد تم اختيار موضوع الندوة بعناية، حيث يمثل بداية انفتاح جديد يضع الإنسان من حيث هو إنسان تحت المجهر العلمي، ويحاول دراسة كل مكوناته واحداً بعد الآخر، فالوراثة والهندسة الوراثية وتكنولوجيا التكاثر والاستنساخ جميعها اقتحمت حياة الإنسان، منها ما يبشر بالخير والتغلب على كثير مما تعانیه البشرية، ولكن الخوف من أن تقع مثل هذه الإنجازات في يد نفوسٍ ضعيفة لها أغراض شريرة.

هذه المخاطر التي تحيط بالبشرية والخوف منها على الإنسان في الحاضر والمستقبل تطل علينا بوجهها، خاصة وأننا نبحت أمراً قد يطول موروثات الإنسان، ولا أحد يمكنه التنبؤ بما ستؤول إليه النتائج، قد لا تظهر آتياً ولكن قد تكون آثارها مدمرة على الجيل أو الجيلين القادمين، وسيوضع جيلنا في قفص الاتهام بما اقترفت أيدينا، فلا أحد منا يمانع

في أن يكون أبنائه أذكيا بهامات عالية وجمال أخاذ ولكن ماذا سيحدث لو أن العكس قد نتج في ذلك المولود؟! ما ذنبه؟! نحن جميعا حينئذٍ مذنبون، فهو لم يطلب تعديلا وراثيا أو جينيا، ولم يؤخذ رأيه في ذلك، فمن المسئول عن ذلك؟

هل نحن أمام عصر جديد من اليوجينيا التي فشلت في السابق، حيث كانت الحكومات الفاشستية ترعاها بينما اليوم ستصبح التكنولوجيا الطبية في تناول الأسرة وحسب الطلب!! أم ستكون في تناول أيدي الأغنياء دون الفقراء؟ أم سيتخذها الأغنياء وسيلة للتخلص من الفقراء؟ هل إذا أتيح الاستنساخ وخرج إلى حيز الوجود بأي وسيلة كانت رسمية أو غير رسمية وكان المولود نتاج اثنين فمن أبوه؟! أو من زوج وزوجة هل أخذ رأي هذا الجنين في أن يأتي بهذه الطريقة البيولوجية؟ هل صاحب النواة إذا كانت من الأب هو الوالد أو التوأم. ما علاقته بأبويه وبالمجتمع؟ ما نظرة المجتمع له؟ هل سيوصم وتصبح تلك علامة سوداء في جبينه؟

هذه بعض المشاكل، وأبحاث الندوة بها الكثير والتي سنناقشها سويا.

إن النظرة السطحية للإنسان على أنه مجموعة من الأجهزة والأعضاء ومحاولة إصلاح أحدها إذا عطب تلك نظرة غير صحيحة، فالإنسان ليس جسدا فقط، ولكنه روح ونفس وقلب وعقل، وكلها تعمل بشكل متآزر مع بعضها البعض فإن اشتكى منها عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، الإنسان ليس آلة صماء أو جمادا، لكنه مشاعر من الحب والكراهية، الخير والشر، فكيف سنصلح كل واحد من هذه ونحن لا نعرف كنهها ولا المؤثرات حولها.

من أجل ذلك كان لا بد أن يتحول أهل الأديان والفلاسفة وعلماء

الاجتماع وعلم النفس والاقتصاديون لدراسة ما يكتنف هذه التكنولوجيا من مخاطر، لوضع أسلوب علمي للسيطرة على الأبحاث والدراسات وتوجيهها التوجيه السليم، حتى لا تطغى شهوة المعرفة ويتحول العلم إلى مارد يسخرنا جميعا لخدمته .

لا بد من ترويض هذا المارد واستئناسه حتى لا تدفع البشرية ثمنا باهظا مثلما دفعته في الحرب العالمية الثانية نتيجة تفجير القنابل الذرية التي ألقيت على هيروشيما وناكازاكي . . . القنابل الذرية تلك قمة التقدم التكنولوجي وكان من المفترض أن تكون نتائج الأبحاث عليها خيرا كثيرا يعم البشرية، ولكن وقع العلم في الخطيئة .

نحن اليوم نبحث في كيفية توجيه مثل هذه العلوم في المسار الطبيعي، ولن يكون ذلك إلا عن طريق الأخلاق الحميدة، والجميع هنا يسعى إلى تقديم وجهة نظره المؤمن بها، فأهل الأديان مصادرهم ربانية ويعتبرون أن العمل إذا كان في سبيل الله وفي سبيل مرضاته فهو خير، أما إذا كان في سبيل الشيطان فهو شر، وإذا كان لي أن أتحدث قليلا عن الإسلام فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، والله سبحانه وتعالى يصف البعثة المحمدية "فيقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧)، ثم يخاطب رسوله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١)، والبعثة المحمدية استمرت على مدى ثلاثة عشر عاما تدعو المؤمنين بها إلى الأخلاق وتحسن تربيتهم لتضمن حسن سلوكهم بعد ذلك .

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٨٥) ثم ينبهنا الله

ويأمرنا في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ (سورة آل عمران آية ٦٤)، ثم يأمرنا بأن نجادل بعضنا بعضا بالتّي هي أحسن ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالتّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل آية ١٢٥) كل هذه الدعوات لإقامة حوار بناء بين بني البشر ليسود الحب والسلام ويعيش الجميع في هناء وصفاء: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (١) وبين القرآن الكريم مكانة الإنسان عند رب العالمين في التكريم على بقية البشر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ سورة الإسراء آية ٧٠ وبين بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأنه نفحة منه، وأمر الملائكة بالسجود له، وعلم آدم الأسماء كلها، وأمره بأن يخبر الملائكة بأسمائهم، فلما أخبرهم قال الله للملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

تميزت الأديان بأن بها الحلال والحرام، والحلال يشير إلى الخير والحرام يشير إلى الشر، وجاء ذلك واضحا حتى لا يطغى أحد ليحرّم شيئا حلّله الله، أو يحلّ أمرا حرّمه الله.

وكذلك الأديان الأخرى ومنطلقاتها مثل الإسلام، ولذلك نجد أتباع تلك الأديان لديهم قناعة بأن الأخلاق مرسلّة من عند الله حملها الرسل والأنبياء إلى بني البشر وعليهم اتباعها، وعلى الطرف الآخر العلمانية التي تعتمد على التاريخ والعقل كمصدر لنظرياتها، وهذه الاجتهادات البشرية قد تخطئ وقد تصيب خاصة وأن موضوع البيولوجيا الطبية لا يمكن التنبؤ بما سيحدث في المستقبل، فمعاقره الخمر اجتهاد بشري، والتدخين اجتهاد بشري آخر، والحرية المطلقة وبلا حدود اجتهاد بشري ثالث، والإيدز نتيجة تلك الحرية، وارتفاع معدلات الإجهاض بين غير المتزوجين نتيجة تلك الحرية، فانطلاقاتهم وفلسفتهم

تقوم على مبدأ المنفعة وهو مبدأ أراه انتهازيا، فتعظيم اللذة والسعادة والمكاسب المادية كلها آنية، وقد تكون خسائرها في المستقبل أكبر وأكثر من ذلك خاصة في مجال البيوتكنولوجيا الطبية، فتلك الاجتهادات البشرية في مجال الأخلاقيات إنما تخضع للمعتقدات والاجتهادات الشخصية وظروف وضع تلك الفلسفة والأجواء المحيطة أثناء وضع تلك النظريات، وقد تتعرض أيضاً لضغوط سياسية واقتصادية وأمراض وأهواء نفسية وشخصية، وكلها تحت دعاوى مصلحة الفرد والمجتمع.

فهل التاريخ الإنساني يؤيد أياً من هذه الاتجاهات؟ هذا ما سنستمع إليه في الأيام القادمة.

وقبل أن أترك المنصة - وبرؤية بسيطة وخبرة طويلة - فإنني أقترح أن يستمر هذا الحوار بين الجميع بهدف تدارس ما يستجد من نتائج جديدة على الساحة.

كما أعتقد بأننا في حاجة شديدة إلى تنظيم أخلاقي عالمي، لتوضيح الآثار السلبية والإيجابية للبيوتكنولوجيا الطبية خاصة في العالم الثالث، لحماية أبناء تلك الدول من شركات البيوتكنولوجيا التي أتوقع أن تعمل في تلك الدول حيث لا قانون ولا تنظيم ولا رقابة والإنسان قيمته أقل من إنسان الغرب.

وقبل أن أنهى كلمتي يسعدني أن أتقدم للإخوة في منظمة الصحة العالمية، ومنظمة الإيسيسكو، ومنظمة CIOMS، بخالص الشكر وجزيل الامتنان، على المشاركة معنا في عقد هذه الندوة العالمية الهامة، والمساهمات البناءة التي قدموها لنا لتسهيل عقد الندوة.

كما أعتنم هذه المناسبة لأشكر منظمة الإيسيسكو . . . . .، حيث إنهم كانوا أول من وضع الفكرة في العام الماضي، ونظراً لأهميتها

وضرورة إبراز الجوانب المختلفة لتلك الندوة في العام الماضي قررنا استكمال ما بدأناه بعقد ندوتنا هذه.

واسمحوا لي أن أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان لشعب مصر المضياف، والرئيس محمد حسني مبارك، والأستاذ الدكتور أحمد نظيف رئيس وزراء مصر الذي تفضل مشكوراً برعاية الندوة، إيماناً من سيادته بأهمية التقارب بين الشعوب والأديان في عالم القرية الواحدة.

كما أتقدم لحضراتكم بالشكر والامتنان على اهتمامكم وكتابة أبحاثكم واتصالاتكم المستمرة معنا، وتكبدكم مشقة السفر...، ولولا حضوركم لما عقدت الندوة، فأشكركم وأتمنى لكم طيب الإقامة والتوفيق في المناقشات والخروج بنتائج طيبة.

كما أقدم خالص الشكر للإخوة الأعضاء في مجلس أمناء المنظمة، واللجنة التنفيذية، على مساندتهم ودعمهم لأنشطة المنظمة وحرصهم على مناقشتها وتقديم الاقتراحات البناءة.

وإلى أبنائي وأحبائي وإخوتي في الأمانة العامة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وعلى رأسهم الأخ الدكتور علي السيف، للعمل الدؤوب المنظم المخلص ومواصلتهم الليل بالنهار لإنجاز مهامهم على أكمل وجه محتسبين ذلك في سبيل الله، إليهم جميعاً فرداً فرداً أقدم باسمي وباسمكم جميعاً التحية والشكر الجزيل لهم وندعو الله أن يحتسب ذلك في ميزان أعمالهم.

تأملات في التفاعلات بين المنظمة  
الإسلامية للعلوم الطبية ومجلس  
المنظمات الدولية للعلوم الطبية

للدكتور جون براينت





## تأملات في التفاعلات بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية

جون هـ. براينت

تقنيات التكاثر البشري والوراثة البشرية: موازنة بين المنظورين  
الديني والعلماني:

تأملات في التفاعلات بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية  
ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية/ القاهرة، فبراير ٢٠٠٦.

### تسلسل تاريخي

\* المؤتمر الدولي حول القانون الإسلامي للأخلاقيات الطبية الحيوية،  
القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٤.

\* الإرشادات الأخلاقية الدولية - من منظور إسلامي- الصادرة عن  
مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية والمنظمة الإسلامية للعلوم  
الطبية.

\* د. فرحات معظم ود. جون براينت كمشاركين في هذه المؤتمرات أثار

اهتمامهما ظهور الوثيقة المشتركة بين المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية.

\* عادة إلى مؤسساتهما الأم مهتمين بتشجيع المعرفة بهذا النهج التعاوني في التعامل مع أخلاقيات الطب الحيوي الذي تجاوز الحدود الجينية والثقافية.

الأخلاقيات الحيوية المعاصرة وأخلاقيات الإسلام: فهم أوجه التعارض والتماثل / القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٤

\* جون هـ. براينت، طبيب، فرحات معظم، دكتورة في الطب، معهد الأخلاقيات العملية، جامعة فيرجينيا، ٢٨ يناير ٢٠٠٥

### قصة مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية

\* تأسس مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية (CIOMS) تحت رعاية منظمة الصحة العالمية واليونسكو عام ١٩٤٩ ويعد الآن من المنظمات غير الحكومية ذات العلاقات الرسمية بمنظمة الصحة العالمية ومقره حرم منظمة الصحة العالمية.

\* مراجعة الإرشادات الدولية الصادرة عام ١٩٩١ حول قراءة أخلاقية لدراسات علم الأوبئة- ٢٠٠٦.

\* مجموعة عمل مشتركة بين مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية ومنظمة الصحة العالمية حول تطور الدواء وبحوثه والهندسة الوراثية بالصيدلانيات لإيجاد موارد دوائية بالدول الفقيرة.

\* مجموعة العمل المشتركة بين مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية ومنظمة الصحة العالمية بشأن اللقاحات - الحرص على اللقاحات.

## أنشطة مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية .

\* من الثمانينات من القرن العشرين وحتى القرن الحادي العشرين قام مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية وأطراف كثيرة أخرى بإعداد سلسلة متطورة من الإرشادات حول الكيفية التي يجب للمبديء الأخلاقية أن توجه بها مسيرة بحوث الطب الحيوي التي تجري على عناصر بشرية خاصة في الدول النامية .

\* تم أخذ العديد من المناقشات ونقاط الجدل في الاعتبار أثناء هذه العملية .

## قصة مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية

\* أدت استشارة مشاركين من مختلف الدول إلى إعلان الإرشادات الأخلاقية للبحوث على عناصر بشرية عام ٢٠٠٢ والذي تضمن ما يلي :

\* مبادئ أخلاقية عامة .

\* تمهيد .

\* ٢١ نقطة إرشادية

\* تم تصميمه على وجه الخصوص لتستخدمه الدول ذات الموارد الضئيلة لضمان وجود آليات مناسبة للنظر نظرة أخلاقية إلى البحوث على البشر .

## قصة مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية

\* يمكن استخلاص دروس مفيدة من هذه التأملات لسلسلة التطورات للصياغات المختلفة لإرشادات مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية :

\* إن المفاهيم والقيم الأخلاقية وتطبيقاتهما على البحوث في تطور مستمر.

\* يتعين تغيير الإرشادات وفقاً لهذا التطور.

\* يتعين على من يعمل بهذه المجالات أن يتسم باليقظة والاستجابة لهذه المناظير المتغيرة.

### المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

\* تمتعت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ومجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية بوجود تفاعل بينهما على مر السنين.

\* ١٩٨٨، القاهرة: السياسة الصحية، الأخلاقيات والقيم الإنسانية - من منظور إسلامي.

\* في التسعينيات من القرن العشرين، الكويت، مؤتمرات حول العولمة والشيخوخة.

\* ٢٠٠٢، القاهرة: ندوة دولية حول التكامل بين الطب التقليدي والطب الحديث..

\* ديسمبر ٢٠٠٤، مؤتمر بالقاهرة - "القانون الإسلامي للأخلاقيات الصحية والطبية"

\* اليوم الثاني: إرشادات أخلاقية دولية- من منظور إسلامي، أصدرها مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية.

\* اتخذت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية خطوات بارزة فيما يتعلق بالإرشادات الصادرة عن مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية عام ٢٠٠٢.

\* تمت ترجمة الإرشادات بالكامل إلى اللغة العربية وإضافة:

\* المبادئ العامة للأخلاقيات المهنية

\* تم إضافة وجهة النظر الإسلامية بعد كل واحدة من النقاط الإرشادية الواحدة والعشرين .

النقطة الإرشادية الخامسة: الحصول على موافقة مطلعة: معلومات ضرورية للعناصر البشرية المزعم إجراء أبحاث عليها.

\* النقطة الإرشادية الخامسة لمجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية:

\* قبل طلب موافقة أحد الأفراد على الاشتراك في بحث ما، يتعين على الباحث توفير المعلومات التالية في شكل كلمات أو أي شكل آخر من أشكال الاتصال التي يمكن للفرد فهمه، وفي ما يلي مثالان:

١ - للفرد الحق في رفض الاشتراك في البحث أو الانسحاب منه في أي وقت دون عقوبة أو حرمان من المنفعة التي كان سيحصل عليها في حال اشتراكه بالبحث .

٢ - الهدف من البحث والإجراءات التي سيتخذها كل من الباحثين والفرد موضوع البحث .

\* وجهة النظر الإسلامية

\* من شروط صحة الموافقة المطلعة التي يجب على الباحث الحصول عليها من الفرد الذي يجري عليه البحث أنها - أي الموافقة - يجب أن يمنحها الفرد عن معرفة تامة وإدراك كامل .

\* ترجع جذور هذه القاعدة إلى [حقيقة أن صحة الاختيار أو الموافقة في الحالة التي تجعل منها الشريعة الإسلامية شرطاً تستوجب المعرفة بالأمر محل الخيار أو الموافقة] ولا يسمح بالجهل في مثل هذه الأمور .

\* إن تغير التقليد الشائع في هذا الشأن سيغير الحكم الإسلامي، لأن أي أمر في الشريعة قائم على التقليد الشائع يتغير بتغييره

النقطة الإرشادية رقم ١٢: التوزيع المتكافئ للأعباء والمنافع في اختيار العناصر البشرية للبحوث

\* مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية

\* تتطلب العدالة ألا تتحمل أية مجموعة أو طبقة من الأفراد أكثر من نصيبها العادل من أعباء الاشتراك بالبحث. وبالمثل يجب ألا تحرم أية مجموعة من نصيبها العادل من المنافع.

\* عند القيام بتوزيع أعباء ومنافع البحث العلمي بشكل غير متكافئ بين الأفراد أو المجموعات يجب أن يكون معيار التوزيع غير المتكافئ له مبرراته الأخلاقية وألا يكون عشوائياً.

\* بتعبير آخر، يجب ألا تكون المخصصات غير المتساوية غير عادلة.

وجهة النظر الإسلامية في النقطة الإرشادية رقم ١٢:

\* يتفق فحوى هذه النقطة الإرشادية مع مبدأ الشريعة الإسلامية الذي يدعو إلى إقامة العدل في جميع أمور الحياة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ كما يقول سبحانه: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾.

\* أية طريقة تحقق العدالة والقسط تتفق ولا تتعارض - مع التعاليم الدينية.

\* حيث تتضح مظاهر العدالة ويراها الإنسان حيثما تسود شريعة الله ودينه.

### تأملات في النقاط الإرشادية ووجهة النظر الإسلامية

\* إن التفاعل بين النقاط الإرشادية الصادرة عن مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية من ناحية ووجهة نظر الإسلام من ناحية أخرى مثير للاهتمام وبناء بشكل كبير.

\* كل منهما يصرح بمبادئه وتطبيقاتها بمصطلحات واضحة.

\* كل منهما يعمق من التقدير الذي يحظى به عرضه وكذلك عرض الطرف الآخر.

\* تبقى مساحة جيدة للمزيد من الدراسة لتكامل المعاني في كلا الجانبين.

\* بالتأكيد تعد هذه فرصة جيدة لإقامة حوار أشمل قائم على مناظير حديثة بين الخطاب الأخلاقي الإسلامي والأخلاقيات الحيوية المعاصرة.

### الأخلاقيات الحيوية المعاصرة والأخلاقيات الإسلامية- تعقيب

\* نظراً للتناقضات الهامة بين كل من الأخلاقيات الحيوية المعاصرة والأخلاقيات الإسلامية-

\* ومع الفروق الخفية بين معاني الكلمات الرئيسية.

\* ومع التناقضات الدينية-العلمانية في المنظور الأخلاقي.

\* ومع التفاوت في درجة التأكيد على العلاقة بين المريض والمعالج.

\* فهناك مجال لتأملات تؤدي إلى النفع المتبادل حول المناحي الرئيسية لكلا المنهجين للأخلاق.

### الأخلاقيات الحيوية المعاصرة: خصائص مميزة

\* خرجت هذه الأخلاقيات إلى الوجود في السبعينيات من القرن



العشرين لمعالجة الكوارث المستجدة التي شهدتها الممارسات الطبية وبحوث الطب الحيوي؛ وقد أملت لها أحداث اجتماعية وثقافية وقانونية مرتقبة على نطاق أضخم في الولايات المتحدة الأمريكية.

\* تأسست على مبادئ علمانية وفلسفية وقامت على أساس إعلاء التفكير الإنساني.

\* تركز على التحكم في النفس والحقوق الفردية وعلى الفرد المستقل كوحدة أساسية لبناء المجتمع.

\* أنها نظريات أخلاقية ترضي بصفة عامة بأدنى الواجبات تجاه الآخرين.

\* تركز على السؤال: "هل هذا العمل أخلاقي؟"

### أخلاقيات إسلامية (دينية) مفاهيم رئيسية

\* ترجع أصول الفكر الأخلاقي الإسلامي إلى الوحي وتكتمل بالتفكير الإنساني (العقل والشريعة).

\* تاريخياً، قام الفقه الإسلامي - وليس الدين أو الفلسفة- بلعب الدور الرئيسي في تأسيس المبادئ المكونة للسلوك الإنساني الأخلاقي.

\* يتم فيها التعرف على حقوق الأفراد بينما يتم التشديد على الواجبات الإنسانية؛ فالأسرة هي الوحدة الأساسية لبناء المجتمع.

\* يعد هؤلاء الأكثر حظاً في الحياة مدينين بحقوق أكثر لمن هم أقل حظاً منهم.

\* التركيز على السؤال - "هل الشخص الفاعل شخص على خلق؟" (أخلاقيات الفضيلة).

## الأخلاقيات في مقابل الأخلاق أو الأدب

\* "أخلاقيات الأطباء" تترجم باللغة العربية والأردنية بمصطلح "أخلاق الطبيب".

\* إن النسق الاجتماعي والتاريخي حول كيفية فهم المسلمين لكلمة أخلاق أوسع بكثير من الاستخدام المعاصر لمصطلح "الأخلاق".

\* فالأشخاص الذين يتمتعون بالأخلاق هم هؤلاء الذين تتسم تفاعلاتهم بأنها أخلاقية لكنهم يتسمون أيضاً بالأمانة، وهم هؤلاء الأفراد المهذبون المستقيمون النبلاء والرحيمون.

\* بالتالي تفهم الأخلاق بالبدئية على أنها تتضمن شخصاً فاضلاً إلى جانب فعل فاضل يقوم أو تقوم به.

خطوات أخرى تجاه تطوير التفاعل بين مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

\* يستمر كل من (فرحات معظم) و(جون براينت) في نقاشاتهما مع دعاة الأخلاق في جامعة فيرجينيا حول التفاعل بين مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لأجل تشجيع المزيد من الأحاديث حول هذه القضايا المتعلقة بالأخلاق.

\* في الوقت نفسه، مع قيام د. معظم حالياً بتأسيس مقر لمركز أخلاقيات وثقافة الطب الحيوي تابع لمعهد سند لعلم الجهاز البولي وزراعة الأعضاء في كراتشي بباكستان، اتسعت دائرة نقاشاتهما بشكل كبير.

خطوات أخرى تجاه تطوير التفاعل بين مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

\* كلاهما مهتم بشكل خاص بتوسيع دائرة الحوار حول التفاعلات العلمانية والحوارات بين الأديان.

- \* يدرسون كيفية القيام بذلك من خلال إشراك جامعات ومنظمات أخرى مثل معهد الطب والأكاديمية القومية للعلوم.
- \* يمكن لتفاعلات د. فرحات مع المؤسسات الأخرى على المستوى الإقليمي وعلى الصعيد الدولي من خلال المركز الذي أسسته لأخلاقيات وثقافة الطب الحيوي أن يدفع بعجلة الحوار إلى الأمام.

### تطوير الحوار بين المناظير العلمانية من جهة وما بين الأديان

- \* نظراً للتفاعلات الضخمة التي تجري في هذا المؤتمر، لا يتعين النظر إلى الحوار كحوار بين مجلس المنظمات الدولية للعلوم الطبية والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بشكل رئيسي، بل سيتضمن الحوار جميع الأطراف المعنية.
- \* رغم كثرة المواضيع التي تدعو للنقاش في هذا المؤتمر، يبقى التركيز على المقارنة بين المنظورين: الديني والعلماني.
- \* بالتالي، يمكن اعتبار أن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية مصرة على تطوير الحوار الدولي بشأن الأمور ذات الأهمية الأساسية لتحقيق السلام والصحة الإنسانية.
- \* هناك أمر ذو أهمية رئيسية وهو أن الناس من مختلف الأمم والأديان والمناظير الأخلاقية يبحثون عن أسس مشتركة يمكنهم أن يستمروا من خلالها في التزاماتهم القائمة على الدين والأخلاق، من أجل تحقيق رفاهية البشر، والتوصل إلى طرق سلمية لحسم نقاط الخلاف فيما بينهم.
- \* من الواضح أن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية تضطلع بدور ريادي في تطوير قبول تلك العمليات والاشتراك فيها.

**تقرير عن ندوة  
الوراثة والتكاثر البشري  
وانعكاساتها  
رؤية الأديان السماوية  
ووجهة نظر العلمانية**

الدكتور أحمد رجائي الجندي



## تقرير عن ندوة الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية "ووجهة نظر العلمانية"

الدكتور أحمد رجائي الجندي

الأمين العام المساعد للمنظمة الإسلامية

على مدى أربعة أيام في الفترة ما بين ٦ - ٩ فبراير ٢٠٠٦ م قامت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية (بالكويت) بالتعاون مع المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية (القاهرة) ومنظمة الإيسيسكو (بالرباط) ومنظمة CIOMS (بجنيف) بعقد ندوة عالمية بالقاهرة حول "الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها - رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية شارك فيها حوالي ١٥٠ باحثا وباحثة من جنسيات مختلفة ويمثلون الأديان السماوية الثلاثة [الإسلام - المسيحية - اليهودية] إضافة إلى العلمانية.

وتنوعت اهتمامات وثقافات المشاركين من علماء في الأديان وفلاسفة واجتماعيين وأطباء وصيادلة، ومتخذي قرارات ومؤرخين - وعلماء في العلوم البيولوجية مهتمين بالجوانب الأخلاقية.

وعقدت الندوة بالقاهرة حيث حظيت برعاية معالي وزير الصحة بجمهورية مصر العربية الأستاذ الدكتور: حاتم الجبلي وقد افتتحت الندوة بآيات من القرآن الكريم ثم تحدث كل من الدكتور: حسن القلا

وكيل أول وزارة الصحة نائبا عن الدكتور حاتم الجبلي وزير الصحة، والدكتور حسين الجزائري ممثلا للمكتب الإقليمي لشرق البحر الأبيض المتوسط، والدكتور حامد عيد ممثلا لمنظمة الإيسيسكو والدكتور جون براينت ممثلا لـ CIOMS، والدكتور عبد الرحمن العوضي ممثلا للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ثم تلا ذلك انعقاد الجلسات العلمية على مدى أربعة أيام :

### وتهدف الندوة إلى :

- (١) إقامة حوار علمي حول الجوانب الأخلاقية ونظرة علماء الأديان السماوية والأخلاقيات، والفلاسفة، والاجتماعيين وصانعي القرارات.
- (٢) التنبيه إلى المخاطر المحدقة بالبشرية إزاء التقدم العلمي الهائل في مجال الوراثة والهندسة الوراثية والاستنساخ، والحاجة إلى ضرورة التصدي لعدم استخدامها استخداما غير أخلاقي وفي غير ما يعود بالنفع على البشرية.
- (٣) ضرورة التشديد على العلماء العاملين في تلك المجالات بالالتزام بالأسس الأخلاقية التي تحمي الإنسان وتصون كرامته وحرمة . . . وتعتبر حياته الإنسانية حياة مقدسة يجب صيانتها وعدم العبث بها.
- (٤) الإجابة عن الكثير من الأسئلة الأخلاقية المثارة حاليا حول [الوراثة - الهندسة الوراثية - والجينوم البشري - والاستنساخ].
- (٥) إرسال رسالة هامة إلى الساسة ومتخذي القرار، مفادها أن العلم ومنتجاته يجب ألا يستخدموا ضد الإنسانية، بل يجب أن يكونا لمنفعة البشرية وجعلهما في متناول الإنسان الغني والفقير، تخفيفا لآلام البشرية ومعاناة المرضى وغرس الأمل في نفوسهم بالشفاء وتحسن أحوالهم.

وتم تخصيص يوم كامل لكل محور من محاور الندوة وهي :

## المحور الأول: الإنسانية والخلق/العالم على الفطرة

- ١ - وجهة نظر المعتقدات الدينية والعلمانية والفلسفية حول علاقة الإنسان بسائر المخلوقات، وما هي الحدود التي ينبغي أن يقف التدخل البشري عندها، فيما يعتقد أنه تعديل أو تحسين للمخلوقات من حوله؟ وأيُّ الجوانب البيولوجية يمكن تعديلها، وأيُّ منها يُنظر إليه على أنه تدخل غير منتهك لحرمتها؟
- ٢ - نظرة العقائد المختلفة إلى مكانة الإنسان، ومناقشة احتمال تغييرها إذا أصبح تبديل الطبيعة البشرية أمراً ممكناً، وهل للإنسان مكانة مختلفة عن بقية المخلوقات؟ وهل يجب حماية البشرية على نحو خاص؟
- ٣ - أحاطت الأديان السماوية والمبادئ الأخلاقية الجينين برعاية خاصة، فما حدود مكانة الإنسان في المراحل الأولى والأخيرة للجينين؟
- ٤ - مفهوم الكرامة الإنسانية مفهومٌ رائع حرصت الأديان السماوية والمذاهب الفلسفية على إبرازه. فما هي الكرامة كما يراها الباحثون من الثقافات المختلفة؟ وإلى أيِّ مدى سوف تؤثر المعالجة التكنولوجية البارعة، بما فيها انتقاء وتصميم مواصفات الأجنة، على كرامة الإنسان ومكانته؟
- ٥ - النظرة إلى العلم والتكنولوجيا في الثقافات المختلفة، وهل هناك حقاً بعض المجالات التي يُفضّل عدم الخوض فيها؟ وإذا كان لذلك نصيب من الصحة فما هي هذه المجالات؟ وهل هناك اتجاه يميل للحفاظ وآخر ليبرالي يميل للانطلاق مع العصر والتحرُّر؟ أم أن القضية برمّتها تتعلّق بالمنهجية ومدى صرامتها ووضوحها؟
- ٦ - في مجال استخدام التكنولوجيا الجينية من أجل العلاج الذي يؤمل منه استعادة الصحة أو الوعي، والعلاج الذي يؤمل منه الارتقاء بقدرات



الأداء إلى درجة تفوق المتوسط قليلاً أو كثيراً، أو الوصول إلى مجموعة من القدرات الجديدة، تفاوتت الرؤى والاجتهادات فكان من الأجدى إثارتها ومعرفة موقف كل فريق.

## المحور الثاني: الجينات وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة، والإجابة عن التساؤلات التالية:

- ١ - لقد أصبحت التكنولوجيا الإنجابية جزءاً من التطبيقات اليومية الحياتية، فهل سيؤدّي ذلك إلى انفصام بين النشاط الجنسي وبين الإنجاب، وكيف يؤثر ذلك على الأسرة والأطفال؟
- ٢ - الأطفال منحة من الله عزّ وجل، فهل يحق للوالدين التدخل في تكوين طبيعتهم وخصائصهم؟
- ٣ - تغيّرت نظرة الأطباء إلى الإنجاب والعقم في أيامنا الحاضرة، فهل على الزوجين اللذين لم يرزقا أطفالاً من حرج إذا قررا استخدام التكنولوجيا الحديثة للإنجاب؟ وما حدود الاستخدام الملائم لهذه التكنولوجيا؟ وإلى أيّ مدى يغيّر استخدام التكنولوجيا الإنجابية من العلاقة الأصيلة بين الوالدين والأبناء؟
- ٤ - الاختبارات الجينية قبل الإنجاب وبعده من الأساليب المستحدثة، فهل هناك من حرج على الوالدين في استخدام الاختبارات الجينية قبل الإنجاب لاختيار طفل بمواصفات معيّنة؟ وهل يمثل ذلك صورة من صور التمييز ضد المَعُوقِينَ لأنه يعتبر ضمناً أن حياتهم أقل قيمة؟ وما القول الفصل في استخدام الاختبارات الجينية في مراحل الحمل الأولى أو الأخيرة للتعرف على الجنين الذي يُحتمل جداً أن يولد مصاباً بضعف شديد أو عاهة مستديمة، أو في استخدام هذه الاختبارات لانتقاء طفل يتمتع بخصائص مرغوب فيها كالذكورة أو الأنوثة؟ وما الحدود الفاصلة بين حالات الإعاقاة الشديدة والخفيفة؟

وهل يجوز انتقاء أطفال باستخدام تقنيات التشخيص الوراثي قبل انغراس البيضة الملقحة PGD من متبرعين بالأنسجة؟

٥ - التعليم والتأديب جزء من الممارسة اليومية من الآباء لأطفالهم، فهل هناك فرق أصيل من وجهة النظر الأخلاقية بين استخدام التعليم والتأديب الأبوي لتعديل وتنمية قدرات الطفل، وبين استخدام التكنولوجيا الجينية في تحقيق الغايات نفسها؟ وهل للوالدين الحق في إجراء اختبارات للتأكد من وجود الاضطرابات الجينية التي تتأخر في الظهور حتى وقت البلوغ؟

٦ - لقد شككت تكنولوجيا الاستنساخ صدمة علمية وأخلاقية، وقوبلت بمواقف مختلفة بين رافض ومتحفظ ومؤيد، فهل سيؤثر الاستنساخ الإيجابي على الأسرة؟.

### المحور الثالث: الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا الجينية والإنجابية

١ - ملامح المجتمع الصالح، والعلاقة المثلى بين الأفراد والمجتمع، ومواطن اختلاف الرؤية الدينية عن الرؤية العلمانية لمجتمع يتصف أفراده بالتفكير المنطقي ويهتم بمصالح المجتمع ومصالح أفراده، ويتسم بالاستقلال واحترام الحرية الشخصية فالى أي مدى تكون قضايا العدالة الاجتماعية ذات شأن في الاعتبار الأخلاقي؟

٢ - لتكنولوجيا الجينات والتكاثر آثاراً على العلاقة بين الأفراد والمجتمع، فهل صحيح أنها تشجع على قدر أكبر من المنافسة غير الكريمة بين الأفراد، وبالتالي على قدر أكبر من الظلم، وقدر أقل من التضامن الاجتماعي؟

٣ - هل اختيار جنس الأطفال ومواصفاتهم يمس بالكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان؟

٤ - لا تفرق الأديان والمذاهب الفلسفية والأخلاقية بين الناس على أساس

- الجنس أو اللون أو المُعتَقَد، ولا على أساس ما يحملونه من جينات،  
فما مدى انعكاس ذلك على فرص العمل والتأمين؟
- ٥ - عدالة توزيع الموارد أمرٌ بالغ الأهمية في الأديان والفلسفات المختلفة،  
فهل لنقص الموارد دورٌ في إحداث نوع من التفرقة في تقديم الخدمات  
للفئات المختلفة؟
- ٦ - لعلوم الوراثة وتكنولوجيا الإنجاب فوائدٌ كبرى إذا أحسن استخدامها،  
لكن المشكلة تكمن في إساءة الاستعمال، كأن تظهر صورة جديدة من  
صُور تحسين السلالة البشرية، يتم فيها تخليص المجتمع تدريجياً من  
البشر المُعَوِّقِينَ وغيرهم ممن يتمتعون بنصيب أقل من القدرات التي  
يحددها المجتمع، فكيف نحتاط لمواجهة مثل هذا الاحتمال؟

### المحور الرابع: كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟

- ١ - لقد دخلت التكنولوجيا حياة الإنسان وفرضت عليه أنماطاً لم يعرفها  
من قبل، مما استدعى أن تعمل الندوة على تحديد الحدود الفاصلة  
التي يجب عدم تجاوزها في تطوير واستخدام التكنولوجيا، ولاسيما  
في المجالات الآتية:
- أبحاث الأجنة وتكنولوجيا الخلايا الجذعية.
  - الاختبارات التشخيصية بالأشعة في مرحلة ما قبل الولادة.
  - التشخيص الجيني لزراعة الأعضاء.
  - الاستنساخ بقصد الإنجاب.
  - العلاج بالجينات وبالهندسة الوراثية للخلايا الجنسية.
  - التخصيب المجهري (أطفال الأنابيب).
- وقد دارت المناقشات على مدى أربعة أيام أدلى فيها كل فريق

برأيه، في جوّ تسوده الحرية والأخوة والصداقة والاحترام المتبادل، والحرص الصادق على تحرّي الحقيقة وتقبّلها.

ولم يكن خافياً منذ بداية الندوة أن الأمر على جانب كبير من الخطورة، لأنه يمس ((الإنسان)) أشرف المخلوقات في الأرض ويعرّضه لمختلف التجارب التي لا تُعرَف مَغَبَّتُها.

وقد كان جلياً أن ممثلي الأديان السماوية جميعهم يعتمدون في مرجعيتهم حول تلك المستجدات على الكتب السماوية لكل ديانة وأحاديث الأنبياء والرسل والمجتهدين من بعدهم، لكن لكل عالم من علماء تلك الأديان فهمه الخاص وتفسيره لنصوص كتابه الذي يبنى عليه أحكامه وآراءه الفقهية في كل مجال، ولهذا فقد نرى تفاوتاً بين فقيه وآخر أو مذهب وآخر في الديانة الواحدة.

أما الرأي في العلمانية فصادر عن اجتهاد شخصي لا عن مرجعية ربانية أو نبوية، فانطلاقاته وقواعد بنائه لقراره تختلف تماماً عن مصادر القرار في الأديان السماوية.

والنظرة العلمانية ترى أن الإنسان بتسخير إمكاناته وأبحاثه استطاع أن يضبط الطبيعة لصالحه ليستفيد من هذا الناتج؛ فتكنولوجيا التناسل استطاعت أن تقدم خيراً كثيراً للإنسان، حيث تغلبت على مشكلات عدم الإنجاب إلى حد كبير، واستطاعت الهندسة الوراثية أن تنتج أنواعاً جديدة من المحصولات ذات الإنتاجية العالية سواء في الحيوان أو النبات، وكل هذا لا ينشأ صدفة ولكنه ينبثق من الالتزام بضبط الطبيعة والتحكم فيها، وعلينا ألا نبحت ما تم إنجازه...، ولذلك فعند مناقشة الجوانب الأخلاقية لتلك الإنجازات الجديدة علينا أن نناقشها في سياقها الاقتصادي والاجتماعي، حتى تتمكن من التعامل الصحيح مع تلك التقنيات الجديدة التي تستهدف تحسين النسل.

وقد اتفقت الأديان السماوية مع بعض الآراء والاجتهادات العلمانية ؛ لكن الاتفاق جاء في النتيجة وليس في أسلوب الوصول إليها، والبناء الفكري والعقائدي الذي بنت عليه حكمها.

ومن الملاحظ أن الرفض أو القبول لأي موضوع طرح في الندوة انحصر تحت ثلاثة مبادئ :

- (١) حماية الجنين .
- (٢) حماية الطبيعة الإنسانية .
- (٣) الفوائد أو مبدأ المنفعة .

وبينما يغلب البند الأول والثاني على القرار المسيحي الارثوذكسي ففي بعض الأحيان والموضوعات يساير القرار اليهودي والإسلامي المبدأين (الأول والثاني)، لأن معظم القرارات في الجانبين : الإسلامي واليهودي يغلب عليها مبدأ المنفعة أو الأرباح والخسائر ولكنها مبنية على قواعد شرعية - كل بحسب شريعته - تأخذ فيها أبعادا مختلفة، مثل المجتمع والجنس البشري ومستقبل الأمة، على ألا تكون مخالفة لمبادئ الشريعة الإسلامية أو اليهودية، وللشريعة الإسلامية مقاصدها الخمسة وهي: حفظ الدين والنفس والعرض والمال والولد.

فعلى سبيل المثال نجد أن الكنيسة الأرثوذكسية ترفض رفضا باتا الهندسة الوراثية بجميع أشكالها وصورها لأن ذلك تغيير للطبيعة الإنسانية المقدسة.

أما الشريعتان الإسلامية واليهودية فإن كلا منهما لاتحد غضاضة في الموافقة عليها سواء أكانت على الخلايا الجسدية أم الخلايا الجرثومية، وحجتهما في ذلك أن الإنسان خليفة الله في الأرض وكل شيء مسخر له ومطلوب منه البحث عن العلاج والتداوي بغير محرم فعلى سبيل المثال يتساوى في ذلك حقن مريض مصاب بالسكر بحقنة

أنسولين أو حقنه بخلايا جينية تساعده على إفراز الأنسولين أو حقنه بجينات جديدة تساعده على التغلب على المشكلة نهائياً.

وحتى مع اعتراض البعض على حقن الخلايا الجرثومية لأنها قد تسبب تغييراً في جينات الأجيال القادمة التي ينظر إليها على أنها قدس الأقداس . . . يري فقهاء المسلمين واليهود أن اختزال الإنسان في جيناته أمر مؤسف ولا يجب أن تقع فيه فالإنسان ليس جسداً به جينات فقط ولكنه جسد ونفس وعقل وروح وكلها تعيش في توازن مع بعضها البعض ويجب السعي إلى الحفاظ على هذا التوازن بينها وتقديم العلاج إذا أصيب أي منها.

ومثال آخر عن حماية الجنين، فالشريعة المسيحية الأرثوذكسية ترى أن بدء الحياة الإنسانية منذ لحظة تلقيح الحيوان المنوي للبويضة فالناتج الجديد له جينوم بشري جديد مخالف لأبويه وهو البذرة الأولى للحياة وفيها من روح الله لذلك حرمت الشريعة المسيحية الأرثوذكسية أي مساس بهذه اللقيحة واعتبرتها إنساناً له كل الحقوق التي يتمتع بها الإنسان الكامل. كما أنها تحرم أموراً كثيرة تتعلق بالجنين إذا كانت ستصيبه بأي ضرر.

لكن الشريعتين الإسلامية واليهودية يريان أن الجنين في مراحل الأولى وقبل الأربعين يوماً كيان محترم تزداد حرمة بمرور الأيام إلى أن يصل إلى أربعين يوماً فيكتسب حرمة كاملة لنفخ الروح فيه، وهذا الفهم لقدسية الجنين من الجانب الإسلامي واليهودي وبعض البروتستانت يبيح لهم الاستفادة من الأجنة في تلك الفترة الزمنية وبخاصة إذا كان الجنين وليد الأنابيب.

كما اعترض فقهاء المسلمين واليهود على مقولة "الخوف من أن يلعب الإنسان دور الإله" فالله أكبر من ذلك ونحن مأمورون بأن نسعى

في الأرض وأن نبحث وننقب فيها وفي أنفسنا، وهذا اجتهاد نحن مأمورون بالأخذ به، ونتأججه سلبا أو إيجابا متوقفة على إرادة الله سبحانه فإنها جميعا من قدر الله، فليس في الأمر تدخل في مشيئة الله لأننا نعمل بهدي وتوفيق منه سبحانه وتعالى .

وإحدى النقاط التي أثارت نقاشا كذلك، كانت حول التفسير المسيحي لتحريم استخدام تكنولوجيا التكاثر أو التناسل من الهندسة الوراثية أو الاستنساخ لسببين رئيسيين :

- الأول: أن هذا ليس هو الطريق الطبيعي للإنجاب الذي حدده الله سبحانه وتعالى .

- الثاني : جاء في سفر التكوين " أن الله خلق الإنسان على صورته " والصورة هنا بحسب التفسير المسيحي هي صورة الله وبالتالي فإن الإنسان لا يحق له أن يخلق صورة من صور الله .

بينما يرى الجانب العلماني أن الأمر غير ذلك تماما فإن الإنسان بعقله وتدييره استطاع أن يروض الطبيعة، وأن يغير الكثير مما كانت عليه، فإذا تمكنا من التحكم في الطبيعة، وألا نعطي للصدفة أي فرصة، فإننا بذلك يمكن أن يكون لدينا أطفال أصحاء نجباء أشداء ولم لا؟ فمن منا لا يرغب في ذلك؟ كما أن التطور الكوني والاكتشافات الحديثة التي قد تتعارض مع النظريات السابقة تتعارض فقط في التفسير وليس في المضمون. وتلك صورة جديدة للعلمانية الحديثة.

وعلى الجانب الآخر كان الرأي الإسلامي واليهودي مخالفا للرأي المسيحي من ناحية التفسير ومخالفا للرأي العلماني من ناحية التوجه .

فالرأي الإسلامي واليهودي وافق على استخدام التكنولوجيا الحديثة للتكاثر البشري بشروط وضوابط تم ذكرها في كل مجال من مجالات التكنولوجيا ويمكن الرجوع إليها .

وفيما سيأتي وتحت كل بند من البنود التي ناقشتها الندوة كانت التوضيحات التالية:

أما التفسير المسيحي لما ورد في الكتاب المقدس من خلقه الإنسان على صورته أي صورة الله " فقد اختلف الجانب الإسلامي في تفسير ذلك مصداقا للآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران آية ٦) ولا يمكن أن يكون التصوير هنا يعني الخلق أو الإيجاد على صورة الله سبحانه وتعالى " فليس كمثله شيء " وهو الواحد الأحد الفرد الصمد " وهو الكامل في صفاته... لذلك فإن الرأي الإسلامي يؤكد أن التصوير هنا يعني تصوير الإنسان على هيئة الإنسان فهذا طويل القامة وذاك قصيرها، وهذا أبيض وذاك أسمر وهذا ذكي وآخر غير ذلك... فكلكم لآدم وآدم من التراب وإليه ترجعون.

ولذلك فاستخدام تلك التكنولوجيا ليس تعديا ولا تشبها بالله سبحانه وتعالى، فله سبحانه المثل الأعلى.

كما أن الرأي الإسلامي يختلف عن العلمانية في توجهاتها وفلسفتها ونظرتها، فالعلم من الله سبحانه وتعالى فالله هو الذي علم آدم الأسماء كلها وما يتوصل الإنسان إليه فإنما هو بتوفيق من الله وهداية منه وهو يأمرنا بأن نبحث في كل ما يؤدي إلى سعادة الإنسان ورفاهيته بحسب القواعد الشرعية على ألا يكون علما حراما كتسخيره للإضرار بالإنسانية وتحويل استخداماته إلى التدمير الشامل، أو لإنتاج بشر من نوع خاص أو طلب مواصفات تجميلية أو استخدام حيوان منوي أو بويضة أو رحم غريب عن الأسرة الشرعية أو في غير إقامة الحياة الزوجية.

كما أثرت نقطه أخرى مهمة وهي استئجار الرحم (الرحم الظئر)



فبينما الرأي المسيحي الكاثوليكي يرفضه رفضاً تاماً أباحته الكنيسة البروتستانتية والإسلام رفضه كذلك. أما اليهودية فرفضت المبدأ ولكنها أباحته إذا كان هو الوسيلة الوحيدة للإنجاب تمشياً مع الشريعة اليهودية. أما العلمانية فوافقت على الأمر بتمامه وكماله وأعطت الحق لكل من يريد ذلك دون ضوابط.

وأثير سؤال حول أسباب تحريم الإسلام الرحم الظئر وتحليل استئجار المرضعة؟ ولماذا لا يعامل الأمران على قدم وساق لأن فيهما استغلال الإنسان لأخيه الإنسان؟ ثم سؤال آخر: عمن هي والدة المولود؟ هل هي صاحبة البويضة أم صاحبة الرحم؟ واختلف الآراء العلمانية فمنها ما يرى أن الأم هي صاحبة البويضة ومنها ما يرى أن الأم هي صاحبة الرحم، ولم يصل النقاش حتى اليوم إلى قرار حاسم.

لكن الإسلام حسم الموقف فالقرآن الكريم " يوضح ذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ (سورة المجادلة آية ٢) وفي آية أخرى ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ (سورة لقمان آية ١٤) ومعنى ذلك أن الأم هي صاحبة الرحم والتي ولدت، ولعل الفلسفة من وراء ذلك هي وقف التنازع بين صاحبة البويضة وصاحبة الرحم أي الضرة، وصاحبة الرحم هي التي حملت وقاست وولدت وتعرضت للكثير من المشكلات الصحية التي قد تؤدي بحياتها وهي التي شعرت بالحنان والأمومة والاتصاق بهذا الجنين في أحشائها.

وإذا كان الإسلام يحرم استغلال الإنسان لأخيه حيث يستغل الأغنياء الفقراء ويعود الرق والاسترقاق الذي حرمه الإسلام مرة ثانية - فإن مساواة موضوع الرحم الظئر بالإرضاع قياس مع الفارق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فالإرضاع مجرد إمداد المرضعة بحليبها للوليد

الذي يحتاج إليه للإبقاء على حياته فإن كانت خمس رضعات مشبعات تنشز اللحم والعظم (وهو أحد الأقوال الإسلامية) فالمرضعة تعد أم الولدين من الرضاع وأخواته من المرضع محرّمات عليه بسبب الإرضاع وهذه الأحكام ذكرت في الشريعة الإسلامية بشروطها حتى يمكن تطبيق الأحكام السابق ذكرها.

أما في حالة استئجار الرحم فإن الأمر هنا هو كتلة من الخلايا الناتجة عن تلقيح حيوان منوي لرجل غريب بويضة امرأة غريبة، أو لزوجين تدخل إلى رحم امرأة ثانية وهذا مختلف جدا عن الرضاع (وقد اعتبر بعض الفقهاء أن هذا الأمر أشبه بالزنى وليس زنا كاملا لأن أركان الزنى ليست متوافرة فيه لكن الأصل في ذلك هو إدخال حيوان منوي لرجل غريب في رحم امرأة أخرى) ومن هنا كان السبب وراء التحريم.

كما أثرت أيضا نقطة الحمل خارج إطار الزوجية فالكنيسة الأرثوذكسية تعتبر أن هذا العمل خطأ لكنها ترعى الحامل وتقدم لها كل متطلباتها إلى أن تضع جنينها ولا تمسه شيء... لكنها لم تجب على شيء يتصل ينسب الوليد.

وبينما يرفض الإسلام ذلك جملة وتفصيلاً ويعتبر المرأة زانية وينسب الولد للفراش، [والتفصيل سيأتي فيما بعد] فالعلمانية لم تجد في الأمر حرجا على ألا يكون هناك اغتصاب لها وينسب الولد إلى صاحب الحيوان المنوي.

وفي إطار موضوع الرحم الظئر أو المستأجر ثار جدل آخر بين فقهاء الإسلام حول ما إذا أودعت بالخطأ لقيحه في رحم امرأة ليست صاحبة البويضة... فهل المرأة التي حملت بالخطأ تعتبر الأم...؟ وهل سيرث الوليد أبويه الأصليين والأم الحاضنة؟ وهل يجوز للأم صاحبة البويضة أن تسترد ابنها لأنه وضع بالخطأ؟.

كما أثارت الكنيسة البروتستانتية نقطة مهمة فهي في الوقت الذي ترفض فيه إجراء الأبحاث على النطف الجينية إلا بموافقة الزوجين توافق على التبرع بالنطف المخصصة لإيداعها في أرحام نساء أخريات .

وقد أثار بعض المحاضرين نقطة تحتاج إلى دراسات موسعة من الناحية الفقهية وهي من يمتلك الجينات؟ وهل من حق صاحب الجينات أن يتمتع بميزات عينية أو مادية؟ أم أنها ملك لله وللإنسانية فليس لصاحب الجينات فضل في ذلك؟

كذلك كان هناك توجيه نقد إلى الفتاوى الإسلامية بأنها عامة ولم توضع لها ضوابط ولذا وجب مراجعة جميع التوصيات التي تحتاج إلى ضوابط لوضعها (أى الضوابط)، هذا بالإضافة إلى الكثير والكثير من المناقشات حول الموضوعات المطروحة، وسنورد في الصفحات القادمة ملخصاً للآراء المختلفة عن الموضوعات التي طرحت ونوقشت في الندوة .

كما شملت الندوة محاضرة عن تكنولوجيا الإنجاب "القيم اليهودية وأثرها على السياسات العامة والبنية الاجتماعية في دولة إسرائيل" حيث ذكرت الباحثة عدة أمور مهمة تسترعي التأمل .

فبحسب هذا البحث فإن إسرائيل دولة يهودية يحكمها نظام علماني أو قوانين علمانية .

وبما أنها دولة علمانية كان المفروض أن تنحى الديانة اليهودية جانبا لكنها أي إسرائيل تستخدم الثقافة اليهودية كشعار عام لها وتحققه بوسائل علمانية فالشريعة اليهودية لا تبيح التبرع بالمني أو البيضة أو الرحم الطائر لكن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تبنت استئجار الرحم وشرعت قوانين له .

ومن المعروف أن الشريعة اليهودية تعتبر الأم هي صاحبة الهوية التي تنتقل إلى أبنائها وبالتالي فيجب أن تكون يهودية .

لكن إسرائيل في سبيل تحقيق شعار "كن مثمرا وتناسل" وافقت على التبرع بالحيوانات المنوية والبيضات من أي رجل أو امرأة دون النظر إلى هويتها ويمنح الوليد الجنسية الإسرائيلية اليهودية رغم أن البويضة ليست من أم يهودية.

ورغم علمانيتها (أي إسرائيل) لكن التراث اليهودي يلعب دورا مهما في وجدان كل مقيم في إسرائيل فالإنجاب هدف كبير وسام، ومن أجل ذلك فإن الدولة ترعى أي أم تريد إنجاب أطفال عن طريق طفل الأنابيب رعاية كاملة فتصرف لها كل نفقات الإعالة ونفقات عمليات طفل الأنابيب من إجازات أو متطلبات إلى حين الولادة وبعد الولادة.

وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تقوم بهذا الإجراء وهذه قرارات سياسية أكثر منها دينية . . . . والعلمانية في أي زمان ومكان هي العلمانية يحكمها دائما مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، مهما كانت فاسدة، كما أن الدولة تسمح لأي امرأة غير متزوجة أن تحمل عن طريق طفل الأنابيب دون تحفظ وتعطيها المزايا نفسها التي تعطى للمرأة المتزوجة التي تنجب عن طريق طفل الأنابيب . . . ويعرض عليها مركز الإخصاب أنواعاً مختلفة من المني لاختيار ما يناسبها.

وكذلك يعطى للزوج والزوجة إذا كان أحدهما أو كليهما عقيما الحق في أن يأخذ نطفة خارجية مخصبة ويزرعها في رحم الزوجة.

إن الشريعة اليهودية تحض على ضرورة إنجاب واحد من كل نوع على الأقل وهذا يعنى أن الحياة في إسرائيل تقوم على الأطفال ومن هذا المفهوم قامت الدولة بتشجيع الإنجاب وإزالة كل الصعوبات التي تحول دون ذلك مثل التمويل الذي نص بشأنه على إنشاء سلة للخدمات الصحية لتقوم برعاية المتقدمات من الزوجات الراغبات في الحمل بتكنولوجيا الإنجاب الصناعي ولا يوجد حد لذلك، كما أنها أي الدولة

اليهودية أباحت للمرأة غير المتزوجة الحصول على حيوان منوي من متبرع دون شروط والتمتع بنفس الميزات التي تتمتع بها المرأة المتزوجة لأن النظرة للمرأة العقيم في المجتمع نظرة دونية .

وكذلك الأرمال لهن الحق في تلقيح أنفسهن بمني أزواجهن أو أصدقائهن بعد وفاتهم .

إن نظام الرعاية الصحية لا يوفر دعماً لفشل حالات علاج العقم مثل التبني أو عدم إنجاب الأطفال طواعية وهو خيار لا تسمح به إسرائيل أبداً .

إنها دعوة عقائدية تبتتها دولة علمانية لتتحول إلى ثقافة عامة تسيطر على أبنائها وتخدمها الدولة بإصدار التشريعات اللازمة لتصبح حقيقة واقعة دون النظر إلى الجوانب الأخلاقية وتبعاتها .

كانت تلك النقاط السابقة تلخيصاً لبحث الدكتورة ليزا ليهمان من إسرائيل ونظراً لأهميته وحتى لا يضيع داخل الأوراق الأخرى رأيت أن أضعه في مقدمة تلخيص أعمال الندوة .

ثم حاولت الاجتهاد قدر توفيق الله لي أن أقدم ملخصاً سريعاً لأعمال الندوة وكان أمراً عسيراً فالمحاور متداخلة والرؤى تتراوح بين اليمين واليسار وكل له حججه وأسانيده وقد وضعت أمامي أمورا عدة عند كتابة هذا الملخص وهي :

(١) أنني حاولت استخلاص الآراء المختلفة قدر الإمكان من الباحثين والمناقشات التي تمت ، لكن كانت هناك موضوعات كثيرة لم تتمكن من الحصول على آراء بعض الأديان والعلمانية فيها بسبب اعتذار ممثلي تلك الأديان عن الحضور أو عدم إرسال أبحاثهم .

(٢) حاولت الالتزام بالحياد قدر الإمكان في كتابة الآراء المختلفة دون تحيز ضد أي رأي أو معه ، ولكنه الاجتهاد البشري فكل ابن آدم خطأ

وخير الخطأين التوابون فإن كان هناك خطأ في بعض الآراء فليس في الأمر تعمد ولكنه الخطأ البشري وأرجو أن يصلني التصحيح حتى أورده في الشكل النهائي للملخص .

(٣) طُرِحَتْ بعض القضايا مثل خلط مواد جينية بشرية بأخرى حيوانية وما مدى مشروعية هذا العمل ، ولكن الندوة لم تتمكن من الإجابة عنها؛ لأن الأمر يحتاج إلى إعداد للمادة العلمية كيف تتم ؟ وما نتائجها؟ وانعكاساتها؟ وذلك حتى يتمكن الفقهاء من وضع التكييف الشرعي للموضوع ، وستسعى المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية إلى دراسته في القريب العاجل رغم أنها تناولته في إحدى ندواتها وأوصت بعدم إجراء مثل تلك التجارب بقصد اللهو أو التسلية .

(٤) لقد غاب عن الندوة بعدُ مهم وهو العدالة الاجتماعية رغم وجوده ضمن محاور الندوة حيث لم يتحدث فيه إلا باحثة واحدة علمانية. ولم يكتب عنه أحد من أتباع الأديان السماوية ولكن كانت هناك إشارات مختلفة في بعض الأبحاث فنحن بينما نتحدث عن تكنولوجيا متقدمة جدا ومكلفة يموت حوالي ٨٠٠ مليون نسمة بسبب الجوع ويعاني حوالي مليار نسمة من عدم توفر مياه صالحة للشرب. فأين عدالة التوزيع؟ وهل تسخر الإمكانيات للقادرين ولا يتمتع بها غير القادرين خاصة في الدول ذات الموارد المحدودة؟

(٥) الرأي الإسلامي الوارد في هذا الملخص هو ما أصدرته المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية من خلال اجتماعاتها التي عقدتها خصيصا لبحث تلك المستجدات بين الأطباء وعلماء الفلسفة الإسلامية والاجتماعية وعلماء الشريعة الإسلامية واعتمدت تلك التوصيات من المجامع الفقهية الإسلامية المختلفة وتحولت إلى فتاوى رسمية لدى الدول الإسلامية .

## الملخص

وفي بداية الجلسات العلمية كانت هناك محاضرة عامة للدكتور حسان حتوت حيث حلق فيها حول آفاق الندوة مؤكداً أن الخالق هو الله، وسبحانه هو المطلق الذي أنشأ الخلق ومنه كوكب الأرض ومن تراب الأرض خلق الحياة وفيها الحياة الإنسانية ولكل حياة بداية ونهاية لكي تتجدد وتستمر وأن الإنسان ليس جسداً فقط ولكنه جسد وروح والروح عنصر رباني، وهذه هي فلسفة الأديان السماوية الثلاثة [الإسلام، والمسيحية، واليهودية].

والإنسان هو الوحيد من المخلوقات الذي يتمتع بذاتية مستقلة وله مفهوم عن الخير والشر، وله حرية محدودة في الاختيار، ولذلك كان لا بد وأن يحاسب على ذلك ومن هنا تأتي قدسية الحياة.

ثم تطرق بعد ذلك إلى الموضوعات المختلفة في الندوة مثل التكاثر واستخدام التكنولوجيا الجديدة ومدى الحل والحرمة فيها مجيزاً إياها بشرط أن تكون بين الزوجين، وفي أثناء إقامة الحياة الزوجية وعدم وجود طرف ثالث].

وعن الهندسة الوراثية فقد أبدى ترحيبه بها إذا جاءت موافقة للشريعة الإسلامية وغير ذلك يعد محرماً، ثم تحدث عن الاستنساخ متحفظاً عليه إذ يشوبه الكثير من المخاطر وأبدى موافقته إذا استخدم في الأبحاث على أن يكون ذلك قبل اكتمال أجهزة الجسم.

وبرر الأبحاث على الخلايا الجذعية في النطفة أو الجنين قبل زرعها في الرحم على أساس أن ذلك يهدف إلى إنقاذ حياة مرضى حقيقيين يعانون من مرض خطير استناداً إلى القاعدة الفقهية التي تقضي بقبول أخف الضررين.

## ١ - خلق الإنسان :

### المسيحية :

يصور الإنجيل الإنسان بأنه تاج الخلق وآخره كله ويتميز عن كل ما خلقه الله . . . . وقد خلقه الله على صورته وقد أثارت هذه العبارة كثيرا من المناقشات فالبعض يشير إلى أنها العقل والإرادة والبعض يرى أنها القدرات الروحية والبعض الآخر يرى (أن تعبير على " صورة الله " ) معناها أن كل ما في الكون مسخر له ولذريته ليعمر الأرض وعليه أن يعتني بها ويحافظ عليها.

### الإسلام :

الإنسان مخلوق الله من الأرض ومن حما مسنون خلقه على أحسن صورة متميزا عن بقية خلقه بالعقل والإرادة وحب المعرفة والإنسان ليس جسدا فقط بل هو جسد وعقل وروح ونفس وأي نقص في أي من عناصره يخل بمكونات الإنسان من حيث هو إنسان .

### العلمانية :

مفهوم الله في أدياتهم أنها فكرة نشأت في العقل البشري والحياة الدنيا هي الحياة الوحيدة التي يعترفون بها ولا يعترفون بالآخرة وعلى ذلك لهم أن يأخذوا منها أفضل ما لديها فالغاية تبرر الوسيلة وأن خلق الحياة هو نتاج القوى العمياء للطبيعة وتعتبر تلك العبارات عن التفكير العلماني القديم .

لكن ظهرت مدرسة علمانية حديثة تعيد التأمل في التصورات والعقائد العلمانية القديمة في ظل الاكتشافات الحديثة التي أدت إلى إعادة النظر في كثير من تلك الافتراضات المادية العلمية وظهرت تفسيرات



للأحداث والمكتشفات الجديدة توضح أن هناك قوة ذكية كبرى وراء هذا التنسيق والإبداع، وأصبح موقع الصدفة بين تلك الأحداث ضعيفا.

## ٢- الكرامة

### في المسيحية:

تبدأ كرامة الإنسان منذ اللحظة الأولى للإخصاب حيث ينفخ الله من روحه في تلك اللقحة لتصبح بعد ذلك إنسانا كاملا له نفس الحرمة التي يتمتع بها الكبير.

### في الإسلام:

كرامة الإنسان في الإسلام عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء آية ٧٠].

### ومظاهر التكريم:

- (١) أن فيه نفخة من روح الله الخالق الواحد الأحد.
  - (٢) أن الله علمه الأسماء كلها. وأعطاه علما لم يعطه للملائكة.
  - (٣) أن الله أمر الملائكة بالسجود له.
  - (٤) أن الله استخلفه في الأرض ليعمرها وسخر له كل ما في الكون.
  - (٥) منحه العقل والإرادة والمعرفة والحب ليميزه عن سائر المخلوقات.
- وتمحورت قيمة الكرامة حول معنى الإنسان وقيمه بحيث لا يعامل معاملة الشيء المادي أو السلع المتداولة، أو البضاعة وأكدت الأبحاث بأن كرامة الإنسان مستمدة من القرآن والسنة النبوية، وآراء والفلاسفة المسلمين، لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وهذا هو الجانب المادي، ثم وهبه الله عقلا وقدرة على التفكير المنطقي المعقد

والتعبير عن ذلك وهذا هو الجانب العقلي ويتحدث بعد ذلك القرآن عن أهم مصادر كرامة الإنسان فقد نفخ الله فيه من روحه وهذا هو الجانب الروحاني، واهتمت الأبحاث بالفطرة التي فطر الله الناس عليها والحفاظ على البيئة من حوله وعدم إفسادها.

وتعني الكرامة الإنسانية الحفاظ على الإنسان والعناية به عناية فائقة وبكل بني جنسه في كل زمان ومكان، واتخاذ السبل المادية والمعنوية لتحقيقها في الحياة البشرية حيث تربطها بالإنسان روابط قوية مصداقا لقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (سورة الأعراف آية ٥٦)؛ ولذلك ينبغي مصادقة الطبيعة والتعاطف معها ومعرفتها لا مصارعتها . . . . ومفهوم الفطرة في الإسلام الذي ورد في القرآن أن وحدة الإنسان النوعية تقتضي المغايرة في الأشخاص جسمانيا ونفسيا ولذلك فإن قولبة الإنسان في قالب واحد أمر مرفوض لأنه مخالف للفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها.

ثم حدد الله غاية خلق الإنسان وهي عبادته وهي ليست مسألة شكلية كما أنها لا تقتصر على أداء شعائر معينة أو القيام بأفعال الورع والتقوى ولكن مفهوم العبادة في الإسلام أكثر شمولاً وإن كانت الصلاة والصوم والحج والزكاة وحتى الوضوء والطهارة لها وضع خاص في الشريعة الإسلامية فأى عمل يقوم به الإنسان يمكن أن ينطوي على عبادة بشرط أن يتم بنية خالصة وفي الحدود التي أمر الله بها حسب كل مرحلة، فكل مرحلة من مراحل الإنجاب لها حقوقها، وكرامتها تختلف من مرحلة إلى أخرى وقد فصلت الشريعة الإسلامية تلك الحقوق وأوضحت واجبات المجتمع نحو كل منها، وسنذكر مرحلة الشيخوخة فقط لأن لها أحكاما كثيرة خاصة بها تكريما لهذا الإنسان ولإنسانيته وعطائه ووضعه الراهن ويوحى القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَبْغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا

أَفِي وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ  
 الذُّكُلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ (سورة  
 الإسراء آية ٢٣ ، ٢٤) ، وهذه الآية القرآنية تحفظ كرامة الإنسان لدرجة  
 أنها نهت عن كلمة " أفٍ " للوالدين وهي إظهار عدم الرضا عن أمر  
 ما بشأنهما فما بالك بالاعتداء عليهما وقتلهما .

كما أن الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا  
 عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي  
 الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا  
 النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (سورة المائدة آية ٣٢) .

كما أن الشريعة اعتبرت الإقدام على ما يطلق عليه القتل الرحيم  
 كالإقدام على الانتحار إذا أراد الشخص نفسه القيام بذلك أو طلب  
 مساعدته على ذلك وهو محرم في الإسلام ومن يقوم على المساعدة  
 على ذلك فإنه مشارك في جريمة قتل ومحرض عليها .

كما أن حرمة الإنسان وهو ميت كحرمته وهو حي فإذا كان  
 الإسلام قد حرم الاعتداء على الميت فمن باب أولى تحريم الاعتداء  
 على الإنسان حيا لأن الإنسان ببيان الله ملعون من هدمه .

كل ما سبق من علامات ودلالات جزء يسير من تكريم  
 الإسلام للإنسان .

### في العلمانية :

وفي الوقت الذي وافق فيه جميع مفكري ومنظري الأديان  
 السماوية على المبادئ العامة من ضرورة الحفاظ على كرامة الحياة  
 الإنسانية وقيمتها العليا وقدسيتها الحياتية البشرية فإن الجانب العلماني  
 كانت له رؤى لا تتماشى مع مفهوم الكرامة والقيمة وقدسيتها الحياتية

الإنسانية في الأديان السماوية، فهو يرى أن الكرامة تعنى أن يعيش الإنسان حياة كريمة بمعنى أن يكون صحيح الجسد والنفس والعقل، فإن حدث خلل في أي من وظائف أعضائه وانعكس ذلك سلبا عليه - من تردى الصحة الجسدية أو النفسية أو العقلية - فإن كرامة هذا الإنسان تقتضى - حسب رأي بعض العلمانيين المشاركين في الندوة أن يموت هذا الإنسان بكرامة سواء أكان ذلك بناء على طلبه أو مساعدته أو الإقدام على ذلك من خلال الهيئة الطبية، ويطلقون على ذلك " الموت بكرامة " وقد ظهرت آثار ذلك بإصدار قوانين تبيح ذلك في بعض دول العالم.

### ٣ - متى تبدأ الحياة :

#### المسيحية

#### الكنيسة الكاثوليكية وبعض أتباع الكنيسة البروتستانتية

تبدأ الحياة منذ لحظة الإخصاب ولهذه المضغة كل الحقوق التي يتمتع بها الآخرون لأن لهذه المضغة خريطة جينية تختلف عن خريطة أبويه وأن فيه نفخة من الله سبحانه وتعالى وتعد نفسا إنسانية لها نفس حقوق الآخرين .

#### الكنيسة البروتستانتية والإنجيلية (الإنجليزية)

لهما موقف متحفظ من الكنيسة الكاثوليكية ويريان أن بداية الحياة عندما تصبح الحياة المستقلة في حيز الوجود، وهنا يمكن اعتبار الجنين في بطن أمه شخصا قد صنعه الله على صورته، وقبل ذلك فالجنين مشروع إنسان ولكن يجب أن يعامل بكل احترام.

## الشريعة اليهودية :

لا تعتبر الشريعة اليهودية الجنين البالغ من العمر قبل أربعين يوماً منذ بدء الحمل إنساناً له نفس المكانة البشرية وقدسيتها.

## الإسلام :

اختلفت الآراء فمن العلماء المسلمين من يراها منذ لحظة الإخصاب ومنهم من يراها منذ لحظة العلوق، والرأي الأقوى هو بعد نفخ الروح بناء على حديث الأربعينيات "حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الأحوص عن الأعمش عن زيد بن وهب قال عبد الله حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة" والذي فسره البعض بأنها تبدأ بعد ٤٠ يوماً وآخرون ذكروا بأنها ١٢٠ يوماً. وجميعهم اتفقوا على أن النطفة منذ إخصابها لها حياة محترمة في جميع مراحلها وتزداد حرمتها وحقوقها بمرور الوقت عليها.

## ٤ - تكنولوجيا التكاثر البشري

### طفل الأنابيب

الكنيسة الكاثوليكية رفضت هذا الموضوع جملة وتفصيلاً وحيثياتها هي :

١ - هذه الطريقة تخالف الطرق الطبيعية التي من المفروض أن يأتي منها الأولاد.

- ٢ - الاستمناء محرم لأنه على غير الطريقة الطبيعية .
- ٣ - لإتمام طفل الأنابيب فإن الأطباء يقومون بتلقيح عدد كبير لإنتاج عدد من الأجنة ليأخذوا منها اثنين أو ثلاثة لإتمام العملية . . . . . وبالتالي فسيكون هناك فائض من تلك الأجنة التي يجب إعدامها وهذا محرم فمن غير المقبول إحياء إنسان على حساب موت آخرين .
- رغم هذا فإن هناك بعضا من أتباع الكنيسة الكاثوليكية ينظرون إلي الأمر نظرة أخرى تتلخص في الآتي :

- (١) للزواج أهداف، وأهم هذه الأهداف هو الإنجاب، وهذا يتماشى مع تعاليم الإنجيل التي تأمر أتباعه بالزواج والتناسل لتمتلئ الأرض .
- (٢) الإنجيل أمر أتباعه بالعلاج من الأمراض فلماذا نعالج الأمراض الأخرى ولا نعالج العقم باستخدام هذه التكنولوجيا .
- (٣) يجب أن ندخل السعادة إلى قلوب من أصابهم العقم .
- وبالتالي فإن هذه المجموعة من أتباع الكنيسة الكاثوليكية يبيحون استخدام تكنولوجيا طفل الأنابيب .

### وتري الكنيسة الكاثولوكيه :

أنه إذا حملت فتاة خارج إطار الحياة الزوجية فهذا وضع فردي يقننه المبدأ الأخلاقي وليست الظروف الشخصية للفتاة، حيث وُجِدَت حياة أخرى (الجنين) لا يحق لنا القضاء عليها لنحافظ على سمعة الفتاة ولكننا في الوقت نفسه لا نحاكم الفتاة، بل يجب أن نوليها عناية ورعاية خاصة ونعاملها بتفهم عميق .

ولذلك فعندما نقول : إن الحمل خارج إطار الزواج خطأ فإننا نحكم على الواقع وليس على المخطئ .

بينما ترى الشريعة الإسلامية أن الحمل خارج إطار الحياة الزوجية

" زنا " تختلف عقوبته بحسب وضع الزانية إن كانت متزوجة أو بكرا . . . ، أما عن الجنين فله حقوق النسب وتؤجل إقامة الحد على الأم حتى الميلاد وإرضاع المولود حتى يكبر .

### الكنيسة البروتستانتية :

لها نفس موقف المجموعة الأخيرة المنبثقة من الكنيسة الكاثوليكية أي إباحة تكنولوجيا طفل الأنابيب على ألا يكون بينهما طرف ثالث من مني أو بيضة أو رحم ظئر . وهناك من تحفظ على هذا الأمر ووافق الكنيسة الكاثوليكية [هذا التحفظ الأخير أي الطرف الثالث يمكن النظر فيه كما سيأتي فيما بعد].

### الكنيسة الإنجيلية (الإنجليزية) :

يذكر أتباع الكنيسة الإنجيلية أن سقوط آدم وحواء في الخطيئة يعني بأن بعضا من أبناء آدم وحواء سيخلقون وبهم أمراض يمكن علاجها ومن بين تلك الأمراض عدم إخصاب البعض، لذلك ترى الكنيسة الإنجيلية إباحة هذه التكنولوجيا شرط أن تكون داخل الإطار الشرعي للزوجية وعدم وجود طرف ثالث من مني أو بيضة أو رحم .

### الشرعة اليهودية :

يرى الإنجيل أن إنجاب طفل عن طريق الأنابيب أمر غير مشروع لأنه يخالف الطبيعة والفترة، واليهودية لا تفترض وجود قوانين الطبيعة هذه وبالتالي يجب النظر إلى هذه التقنية من وجهة نظرها في ضوء إمكانية انتهاك المحرمات التوراتية فقط؛ وفي غياب تحريم واضح لمثل هذه التقنية، يحق للإنسان استغلال المعرفة كي يتغلب على معوقات الطبيعة .

والشرعة اليهودية تنحاز إلى أساليب شفاء الناس من أمراضهم

حتى لو اقتضى ذلك الانحراف بدرجات متفاوتة عن الوضع المثالي المطلوب، فحياة الإنسان مقدسة واستئصال المرض فريضة، ويرى فريق آخر أن تقنية طفل الأنابيب منافية للأخلاق رغم أنه لا توجد معارضة لها في الشريعة اليهودية إذا كانت هي الوسيلة الوحيدة للإنجاب.

وهناك آراء مختلفة حول الاستمناء فالبعض يراه محرما لأنه قتل للبذرة الأولى والبعض يراه مقبولا حيث سيستخدم في تلقيح البويضات.

### الإسلام :

وافق فقهاء المسلمين على استخدام هذه التكنولوجيا (طفل الأنابيب) على ألا يكون بين الزوجين طرف ثالث من مني أو بويضة أو رحم وفي أثناء إقامة الحياة الزوجية، وينظرون إلى هذه التقنية على أنها وسيلة من وسائل العلاج وليس تدخلا في المشيئة الإلهية، فإن تغلبت على العقم فإنها من قدر الله، وإن لم تنجح في ذلك فإنها من قدر الله أيضا.

### ٥ - الأجنة الفائضة عن الحاجة :

#### الكنيسة الكاثوليكية

من الناحية المبدئية تحرم الكنيسة الكاثوليكية التخصيب خارج الرحم وبذلك لن يكون لديها فائض للأجنة حيث أن الإخصاب يجب أن يتم بالطريقة الطبيعية.

#### الكنيسة البروتستانتية

وافقت الكنيسة على مبدأ طفل الأنابيب وبالنسبة للأجنة الفائضة عن الحاجة فليس لديها مانع من استخدامها في الأبحاث أو التبرع بها



لمن يحتاج إليها من الأزواج غير القادرين على الإنجاب لسبب أو لآخر على ألا يكون ذلك مقابل من هبة أو مال.

### الشريعة اليهودية :

بينما يرى البعض تحريم قتل الأجنة الفائضة عن الحاجة يرى آخرون أنه لا يحرم قتلها في الأربعين يوماً الأوائل للتلقيح خارج الرحم، ويمكن تجنب العملية برمتها بتخصيب بويضة واحدة.

### الإسلام :

#### الرأي الفقهي :

اختارت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في ندوتها الثالثة " الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية " ، سنة ١٩٨٧م. بشأن مسألة البويضات الملقحة الزائدة رأياً قريبا مما ذهب إليه الأكثرون من مشروعية الاستفادة الطبية بتلك اللقائح مع الضوابط التي تمنع من اختلاط الأنساب أو الاعتداء على الكرامة الإنسانية، فجاء في توصيات الندوة الثالثة سنة ١٩٨٧ م. ما يلي :-

"إن الوضع الأمثل في موضوع " مصير البويضات الملقحة " هو أن لا يكون هناك فائض منها، وذلك بأن يستمر العلماء في أبحاثهم قصد الاحتفاظ بالبويضات غير ملقحة، مع إيجاد الأسلوب الذي يحفظ لها القدرة على التلقيح السوي فيما بعد.

أما إذا حصل فائض فترى الأكثرية : أن البويضات الملقحة ليس لها حرمة شرعية من أي نوع، ولا احترام لها قبل أن تنغرس في جدار الرحم، وأنه لذلك لا يمتنع إعدامها بأي وسيلة.

ويرى البعض : أن هذه البويضة الملقحة هي أول أدوار الإنسان الذي كرمه الله تعالى. وفيما بين إعدامها أو استعمالها في البحث

العلمي أو تركها لشأنها للموت الطبيعي يبدو أن الاختيار الأخير أخفها حرمة، إذ ليس فيه عدوان إيجابي على الحياة.

واتفق الرأي على تأكيد التوصية الخامسة (بشأن الرحم الظئر) المتخذة في ندوة "الإنجاب في ضوء الإسلام" سنة ١٩٨٣م. من تحريم استخدام البويضة الملقحة في امرأة أخرى. ولا بد من اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بالحيلولة دون استعمال البويضة الملقحة في حمل غير مشروع، وكذلك تأكيد الوصية الرابعة من ندوة الإنجاب أيضا بشأن التحذير من التجارب التي يراد بها تغيير فطرة الله، أو استغلال العلم للشر والفساد والتخريب. وتوصي الندوة بوضع الضوابط الشرعية لذلك".

لكن السؤال الذي يفرض نفسه إذا حدث خطأ في حقن لقيحه مخصصة في رحم امرأة أخرى عن طريق الخطأ هل يجوز للزوجين الحقيقيين استرداد الجنين؟ وإذا لم يتم ذلك فهل يحق لهذا الجنين أن يرث الأم الحاضنة والأبوين الحقيقيين؟.

## ٦ - استئجار الأرحام :

### الكنيسة الكاثوليكية :

رفضت المبدأ من أساسه .

### الكنيسة البروتستانتية :

اشتراطت الكنيسة البروتستانتية أن يتم تلقيح البويضة بحيوان منوي من الزوج على ألا يكون بينهما طرف ثالث . . . . لكن في حالات خاصة يمكن النظر في ذلك .

فإذا كانت الأم صاحبة البويضة لا يمكنها الحمل والولادة لظروف

صحية أو مرضية أو ليس لديها رحم ففي هذه الحالة ولدواعي استقرار الأسرة يمكن وضع اللقيحة في رحم امرأة ثانية على ألا تتقاضى أجرا لذلك وأن توقع على عقد بتنازلها عن المولود. أي أن الأم في هذه الحالة هي صاحبة البويضة، وهذا مخالف للشريعة اليهودية والإسلامية.

### الشريعة اليهودية :

إن استخدام شخص آخر " كحاضنة " ثم انتزاع الطفل الذي حملته ووضعته منها مقابل أجر هو امتهان صارخ للأمم وإساءة لكرامة الإنسانية .

### من هي الأم :

ترى الشريعة اليهودية اعتبار المرأة المستقبلية للبويضة المزروعة أما لأى طفل ينتج عن تلقيح هذه البويضة ولأن الأم في الشريعة اليهودية هي التي تحدد هوية المولود فإن هوية الأم التي حملت وولدت تنتقل إلى الأبناء.

وهناك من يرى أن الأم هي المانحة للبويضة حيث إن الجنين يحرم قتله منذ لحظة إخصابه وتحدد هويته الجديدة عند الإخصاب من مني الزوج وبويضة الزوجة.

### الإسلام :

يحرم الإسلام استئجار الأرحام وفي حالة حدوث شيء من هذا القبيل فإن الأم هي التي حملت ووضعته وليست صاحبة البويضة كما جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة آية ٢] [تم شرح الموضوع بشيء من التفصيل في المقدمة].

## ٧ - الهندسة الوراثية :

### المسيحية :

الكنيسة البروتستانتية أباحت السعي إلى الشفاء واستعادة الصحة لا السعي إلى تغيير خلق الله .

لكنها أوضحت أن الفرق بين الاستعادة والتغيير ضئيل حيث يصعب وضع خط فاصل بينهما وستختلف الرؤى والتعريفات حولهما فما يراه شخص ما استعادة للصحة قد يراه الآخر تغييرا وضربت مثلا بمرض (عمى الألوان) ومرض (الثلاثيميا)، فبينما الأول ليس خطيرا ويمكن التعايش معه فإن الثاني مميت ويجب التدخل فيه، ولكن قد يرى مريض عمى الألوان أنه أمر مهم جدا لأن ذلك يحرمه من وظائف معينة؛ ولذلك فهو - من وجهة نظره - لا يقل خطورة عن أي مرض آخر ومن هنا ستختلف الآراء الشخصية والتفسيرات حول الاستعادة والتغيير .

ويرى أكثرية أتباع الكنيسة الأرثوذكسية أن الخوف من أن يقوم الإنسان مقام الله وينزلق الأمر إلى ما هو أخطر من ذلك فقد يؤدي ذلك إلى إصابة الجنين بما هو أخطر مما كان مصابا به ومن ثم فإن الأمر مرفوض رفضا تاما لأن ذلك يعتبر انتهاكا لشيء مقدس داخل الطبيعة البشرية (وهذا أحد المبادئ الأساسية التي بنت عليها الكنيسة الارثوذكسية وبعض أتباع الكنيسة البروتستانتية رأيهم تجاه تلك المستجدات).

بينما يرى بعض أتباع الكنيسة الأرثوذكسية أن الأمر واجب وحتمي وهو لا يقتصر على تغيير جينات الخلايا الجسدية بل أباح التدخل في الخلايا الجرثومية فإن على الطرف الآخر تمنع الكنيسة الكاثوليكية الهندسة الوراثية ولكنها تشجع العلاج الجيني .

## الشريعة اليهودية :

بالرجوع إلى مصادر متنوعة وسياقات مختلفة اتضح أن الشريعة اليهودية تصر على أن التقنيات الحديثة خاصة تلك المتعلقة بالإنجاب لا يمكن البت فيها سواء بالتحريم أو التصريح، أي أنها ليست حراما كلها كما أنها ليست حلالا كلها، إن الأمر يستوجب فحص كل حالة على حدة وكل منهج على حدة لتحليل النتائج المترتبة على التقنية الجديدة والمنهج الذي استخدم لإجرائها، التقنية والمنهج كلاهما لا بد أن يكونا حلالا ومسموحا بهما حتى يبدوان لاثقين في عين الشريعة اليهودية.

وإن الشريعة اليهودية تطمئن للرأي القائل بأن الإنسان هو راع للطبيعة وحام لها وتعتبر أن الهندسة الوراثية شأنها شأن أي شكل من أشكال العلاجات الطبية لاثقة ولا غبار عليها طالما أنها تستخدم لفائدة البشرية.

## بالنسبة للحيوان والنبات :

يرى البعض أنه عندما خلق الله قوانين الطبيعة البسيطة والمعقدة خلال الستة أيام، تبقى المزيد من قوة الخلق للخلق من جديد كأن يخلق الناس نوعا جديدا من الحيوانات يُتولد من تزاوج نوعين مختلفين؛ والإنسان يجعل النبات يثمر أشياء لم تكن موجودة في الطبيعة ومع ذلك فيجب النظر إليها على أن هذه العمليات والنشاطات تحدث من خلال الطبيعة وليس من خارجها فكأنها من خلق العالم لكي تخلق فيه ولكن البعض يفهم تعاليم التوراة على أنها تحظر التهجين بين الأجناس المختلفة لأنه يوقف عملية التكاثر في هذه الأجناس المهجنة وبالتالي يوقع ظلما على الحيوانات التي حرمت من تحقيق الهدف الإلهي لتكاثر جنسها.

ويرى البعض أن استيلاء نوع جديد من الحيوانات من تزاوج

نوعين مختلفين منها هو خرق صريح لما في الإنجيل . . . . لكن ذلك لا ينبغي أن يفهم على أن هذا النشاط معيب أو ينافي قواعد الأخلاق، بل إنه شيء تحرمه الشريعة اليهودية على اليهود.

ويجب أن نسقط من حساباتنا الحجة الشائعة عن " لعب دور الإله " أو التدخل في شؤون العناية الإلهية " كما أنه لا يوجد في الشريعة اليهودية قاعدة تحظر على الإنسان العبث (بتقليد) الخلق.

الهندسة الوراثية هي المعنية بأن تجعل الناس أفضل مما هم عليه، ولا تقل عن علاج المرض في شيء، وهي في هذا تتعارض مع كل الاتجاهات السائدة لكل من القانون والأخلاقيات الأميركية والكنيسة الكاثوليكية وهي السعي للحد من قدرة العلم على إحداث تغييرات جوهرية في الطبيعة.

وترى الشريعة اليهودية أن استخدام الخلايا الجسدية (Somatic Cell) من أجسام الإنسان أو الأجنة أمر لا غبار عليه كذلك لا ترى أي حرمة إذا تم التغيير عن طريق الخلايا الجرثومية (Germ Cell) فمثله في ذلك مثل مريض السكر يأخذ حقنه الأنسولين أو خلايا تساعد على فرز الأنسولين أو حقنه لمرة واحدة في حياته، ويتم تحسين البناء الجيني في الجسم البشري.

كما تبيح الشريعة اليهودية للوالدين إنجاب طفل مهندس وراثيا إذا كان لديهما طفل آخر يحتاج إلى زرع نخاع مطابق له تماما مع التأكد من أن مولدات المضادات تضاهي مثيلاتها في جسم شقيق المريض الذي يحتاج إلى عملية زرع نخاع، وفي حالة الكشف على المضغة قبل حقنها في الرحم يمكن التأكد بنسبة تصل إلى ١٠٠٪ بأن المضغة في الوليد الجديد مطابقة للشقيق المريض وصالحة لاستخدام زراعة النخاع فيه.

والشيء المحرم في الشريعة اليهودية هو تزواج صنفين مختلفين ولكن تعديل جين بآخر ليس محرما.

## العلمانية :

بعض العلمانيين يرى حق التدخل في كل شيء وتغيير كل شيء ومن حق الفرد أن يختار ما يراه مناسباً لأن يتعايش معه مثل الأب الذي يريد أن يأتي ابنه بلون بشرة معينة ولون معين لعينه ويراه مناسباً له ولا حرج في ذلك .

ورغم نظرهم إلى الهندسة الوراثية على أنها تهدر كرامة الإنسان لكنها حق له فليس من المقبول الإصرار على أن يولد كل طفل في المجتمع بنفس البنية الوراثية للأباء والأجداد لأن ذلك يمثل نوعاً من الاعتداء على حقوق الإنسان .

## الإسلام :

يرى جواز استعمالها في منع المرض أو علاجه أو تخفيف أذاه، سواء بالجراحة الجينية التي تبدل جينا بجين، أو تولج جينا في خلايا مريض، أو إيداع جين من كائن في كائن آخر للحصول على كميات كبيرة من إفراز هذا الجين لاستعماله دواءً لبعض الأمراض، مع منع استخدام الهندسة الوراثية على الخلايا الجنسية ؛ لما فيه من محاذير شرعية .

وتؤكد الندوة : ضرورة أن تتولى الدول توفير مثل هذه الخدمات لرعاياها المحتاجين إليها من ذوي الدخول المتواضعة ؛ نظراً لارتفاع تكاليف إنتاجها .

ويرى الفقهاء المسلمون : أنه لا يجوز استعمال الهندسة الوراثية في الأغراض الشريرة والعدوانية، أو في تخطي الحاجز الجيني بين أجناس مختلفة من المخلوقات قصد تخليق كائنات مختلفة الخلقة بدافع التسلية أو حب الاستطلاع العلمي .

كذلك يرى الفقهاء المسلمون : أنه لا يجوز استخدام الهندسة الوراثية سياسة لتبديل البنية الجينية فيما يسمى بتحسين السلالة البشرية، ولذا فإن أي محاولة للعبث الجيني بشخصية الإنسان، أو التدخل في أهليته للمسؤولية الفردية أمر محظور شرعا.

ويحذر الفقهاء المسلمون : من أن يكون التقدم العلمي مجالاً للاحتكار، وأن يكون الحصول على الربح هو الهدف الأكبر، مما يحول بين الفقراء وبين الاستفادة من هذه الإنجازات، ويؤيدون توجُّه الأمم المتحدة في هذا المجال إلى إنشاء مراكز لأبحاث الهندسة الوراثية في الدول النامية، وتأهيل الأطر البشرية اللازمة، وتوفير الإمكانيات اللازمة لمثل هذه المراكز.

ولا يرى فقهاء المسلمين حرجا شرعيا في استخدام الهندسة الوراثية في : حقل الزراعة، وتربية الحيوان، ولكن الندوة لا تهمل الأصوات التي حذرت مؤخرا من احتمالات حدوث أضرار على المدى البعيد تضر بالإنسان أو الحيوان أو النبات أو البيئة.

ويؤكد فقهاء المسلمين : أن على الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية ذات المصدر الحيواني أو النباتي : أن تبين للجُمهور فيما يعرض للبيع ما هو محضّر بالهندسة الوراثية أو هو طبيعي مائة بالمائة ؛ ليتم استعمال المستهلكين لها عن بينة. كما توصي الندوة الدول باليقظة العلمية التامة في رصد تلك النتائج، والأخذ بتوصيات وقرارات منظمة الأغذية والأدوية الأمريكية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأغذية العالمية في هذا الخصوص.

## ٨ - الكشف على الجنين قبل الانغماس في الرحم :

أثار هذا الموضوع مناقشات واسعة وأخذ وقتا كبيرا من الباحثين لاختلاف الرؤى؛ فهذا الكشف يهدف إلى معرفة جنس الجنين والتعرف



على وجود خلل مرضى في الجينات . وتستخدم هذه التقنية على أطفال الأنابيب قبل وضعهم في الرحم وعلى الحوامل بالطريق الطبيعي .

(يؤدى هذا إلى معرفة جنس الجنين فهل التحكم في جنس الجنين حلال أم حرام في الأديان السماوية والعلمانية؟).

### الديانة المسيحية :

- لا تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بطفل الأنابيب كما سبق وأشرنا إلى ذلك .

- أما عن الاختبارات نفسها فإن الكنيسة الأرثوذكسية تتحفظ عليها كثيرا، فرغم أنها لا تخالف الأخلاق إلا أن سبب التحفظ عليها هو عدم دقتها مما قد يؤدي إلى اتخاذ قرارات خاطئة، لكن طُرح سؤال مهم هو، هل اختيار الأجنة السليمة للاستعمال وإلقاء المريضة أمر أخلاقي في حق الأجنة؟ كما أن هذه الاختبارات تمثل خطرا على حياة الجنين بسبب الطريقة نفسها أو قد تؤدي إلى إصابة الجنين بتشوه وهذا أمر مرفوض من الكنيسة الأرثوذكسية.

وقد تكتشف أن الجنين مصاب بمرض عضال لا علاج له في الوقت الحاضر مما قد يضع الأسرة كلها في حالة نفسية سيئة قبل موعد الولادة، وقد يؤدي هذا إلى أن تتخذ الأسرة قرارا بالإجهاض وهذا أمر لا تقره الكنيسة الأرثوذكسية.

ولا تسمح الكنيسة بالاختبارات على الجنين قبل الولادة لأنها تسبب تميزا بين إنسان وإنسان.

وللسبب نفسه تمنع الكنيسة الكاثوليكية التشخيص المبني على الأدلة الجينية الوراثية فلا تستطيع أن ترفض إنسانا لأنه مختلف عما كنا نتوقعه .

أما إذا كانت الاختبارات ستؤدي إلى تقديم علاج للجنين وهو في المراحل الأولى فليس هناك مانع من ذلك.

ولا يجوز إجراء الأبحاث على الأجنة إطلاقاً حتى ولو كانت ذات عائد على المجتمع أو العلم سواء كان ذلك على الجنين في الرحم أو خارجه.

### الشريعة اليهودية :

كسياسة عامة ترى التقاليد اليهودية أن الفحص قبل الحقن مسألة استثنائية، نظراً لعلاقته الوثيقة بحالات الإجهاض مع أن الشريعة اليهودية تعد مرحلة النمو قبل الجنين حياة إنسانية. إن استخدامها قبل الحقن أمر مفوض للوالدين بصفة أنهما أوصياء عليه بهدف تفادي إنجاب طفل معوق أو مريض بمرض لا علاج له.

أما إذا استخدمت هذه التقنية بطريقة تؤذي الطفل حتى لو كان الوالدان لا يعتقدان ذلك عن حسن نية فإن هذا السلوك يعتبر خرقاً للقانون اليهودي ويحق لأي محكمة يهودية أن تتدخل لمنعه.

### الإسلام :

١ - الأبحاث العلمية على النطف والبويضات بهدف تشخيص الاختلالات الجينية مسموح بها. وينبغي مراعاة المعايير الأخلاقية الإسلامية المعتمدة من خلال لجان أخلاقيات المهن الطبية التي تضم في عضويتها اختصاصيو الطب والعلوم الحياتية مع علماء الفقه الإسلامي. وتتضمن هذه المعايير منع استعمال أساليب التلقيح المرفوضة شرعاً. فالحصول على النطف لهذه الأبحاث يجب أن يتم لأغراض مقبولة أخلاقياً، كأن تجرى لأشخاص لديهم تاريخ شخصي أو عائلي معروف لأمراض أو اختلالات جينية، مثل تكرار

الإجهادات، والأجنة المشوهة أو المعتلة وأمراض وراثية معينة وينبغي للفريق الطبي أن يجري التوازنات بين مخاطر الإجراءات التشخيصية من جهة وبين مخاطر المرض أو الاختلال المراد منعه أو التقليل من مشاكله من جهة أخرى.

٢ - البويضات الملقحة في مختبرات المساعدة على الإنجاب :

أ - لا يكون لهذه اللقائح اعتبارها أجنة بشرية إلا إذا أعيدت وزرعت في رحم الأم.

ب - يباح إجراء الأبحاث عليها سعياً وراء تشخيص ودراسة الأمراض والاختلالات الوراثية، وذلك في حدود الضوابط الشرعية المحددة آنفاً. وينطبق ذلك على البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة في مختبرات المساعدة على الإنجاب.

ج - يباح للفريق الطبي ألا يعيد إلى رحم الأم أية بويضات ملقحة إذا تأكدت إصابتها بأمراض وراثية معينة.

د - يباح استعمال العلاج بالمورثات (Gene therapy) وذلك بإضافة جينات سليمة لاستبدال جينات ممرضة، لمنع إصابة الجنين بأمراض وراثية معينة، بشرط عدم التدخل في الصفات الجينية العادية غير الممرضة، مثل الطول ولون الشعر أو لون العينين وغيرها.

هـ - يباح إجراء التجارب على البويضات الملقحة في المختبرات للتعرف على جنس الجنين بهدف استعمال البويضات الملقحة السليمة وتجنب الإصابة بأمراض وراثية، لدى إرجاع البويضات إلى رحم الأم.

أما التعرف على جنس الجنين بهدف اختيار جنس معين، دونما سبب طبي معروف، فقد كان هناك إجماع على عدم جوازه إذا كان على مستوى الأمة وسيأتي تفصيله فيما بعد.

## الرأي العلماني :

الجنين عبارة عن كرة من الخلايا الحية غير المتميزة ولها القدرة على الحياة، ويمكن إجراء الاختبارات عليها واختيار أفضلها، فليس من العدل أن نضر أنفسنا وأن يأتي إلى الحياة أطفال مرضى بأمراض ليس لها علاج ولم يكونوا طرفا فيها.

لكن هذا الأمر سيتسبب في أمور كثيرة قد لا تكون واضحة للعيان: فسيؤدي ذلك إلى ظهور نوع من الجينات في المجتمعات قد تؤدي إلى العنصرية الصحية، كما أن ذلك يعكس أمرا خطيرا وهو عدم وجود حقوق أخلاقية للمعوقين أو على الأقل للأجنة المعاقة وقلة احترامهم.

كما سيؤدي ذلك إلى اختيار نوع الجنس مما سترتب عليه زيادة حالات الإجهاض كما هو الحال في الهند والصين عند معرفة أن الجنس القادم أنثى، وهذا يعني انتقاص حقوق الإنسان في المجتمعات.

وعلى الرغم من هذا فإن أغلب المجتمعين وافقوا على إجرائها في الحالات الحادة - في العائلات والمجتمعات التي تنتشر فيها أمراض خاصة ولتقديم النصح للمقبلين على الزواج.

## ٩ - اختيار الجنس :

اختيار الجنس يتم فقط إذا تم الإخصاب خارج الرحم أي في طفل الأنابيب حيث لا مجال له إذا كان الطفل داخل الرحم وهذه التقنية تؤدي إلى :

التعرف على جنس الجنين والذي عن طريقة يمكن معرفة مدى إصابة الجنين بأحد الأمراض التي قد تكون متنحية لدى أحد الجنسين

لتفادي إدخال الجنين المصاب إلى الرحم وانتقاء الصحيح طالما كان ذلك ممكنا.

### الشريعة اليهودية :

#### اختيار جنس الجنين :

ترى الشريعة اليهودية أن اختيار جنس الجنين أتفه من أن يستخدم من أجله الفحص قبل الحقن في الرحم إذا كان الوالدان معوقين صحيا ولا تبيحه الشريعة اليهودية .

وتبيح الشريعة اليهودية استخدام هذه الاختبارات في الحالات الآتية :

(١) إذا كان أحد الأبوين مصابا بمرض ما ويجب تفادي إنجاب الجنس المصاب نفسه .

(٢) لتفادي مرض ما يمكن أن يظهر بعد الولادة بسنين .

(٣) إذا دلت نتائج الاختبارات على أن الزوج والزوجة يحملان جينا معينا مثل [تاي ساخذ] المنتشر بين اليهود فإن احتمال إنجاب طفل مصاب بهذا المرض الخطير يصل إلى ١٠٠٪ وفي هذه الحالة على الفريق الطبي تقديم النصح وفحص الجنين داخل بطن أمه فإن وجد أنه مصاب فإن الحل هو الإجهاض ويفضل نصح الزوجين بعدم الإنجاب، وان كان أحد الزوجين مصابا فقط بهذا الجين فعلى الفريق الطبي نصح الزوجين بأن احتمال إنجاب أطفال مصابين بالمرض يصل بنسبة ١ لكل ٣٦٠٠ ومن ثم يجب إرشادهم إلى ضرورة فحص الأبناء إذا جاؤوا غير مصابين .

#### الإجهاض :

الإجهاض غير مبرر تحت دعاوي الخوف من إنجاب طفل مصاب

بتشوه خلقي أو إعاقة ذهنية وهناك إجماع بين الحاخامات على عدم جواز الإجهاض بعد الأربعين يوما من الحمل إلا إذا كان ذلك يشكل خطرا على حياة الأم.

كما لا يجوز الإجهاض بسبب جنس الجنين.

### تحديد الجنس :

في التعاليم اليهودية يجد المجتمع مبررات كافيه لعدم إجراء عملية تحديد جنس الجنين على نطاق واسع ولو كان من المقدر شيوع عمليات تحديد الجنين فيحق للمجتمع المطالبة باتخاذ تدابير معينة لضمان بقاء معدلات المواليد في كل من الذكور والإناث متساوية.

### الرأي الإسلامي حول اختيار الجنس :

اتفقت وجهات النظر الشرعية على عدم جواز التحكم في جنس الجنين إذا كان ذلك على مستوى الأمة.

أما على المستوى الفردي : فإن محاولة تحقيق رغبة الزوجين المشروعة في أن يكون الجنين ذكرا أو أنثى بالوسائل الطبية المتاحة لا مانع منها شرعا عند بعض الفقهاء المشاركين في الندوة في حين رأى غيرهم عدم جوازه خشية أن يؤدي ذلك إلى طغيان جنس على جنس .

كما أن اختيار الجنين السليم خلال طالما تم ذلك قبل إدخاله في الرحم إذا كان رأي الأطباء جازما بأن الجنين من جنس معين سوف يصاب بمرض وراثي خطير وذلك عملا بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات.

## ١٠ - إجراء الأبحاث على الأجنة :

### الكنيسة الأرثوذكسية

رفضت المبدأ من ناحية أنها حرمت طفل الأنابيب كما ذكر سابقا أما إذا كان في الرحم نتيجة حمل بحسب الشريعة المسيحية فإن إجراء الأبحاث محرم تحريما كاملا حتى إذا كانت تلك الأبحاث لها مردود علمي أو فائدة للمجتمع .

### الكنيسة البروتستانتية :

لم توافق على إجراء الأبحاث حتى الآن ولكن الجدل مستمر في مدى مشروعية إجراء الأبحاث على الأجنة الفائضة عن الحاجة أو تلك التي في الرحم . ويتجه رأي الكنيسة إلى أن الأمر متروك لأصحاب الأجنة الفائضة عن الحاجة لاتخاذ القرار .

بينما أبحاث الكنيسة البروتستانتية التبرع بهذه الأجنة الفائضة للأزواج المحرومين وليس لديهم القدرة على إنتاج أجنة على ألا يتقاضى نظير ذلك أية مكافآت مادية أو هبات عينية .

### الرأي الإسلامي :

أباح إجراء الأبحاث على الأجنة الفائضة بهدف الوصول إلى علاج للأمراض المستعصية وليس لمجرد اللهو والعبث بها أو تركها لمصيرها ولا يجوز التبرع باستخدامها في أرحام أخرى فذلك محرم في الإسلام .

## ١١ - الخلايا الجذعية والاستنساخ :

أثار موضوع الخلايا الجذعية والاستنساخ مناقشات واسعة ومستفيضة تراوحت بين التفاؤل الكبير بما ستقدمه الخلايا الجذعية

لأنماط العلاج وبخاصة الخلل الذي يصيب بعض الأعضاء مثل القلب والكلى والبنكرياس . . . وغيرها والرفض الكامل لهذه التقنية واعتبارها أمرا محرما من حيث طريقة العمل فيها أو نتائجها والنظر إليها على أنها تدخل في مشيئة الله .

ومصادر الخلايا الجذعية هي الخلايا الجذعية الجنينية والخلايا الجذعية البالغة (من البالغين) والأخيرة أُجري العديد من الأبحاث عليها إلا أن نتائجها لا تبشر بآمال كثيرة لأنها من ناحية قليلة والحصول عليها صعب كما أنها موجودة في النخاع الشوكي والدم ومني الرجل وتلك الخلايا الجذعية لا تتمايز إلا لإنتاج الدم ولا تنتج أنسجة أخرى والخلايا الجذعية بالمني لا تتمايز إلا لإنتاج مني فقط بينما الخلايا الجذعية الجنينية تحظى باهتمام كبير للإمكانيات الكبيرة التي تتمتع بها من ناحية الانقسام والتمايز وعدم نضوج الجهاز المناعي داخلها فلا تسبب أية أعراض للرفض أو غيرها .

ولنجاح استخدام الخلايا الجذعية لابد أن تتوافر ثلاثة شروط وهي : أن تستقر في الأنسجة المضيفة، وأن تصبح من نفس نوع هذه الأنسجة، وأن تجدد هذه الأنسجة .

لكن الأمر الذي أثار المناقشات هي المصادر التي يمكن الحصول منها على تلك الخلايا ولعل أهم مصدر لها هي الخلايا الجنينية في مراحلها الأولى حيث هي مصدر غني لتلك الخلايا، والأجنة المجهضة سواء أكان ذلك الإجهاض عمدا أو لأسباب مرضية أي تلقائيا، والمشيئة .

ودارت المناقشات حول إمكانية استخدام الأجنة المناسبة الناتجة عن طفل الأنابيب - أو الإجهاض العمدا أو التلقائي . . .



## الكنيسة الأرثوذكسية :

لم توافق من ناحية المبدأ على استخدام أجنة أطفال الأنابيب لهذا الغرض لأنها لم توافق على مبدأ طفل الأنابيب، ولم توافق على الإجهاض المتعمد إلا إذا كان في استمرار الحمل مخاطر صحية شديدة على الأم حيث إن حرمة الجنين تبدأ منذ لحظة الإخصاب لأن التلاعب بالجينات البشرية حتى وإن كان يهدف إلى تحسين صحة الإنسان يخاطر بانتهاك شيء مقدس داخل الطبيعة الإنسانية، وهم ينظرون إلى هذا الموضوع بخوف من تصور أن يقوم الإنسان بدور الله أي يجب أن نمنع المجتمع من أن يتصور أنه يمكننا أن نحسن أنفسنا عن طريق التكنولوجيا الوراثية وبخاصة الاستنساخ وعلاجات الخلايا الجذعية ويجب أن نستشعر قيمة ما منحتنا الطبيعة بما في ذلك أوجه النقص والقصور فينا.

وهذا الأمر هو الذي انعكس في بيان السياسة الأمريكية الرئاسي الصادر في التاسع من أغسطس ٢٠٠١ الذي يسمح بأبحاث الخلايا الجذعية على أن تكون في المجالات نفسها التي بدأت بالفعل، وقد صدر هذا البيان بعد أن قابل الرئيس بوش الثاني البابا يوحنا بولس الثاني.

وهناك بعض المسيحيين الكاثوليك ينظرون إلى أبحاث الخلايا الجذعية من مبدأ النفعية أي ما يعود على البشرية من فوائد نتيجة استخدام هذه التكنولوجيا؛ ومن ثم فإنهم يدينون المعارضين لهذه التكنولوجيا وتأخير دعمها ويحملونهم المسؤولية تجاه هؤلاء الذين كان من الممكن شفاؤهم ولكن لم يحدث ذلك بسبب تلك المعارضات.

## الشرية اليهودية :

هناك مبدأ في اليهودية هو أن تكون أولاً تكون، ويعني هذا أن على الإنسان أن يساعد الله في إصلاح وتغيير عالم خرب وهذا يعطي

دعما لاهوتيا للأبحاث العلمية عامة وللأبحاث الطبية على وجه الخصوص .

إن اللاهوت اليهودي يرى أن الله لم يفرغ بعد من عملية الخلق ويجب علينا ان ننظر إلى المستقبل لا إلى الماضي حتى نميز إرادة الله .

من جانب آخر فإن الشريعة اليهودية لا تعتد بالجنين قبل أربعين يوما وتوافق على أخذ كل ما هو متعلق بمراحل تكوين الجنين قبل الأربعين يوما لأنها لا تعتد به كإنسان إلا بعد الأربعين يوما . ومن ثم فهي لا ترى أن نمو الجنين خلال الأربعين يوما الأولى من الحمل يجعل منه إنسانا تنبغي حمايته . لذلك لا يعتبر استخدام مثل هذه الأجنة للحصول على خلايا جذعية لغرض البحث العلمي عملا من أعمال إهلاك الحياة ، ولا يصنف مثل هذا الاستخدام على انه إجهاض ولذلك يجب أن تلقى الأبحاث في هذا المجال كل تأييد ومساندة وهذا القرار يقتصر الآن على الخلايا الجذعية المأخوذة من أجنة أطفال الأنابيب ، والقرار مبني على افتراض أن هذه الأجنة موجودة بالكمية الكافية التي تسمح بالاستمرار في أبحاث الخلايا الجذعية أما إذا كانت الكمية غير كافية فيجب إعادة النظر فيما يغطي هذا القرار من مجالات .

### الإجهاض :

إذا تم قبل الأربعين يوما لا يعد إجهاضا، لكن إذا تم بعد أربعين يوما يعد إجهاضا تحرمه الشريعة اليهودية ما لم تكن حياة الأم في خطر .

### الرأي الإسلامي :

### الخلايا الجذعية :

في شأن الخلايا الجذعية وهي خلايا المنشأ التي يخلق منها الجنين، ولها القدرة بإذن الله في تشكيل مختلف أنواع خلايا جسم

الإنسان فالإسلام لا يرى مانعا حيث تمكن العلماء حديثاً من التعرف على هذه الخلايا وعزلها وتنميتها بهدف العلاج وإجراء التجارب العلمية، لاستخدامها في علاج بعض الأمراض ويتوقع أن يكون لها مستقبل وأثر كبير في علاج كثير من الأمراض والتشوهات الخلقية لبعض أنواع الأمراض كالسرطان والبول السكري، والفشل الكلوي والكبدى وغيرها، ويمكن الحصول على هذه الخلايا من مصادر عديدة منها:

١ - الجنين الباكر في مرحلة الكرة الجرثومية (البلاستولا) وهي الكرة الخلوية الصانعة التي تنشأ منها مختلف خلايا الجسم، وتعتبر اللقائح الفائضة من مشروعات أطفال الأنابيب المصدر الرئيس، كما يمكن أن يتم تلقيح متعمد لبويضة من متبرعة وحيوان منوي من متبرع للحصول على لقيحة وتنميتها إلى مرحلة البلاستولا، ثم استخراج الخلايا الجذعية منها.

٢ - الأجنة السقط في أي من مراحل الحمل.

٣ - المشيمة أو الحبل السري.

٤ - الأطفال والبالغون.

٥ - الاستنساخ العلاجي، وتؤخذ خلية جسدية من إنسان بالغ، ويتم استخراج نواتها ودمجها في بويضة مفرغة من نواتها، يهدف الوصول إلى مرحلة البلاستولا، ثم الحصول منها على الخلايا الجذعية.

وقد تضمن قرار مجمع الفقه الإسلامى بجدة في هذا الشأن ما

يلي :-

أولاً : يجوز الحصول على الخلايا الجذعية وتنميتها واستخدامها، بهدف العلاج، أو لإجراء الأبحاث العلمية المباحة، إذا كان مصدرها مباحاً، ومن ذلك على سبيل المثال المصادر الآتية :

١ - البالغون إذا أذنوا، ولم يكن في ذلك ضرر عليهم.

- ٢ - الأطفال إذا أذن أولياؤهم، لمصلحة شرعية، وبدون ضرر عليهم.
  - ٣ - المشيمة أو الحبل السري، بإذن الوالدين.
  - ٤ - الجنين المسقط تلقائياً أو لسبب علاجي يجيزه الشرع، ويأذن الوالدين مع التذكير بما ورد في القرار السابع لمجمع الفقه الإسلامي بجدة في دورته الثانية عشرة، بشأن الحالات التي يجوز فيها إسقاط الحمل.
  - ٥ - اللقائح الفائضة من مشاريع أطفال الأنابيب إذا وجدت وتبرع بها الوالدان مع التأكيد على أنه لا يجوز استخدامها في حمل غير مشروع.
- ثانياً : لا يجوز الحصول على الخلايا الجذعية، واستخدامها، إذا كان مصدرها محرماً، ومن ذلك على سبيل المثال :
- ١ - الجنين المسقط عمداً بدون سبب طبي يجيزه الشرع.
  - ٢ - التلقيح المتعمد بين بويضة من متبرعة وحيوان منوي من متبرع.
  - ٣ - الاستنساخ الإنجابي.

### الإجهاض :

الإجهاض هو : إلقاء المرأة حملها ناقص الخلق بغير تمام، وقد يكون طبيعياً؛ لضعف المرأة عن الحمل مثلاً، وقد يكون غير طبيعي كحدوثه بفعل فاعل، وكثيراً ما يعبر الفقهاء عنه بالإسقاط، أو الطرح، أو الإلقاء، أو الإملاص.

### الرأي الفقهي الذي اختارته المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وحديثاته :

اختارت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في ندوتها الأولى : "الإنجاب" سنة ١٩٨٣ بشأن الإجهاض : الاتجاه الذي يرى جواز الإجهاض قبل نفخ الروح في حال الضرورة الطبية القصوى.

ثم أكدت المنظمة هذا الاختيار في ندوتها الثانية : " الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها " سنة ١٩٨٥ م ولم تنته المنظمة في ندوتها الرابعة : " السياسة الصحية الأخلاقيات والقيم " سنة ١٩٨٨ إلى أي توصيات مع مدارستها لبحوث في الإجهاض حيث جاء في توصيات ندوة الإنجاب سنة ١٩٨٣ ما يلي :

" استعرضت الندوة آراء الفقهاء السابقين وما دلت عليه من فكر ثاقب ونظر سديد وأنهم أجمعوا على تحريم الإجهاض بعد نفخ الروح - أي بعد أربعة أشهر - وأن آراءهم في الإجهاض قبل نفخ الروح اختلفت، فمنهم من حرم بإطلاق أو كراهة، ومنهم من حرمه بعد أربعين يوماً وأجازه قبل الأربعين على خلاف في وجوب وجود العذر .

وقد استأنست الندوة بمعطيات الحقائق الطبية المعاصرة والتي بينها الأبحاث والتقنية الطبية الحديثة فخلصت إلى أن الجنين حي من بداية الحمل، وأن حياته محترمة في كافة أدوارها - خاصة بعد نفخ الروح - وأنه لا يجوز العدوان عليه بالإسقاط إلا للضرورة الطبية القصوى، وقد خالف بعض المشاركين فرأى جوازه قبل تمام الأربعين يوماً، وخاصة عند وجود الأعذار " .

كما جاء في توصيات ندوة الحياة الإنسانية سنة ١٩٨٥ ما يلي :

" منذ يستقر الحمل في بدن المرأة فله احترام متفق عليه ويترتب عليه أحكام شرعية معلومة .

وإذا بلغ الجنين مرحلة نفخ الروح (على خلاف في توقيته إما مائة وعشرون يوماً أو أربعون يوماً) تعاطمت حرمة باتفاق، وترتبت على ذلك أحكام شرعية أخرى .

ومن أهم تلك الأحكام : أحكام الإجهاض التي وردت في الفقرة السابعة من توصيات ندوة الإنجاب في ضوء الإسلام " .

## الرأي العلماني :

يرى أنه لا حرج في استخدام الأجنة الفائضة عن الحاجة وكذلك المجهضة سواء بطريقة متعمدة إذا كانت قبل تكوين النخاع الشوكي ... أو وافق الزوجان على ذلك ومن باب أولى الأجنة المجهضة تلقائيا دون تقديم دعم مالي .

لكن هناك أسئلة طرحت ولم تجد إجابات شافية لها مثل .

١ - العدالة . . . . هل سيستفيد المتبرعون بالأجنة بالعائد من الأرباح؟

٢ - ما مدى استفادة سكان العالم الثالث من تلك الأبحاث وما العائد منها علميا وماديا؟

٣ - تأثير أبحاث الخلايا الجذعية على النساء . . . سيؤدي إلى الإسراف في عمليات التبويض للحصول على كميات كافية فما مدى الآثار السلبية على صحة النساء؟

٤ - هل سيتم توظيف نساء العالم الثالث للتبويض وللاستغلال؟

٥ - هل سينتهي الأمر إلى أن ينشأ استغلال اقتصادي داخل مجال الأبحاث؟

## ١١- الاستنساخ :

يقصد بالاستنساخ هنا نقل خلية جسدية (Somatic Cell) إلى بويضة منزوعة الخلية ومساعدتها على الانقسام وهو ما تم في النعجة دوللي الذي أنتجها العالم الانجليزي ايان والامت .

وهذا النوع من الاستنساخ ينقسم إلى قسمين علاجي وإنجابي .

الاستنساخ العلاجي : يقصد به استخدام الخلايا الجذعية لتنميتها واستخدامها لإنتاج الأنسجة المختلفة أو حقنها في الأعضاء المختلفة

لإنتاج أنسجة تستخدم بدلا من الأنسجة المعطوبة في الأعضاء المختلفة .

**الاستنساخ الإنجابي :** يقصد به تخليق إنسان كامل على غرار ما حدث في إنتاج النعجة دوللي أو غيرها من الكائنات الأخرى .

وبالنسبة للأخير فإن جميع الأديان السماوية رفضته جملة وتفصيلا لأن ذلك فيه تعد على كرامة الإنسان ثم إن هؤلاء الأطفال الذين وجدوا عن طريق هذه التقنية لم يؤخذ رأيهم في هذا الأمر وليس لهم هوية ولا يعرفون لهم أبا ولا أسرة وسيعانون من الوصمة الاجتماعية كما أن هؤلاء الأطفال قد يأتون بأشكال وصفات وأمراض خطيرة سببها لهم هذه التقنية .

### الرأي العلماني :

يرى حظر الاستنساخ الإنجابي حفاظا على كرامة الإنسان على ألا يشمل ذلك الحظر الأبحاث على الحيوانات بهدف الوصول إلى علاجات للأمراض التي ليس لها علاج حتى الآن .

### الشرعية اليهودية :

#### الاستنساخ :

#### الاستنساخ الإنجابي :

الشرعية اليهودية لا تعترض على استنساخ الحيوانات فهو لا يمثل أية مشكلة أيدولوجية أو مشكلة من الناحية الشرعية وهذا يعني قبول الشرعية اليهودية بالتكاثر اللاجنسى .

ولكن لا يمكن القول بهذا فيما يتعلق باستنساخ البشر، ولكنها

أبحاثه (الاستنساخ البشري) في حالات الضرورة القصوى مثل الطفل المصاب بالسرطان ويحتاج إلى أخ يماثله لإنقاذ حياة الأول.

### الاستنساخ العلاجي :

تنظر الشريعة اليهودية إلى الاستنساخ العلاجي بترحاب وقبول شديدين لأنه سيقدم حلولاً طبية لكثير من الأمراض المستعصية وتكوين الأنسجة للأعضاء المعطوبة.

### الرأي الإسلامي :

يرفض الرأي الإسلامي الاستنساخ الإنجابي رفضاً تاماً أما الاستنساخ للخلايا الجذعية فقد سبق وذكرناه تحت الخلايا الجذعية للأديان الثلاثة والعلمانية.

وأباح الاستنساخ في مجالي الحيوان والنبات لخدمة الإنسان في زيادة اللحوم والألبان وكذلك في النبات لزيادة إنتاجيته ووقايته من الأمراض والأنواء الجوية بشرط التأكد من صلاحيته وخلوه من الأضرار التي يمكن أن تؤدي إلى الإضرار بالإنسان أو الحيوان أو النبات خاصة من ناحية التكاثر الحيواني أو خلق أصناف جديدة قد تسبب أعراضاً جانبية مثل الحساسية أو تؤثر على حياة الإنسان.

### ١٢ - خلط الجينات بين الفصائل المختلفة :

عملية التهجين قديمة قدم استخدام الإنسان للنبات، فقد قام بخلط بعض النباتات مع بعضها البعض لإنتاج ثمار قد تكون خليطاً من الفصيلة النباتية ولكن بعد اكتشاف الجينات ومعرفة كثير من خواصها وصفاتها بدأ ظهور نقل جينات حيوانية للنباتات لإضفاء صفات جديدة عليها مثل مقاومة نوع معين من الحشرات أو البرودة إلى غير ذلك من الصفات الجديدة . . . . . ، كما أن الأبحاث بدأت تراود الإنسان لمعرفة



آثار الأدوية على خلايا المخ فبدأت أبحاث لحقن فئران بجينات معينة لدراسة سلوكها وتأثير الخلايا ودراسة أمراض كثيرة . . . ، وامتد الأمر إلى خلط جينات حيوانية من فصائل مختلفة لإكسابها صفات جديدة وأشكال لم تكن معهودة.

### الرأي المسيحي :

رفض هذه الممارسات لأن الله خلق هذه الأنواع بصفاتها وتمايزها عن بعضها البعض.

لكن اليهودية والعلمانية لم يناقشا الموضوع وكذلك العلمانية لم تبد رأياً تجاهه بينما ذكر الرأي الإسلامي تحت موضوع.

### الرأي الفقهي الذي اختارته المنظمة وحيثياته في الندوة الثانية عشرة ١٩٩٨م:

أقرت المنظمة إمكانية استخدام الهندسة الوراثية في النبات والحيوان مع مراعاة ثلاثة أمور :

الأمر الأول : التحذير من حدوث أمراض على المدى البعيد تضر بالإنسان أو بالبيئة.

الأمر الثاني : في حالة وجود نباتات أو ثمار أو غيرها أو منتجات حيوانية لاستعمالها في الطعام فإن ذلك يستوجب الإبانة عن المصدر النباتي أو الحيواني هل هو طبيعي أو معالج وراثياً؟ وكذلك نسبة المعالجة ؛ لتبصير المستهلكين بالحقيقة.

الأمر الثالث : النصح بشأن الغذاء الحيواني والنباتي المهندس وراثياً بأخذ توصيات وقرارات منظمة الأغذية والأدوية الأمريكية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأغذية العالمية، بعين الاعتبار وقد دعت الندوة إلى إنشاء مؤسسات لحماية المستهلك وتوعيته.

أما الأخطار التي تتعلق بتطبيقات الهندسة الوراثية في النبات والحيوان والأحياء الدقيقة فمنها : عدم وجود ضوابط في المجتمع العلمي تضمن عدم اللعب الوراثي لسلامة الحيوانات، فبعض الحيوانات المحورة وراثيا تحمل جينة غريبة يمكن أن تعرض الصحة البشرية أو البيئة للخطر .

ولعل هذا يحتاج إلى دراسة موسعة في ندوة خاصة حول هذا الأمر .

وفي نهاية الندوة عبر المشاركون عن امتنانهم وشكرهم للمنظمة والجهات الأخرى الراعية للندوة واستعدادهم للمشاركة في ندوات قادمة للتعارف والتقارب ومناقشة الآراء المختلفة تحت مظلة علمية يسودها الحب والإخاء وتدعو إلى الإسلام .

وأصدرت الندوة في ختام أعمالها البيان التالي : -

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع رسل الله وأنبيائه .

يمر العالم اليوم بثورة علمية هائلة في شتى العلوم التطبيقية والتكنولوجيا وهو يشق طريقه في هذا المجال بشغف ونهم ويواصل مبتكراته واكتشافاته بصورة مذهلة ؛ لكنه في هذا الزخم من التقدم الهائل والإنجازات العظيمة والمكتسبات العلمية المتسارعة، لم يعد في الغالب يلتفت إلى قيم وأخلاق ومبادئ سامية في نطاق الأبحاث والتجريب والتطبيق، كما أن البعض لم يعد يقيم وزناً للمثل العليا والرموز الشامخة في العالم كما حدث في الدنمارك عندما تصدت إحدى الصحف هناك لمقام الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالسخرية والاستهزاء وتبعتها صحف في دول أخرى، مما أوجب مشاعر الألم في العالم الإسلامي قاطبة وحرك فيه نوازع السخط والغضب، وكان ذلك التصرف المشين محل استنكار واستهجان من عدد كبير من غير المسلمين .

والندوة إذ تعبر عن شديد أسفها لكون حرية الصحافة قد أصبحت تتخذ منطلقاً للهجوم والسخرية من رمز عظيم ونبي كريم، له وإخوانه جميع رسل الله وأنبيائه مكانة كبرى لا تدانيها مكانة في قلوب كافة المسلمين . فإن الندوة تشجب وتستنكر التعرض لأي منهم بالتناول أو التعريض أو النقد أو أي وسيلة أخرى مهما كانت المبررات ومهما يكن الهدف منها .

وبالنظر إلى ما يشعر به المشاركون في الندوة من أهمية تدارس القضايا المصيرية التي تتعلق بحياة الإنسان فقد بادرت الندوة بطرح موضوع " الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها واستعراض رؤية الأديان السماوية ووجهات النظر الأخرى " .

لاسيما وأن النصف الأخير من القرن العشرين قد شهد تطوراً هائلاً في مجال العلوم عامة والعلوم الطبية والبيولوجية بوجه خاص، فظهرت آفاق جديدة وواسعة في مجال الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والاستنساخ، وسيشهد القرن الحادي والعشرون آفاقاً أكثر اتساعاً من التطبيقات العلمية لاسيما على الإنسان.

وقد أثارت هذه الاكتشافات جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية والدينية والأخلاقية بين مؤيد لها جميعاً ورافض لبعض منها، ومتحفظ حذرٍ وحائرٍ.

وانطلاقاً من حرص [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] على ضرورة دراسة مثل هذه المستجدات للتعرف على آراء العلماء المتخصصين في هذه المجالات المستحدثة، وتعريف العلماء من كل الأديان والمعتقدات بها، وإسماع وجهات نظر كل فريق منهم إلى نظرائهم في الفرق الأخرى، بُغية الوصول إلى صورة صحيحة للمسائل المستجدة في كل فرع من فروع هذه العلوم، فقد رأت المنظمة أن أفضل السبل لتحقيق ذلك، هو التعاون في هذا الصدد مع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، ومع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومع المجلس الدولي لمنظمات العلوم الطبية CIOMS، لعقد ندوة عالمية يدعى لها نخبة من أتباع الأديان السماوية، ومن الفلاسفة والعلمانيين، لمناقشة جملة من هذه المواضيع تحت عنوان «الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها، رؤية الأديان السماوية ووجهات النظر العلمانية».

وقد تمّ بحمد الله وتوفيقه، عقُد هذه الندوة بالقاهرة في الفترة ما بين ٧ إلى ١٠ محرم ١٤٢٧ هجرية الموافق من ٦ إلى ٩ شباط/فبراير ٢٠٠٦ في قاعة الكويت بمقر المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية وبرعاية كريمة من معالي وزير الصحة الأستاذ الدكتور حاتم الجبلي

وبحضور فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور شيخ الجامع الأزهر محمد سيد طنطاوي، ومجموعة من العلماء العاملين من سائر البلدان العربية والإسلامية، وبمشاركة العديد من العلماء الأعلام المشهورين في التخصصات المختلفة من علماء البلدان الإسلامية، وعلماء الأديان السماوية، وغيرهم من فلاسفة واجتماعيين وعلماء نفس وسياسيين ومن أصحاب القرار بلغ عددهم ما يقارب (١٥٠) مشاركاً وذلك لتدارس هذه الموضوعات المختلفة وانعكاساتها على الإنسان من حيث هو إنسان، وآثارها المختلفة من الجوانب المادية والاقتصادية وتبعاتها على الأجيال القادمة، وما يتمخض عنه ذلك كله من مشكلات تلقي بظلالها على المجتمعات الإنسانية في أنحاء المعمورة.

وقد اشتملت الندوة على المحاور التي سبق ذكرها في المقدمة.

وقد دارت المناقشات على مدى أربعة أيام أدلى فيها كل فريق برأيه، في جوّ تسوده الحرية والأخوة والصدقة والاحترام المتبادل، والحرص الصادق على تحرّي الحقيقة وتقبّلها.

ولم يكن خافياً منذ بداية الندوة أن الأمر على جانب كبير من الخطورة، لأنه يمس ((الإنسان)) أشرف المخلوقات في الأرض ويعرّضه لمختلف التجارب التي لا تُعرف مَعْبَتُهَا.

وحرصاً من المساهمين في الندوة على تجنب الوقوع في أية تجاوزات على الإنسان عن قصد أو عن غير قصد، في أثناء التطبيق أو في أثناء التجريب؛ وخشية من وقوع تلك الإنجازات الهائلة في أيدي بعض ذوي النفوس الضعيفة الواقعة تحت شهوة حب الاستطلاع واستجلاء الغامض، ولو كان ذلك على حساب إنسانية الإنسان؛ وتأكيداً على كرامة الإنسان وقدس حياته، وإحاطته بسياج من الأمن والأمان، وتوفير حياة هانئة له لا تخلو من الحد الأدنى من متطلبات الحياة

الكريمة التي تليق بإنسانيته؛ رأت الندوة التوصية بعدم البدء بالتجارب في بحوث الوراثة والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الإنجابية على الإنسان، إلا بعد إحاطة هذه التجارب بالضمانات الكافية، وأخذ الاحتياطات اللازمة وفقاً للمواثيق العالمية والدولية، ومنها الميثاق العالمي الإسلامي للأخلاقيات الطبية والصحية الذي أصدرته المنظمة في عام ٢٠٠٤.

وتأكيداً على التضامن العالمي لمواجهة خطر سوء استخدام تلك الإنجازات، وضرورة إصدار تشريعات عالمية ملزمة للجميع تتوافق مع مبادئ الأديان السماوية وحقوق الإنسان ضمناً لإنقاذ الشعوب الفقيرة من الاستغلال بجعلها حقلاً للتجارب، فقد اتفق المجتمعون على إصدار إعلان المبادئ الآتية:

### إعلان مبادئ

- ١ - الإنسان مخلوق مكرم. والعَبَثُ بمكوّنات الإنسان وإخضاعه لتجارب الهندسة الوراثية بلا هدفٍ مشروع، أمرٌ يتنافى مع الكرامة الإنسانيّة.
- ٢ - لا يفرض الدين أيّ حجر على العقل الإنساني في مجال البحث العلمي البَحْث، ولكن حصيلة هذا البحث ونتائجه لا يجوز أن تنتقل تلقائياً إلى مجال التطبيقات العملية إلا بعد أن تُعْرَضَ على الضوابط الدينية.
- ٣ - إن الحرص على الصحة والتوقّي من المرض مما يُوصي به الدين، والتداوي في أصله مطلوبٌ ديناً، لا فرق في ذلك بين مرض مكتسب ومرض وراثي. ولا يتعارض ذلك مع فضيلة الصبر واحتساب الأجر والتوكّل على الله.
- ٤ - لكلّ إنسان الحقّ في أن تُحترمَ كرامته وحقوقه أيّاً كانت سِمَاتُه الجينية أو صفاته الوراثية.

- ٥ - لا يجوز إجراء أيِّ بحث أو القيام بأيِّ معالجة أو تشخيص على جينوم genome شخص ما، إلا بعد إجراء تقييم صارم ومُسَبَّق، للأخطار المحتملة المرتبطة بهذه الأنشطة، مع الالتزام بالضوابط الدينية والأخلاقية في هذا الشأن، والحصول على القبول المسبق والحر والواعي من الشخص المعني. وفي حالة عدم أهليّته للإعراب عن هذا القبول، يجب الحصول على القبول أو الإذن من وليّه، مع الحرص على المصلحة العليا للشخص المعني.
- ٦ - ينبغي احترام حقِّ كل شخص في أن يقرّر ما إذا كان يريد أو لا يريد أن يُحاط علماً بنتائج أيِّ فحص وراثي يُجرى له، أو بعواقبه.
- ٧ - تُحاط بالسرية الكاملة كافة التشخيصات الجينية المعدّة أو المحفوظة لأغراض البحث أو لأيِّ غرض آخر، ولا تُفَسَّى إلا في الحالات المبيّنة في موثيق الأخلاقيات الطبية حول سرّ المهنة.
- ٨ - لا يجوز أن يُعرّض أيُّ شخص، لأيِّ شكل من أشكال التمييز القائم على صفاته الوراثية، والذي يكون غرضه أو نتيجته التّمييز من حقوقه وحرياته الأساسية أو المساس بكرامته الإنسانية.
- ٩ - لا يجوز لأيِّ بحوث تتعلق بالجينوم البشري، أو لأيِّ من تطبيقات هذه البحوث، ولاسيّما في مجالات البيولوجيا وعلم الوراثة والطب، أن يخرق الالتزام بالضوابط الدينية واحترام حقوق الإنسان، ولا أن يَنْتَقِصَ من الحريات الأساسية والكرامة الإنسانية لأيِّ فرد أو مجموعة أفراد.
- ١٠ - يجوز استعمال الهندسة الوراثية في اتّقاء المرض أو علاجه أو تخفيف أذاه، وكذلك إيداع جين من كائن غير بشري في كائن غير بشري آخر للحصول على كميات كبيرة من إفراز هذا الجين لاستعماله دواءً لبعض الأمراض. وينبغي أن تتولّى الدولة توفير مثل هذه الخدمات لرعاياها المحتاجين إليها من ذوي الدخل المتواضع نظراً لارتفاع تكاليف إنتاجها.

١١ - لا يجوز استعمال الهندسة الوراثية في الأغراض الشريرة والعدوانية، أو في تَحْطِي الحاجز الجيني بين أجناس مختلفة من المخلوقات، قَصْدَ تخليق كائنات مختلطة الخلق، بدافع التسلية أو إشباع حب الاستطلاع العلمي.

١٢ - لا يجوز استخدام الهندسة الوراثية سياسةً لتبديل البنية الجينية فيما يُسمَّى بتحسين السلالة البشرية eugenics ، فأُيِّ محاولة للعبث الجيني بشخصية الإنسان، أو إهدار أهليته للمسؤولية الفردية أمرٌ محظور ديناً.

١٣ - لا يجوز أن يكون التقدّم العلمي مجالاً للاحتكار، ولا أن يكون الحصول على الربح هو الهدف الأكبر لهذه الأنشطة العلمية.

١٤ - لا يجوز القيام بأيّ إجراء تكنولوجي في مجال الإنجاب البشري أو الهندسة الوراثية إذا كان ينطوي على ضرر محقق أو مُرَجَّح. أما إذا كان احتمال الضرر محدوداً فالأولى تحاشيه، ما لم تتوافر المسوّغات الكافية.

١٥ - لا حَرَج من استخدام الهندسة الوراثية في حقل الزراعة وتربية الحيوان، شريطة اتّخاذ أقصى الحيطة لاتّقاء احتمالات حدوث أضرار على المدى البعيد، تضرُّ بالإنسان أو الحيوان أو النبات أو البيئة.

١٦ - من واجب الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية، ذات المصدر الحيواني أو النباتي، أن تبيّن للجمهور في ما يعرض للبيع: ما هو محضّر بالهندسة الوراثية، وما هو طبيعي مئة بالمائة، ليكون استعمال المستهلكين لها عن بيّنة. ومن واجب الدول التحلّي باليقظة العلمية التامة في رصد تلك النتائج، والأخذ في الوقت نفسه بتوصيات وقرارات منظمة الأغذية والأدوية الأمريكية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأغذية العالمية في هذا الخصوص.





**المحاضرة التذكارية**  
**تقنيات علم الوراثة والتناسل عند**  
**الإنسان بين المنظور الديني والمنظور**  
**العلماني - رؤية إسلامية**

الدكتور حسان حتحات



## تقنيات علم الوراثة والتناسل عند الإنسان بين المنظور الديني والمنظور العلماني "رؤية إسلامية"

الدكتور حسان حتوت

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

مقدمة البحث :

الإسلام هو ثالث الديانات الداعية إلى الإيمان بوحداية الله بعد اليهودية والمسيحية، وهو لا يعتبر نفسه دينا منفصلاً عما سبقه، بل هو استكمال واكتمال لكلمة الله التي أوحى بها إلى سلسلة طويلة من الرسل والأنبياء. وقد جاء ذكر بعضهم بنفس الأسماء في العهد القديم وفي القرآن، ففي القرآن يقول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)

وإذا كانت كلمة "الإسلام" هي اسم الديانة نفسها، فإن كلمة "مسلم" هي الدالة على الإنسان الذي يؤمن بهذه الديانة. ويصف القرآن سيدنا إبراهيم وكافة الأنبياء بكلمة "مسلم" والكلمة تعني التسليم (بإرادة الله)، وهي مشتقة من الأصل "سلام"، والسلام اسم من أسماء الله الحسنی.

إن إبراهيم (عليه السلام) هو أبو الأنبياء، يعود إليه نسب موسى وعيسى (من نسل اسحق) ونسب محمد (من نسل إسماعيل). وكان إبراهيم أول من استدل على وجود الله بعقله حتى قبل أن تأتي النبوة، فقد رفض عقله أن يصدق أن الأوثان التي صنعها قومه هي الآلهة التي خلقت كل شيء، ثم صار يستعرض بفكره عناصر الطبيعة لعل واحداً منها يكون إلهه المنشود.

وتدرج في تأمله إلى أن وصل إلى أكبر هذه العناصر، وهي الشمس، ورأى أنها تخضع لقواعد دقيقة وصارمة. وبدأ يتساءل: "من يا ترى وضع هذه القواعد؟"، ومن ثم هداه تفكيره إلى أنه لا بد وأن يكون هناك خالق أول لم يسبقه أحد أو يخلقه أحد، أي أنه لا نهائي لا تحده بداية أو نهاية. ولم تثنه فكرة اللانهاية عن عزمه في البحث عن الله والإيمان به، فقد أدرك أن الإنسان باعتباره كائناً متناهياً قاصر بطبيعته عن معرفة ماهية اللانهاية (وما زال العلم الحديث قاصراً عن هذه المعرفة، إلا أنه يقر بفكرة اللانهاية ويرمز لها برمز معروف في علم الرياضيات  $[\infty]$  وهو ما نتعلمه في دروس الرياضيات وليس في دروس القرآن). وهذا الإله المطلق لا بد وأن يكون إلهاً واحداً، إذ لو تعددت الآلهة لما كان أيّاً منها مطلق الوجود. وفي كثير من اللغات يشار إلى هذا الإله الواحد باسم يختلف من لغة إلى أخرى (لا يوجد في اللغة الإنجليزية اسم خاص للإله الواحد، حيث نكتفي باستخدام حرف  $[G]$  عند كتابة كلمة "god" العادية)، وبسبب القصور اللغوي نستخدم ضمير المذكر "هو" عند الإشارة إلى هذا الإله الواحد، دون أن يكون لذلك أية إيحاءات دلالية خاصة بجنس الإله.

### الجنس البشري

المؤمنون بالله يؤمنون أيضاً أنه خالق هذا الكون الذي يضم

كوكب الأرض، ولا ينطوي هذا الكوكب على المكونات المادية التي نستطيع أن نراها ونشعر بها ونتحسسها بأيدينا فحسب، ولكنه يشتمل أيضاً على مكونات أخرى ليست مادية أمكن معرفتها بل وقياسها بطرق وأدوات خاصة توصل إليها عقل الإنسان. ومن أمثلة هذه المكونات الجاذبية والكهرباء والمغناطيسية والضوء والصوت . . . إلخ . . . وأغلب الظن أن هذه القائمة لم تكتمل بعد، فما زال العلم يحاول جاهداً يوماً بعد يوم تقليص مساحة جهلنا وتوسيع رقعة حصيلتنا من المعرفة. ويتفرد الإنسان بنهم متأصل فيه لتحصيل المعرفة. ويأمرنا القرآن بالسعي وراء المعرفة، حيث نجد أن كثيراً من الآيات تحضّ على ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: ٢٠).

ولا يوجد في الإسلام أي تعارض بين العلم والدين، فالسعي إلى تحصيل العلم يعتبر مطلباً دينياً.

لقد توصلت الأبحاث العلمية إلى حقيقة مفادها أن الحد بين المادة والطاقة لم يعد فاصلاً مانعاً. ولكن دعنا نتمعن قليلاً في مادة الأرض، إن نظرتنا التقليدية للذرة هي أنها تعتبر أصغر جزء في المادة، وهي في جانب من جوانبها تتكون من بروتونات وإلكترونات. وتخضع الذرات للقوانين الذرية، وتتجمع لتكوّن جزيئات تتفاعل وتتحد وفقاً لقوانينها في تركيبات معقدة تصبح تدريجياً أكثر تعقيداً إلى أن تصل إلى جزيء مركّب يصل في درجة تعقيده إلى أنه يتمكن من الانقسام إلى نصفين يستطيع كل نصف منهما أن يتكامل إلى أن يصبح جزيئاً صحيحاً. وهذا هو الجزيء المسمى "دي إن إيه"، الذي تقوم على أساسه الحياة كلها. ثم تنتقل الأمور من مجال الكيمياء إلى مجال علم الأحياء.

نشأ الحياة على الأرض ويستمد الأحياء بقاءهم من الأرض نفسها

إلى أجل مسمى ثم يعودون إلى الأرض، وإلا استهلكوا كل الأرض إذا دامت حياتهم دون أمد محدد ولن تكون هناك أرض يعيشون بها وعليها. فالحياة على الأرض إذن كمياه النافورة، تنبع منها وترتد إليها. وعندما نتأمل الحياة البشرية نجد أنها قد تجاوزت المراحل الذرية والكيميائية والبيولوجية التي سبقت الإشارة إليها. فالنوع الإنساني يتشارك في خصائصه البيولوجية مع بقية أنواع الكائنات الحية من أداها إلى أعلاها. إلا أن البشر يتمتعون بمكوّن إضافي بشكل ما لا يمكن رده إلى أصل بيولوجي. ولذلك يمكننا أن نصف النوع الإنساني بأنه كائن فوقبيولوجي يسكن في وعاء بيولوجي، هو الجسد البشري الحي. ونطلق نحن الذين نؤمن بعقيدة إبراهيم على هذا المكوّن الإضافي اسم "الروح البشرية" ولا يعود منشؤها إلى الأرض، ولكننا نعتقد أنها من الله الذي بثها وغرسها في كياننا الأرضي. وعلى ذلك، فإن هؤلاء الذين تدور حياتهم في معظمها حول ما يتطلبه مكوّنهم الأرضي من احتياجات ورغبات (سواء البسيطة منها أو المعقدة) لا يمثلون الإنسان كما ينبغي أن يكون.

وفي بعض الأحيان لا يتوافق نداء الجسد مع نداء الروح، وساعتها يمر الإنسان بتجربة الحيرة بين الطرفين ويعيش جدلاً بين النداءين يستمر إلى اللحظة التي ينبغي عليه فيها أن يتخذ قراراً بإرادته الحرة ينحاز به إلى أحد الطرفين وتساعده على اتخاذ آلية ذاتية داخل عقله، وهذه الحرية في اتخاذ القرار هي جوهر الحياة الإنسانية. فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي لا يستجيب تلقائياً للمؤثرات الخارجية، بل يختار من الاستجابات المتاحة تلك التي يميلها عليه عقله؛ وهذا هو النبل المتأصل في النفس البشرية. غير أن حرية الاختيار هذه تمثل أحد وجهي العملة، في حين يتمثل الوجه الآخر في وجوب مساءلة الإنسان وحسابه. وهو قد يفلت من هذا الحساب في حياته الدنيوية على هذه

الأرض، إلا أن الحساب الذي لا مفر منه يقبع في انتظاره بعد مماته، أي في الحياة الآخرة، حيث يُقام العدل ويوضع الميزان. والإنسان ليس مخلوقاً يتميز بالكمال، ولا كان له أن يكون كذلك. لذا، فإننا نضع آمالنا في مغفرة الله أكثر مما نضعها في عدله، وفرصة الإنسان في أن تُسبغ عليه نعمة المغفرة هذه هي أن يكون هو نفسه متمتعاً بروح العفو في حياته على الأرض.

ولكي يتحقق ذلك للناس، أرسل الله لهم من بينهم سلسلة طويلة من الرسل كانوا بمثابة القدوة الحسنة ويذكرونهم على طول تاريخ الحياة الإنسانية إن هم نسوا أو أخطأوا. وآخر حلقة في هذه السلسلة بالنسبة لليهود كان موسى، وللمسيحيين كان عيسى، وللمسلمين كان محمد. وقد اتخذت الرسالة التي بُعث محمد لنشرها اسم "الإسلام". ويعترف الإسلام بالديانتين: اليهودية والمسيحية كديانات سماوية من عند الله على الرغم من أن المسيحيين واليهود لا يبادلون المسلمين اعترافاً باعتراف. والإسلام يسمى أتباع تلك الديانتين "أهل الكتاب"، في اعتراف منه بالتوراة والإنجيل. والحكم الذي يسري عليهم إذا كانوا يعيشون في مجتمعٍ غالبيته من المسلمين هو: "لهم مالنا، وعليهم ما علينا".

والكتاب المقدس في الإسلام هو القرآن. ولم يوح به دفعة واحدة، بل تم تنزيله تدريجياً على شكل مقاطع وفقرات واستغرق ذلك ثلاثة وعشرين عاماً. ويصف القرآن أحداثاً سابقة، ويدعو إلى عبادة الخالق الواحد والالتزام بأوامره ونواهيه مُفضلاً شعائر هذه العبادة. ثم يستعرض أنماط السلوك البشري مُوضحاً الحسن منها والسيئ، ثم يرسم في خطوط عريضة أساسية نظاماً شرعياً (أشبه بالدستور). ويؤمن المسلمون أن القرآن ليس كلاماً من عند محمد بل هو كلام من عند الله نزل به جبريل إلى محمد ثم تلاه محمد على أتباعه متبعاً أسلوب النقل عن الله، فكان يبدأ كل تلاوة بعقيدة "يقول الله" وينتهيها بعقيدة "صدق



الله العظيم"، وكان أصحاب الرسول يحفظون عن ظهر قلب كل جزء يتلى عليهم، ثم تمت كتابة هذه النصوص على كل ما كان يتيسر الكتابة عليه.

ويكون القرآن بذلك هو الكتاب المقدس الوحيد الذي ظل محفوظاً في صياغته الأصلية كلمة بكلمة وحرفاً بحرف. وأي تغيير في هذه الصياغة أو أي ترجمة لها لا تفرز قرآناً وإنما تفرز كلاماً بشرياً وليس كلاماً من عند الله. وقد ترك محمد قبل وفاته الصورة النهائية للقرآن على شكل كتاب يتكون من مائة وأربعة عشر فصلاً أو سورة (تراوح بين الطول والقصر)، وتشتمل هذه السور على ستة آلاف ومائتي آية. وقد نزل الوحي بها جميعاً في فترة نبوة الرسول التي امتدت عبر ثلاثة وعشرين عاماً. وبخلاف التوراة والإنجيل، لا يقص القرآن تاريخاً مرتباً وفق التسلسل الزمني (باستثناء سورة يوسف)، وإنما يسلط الضوء على أحداث وقعت ويعلق عليها. ويتخلل ذلك كله إرساء قواعد شرعية والتحذير من مغبة سلوكيات خاطئة. ويتطلب فهم القرآن إتقان اللغة التي نزل بها إتقاناً تاماً، والإلمام بتاريخ الأحداث التي تشير إليها سوره، ومعرفة طريقة النبي في تطبيق نصوصه على مجريات الحياة اليومية. ومن الأخطاء التي قد يكون المسلم وغير المسلم عرضة للوقوع فيها القفز مباشرة إلى الأحكام التي وردت بالقرآن دون معرفة تامة باللغة وبالظروف التي أحاطت بهذه الأحكام.

### الشرعية واشتقاق الأحكام منها

كلمة الشرعية تعني في اللغة "الطريقة"، أما في ديننا فإنها تشير إلى مجمل خطاب الله إلى عباده الصالحين في إرشادهم إلى السبيل القويم لتنظيم حياتهم في هذه الدنيا بما يضمن لهم الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

وتتمثل "مقاصد الشريعة" في الحفاظ على الدين، و النفس، والعقل، والنسل، والمال. ولكل مجال من هذه المجالات أحكامه الشرعية العامة تتفرع منها أحكام تفصيلية لا تغادر كبيرة أو صغيرة من جوانب الحياة على هذه الأرض إلا وتناولتها.

والمصادر التي تستمد منها الشريعة أحكامها هي القرآن في المقام الأول، ثم تعاليم النبي وأفعاله، يلي ذلك في الأهمية - كأحد مصادر الشريعة - القياس. فالنصوص الدينية محددة ومتناهية، ولكن التطور في مواقف الحياة عبر آلاف السنين ليس متناهياً. وعلى ذلك تجري مضاهاة القضايا المذكورة في القرآن والحديث بمثيلاتها من القضايا الآنية، وتستخلص من هذه المضاهاة أحكام جديدة قياساً على ما سبق. وإجماع العلماء في منطقة ما يعتبر أيضاً من مصادر الشريعة. يضاف إلى ذلك الأحكام والقواعد التي تنص عليها أديان سابقة يعترف بها الإسلام. كما تستند الأحكام الشرعية إلى المبادئ الفقهية التالية:-

- ١ - إذا تقابل مكرهان أو محظوران أو ضرران ولم يمكن الخروج عنهما وجب اختيار أخفهما.
- ٢ - الضرورات يبحن المحظورات.
- ٣ - درء الأذى يسبق جلب المصلحة.
- ٤ - ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الشخصية.
- ٥ - اتباع القواعد التي جاءت بها أديان سماوية سابقة.
- ٦ - الأحكام التي يقول بها أصحاب النبي.
- ٧ - الامتناع عن المفساد.
- ٨ - لا يجوز دفع الأذى بمثله.
- ٩ - أينما وجدت المصلحة فَنَمَّ شرع الله.

وتعتبر هذه القواعد كلها في الأمور التي تسكت عنها النصوص الأخرى.

١٠- تنقسم حاجات الإنسان إلى ضرورية وحاجية وتحسينية. وهذا هو ترتيبها على سلم الأولويات (بما في ذلك أولويات الميزانية).

١١- مبدأ سد الذرائع.

وقد تطور الفقه الإسلامي وظل قائماً عبر العصور المتوالية مسترشداً بهذه المبادئ، حيث تصنف القضايا الإنسانية إلى: ضرورات واحتياجات ومكملات ويجب أن يكون هذا هو ترتيبها على سلم الأولويات، وعلى هذا الأساس قام الفقه الإسلامي، وظل قائماً حتى اليوم، وقد نشأت في ظله مدارس فكرية مختلفة يطلق عليها اسم المذاهب، وما زال باب الاجتهاد مفتوحاً. ولا ينطوي الاختلاف بين هذه المذاهب على أي عدا، بل ينظر إليه باعتباره اختلاف فيه رحمة للناس.

### الحياة: التكاثر

طالما أن هناك أجلا محدداً لحياة كل فرد كي تستمر الحياة البشرية على هذه الأرض كان لابد من عملية التكاثر، وهناك أشكال عديدة لهذه العملية في كوكب الأرض، أبسطها أن تتم بانقسام أو انشطار بسيط كما يحدث في تكاثر البكتيريا. وهناك أشكال بسيطة أخرى كالترعّم والتفتت، وصعوداً على سلم الحياة إلى درجات أعلى من الكائنات نلتقي بالتكاثر أو التناسل الجنسي، وقد توجد غددة التناسل الذكورية والأنثوية في نفس الكائن الحي، وفي هذه الحالة يُسمى كائناً خنثوياً، وإلى الأعلى من ذلك على سلم الحياة يظهر النشاط الجنسي الذي لابد له من ذكر ينتج جسمه حيوانات منوية وأنثى ينتج جسمها بويضات، وقد يتم التقاء الحيوان المنوي بالبويضة خارج الجسم، كما

يحدث في حالة الضفادع والسماك، ثم يستمر صعودنا بضعة درجات إلى أعلى، حيث نجد أن هذا الالتقاء يتم داخل جسم الأنثى، إلا أن الجنين يحاط بكسوة أو غلاف من الكالسيوم وتضعه الأنثى على شكل بيضة يلزمها أن تظل دافئة، وهذا يحدث عندما ترقد الأم (في أغلب الأحيان) عليها حتى ينضج الفرخ الصغير ويصبح قادراً على أن ينقر هذا الغلاف وهو في طريقه إلى العالم الخارجي.

وفي الكائنات التي تتسم بتعقيد أكبر يبقى الحمل داخل جسم الأم فترة زمنية أطول قبل الولادة، وفي عالم الحيوان يكون الكائن حديث الولادة قد بلغ درجة من النضج تمكنه من الحركة هنا وهناك والسعي إلى لبن أمه. أما عند الإنسان فإن الحيوان المنوي يسرع صاعداً مسافة طويلة في الجهاز التناسلي للأنثى لملاقاة البويضة ومن ثم يلقحها، وبعد ذلك تنزل البويضة الملقحة أثناء نموها بطريقة الانقسام الخلوي حتى تصل إلى فراغ الرحم على شكل كيس بلاستولي (البلاستوله: شكل من أشكال الجنين في مراحل التطور الباكرة). وتحاول الطبقة الخارجية لهذا الكيس أن تنحت لها مكاناً تنزرع فيه داخل بطانة الرحم، ويتحول الكيس البلاستولي إلى طبقة خارجية تتكون منها المشيمة التي يتصل عن طريقها الجنين المتخلق بأجهزة الأم الخاصة بالتغذية والإخراج والتنفس، بينما يتشكل جسم الجنين من الكتلة الخلوية الداخلية.

وقد أظهر العصر الحديث إمكانية الارتداد إلى آليات التكاثر عند مخلوقات أدنى من الإنسان؛ ففي عملية التخصيب أو التلقيح الاصطناعي يتم لقاء البويضة والحيوان المنوي خارج جسم الإنسان. وما الاستنساخ إلا عودة إلى التكاثر اللاتراوجي الذي يتم دون الحاجة إلى أعضاء تناسلية، والطبيعة لا تقدم أي جديد في هاتين الطريقتين، وإنما الجديد في الأمر هو إمكانية تطبيقهما على التناسل عند الإنسان.

وبعد هذه المقدمة الطويلة نود أن نسلط الضوء على بعض القضايا

المتصلة بالتناسل والتي استحوذت على اهتمام الناس في عصرنا الحديث وأثارت جدلاً واسعاً بينهم، وتحتوي أدبيات الموضوع وكذلك (الانترنت) على فيض وافر من المناقشات والمجادلات حول هذه القضايا، ولا ننوي هنا أن نستشهد بأي منها؛ إذ أن هدفنا هو محاولة عرض ما نعتقد أنه موقف الإسلام من بعض هذه القضايا، وليس في نيّتي أن أدخل في جدل مع زملائي من أتباع العقائد الأخرى أو ممن لا يتبعون أية عقيدة؛ فكل ما أبتغيه هو التوصل إلى تفهم واضح لا لبس فيه لما يعتقدده كل منا؛ فالتماثل في الفهم لا يقيم سلاماً ولا يحقق انسجاماً بين الأطراف كما يفعل الفهم المتبادل.

ومن جانبي أتوقع أن أجد أرضاً مشتركة بيننا جميعاً، ولكنني أكنّ كل الاحترام لاختلاف الرأي كذلك، إلا أنني أود أن أوضح أيضاً أن الإيمان بالله يمثل نقطة محورية، فهناك فرق كبير بين أن ترجع إلى سلطة أعلى تهتدي بها وبين أن تعتمد على العقل البشري وحده كسلطة نهائية مطلقة. وفي هذا الصدد أود أن أضيف أن العقل البشري ليس بالأداة التي يمكن أن توصف بالكمال، والدليل على ذلك أننا في كل يوم نكتسب معارف أكثر، مما يعني أن ذلك الكثير من المعارف كان ينقصنا في اليوم الذي يسبقه، كما أن متابعة البحث العلمي هو اعتراف من جانبنا بأننا نجهل الكثير. لذلك كله، لا نستطيع أن نطمئن إلى أننا نتوصل إلى استنتاجات تبلغ حد الكمال باستخدام هذه الأداة التي ينقصها الكمال. ومع ذلك، فلا بدّ أن نقر بأن أئمن ما يميزنا من صفات هو ذلك العقل البشري الذي يعمل في محيط الحقائق الأزلية للأديان السماوية. وبطبيعة الحال يوجد بيننا من لا يعترف بإله خالق أو بهدي إلهي. فإذا كانوا صادقين فيما يعتقدون فلا نستطيع أن ننحى باللائمة عليهم؛ كل ما نستطيعه ربما، هو أن نصلي من أجلهم وندعو لهم بالهداية، على أن هذه القضية لا تدخل في نطاق هذا البحث.

## الحياة البشرية: قضية الإجهاض

إننا نعتقد أن حياة الإنسان تختلف عن أشكال الحياة الأخرى لأن تكوينها ينطوي على عنصر إلهي، ويرجع الفضل إلى هذا العنصر في أن حياة الإنسان تسمو على أشكال الحياة الأخرى بما في ذلك حياة الملائكة، ويحدثنا القرآن عن الله أنه عندما خلق الإنسان أمر الملائكة بالسجود له: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩).

وهذا هو أساس فكرة التقديس التي تسبغها الديانات السماوية على حياة الإنسان. ويقول القرآن في تعليق على جريمة القتل التي ارتكبتها قابيل ضد أخيه هابيل (وهما ابنا إبراهيم): ﴿مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢)

وهذا هو المبدأ الذي حدى بعلماء المسلمين إلى معارضة الإجهاض والقتل الرحيم، على أن الاعتراض على الإجهاض جاء بشكل متدرج وعلى مراحل عدة؛ فعندما كان شعور الحامل ببداية الحركة في بطنها يعني لها بداية ديبب الحياة في جنينها، كان الإجهاض خلال الفترة التي تسبق ذلك مقبولاً لدى بعض العلماء المسلمين، ثم امتدت بعد ذلك فترة السماح هذه لتصل إلى اللحظة التي يمكن فيها رؤية أعضاء واضحة في الجنين. ثم أتى بعد ذلك زمن بدأ بالعالم الجليل الشيخ الغزالي (منذ نحو ألف عام) الذي وصل إلى قناعة تامة بأن الحياة تبدأ عندما يندمج العنصر الذكوري مع العنصر الأنثوي في خلية واحدة تستقر في الرحم، ثم تمضي الحياة قدماً في طور ضئيل للغاية إلى أن تبلغ حركات الجنين قدراً من القوة يجعل الأم تشعر بها، وهذه هي بداية الطور المحسوس، وكان الغزالي يرى أن إعاقه هذه

الأطوار وقطع الطريق على اطرادها هو جريمة تحقق أيضا على بدايتها. على أن درجة هذه الجريمة لا تظل ثابتة منذ بداية الحمل ولكنها تتزايد كلما تقدم وتطور؛ ذلك لأنه في الإسلام لا يعتبر نفخ الروح في الجنين معادلاً لبداية الحياة فيه، إنما يقع في اليوم العشرين بعد المائة من بداية الحمل، وهذا وفقاً لما علمنا إياه نبينا محمد ﷺ إذ قال: "يتجمع الواحد منكم في بطن أمه خلال أربعين يوماً فيكون نطفة، ثم يصير علقة خلال الأربعين يوماً التالية، ثم يصبح مضغة في الأربعين يوماً التي تتلوها ثم يأتي المَلَك كي ينفخ الروح فيه".

ونفخ الروح في الجنين بمثابة الحد الفاصل بين حياة الإنسان البيولوجي وحياته الإنسانية الجديرة بالتقديس. وفي رأي فقهاء المسلمين أن جريمة الإجهاض في الطور البيولوجي ليست في مثل جسامتها إذا وقعت في الطور الإنساني، فبينما يستلزم إحداث الإجهاض في الطور الأول دفع فدية تساوي نسبة العُشر مما يدفع في حالة ارتكاب جريمة قتل عادية، تصل العقوبة إلى فدية كاملة إذا وقع الإجهاض بعد المائة والعشرين يوماً الأولى منذ بداية الحمل إضافة إلى ما يناسب هذا العدوان من عقوبات أخرى، فالجنين في بطن أمه له حقوق ثابتة باعتباره حياة بشرية سواء قبل نفخ الروح فيه أو بعده. وعلى سبيل المثال، إذا صدر حكم بإعدام امرأة ثبتت جريمتها ثم اتضح أنها حامل في أية مرحلة من مراحل هذا الحمل، يؤجل التنفيذ إلى أن تضع حملها وتكمل رضاعته، وإذا توفي رجل تاركاً وراءه زوجة حاملاً في أية مرحلة من مراحل حملها، لا يتم توزيع ثروته بين ورثته إلا بعد تجنب نصيب الطفل الذي لم يولد بعد حتى يخرج حياً من بطن أمه.

لقد تعاضمت حدة المسألة المتعلقة بتحديد بدء الحياة في الجنين مع تعاضم الجدل الذي ثار حول موضوع الإجهاض في السبعينيات من

القرن الماضي. وكان المعارضون للإجهاض يرون: أن الحياة تبدأ في الجنين منذ البداية، بينما كان المؤيدون يقولون: إنها تبدأ فيما بعد ذلك، وتمت صياغة مصطلحات جديدة على شاكلة "ما قبل الجنيني" لتسهيل الحصول على حق الإجهاض، ثم صارت مصطلحات أخرى مثل "مع الحياة" و"مع حق الاختيار" شعارات متداولة، وما زال هدير المعركة مستمراً.

وفي يناير من عام ١٩٨٥ عقدت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية مؤتمراً في الكويت تحت عنوان "الحياة البشرية، بدايتها ونهايتها من وجهة النظر الإسلامية"، وفي هذا المؤتمر اقترحنا خمسة شروط ضرورية ينبغي توافرها لتحديد بداية الحياة عند الإنسان:

- ١ - أن تكون حدثاً واضحاً وقابلاً للتحديد.
  - ٢ - أن تكون قادرة على النمو، فالنمو هو أحد مظاهر الحياة.
  - ٣ - إذا لم يوقف هذا النمو، فإنه ينبغي أن يمر في مراحل المتابعة من جنين إلى وليد إلى طفل إلى صبي إلى شاب إلى كهل ثم إلى عجوز، ذلك إذا مد الله في العمر.
  - ٤ - أن تكون غير مسبوقة بطور يمكن أن ينمو ليصبح إنساناً.
  - ٥ - أن تتوفر فيها السمات الجمعية الموروثة عند الجنس البشري بصفة عامة، وفي نفس الوقت تتواجد فيها سمات شخصية محددة لشخص بعينه يختلف عن بقية أفراد الجنس كله منذ بدء الخليقة إلى نهاية الزمان، كل هذه المعايير يمكن التحقق منها في البويضة المخضبة.
- ثم جدت مشكلة البويضة التي يتم تخصيبها خارج الجسم، وهذه بطبيعة الحال لن تتمكن من النمو بذاتها إلى المراحل التالية ما لم يتم زرعها داخل بطانة الرحم؛ لذلك كان الرأي الذي توصل إليه المؤتمر هو اعتبار أن لحظة زرع البويضة هي اللحظة الفاصلة؛ فعندها يحظى



الحمل بالاعتراف الكامل والحماية التامة. وبناء عليه يمكن القول بأن حياة الفرد تبدأ عندما تعلق البويضة المخصبة برحم الأم مؤذنة بطور جديد من أطوار النمو الجنيني.

ومع ذلك فليس هناك ما يمنع من التضحية بحياة الجنين إذا كان استمرار الحمل يمثل تهديداً لحياة الأم المريضة؛ فالأم هي الأصل بينما الجنين هو الفرع الذي يمكن التخلص منه لإنقاذ حياة الأصل، ذلك إذا لم يكن بالمستطاع إنقاذ حياة الاثنين معاً. وهناك حالة أخرى يُسمح فيها بالتخلص من الجنين وهي أن تثبت إصابته بتشوهات كبيرة تجعل من حياته بين الناس شيئاً لا يطاق.

ويبدو أن تأثير موضوع الإجهاض لا يقتصر على الفرد (المستوى الصغير) وإنما يمتد ليطل الحياة العامة (المستوى الكبير)، فهو أحد المظاهر البارزة من ثقافة الاستهانة بحياة البشر (مثلته مثل الحروب والجريمة والقتل الرحيم .. إلخ). وعند هذه النقطة أود أن أحكي موقفاً وقع أثناء ممارستي لمهنتي الطبية في الشرق الأوسط، وفي هذا الجزء من العالم يطلق الناس على الطبيب اسم "الحكيم" وينشدون مساعدته حتى في الأمور التي لاتتعلق بمهنته وإنما تتطلب "الحكمة".

وذات مرة سعى إلى زوجان يرجوان تدخلني في نزاع نشأ بينهما وبين ابنتهما، عاتبت الشاب الصغير - وكان على خلق ويراعي أمور دينه - وذكرته بما جاء في القرآن بأن الله يقرن طاعة العبد له بحسن معاملته لوالديه؛ فانتفض الشاب في غضب واضح قائلاً: "إنني لا أدين لهما بشيء. فعندما تزوجا قررا ألا يكون لهما أكثر من طفلين، وعلى ذلك فقد عمدا إلى الإجهاض في المرات الأربع التي حدث فيها حمل بعد أختي التي تكبرني وبعدي. فلو كان دوري قد جاء في الحمل الثالث لكان مصيري أن أقتل كما حدث للآخرين". وقد جعلني كلام ذلك الشاب أتساءل وقتها: إذا ما كان انتشار الإجهاض في زمننا هذا

قد أسهم في إضعاف الروابط الأسرية و إحداث الفجوة التي نشاهدها الآن بين الأجيال.

إن قضية الإجهاض ليست بمعزل عن ظاهرة انتشار العلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية، كما أنها تثير شكوكاً كثيرة حول صواب إطلاق حرية مثل هذه العلاقات؛ إذ ليس من العدل في شيء أن تنشأ أية علاقة بين شخصين لا يتقاسمان مسؤولية ما يتمخض عنها من نتائج. وفي ظل ظروف تسمح بإنشاء العلاقات الجنسية دون أية قيود تكون المرأة هي الخاسرة في جميع الأحوال، سواء هجرها صاحبها أو لجأت إلى الإجهاض أو انتهى بها الأمر إلى أن تلد طفلاً دون أب شرعي يعترف به، فلا يكون أمامها سوى أحد أمرين: إما أن تقوم بتربيته بمفردها أو تتخلى عنه لأسرة أخرى تبناه؛ ولهذا السبب تنظر الأديان إلى العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها أكثر كثيراً من مجرد استمتاع جنسي، وأكثر كثيراً من مجرد تناسل بيولوجي، وتصدع بها إلى المستوى الذي يجتمع فيه اثنان في علاقة عاطفية حميمة يتمتعان فيها بحقوق متماثلة وتتوثق بينهما الروابط الروحية.

إن الأسرة هي وحدة المجتمع البشري، ويعبر القرآن بلغة واضحة ومباشرة عن الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوج والزوجة وكذلك بين الأبوين وأبنائهما طول الحياة وما بعدها، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

فالزوجة هي السكن الوحيد المقبول للرجل، والزوج هو السكن الوحيد المقبول للمرأة. ثم يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ

وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل: ٧٢).

وهناك أنماط أخرى للأسرة يطرحها عصرنا الحديث إلا أن الإسلام لا ينصح بها. وتؤكد لي قراءاتي في التوراة والإنجيل أن الإسلام لا ينفرد بهذا الاتجاه، وقد ترتفع أصوات هنا أو هناك تنادي بأفكار وسلوكيات مغايرة لما جاءت بها الأديان ومنحرفة عن خطها القويم، ولكن المسلمين يتمسكون بما جاء في القرآن.

### التلقيح الاصطناعي

تشتهر هذه القضية بين عامة الناس باسم "أطفال الأنابيب"، وقد تم التوصل إليها في السبعينيات من القرن الماضي، وكان أول إنجاز لها في إنجلترا حينما ولدت الطفلة (لويز براون) بهذه الطريقة التي أصبحت شائعة بعد ذلك؛ ويمثل التلقيح الاصطناعي بكل تأكيد نقطة انطلاق بعيداً عن المجري الطبيعي للأمور، إلا أنه في واقع الأمر لم يبعد كثيراً، فالأمر لا يتعدى مجرد التفاف حول عقبة تقف عائقاً في طريق التقاء البويضة بالحيوان المنوي؛ فتؤخذ البويضة خارج الجسم ويتم تعريضها للحيوان المنوي، وعندما يحدث الاندماج بينهما يتم وضع البويضة المخصبة داخل الرحم لتأخذ بعد ذلك المسلك المؤدي إلى الحمل الطبيعي، وقد أثبتت النتائج قدراً معقولاً من الأمان لهذا الإجراء.

والإسلام يقبل هذا الإجراء شريطة أن يتم بين الزوج وزوجته أثناء فترة زواجهما (أي ليس بعد الطلاق أو الترميل حيث يعني كلاهما إنهاء لعقد الزواج)، وبدون تدخل طرف ثالث على شكل تبرع بحيوان منوي أو بويضة أو استئجار لرحم (حيث إن أي شكل من هذه الأشكال لا يدخل ضمن بنود عقد الزواج الذي يربط بالضرورة بين طرفين اثنين فقط).

غير أن مشكلة أخرى برزت نتيجة لتطبيق هذه التقنية الجديدة، إذ يتم تنشيط المبيض لحثه على إفراز أكثر من بويضة يتم سحبها جميعاً وتعرض كلها للحيوانات المنوية، ونتيجة لذلك يصبح لدينا عددٌ من البويضات المخصبة يفوق ما نزرعه في الرحم؛ فإذا نجحت واحدة أو أكثر من البويضات المنزوعة في إحداث الحمل أصبحت باقي البويضات المخصبة زائدة عن الحاجة، أما إذا لم يحدث حمل تعاد المحاولة مرة أخرى في دورة تالية، وقد ثار جدل كبير في مختلف الدول حول مسألة هذا الفائض من البويضات المخصبة، وكان القرار في بعض الدول أن عدد البويضات التي يتم تعريضها للحيوانات المنوية يجب أن يكون هو نفسه العدد الذي يتم إدخاله إلى الرحم إذ حدث إخصاب لهم جميعاً، وإذا فشلت المحاولة تكرر العملية كلها في دورات لاحقة، وهذا يكلف وقتاً ومالاً كثيراً، وفي معظم الحالات فإن ما يحدث للبويضات المخصبة الزائدة عن الحاجة والتي تتخلف عن حمل ناجح هو إما التخلص منها أو حفظها مُجمّدة لاحتمال استخدامها مستقبلاً أو موتها موتاً طبيعياً حتى بعد وقت طويل، ولقد ناقش أحد مؤتمرات (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) مصير هذا الفائض من البويضات المخصبة؛ وانقسم الرأي حول هذا الموضوع إلا أن جميع الآراء اتفقت بطبيعة الحال على عدم إضفاء صفة الإنسان على أي منها.

## الهندسة الوراثية

في مؤتمر (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) الذي عقد في الكويت في الخامس عشر من أكتوبر عام ١٩٩٨ كان المطروح للمناقشة صياغة حكم الإسلام في موضوع الهندسة الوراثية، وقد اعتبرها المؤتمر كنوع من أنواع جراحات التجميل أو جراحات نقل الأعضاء ولكن على مستوى الجزئ. ورؤى أنه يجوز التعامل مع تطبيقاتها إذا اقتضت على

منع الأمراض أو التخفيف من آلامها أو إعداد أدوية أو عقاقير لاستخدامها في مكافحة الأمراض البشرية، أما إذا كان الهدف من أبحاث الهندسة الوراثية هو التوصل إلى إنتاج أنواع من البشر يتميزون بصفات جسمانية أو نفسية أو عقلية تزيد أو تقل عن الصفات الطبيعية لبقية البشر فهذه هي المنطقة المحظورة.

ومن المجالات التي يجوز للهندسة الوراثية أن تعمل فيها هو إنتاج كميات تكفي الاستهلاك الأدمي من العقاقير المتعلقة بتجديد الخلايا واستعادة الحيوية؛ وهي تُستخلص من أنواع أخرى من المخلوقات يدخل في تكوينها الجين أو المورث البشري المطلوب الذي يحفز إنتاج هذه العقاقير، ولا يمكن القبول بأي تطبيقات للهندسة الوراثية تعمد إلى التدخل في شخصية الإنسان أو في مسؤولياته الخاصة.

وقد أوضح المؤتمر الفرق بين حرية البحث العلمي من جهة وبين دخول أيٍّ من هذه الأبحاث إلى مجال التطبيق والتحول إلى منتج تجاري؛ فليس كل ما يمكن إنجازه في العلوم النظرية قابلاً لأن يكون موضع تطبيقات واسعة يجيزها الشرع.

وتُجرى حالياً تطبيقات لنظريات الهندسة الوراثية في مجالي الزراعة والعناية بالحيوانات الداجنة، ولكن ينبغي أن نبقي يقظين تحسباً لأية نتائج معاكسة حتى لو ظهرت بعد فترة زمنية طويلة، كما ينبغي تنبيه الجمهور إلى أن مثل هذه المنتجات (الزراعية أو الحيوانية) معالجة بالهندسة الوراثية.

إن محاولات الهندسة الوراثية لخلق أشكال غير معروفة من الكائنات تحتوي على مواد جينية مأخوذة من نوعين مختلفين من المخلوقات تعتبر شيئاً خطيراً يؤخذ بكل جدية حسب ما ورد في القرآن، فعندما عصي آدم وحواء ربهما بأن أكلا من الشجرة المحرمة - بعد ما أغواهما الشيطان - أعلننا توبتهما فغفر الله لهما، ولكنه

أخرجهما من الجنة وأرسلهما إلى الأرض كي يسكنهاها، إلا أن الشيطان سعى إلى أن يأذن له الله بأن يتبع بني آدم إلى الأرض ويتابع إغوائهم على ارتكاب ما يغضب الله؛ ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم على لسان الشيطان: ﴿وَلَا مَرَمَهُمْ فَلْيَغْتِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩)، إن خلق أشكال جديدة من الكائنات لم تعرف من قبل في الطبيعة ينطبق عليه بكل تأكيد ما جاء على لسان الشيطان. والاستثناء الوحيد الذي يمكن به إجازة شيء من هذا القبيل هو ما يندرج تحت القاعدة الفقهية التي تقول "إن الضرورات يبحن المحظورات"؛ ولذلك فإن أي مؤشرات أخرى غير استهداف مكافحة مرض أو التخفيف من ألم مرفوضة بالقطع، خاصة تلك التي تتعلق بإعداد قنابل تحتوي على أشكال جديدة مُخلّقة من البكتريا القاتلة لم تعرفها البشرية من قبل.

## الاستنساخ

ينبغي أن تؤخذ فكرة الاستنساخ بكل صرامة وجدية، فهي تعود بالتناسل إلى الوراثة حيث التكاثر اللازوجي عند أكثر الكائنات بدائية، متخطية بذلك ما حدث من تعقد متصاعد في أشكال الحياة والكائنات عبر عصور طويلة أفضى في النهاية إلى التناسل الزوجي من خلال ذكر وأنثى، والاستنساخ بذلك يمثل انحرافاً صارخاً عن منهج الله كما تعبر عنه الآية القرآنية: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١) وفي آية أخرى نقرأ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: ٧٢).

لقد بدأت بوادر المستقبل المظلم الذي ينتظر عمليات استنساخ

الثدييات بدليل حدوث نسبة عالية من حالات الإجهاض قبل النجاح في تحقيق كائن مستنسخ واحد.

ويومئ ذلك الإجهاض المتكرر إلى وجود حالة حادة من الشذوذ والخروج عن المألوف، بل قد تتخلف بعض الشوهات المميتة رغم بقاء الكائن المستنسخ على قيد الحياة لكي تظهر لاحقاً إن آجلاً أو عاجلاً.

لقد أصبح معروفاً أن نواة الخلية البشرية تحتوي (كروزماتها) على عدد من الجينات الضارة، وعندما تتحد هذه الخلية في عملية الإخصاب مع خلية أخرى وتصبح كلاهما بذلك أمشاجاً فقد تنتهي خطورة هذه الجينات، أما التكاثر بطريقة الانقسام الخلوي في نواة كاملة لخلية جسدية (بدلاً من اندماج خلية ذكورية مع خلية أنثوية) فإنه يعطل الحماية التي يوفرها اتحاد الأمشاج الذكورية والأنثوية.

لقد اكتسب الجنس البشري أنماطاً من الحياة الاجتماعية أخذت تنضج عبر فترات طويلة من الزمن، وتوطدت الروابط العائلية وأواصر الدم عبر آلاف السنين، وأصبحت الأسرة المكونة من رجل وامرأة هي وحدة الحياة البشرية، فإذا أصبح استنساخ الإنسان مسموحاً به فسوف تنهار هذه العلاقات الراسخة، إذ لو تم استنساخ امرأة ما فكيف نعتبر هذه النسخة الناتجة؟! هل نعتبرها ابنة هذه المرأة أم توأمها؟ وسوف ينقرض ما ظللنا نعرفه طوال الزمن من مصطلحات القريبى مثل: ابن وابنة وأم وعممة وابن العم وبنات الأخت .. إلخ. وقد يبدو أننا نعيش وقتها في "عالم جديد شجاع"، ولكنه بالتأكيد ليس العالم الذي تمت فيه الإنجازات البشرية الهائلة، وليس العالم الذي نجد وصفه في النصوص التي نقرأها في كتبنا المقدسة.

إن الرأي الذي توصلنا إليه يقول: بعدم السماح مطلقاً باستنساخ

الإنسان، ولكن يجوز السماح باستنساخ مخلوقات أخرى وذلك بغرض البحث العلمي على ألا يصار إلى تطبيق هذه الأبحاث (بشكل تجاري) قبل وضع نواتجها تحت الملاحظة الدقيقة عبر عدة أجيال بما يكفي للتأكد من معدل الأمان فيها.

## أبحاث الخلايا الجذعية

عندما يندمج حيوان منوي في بويضة (في عملية إخصاب) يكون الناتج بويضة مخصبة، أي خلية جديدة ناتجة عن اندماج أو اتحاد خليتين، وتبدأ هذه الخلية في الانقسام إلى خليتين، تنقسم كل واحدة منها، وهكذا إلى أن نصل في نهاية الأمر إلى جسم بشري كامل. وفي المراحل الأولى من هذا الانقسام الخلوي تصبح لدى كل خلية صغيرة - انفصلت عن الخلية الأم - القدرة على أن تبدأ هي أيضًا وكأنها الخلية الأم وتمضي قُدماً في تكوين فرد كامل، أما الأجيال التالية من الخلايا فهي ليست قادرة على إنتاج جسم كامل، ولكنها تستطيع مع معالجة خاصة أن تُوجّه إلى إنتاج أنسجة معينة أو أعضاء محددة.

لذلك فهي تسمى بالخلايا الجذعية، هذا وتدور أبحاث الخلايا الجذعية حول إمكانية الاستفادة من هذه الخلايا في إنتاج أنسجة أو أعضاء معينة تحل محل نظائرها المريضة أو المنتهية في جسم شخص مريض.

ويمكن تدبير الخلايا الجذعية بالحصول عليها من دم شخص بالغ، أو من دم المشيمة والحبل السري لطفل وُلِد، إلا أن هذه الخلايا لا تساعد إلا في علاج عدد محدود من الأمراض، وهناك الخلايا الجذعية التي يمكن أخذها من جنين في مراحل تكوينه الأولى، وعلى مثل هذه الخلايا تنعقد الآمال في شفاء عدد أكبر من الأمراض المعروفة



أو التخفيف من آثارها، وهو مازال مستعصياً على مهارتنا العلاجية حتى الآن.

والمعضلة الأخلاقية لهذا الإجراء واضحة تماماً، حيث ينتج عن تدبير مثل هذه الخلايا تدمير جنين حي، ويظل الجدل محتدماً في الولايات المتحدة الأمريكية حول إمكانية استخدام فائض البويضات المخصبة التي تتخلف عن عملية التلقيح الاصطناعي، إذ عادة ما يتم تدمير هذا الفائض بعد العملية مباشرة، أو يتم تجميدها لاحتمال استخدامها مستقبلاً، ثم أصبح جلياً أن مثل هذا الاستخدام المستقبلي نادر الحدوث من الوجهة العملية خاصة بعدما اتضح أنه بعد فترة التخزين تصبح هذه البويضات مهياة لتغيرات مسببة للمرض، وفي عام ٢٠٠١ دعا السناتور الأمريكي [بيل فريست] إلى السماح باستخدام الخلايا الجذعية - المأخوذة من البويضات المخصبة في عملية التلقيح الاصطناعي والتي يتم إنتاجها أثناء برامج علاج العقم - لأغراض البحث العلمي، وقد وضع عشرة مبادئ لذلك وهي:

- ١ - حظر استخدام الأجنة لأغراض البحث العلمي.
- ٢ - الاستمرار في منع تمويل أبحاث الاشتقاق.
- ٣ - حظر استنساخ الإنسان.
- ٤ - زيادة الإنفاق على الأبحاث المتعلقة بالخلايا الجذعية لدى البالغين.
- ٥ - توفير التمويل للأبحاث التي تُجرى على الخلايا الجذعية إذا كانت تؤخذ من جنين في الأطوار المبكرة جداً من تكوينه، أي في مرحلة البلاستولة.
- ٦ - وضع شروط صارمة تقضي بالحصول على الموافقة المطلوبة من الأطراف المعنية والتي يجب أن تكون مبنية على فهم واضح وعميق لكل جوانب العملية.

- ٧ - ينبغي أن يكون عدد خطوط الخلايا الجذعية محدوداً.
  - ٨ - إنشاء نظام قوي لمراقبة الأبحاث.
  - ٩ - ضرورة أن تكون هناك مراجعة مستمرة للنواحي العلمية والأخلاقية يقوم بها أطراف مستقلون عن القائمين بأمر الأبحاث موضع الدراسة.
  - ١٠ - ضرورة تدعيم وتنسيق القيود المفروضة على الأبحاث المتعلقة بالأنسجة الجنينية.
- وعندما أتابع هذا الجدل عن كثب من خلال عدسة الفقه الإسلامي أجدني مؤيداً لما انتهى إليه [السناتور فريست]. وفي هذا الصدد أشعر أن عدداً من المبادئ الفقهية المعينة تشجع على ذلك:
- ١ - كما ذكرنا سابقاً عند مناقشة موضوع الإجهاض، لا تستطيع البويضة المنخصبة اصطناعياً (أي خارج الجسم) أن تمر في باقي الأطوار المؤدية إلى تشكيل إنسان كامل إلا إذا زُرعت في الرحم؛ وكان لهذا السبب أن مؤتمر [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] الذي انعقد عام ١٩٨٨ أخذ بالرأي الذي يقول: إن حرمة الحياة البشرية تبدأ من لحظة زرع البويضة.
  - ٢ - بينما يضع العلماء المسيحيون خطأً فاصلاً يحددون به بدء الحياة البشرية عند لحظة التخصيب، يرى علماء الفقه الإسلامي أن هذه الحياة تتدرج في قيمتها بتوالي أطوار النمو؛ فبالرغم من أن إعاقة الحياة البشرية تعتبر جريمة منذ اللحظة التي تُزرع فيها البويضة المنخصبة في بطانة الرحم، إلا أن خطورة هذه الجريمة تتفاقم فجأة بدرجة كبيرة في اليوم العشرين بعد المائة منذ بداية الحمل، إذ تعتبر ساعتها جريمة كاملة، ويختلف العقاب في الحالتين. صحيح أن الفقه الإسلامي يعتبر أن الحياة تبدأ في البداية أي عند الإخصاب، إلا أن نفخ الروح لا يحدث إلا بعد المائة والعشرين يوماً الأولى من بداية

الحمل، وتوضح تعاليم الرسول الكريم هذا الأمر؛ فيقول النبي: "إن الواحد منكم يتجمع في بطن أمه كمنظفة في أربعين يوماً، ثم كعلقة في أربعين أخرى، ثم كمضغة في الأربعين التالية، ثم يأتي المَلَكُ فينفخ فيه الروح ويسجّل في الكتاب أجله، وحياته وسعادته أو شقاه".

إننا لا نعرف ما هي الروح. وفي القرآن يخاطب الله نبيه قائلاً: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) وتبقى الروح بمنأى عن مجالات العلم.

٣ - هناك مبدأ فقهي يقول: "إذا تقابل ضرران ولم يمكن الخروج عنهما وجب اختيار أخفهما"، وهذا المبدأ يعطي تبريراً للتضحية ببويضات تم إخصابها ولكن لم يتم زرعها في الرحم بهدف إنقاذ حياة بشر كثيرين موجودين بالفعل يتهددهم الموت أو تطحنهم آلام المرض. ألسنا نضحى بحياة الكثيرين في حرب عادلة كي ندفع بهم شراً مستطيراً؟

٤ - يمكن لخلية جسدية أن تُحدث حملاً إذا أزيلت نواتها وأدخلت إلى خلية جنسية (أي بويضة) أفرغت من نواتها، وعندما تنقسم يتم إدخالها إلى رحم أنثوي حيث تعلق بجداره ويطرّد نموها إلى أن تصبح جنيناً كاملاً، إلا أننا لا نستطيع أن نضفي "قدسية" على حياة تتج عن خلية جسدية. وفي واقع الأمر يجري حالياً إجراء تجارب على هذه الخلية المستنسخة لاستخدامها كمصدر للخلايا الجذعية دون اللجوء إلى البويضات المخصبة؛ وهذا من شأنه أن ينهي الجدل كله بطبيعة الحال، ومع ذلك لا ينبغي أن تغفل عين العلماء عن متابعة تلك الأبحاث تحسباً من أية نتائج غير مرغوب فيها. ويبدو لنا أن أحد مشكلات هذا الجدل تتمثل في ميل طرفيه لاتخاذ قرارات مطلقة.

$$1 \neq 1000 \text{ ولكن } 1/1000 = 1/1000$$

معنى ذلك أن النظر إلى البسط دون المقام يؤدي إلى نتائج غاية في التضليل؛ فالمرء يجب أن يأخذ في الاعتبار وجهي العملة.

ويسوء الإنسان بعض الشيء ما يحدث من تدني هذه القضية إلى مستوى السياسة؛ فقد ثبت في مناسبات عديدة أن السياسة متقلبة وأنها تتحول من المثالية إلى النفعية وبالعكس دون ثبات على مبدأ، ومن المضحك المبكي معاً أن نرى كثيراً من رجال السياسة يملأون الدنيا ضجيجاً دفاعاً عن الحياة الإنسانية البريئة في بويضة، بينما لا يلقون بالأحياة الإنسانية البريئة عندما يفتك بها غزو عسكري.

### استطرد لأفكار البحث

يبدو لي - كمسلم - أن تناول القضايا التي ناقشناها حتى الآن بمعزل عن السؤال الجوهرى يؤدي إلى اختزالها ويضعف من تماسكها. فالمسلمون ومعهم - كما أعتقد - أتباع الديانات السماوية يؤمنون بصفة عامة بأن الإنسان له دور في هذه الدنيا يتميز عن باقي المخلوقات؛ فلقد جعل الله الإنسان خليفة له في الأرض بالرغم من طبيعته التي تشمل مكونات أرضية تشده إلى أسفل وأخرى ربانية (روحية) تصعد به إلى أعلى، كما أن الله حبا الإنسان بذاتية مستقلة تمكنه من الاختيار بإرادته الحرة ووهبه القدرة على التمييز بين الخير والشر، ولذلك كله سيكون على الإنسان أن يواجه يوم الحساب الذي لا مفر منه، ولكي يجتاز الإنسان هذا الاختبار أرسل له الله رسلاً وأنبياء من بني جنسه ليهدوه سواء السبيل وليذكروه دائماً على طول عصور التاريخ البشرى. وقد بين الله للإنسان بكل دقة ووضوح بعضاً من المعالم الرئيسية فيما يختص بالخير والشر، ولولا ذلك لضل الإنسان طريقه إلى الحق والصواب؛ فالعقل البشرى بعيد عن الكمال ومن ثم فهو معرض للغواية؛ فلا غرو إذن أن يفكر العلماني بطريقة مختلفة وأن يتوصل إلى استنتاجات مختلفة، وفي عالمنا هذا لا يفكر الناس جميعاً بنفس

الطريقة، إذ لهم أنماطهم المختلفة فيما يؤمنون به أو لا يؤمنون. وهذا هو واقع حياتنا الذي ينبغي أن نتقبله.

وهناك فارق كبير بين أن يخلص المرء لمعتقداته ويهتم بعرضها على الآخرين وبين أن يقاتل الآخرين دفاعاً عنها، على أن هناك الكثير من القواسم المشتركة تجمعنا نحن البشر مهما كان التنوع فيما نؤمن به من [إيديولوجيات]؛ ذلك أننا أبناء جنس واحد تراكمت لديه عبر آلاف السنين مهارات ومعارف كثيرة..

ومن الاتجاهات التي بدأت تبرز مؤخراً بيننا ذلك الاختلال الواضح في التوازن بين القيم الروحية والقيم المادية؛ فقد بدأ الميزان يميل بشكل ملموس إلى الناحية النفعية على حساب النواحي المثالية. إننا نربي أولادنا على نبذ الأنانية، ولكننا نمارس نحن الكبار سلوكيات تتسم بهذه الأنانية تحت مسميات مختلفة: كالوطنية والعنصرية والطبقية .. إلخ.

إن الأصوات التي ترتفع دفاعاً عن الإنسان وإشادة بالحياة الإنسانية تضع تحت دوي حقائق مرة تغمر عالمنا الحاضر، منها أن صناعة الموت صارت أكثر الصناعات ربحية، ويكفي لإقامة الدليل على ذلك أن نعقد مقارنة بين الميزانيات التي تُرصد للمشروعات السلمية وبين تلك التي توجه لتمويل الحروب.

وحتى عهد قريب كانت العلوم الطبية تعتبر جهداً إنسانياً يسير في اتجاه واحد نحو توفير الشفاء وجلب الرحمة للغني والفقير والصديق والعدو على حد سواء.

وعندما أسقطت أول قنبلة ذرية على هيروشيما قال أوبنهايمر (أبو القنبلة الذرية): "اليوم، سقطت الفيزياء في الإثم".

لقد كنا نعتقد أن للعلوم الطبية حصانة من الوقوع في الإثم، حتى

أفقتنا على أخبار الحروب التي يمكن أن تستخدم فيها قنابل البكتريا والغازات السامة.

إن فكرة الحرب كشر لا بد منه كان يمكن احتمالها حتى القرن العشرين على افتراض أنها تقتصر على القوات المتحاربة، ولم يعد الأمر كذلك منذ الحرب الأسبانية في الثلاثينيات من القرن العشرين وكذلك خلال الحرب العالمية الثانية وما تلاها من حروب بما في ذلك كوريا وفيتنام وصراعات أخرى كثيرة؛ ففي كل تلك الحروب لم تكن الحياة الإنسانية وحدها هي التي أصابها الفتك والدمار وإنما امتد ذلك ليشمل الزرع والضرع، بل وحتى التربة الزراعية.

إن التقدم العلمي الذي يهدف إلى استئصال ما يعانیه البشر من ألم ومرض لهو شعاع الأمل في هذا البحر المظلم، إلا أن هذه الصورة المشرقة تشوبها ظلال من قلق؛ فالإنجازات الجديدة تستلزم تكاليف باهظة عند استخدامها في العلاج، وأصبحت حقوق الملكية الفكرية قضية تشغل بال الجميع، ويبدو أن علماء الطب بدأوا ينتقلون من "أبراجهم العاجية" العتيقة إلى "أبراج ذهبية"، وقد يكون الاحتكار في ظل الملكية الفكرية شيئاً معقولاً، ولكن لا يجب أن يتجاوز حدوده، فالعلاج المُكلف لا يجب أن يكون من حق الأغنياء فقط، كما لا يجب أن تكون مسألة المساواة والعدالة خارج نطاق القانون. إن زماننا المعاصر هو زمن الموارد المحدودة، فإذا كنا نؤيد النظرة إلى المجتمع البشري باعتباره أسرة واحدة كبيرة فإنه ينبغي - تبعاً لذلك - أن نراعي عند توزيع الموارد تغليب العلاجات والأدوية التي تنقذ حياة الملايين على تلك التي تهتم بمشاكل أقلية من الأغنياء، حتى لو كانت أدوية الملايين لا تدر أرباحاً كبيرة للصناعة. إن الإنسانية قد تخطو خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح إذا تغيرت مفاهيم الربح وتجاوزت النظرة الضيقة التي تقول: إن الربح لا يقاس إلا بالدولار، فليس بالدولار وحده يعيش الإنسان.

ليس أمام أصحاب الضمائر - خاصة المؤمنين بالعقائد السماوية - إلا أن تتضافر جهودهم لإيجاد تيار معاكس لهذه الفلسفة الأنانية المادية النفعية التي تفشت في حياتنا دون كبح أو رابط، والانتقال بالإنسانية إلى اتجاه يستهدف الحب والرحمة والتضامن، ينبغي على الناس أن يكفوا عن التعامل بأسلوب "أنت وأنا" وأن يتجاوزوا هذا المفهوم الذي يفرّق، إلى التعامل بأسلوب "نحن" الذي يضم ويجمع.

## اليوم الأول

(الإثنين ٦/٢/٢٠٠٦م)

### المحور الأول

الإنسانية والخلق - العالم على الفطرة

### الجلسة العلمية الأولى

(خلق الإنسان - الفطرة والطبيعة -

رؤية إسلامية - مسيحية - علمانية)

الرئيس: الدكتور إبراهيم بدران

المقرر: الدكتور عبد العزيز سويلم

المتحدثون:

١ - الدكتور بروس فولتز

٢ - الدكتور مصطفى أكيول

٣ - الدكتور أسعد السحمراني





إنها كلها قد أصبحت لكم من  
بستاني وراعي للطبيعة  
إلى متأمل وسيد لها  
للكتور بروس فولتز

هـ. تريسترام انجلهارت وبروس فولتز



## إنها كلها قد أصبحت لكم من بستاني وراعي للطبيعة إلى متأمل وسيد لها الدكتور بروس فولتز

هـ. تريسترام انجيلهارت (\*) وبروس فولتز (\*\*)

١ - الأشياء التي يتعين على أبناء إبراهيم تعلمها: مواجهة الثقافة العلمانية بوسائل أخرى لتقييم الحقيقة.

يتجلى التباين بين المنظورين الديني والعلماني واضحاً عند تقييم تقنيات الإنجاب والوراثة في البشر. ويرجع اختلاف هذين المنظورين لاختلاف ما سماها لودفيك فليك (١٩٦١-١٨٩٦) بأساليب التفكير الموجودة داخل مجموعات الأفكار المختلفة<sup>(١)</sup>.

ومن الممكن أن نستخدم المفهوم الذي أخذه توماس كوون (١٩٩٦-١٩٢٢) من فليك ثم طوره فنقول: إن الاختلاف ناجم عن

---

(\*) هـ. تريسترام انجيلهارت حاصل على الدكتوراه، طبيب وأستاذ بقسم الفلسفة، جامعة راييس وأستاذ متقاعد بكلية بيلور للطب في هيوستون، تكساس.

(\*\*) بروس فولتز حاصل على الدكتوراه، أستاذ الفلسفة بجامعة ايكهارد، سانت بيترز بوج، فلوريدا.

(١) لودفيك فليك Entstehung und Entwicklung einer wissenschaftlichen Tatsache (Basel:Benno Schwabe,1935).

Genesis and Development of a Scientific Fact, ed. T.J. Trenn and R. K. Merton trans. F. Bradley and T.J. Trenn (Chicago: University of Chicago Press, 1979).

اختلاف النسق<sup>(١)</sup>، أى أن الأديان المؤمنة بالوحدانية والتي تعترف بسيدنا إبراهيم - ألا وهى اليهودية والمسيحية والإسلام - تتعامل مع القضايا المتصلة بتقنيات الوراثة والإنجاب البشريين من خلال فهم للحقيقة يختلف أساسيا وجذريا عن الفهم العلماني<sup>(٢)</sup>. بل إن هناك اختلافات بينة فى الميتافيزيقيا والمعرفة وعلم القيم والاجتماع ولهذا فمن المهم أن نشير فى البداية إلى هذه الاختلافات.

- (١) توماس كوون. بنية الثورات العلمية (شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٦٢، الطبعة الثانية، الموسعة، ١٩٧٠). أقوم هنا بتفسير كوون من خلال تطوير التفرقة التى قدمتها مارجریت ماسترمان بين النسق الميتافيزيقية، والنسق البنائية، والنسق السوسولوجية مارجریت ماسترمان " طبيعة النسق " فى نقد ونمو المعرفة. تحرير إمري لاکاتوس والين ما سجریف(لندن: مطبعة جامعة كيمبريدج، ١٩٧٠) ص ٥٩ - ٨٩.
- (٢) أصف هذه الأديان بأنها تقليدية لأوضح أنها لم تتغير بتأثير عصر التنوير والقوى العلمانية والثقافية المشابهة.

يتسم اللاهوت فى مسيحية الألفية الأولى وفى المسيحية الصحيحة اليوم بفهمه لحقيقة أن المعرفة اللاهوتية هى نتاج لاتحاد العارف بالمعروف. اتسمت المسيحية الغربية بإيمانها القوى بالعقل. ويظهر هذا الإيمان فى الاتحاد بين الميتافيزيقا واللاهوت الذى حدث فى أواخر العصور الوسطى. وعلى العكس، أكدت الكنيسة فى المجلس الخامس بالقسطنطينية الموازى للمجمع المسكونى التاسع (١٣٤١، ١٣٤٧، ١٣٥١) على محورية المعرفة العقلية. كما أكد أيضا المجلس بصورة ضمنية أن الإنسان يصبح بدون هذه المعرفة محبوساً داخل مجال لزومى كما حدث فى حالة الفلسفة الغربية مروراً بديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦) وإيمانويل كانط. يعطى إعلان الجبل (جبل أثنوس) الذى يؤكد أن المعرفة المسيحية هى معرفة عقلية تقوم على التجربة العملية ملخصاً عن طبيعة هذه المعرفة العقلية.

إن العقل يستطيع رؤية نور معين، بينما ترى الحواس نوراً آخر. فالحواس ترى النور المحسوس الذى يوضح ويبين ما هو ملموس فى الأشياء المحسوسة. ولكن نور العقل هو المعرفة الروحية الكامنة فى التفكير وإعمال العقل. ولهذا فإن البصر والعقل لا يريان نفس النور ولكن كل منهما يعمل فى إطار حدود طبيعته الميسر لها. عندما يفوز القديسيون بالقوة والفضل الروحيين والغيبيين فإنهم يرون بالبصر وبالعقل ما يتجاوز كلا من البصر والعقل بالطريقة التى وصفها القديس جريجورى نازيانوس حين قال الله وحده هو الذى يعلم هذه الأشياء ومن تحدث لهم هذه الأشياء.

يحتاج التمييز بين النسق المختلفة إلى استخدام أفكار من [فليك وكونون] (اللذان يتناولان على التوالي الطب والعلوم الطبيعية) لعرض الاختلافات الأساسية في الأخلاق والأخلاقيات الحيوية بين كل من المنظور الديني والعلماني. ويمكن تلخيص هذه الاختلافات تحت أربعة عناوين.

**أولاً: الاختلافات الميتافيزيقية:** حيث يُعتبر كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين أن الطبيعة والأشخاص مخلوقات وبالتالي لا يمكن معرفتهم إلا من خلال معرفة الخالق، فينبغي علينا مثلا أن نفهم أن الجمال الموجود في كل مكان حولنا المقصود به هو لفت النظر إلى عظمة الخالق؛ ولو لم نستشعر ذلك فسوف نزلق إلى الوثنية فنعبد الأشياء المخلوقة وكأنها آلهة في حد ذاتها، وعلاوة على ذلك علينا أن نستخدم الأشياء الطيبة الموجودة في عالمنا بالطريقة التي أمرنا بها الله وإلا سوف تنقلب النعم إلى نقم.

يعجز المنظور العلماني عن فهم العلاقة بين الإنسان والطبيعة على اعتبار

---

= القديسان نيكوديموس وماكاروريوس The Philokalia. ترجمة وتحرير جي - إي - بالمرفيليب شررد وكالستوس وير (بوسطن: فيبر وفير، ١٩٨٨)، مجلد ٤ ص ٤٢٤ يؤدي هذا الفهم للمعرفة إلى إدراك أن الروح القدس التي تم إيجاء الإنجيل من خلالها، لا تزال تلهم الكنيسة في كل شيء تفعله الآن. يمكننا أن نتدبر على سبيل المثال تعليق قاله القديس سيلوان الآثوني (١٨٦٦ - ١٩٣٨): " إذا افترضنا لأي سبب من الأسباب أن الكنيسة فقدت كل ما تملكه من كتب ومن العهدين القديم والجديد ومن كتب الآباء المقدسين ومن كل كتب الصلاة - ماذا سيحدث في تلك الحالة؟ ستقوم المأثورات والأعراف المقدسة بإعادة الكتاب المقدس، ليس بشكل حرفي بالطبع. ربما يختلف الشكل اللغوي ولكن المضمون سيكون معبراً عن نفس العقيدة التي أرسلت إلى القديسين " (جوود ٣) إنه سوف يكون تعبيراً عن الروح القدس الواحد والوحيد الذي لا يزال يعمل بشكل نشط في الكنيسة فهو أساسها وجوهرها.

الكتاب المقدس ليس أكثر عمقا ولا أكثر أهمية من المأثور والأعراف المقدسة ولكنه كما قلنا سابقا: أحد أشكالها، وأكثرها قيمة لأنه قد تم حفظه وبسهولة استخدامه.

آرشيما ندرائيت سوفرونى، Saint Silouan the Athonite ترجمة روزمارى ادموندز (إسيكس، دير القديس يوحنا المعمدان، ١٩٩١) ص ٨٧.

أن كليهما جزء من العالم الذي خلقه وحدده الله، لأنه لا يعترف أصلاً بوجود الخالق وبالتالي فهو يجهل العلاقة بين الخالق وبين الأشياء المخلوقة.

ثانياً: الاختلافات المعرفية: يعتبر اليهود والمسيحيون والمسلمون أن هناك - بالإضافة إلى المعرفة القائمة على التجربة والتجربة الفلسفية القائمة على التأمل - نوعاً ثالثاً من المعرفة يكتسب من خلال العلاقة بالله، وهم يعتبرون أن هذه المعرفة تعتمد جزئياً على وحي سبق نزوله كالتوراة بالنسبة إلى اليهود، والإنجيل بالنسبة إلى المسيحيين والقرآن للمسلمين.

ولكن هذه المعرفة متاحة أيضاً في كل الأزمنة بسبب الفضل الإلهي<sup>(١)</sup>. وحتى قبل نزول الوحي الموجود في الكتب المقدسة كانت

(١) الموقف المعرفي المسيحي اللاهوتي الأوثوزوكسي لا يؤيد الآراء التي ظهرت في الكاثوليكية الرومانية وقامت بتأكيد وجود إمكانيات كبيرة للتفكير في القانون الطبيعي. يدرك التفكير الأخلاقي المسيحي التقليدي أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف قواعد السلوك السليم إلا إذا كان يمارس عبادة سليمة. ولهذا فلا بد أن نتكلم عما ذكره القديس بولس عن العلاقة بين العبادة السليمة وبين الحس الأخلاقي السليم في تفسيرنا للفصل الثاني من الرسالة إلى مؤمنى روما (١ : ١٨-٢٧). وإذا لم نقرأ الفصل الثاني من الرسالة إلى مؤمنى روما في ضوء الفصل الأول فستكون النتيجة أن نجد في كلام القديس بولس معرفة أخلاقية لا تتطلب عبادة سليمة ولا إيماناً سليماً للوصول إلى معرفة الأخلاق. وقد أدى هذا في كثير من الأحيان إلى إساءة فهم الفصل الثاني من رسالة بولس الرسول في السياقات المسيحية الغربية، فقد استنتج منها أن العقل العلماني يستطيع أن يكشف القواعد الأخلاقية الأساسية حتى ولو كان من يعرفها غير مؤمن ولا يتعبد ولا يتصرف بشكل سليم، ويكتب القديس بولس في الرسالة إلى مؤمنى روما " " إذن الأمم التي بلا شريعة، عندما يمارسون بالطبيعة ما في الشريعة، يوجدون لأنفسهم شريعة، مع أن الشريعة ليست لهم. فهم يبينون أن جوهر الشريعة مكتوب في قلوبهم، ويشهد على ذلك ضميرهم وأفكارهم التي في داخلهم " رسالة إلى مؤمنى روما ٢ : ١٤-١٥. يوضح القديس جون كريسوستوم في تعليقه على هذا النص أن القديس بولس يتكلم فقط عن أبناء الأمم الذين يعبدون الرب الحقيقي على الرغم من كونهم غير يهوديين. فهو يقول " إن القديس بولس لا يعنى بكلمة الأمم هنا من يعبدون الأوثان وإنما من يعبدون الرب والذين يطيعون قانون الطبيعة والذين يحافظون بكل دقة والتزام على كل الأشياء التي تؤدي إلى التقوى =

هذه المعرفة موجودة في الطبيعة التي تستطيع أن تنتقل بنا من الأشياء المخلوقة التي نراها بأعيننا إلى الخالق الذي لا يمكننا أن نراه .

ولهذا نجد أن اليهود والمسيحيين والمسلمين فيما يتصل بالاستخدام السليم لتقنيات الوراثة والإنجاب البشريين يسوقون دعاوى أخلاقية قائمة ومحددة على أساس دعاوى معرفية لا تتوفر للعلمانيين وهذا ما تؤكد مسيحية القرن الأول (التي لا تزال موجودة حتى الآن في المسيحية الصحيحة) حيث تعتبر أن العبادة والسلوك السليمين لازمان للمعرفة السليمة<sup>(١)</sup> .

= (فيما عدا الأعراف اليهودية) من أمثال ملخيزيديك وأيوب وكورنيلوس ... فالضمير والعقل يكفيان بدلا من الشريعة" .

كريسوستوم في الوعظة الخامسة عن رسالة إلى مؤمني روما في فيليب شاف محرر Nicene and post- Nicene Fathers and بيودي ماساتشتوسيتش، هندريكسون للنشر، (١٩٩٤) المجلد الثاني ص ٣٦٣- ٣٦٥ ويقر القديس يوحنا في تعليقه بأن العبادة السليمة تعد شرطاً أساسياً للمعرفة الأخلاقية المنظمة. إذن فباختصار المسيحية الأرثوذكسية تؤكد على أننا لا بد أن نفسر الآراء اللاهوتية الطبيعية للقديس بولس في الفصل الثاني من الرسالة إلى مؤمني روما في ضوء النقاط التي يقوم بشرحها في الفصل الأول. وبشكل عام يمكن القول بأن المسيحية تعتبر الطبيعة أيقونة للخالق. نحن لا نبحث في الطبيعة عن آثار الخالق، بل إننا ننظر من خلال الطبيعة وعبرها حتى نرى الخالق.

(١) أول وأهم وصية بالنسبة للمسيحيين هي إعادة صياغة الوصية الموجودة في الكتاب الرابع لموسى " احبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم) كتاب التثنية ٦ : ٥ أجاب يسوع " أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل فكرك. هذه هي الوصية العظمى الأولى (متى ٢٢ : ٣٧ - ٣٨). هذا التركيز على الرب يعنى كما وضع موسى ميمونيدس (١٣٥ - ١٢٠٤) أننا لسنا فقط مطالبين بالتصرف على نحو أخلاقي، وإنما نحن مطالبون بأن نفعل ذلك طاعة للرب. فعلى سبيل المثال يقول موسى ميمونيدس إن "أي إنسان يقبل تنفيذ القوانين السبعة (قوانين نوح السبعة) ويتبعها بدقة يصبح واحداً من "الأتقياء وسط الأمم" ويستحق أن يكون له نصيب في الآخرة. ولكن هذا ينطبق فقط في حالة إذا ما كان تنفيذ هذه القوانين نابعاً من اعتقاده بأن القدوس، تبارك اسمه، هو الذي أمر بها في التوراة وأبلغنا بذلك عن طريق معلمنا موسى وأن ذرية نوح كانت مطالبة قبلنا باتباعها. ولكن إذا كان اتباع هذه القوانين نابعاً من اقتناع عقلي، فهو إذن ليس الغريب المقيم ولا هو واحد=



ثالثاً: الاختلافات القيمة: يعتقد اليهود والمسيحيون والمسلمون

أن علينا - بجانب الاهتمام بالحق والخير والفضيلة - أن نهتم أيضاً

= من "الأتقياء وسط الأمم" ولا هو واحد من "رجالهم الحكماء (موسى ميمونيديس، Mishneh Torah، ترجمة: توجيه إلباهو نيويورك: مونزايم للنشر، ٢٠٠١، ص ٥٨٢). يؤكد ميمونيديس أن الوثني البر لن يكون له نصيب في الآخرة (لن ينال الخلاص) إلا إذا كان هذا الشخص غير اليهودي يتبع قوانين نوح لأنه يعترف بأنها من وحى الرب. يشرح الحاخام توجيه في تعليقه على التوراة " وهكذا تنقسم الأمم إلى ثلاثة أقسام حسب درجة قبولهم للقوانين السبعة: الغريب المقيم وهو الذي يقدم التزاماً رسمياً أمام محكمة التوراة، والنقى وسط الأمم وهو الشخص الذي يقبل القوانين السبعة لاقتناعه العقلي بها (ميمونيديس ص ٥٨٣). لن يكون هناك نصيب في الآخرة لغير اليهودي الذي يتصرف بشكل سليم وأخلاقي نتيجة لاقتناع عقلي أو رؤية فلسفية وليس لاعترافه بأن الرب يأمرنا بهذا السلوك. ويوجد نقاش أوسع لهذه القضايا في مقال ستيفن شوارتز تشايلد "Do Noachites Have to Believe in Revelation The Jewish Quarterly Review 52 (April,1962),297-308 and The Jewish Quarterly Review 53 (January,1963),30-65

لقد رفض الفيلسوف الحدائى بينيديكت سينوزا موقف موسى ميمونيديس "ميمونيديس يزعم بصراحة ما يلي " أن كل إنسان يعتنق المبادئ السبعة ويتبعها بمتتهى الدقة لأن الله هو الذى أمر باتباعها في شريعته وإنزالها إلينا عن طريق موسى ولأنها كانت فيما سبق مبادئ لأبناء نوح، فإن هذا الشخص يعتبر واحداً من "الأتقياء وسط الأمم " وسوف يرث العالم الآخر. أما الشخص الذى يتبع هذه المبادئ لأنه توصل إليها عن طريق العقل فهو لأبعد واحد من الأتقياء ولا من الحكماء. تلك هى كلمات ميمونيديس. ويضيف إليها ر. جوزيف ابن شم جوب فى كتابه God's Glory بالرغم من أن جوب يعتبر أرسطو أفضل من كتب فى الأخلاق ويعتبر أن مكانته تعلو على مكانة أى شخص آخر وأنه لم يغفل أى جانب متعلق بالأخلاق الصحيحة وهذا واضح فى كتابه وبالرغم من أنه تبنى هذه المبادئ واتبعها بكل دقة، إلا أن كل هذا لا يكفي لخلاصه لأنه اعتنق هذه المبادئ لأن العقل أملاها عليه ولم يعتبرها مستندات إلهية أنزلت عن طريق الرسل. بنديكت دى سينوز A Theologico-Political Treatise ترجمة ر. هـ. م إليوس (نيويورك: دوفر ١٩٥١) ص ٨٠. يعترف كل من المسيحيين واليهود بأن الإنسان لا بد أن يجب الرب أولاً ويطيعه باعتباره سيده ولهذا فإن الأخلاق العلمانية غير كافية. علاوة على ذلك فإن الشريعة التى تعمل داخل قلوب أبناء الأمم (رسالة إلى مؤمنى روما ٢: ١٥) ليست تلك التى أعطيت لموسى ولكنها الشريعة التى أعطيت لنوح وأبنائه.

بالمقدس؛ والسبب في هذا - جزئياً - هو أن اليهود والمسيحيين لا يعتقدون أن علينا فقط اتباع الخير والحق والفضيلة ولكن علينا أن نتبعهم لأن تلك هي أوامر الله<sup>(١)</sup>. ويرجع هذا إلى أن اليهود والمسيحيين والمسلمين يرفضون ما ذهب إليه أفلاطون في يوثيفرو من أن الله مضطر لأن يؤيد الخير والحق والفضيلة لأنهم كذلك دون رجوع إلى الله (وأن الخير والحق والفضيلة لا تستمد هذه الصفات من الله)، وعلى العكس من ذلك يعتقد اليهود والمسيحيون والمسلمون باستحالة فهم أى مخلوق دون فهم للخالق وعلى ذلك فإن أية محاولة لفهم هذه الأشياء دون فهم للخالق أو للمقدس ستكون بالضرورة - وإلى حد كبير - أحادية وغير كاملة، أو إذا أردنا أن نعبر عن المسألة بشكل أكثر قوة يمكننا أن نقول: إن حقيقة الخير والحق والجمال والفضيلة سوف تتعرض للتشويه إذا تم فهمها بعيداً عن الخالق.

(١) تؤكد المسيحية ما قاله المسيح عندما أعاد صياغة ما ذكره سفر التكوين "ولكن منذ بدء الخليقة جعل الله الإنسان ذكراً وأنثى". (مرقس ١٠ : ٦). وكما يؤكد القديس بولس أن الرجل هو "صورة الله ومجده. أما المرأة فهي مجد الرجل. فإن الرجل لم يؤخذ من المرأة، بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المرأة، بل المرأة وجدت لأجل الرجل". (الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس ١١ : ٧-٩) وهذا هو سبب تأكيد القديس بولس على سلطة الرجال في الكنيسة وفي العائلة. "على المرأة أن تتلقى التعليم بسكوت وبكل خضوع. ولست أسمح للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل". (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ : ١١-١٢). "أيتها الزوجات اخضعن لأزواجكن كما للرب. فإن الزوج هو رأس الزوجة كما أن المسيح هو أيضاً رأس الكنيسة، وهو نفسه مخلص الجسد. أما الزوجة فعليها أن تهاب زوجها... (الرسالة إلى مؤمني أفسس ٥ : ٢٢ - ٢٣، ٣٣). ونتيجة لوجود ترتيب لمكانة الرجل ومكانة المرأة، لا يوجد قسيسون من النساء. والقديس كريسوستوم يعترف بهذا الترتيب فيؤكد في إحدى وعظاته "لقد خلق الرب نظاماً واحداً للسيادة، وضع فيه الرجل فوق المرأة. الوعظة رقم ٧٠٣٤ عن الرسالة الأولى للمؤمنين كورنثوس ٨٢٨. في كتاب Nicene and Post- Nicene Fathers السلسلة الأولى تحرير بيتر شاف (بيبودي) ماس: هندركسون للنشر، ١٩٩٢) مجلد ١٢ ص ٢٠٥.

رابعاً: سوسولوجية المعرفة الأخلاقية: يعتقد اليهود والمسيحيون والمسلمون أن الأشخاص المتعلمين الذين يملكون القدرة على التفكير والتأمل والذين يدرسون القضايا الأخلاقية دون أن يتكلموا عن الله وأوامره ليسوا الوحيدين القادرين على تقديم النصح والإرشاد في مجال تقنيات الوراثة والإنجاب البشريين. بل إن التفسير السليم للاستخدامات الصحيحة لتقنيات الوراثة والإنجاب البشريين يحتاج إلى معرفة باللاهوت حتى أن التطور في التقنيات يصبح خطيراً إذا لم تصاحبه معرفة لاهوتية.

هناك اختلافات نسقية بين التوجهات الأخلاقية الدينية والعلمانية وبين الأخلاق الحيوية الخاصة بكل منهما؛ والسبب في هذه الاختلافات هو اختلاف المفاهيم الميتافيزيقية والمعرفية والقيمية الاجتماعية والتي تشكل مجتمعة ما يشبه الهوة السحيقة. فحتى عندما يستخدم العلمانيون والمتدينون نفس الاصطلاحات ويتوصلون إلى نفس النتائج، فإن هذه الاصطلاحات والنتائج تكون نابعة من تفسيرات وسياقات مختلفة تماماً. فكما أن عالم الفيزياء الذي يتبع أرسطو وذلك الذي يتبع نيوتون والآخر الذي يتبع أينشتاين كلهم يتحدثون عن الفراغ والوقت والكتلة والطاقة، إلا أن هذه الاصطلاحات تستخدم في كل حالة لأهداف مختلفة وتكون لها أبعاد مختلفة، كذلك الباحثون في الأخلاق من العلمانيين والمتدينين قد يستخدمون نفس الاصطلاحات ولكن بمعان مختلفة.

ويتضح التباين الشاسع بين الاتجاه العلماني والاتجاه الديني فيما يتعلق بتقنيات الوراثة والإنجاب البشريين إذا نظرنا إلى الفهم المختلف لدى كل جماعة لمعنى الحياة داخل هذا الكون؛ فاليهود والمسيحيون والمسلمون يؤمنون من جانبهم بأن هذا العالم من خلق الله ويخضع لإله مهيمن. أما العلمانيون فيعتقدون أن هذا العالم ليس له مصدر ولا غاية كما أنه يخلو من أي غرض أو هدف.

إنّ الفيلسوف [إيمانويل كانط] اعتبر وجود الله أحد مسلمات العقل العملي أو العقلانية الأخلاقية في كتابه نقد العقل العملي (١٧٨٨). ولكن يعتقد الفكر الأخلاقي العلماني اليوم مذهب اللاأدرية على اعتبار أنه أحد مسلمات العقل العملي. ولهذا يعتبر اليهود والمسيحيون والمسلمون الباحثين في الأخلاق من العلمانيين ضائعين في هذا الكون لأنهم لا يفهمون بضعة أشياء:

- ١ - أن عالم الحقيقة هو من صنع الله.
- ٢ - أن الله قد وضع قواعد يجب أن يطيعها كل البشر.
- ٣ - أن الله سوف يحاسب الجميع وفقاً لامتثالهم وطاعتهم لهذه القواعد. وعلى هذا فاليهودي أو المسيحي أو المسلم يفكر في كل القضايا الأخلاقية المتعلقة بتقنيات الوراثة والإنجاب البشريين من خلال نسق يتناقض تماماً مع ذلك الذي يستخدمه العلمانيون، وأود أن أؤكد مرة أخرى أنه حتى في الحالات التي تبدو النتائج فيها متشابهة، إلا أن ما يحدد المعنى هو أطر ميتافيزيقية ومعرفية وقيمية واجتماعية مختلفة.

خادم الله: إنه السيد الحاكم للطبيعة وأيضاً المتأمل المتواضع لها: فإذا أردنا الحديث عن المفهوم المسيحي للضوابط العملية على تقنيات الوراثة والإنجاب البشريين، فلا بد أولاً أن نحدد القواعد الثابتة المقيدة والتي تتضمن النقاط التالية:

- ١ - أن المسيحية تؤكد جوهرية الاختلاف بين الجنسين بحيث لا نستطيع أن ننحي جانباً الاختلافات بين الرجل والمرأة<sup>(١)</sup>.

---

(١) يؤكد القديس جون كريسوستوم أن الإنجاب لا بد أن يحدث عن طريق اتحاد جسدي الرجل والمرأة ولا يصلح أن يتم بوسيلة لا يدخل فيها الجنس، وبالتالي فهو يرفض ضمن أشياء أخرى الاستنساخ. راجع القديس جون كريسوستوم. الوعظ رقم ٢٠ عن الرسالة إلى مؤمني أفسس.

- ٢ - لا بد أن يقع أي فعل جنسي أو إنجابي بين الرجل والمرأة داخل مؤسسة الزواج.
- ٣ - من غير الجائز التخلص من الحياة البشرية بما فيها حياة الجنين المضغي<sup>(١)</sup>.
- ٤ - لا يمكن أن يتغير الجسد البشري الذي تجسد فيه المسيح من خلال الهندسة الوراثية ليخرج عن الطبيعة المتعارف عليها للبشر.
- ٥ - على الرغم من أن الإنسان من الممكن أن يصير نباتيا لأسباب صحية أو من باب التقشف، إلا أن الحياة العادية للإنسان تؤكد أنه من حقه أن يقتل الحيوانات ليأكل؛ وفي هذا اعتراف بنعمة الله على نوح وأبنائه<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - علينا دائما أن نتصرف بحكمة حتى لا تكون الأضرار الناجمة عن أفعالنا أكبر من الفوائد المترتبة عليها، وعلينا أيضا ألا نستخدم الدواء أو الطب الأحيائي وكأنما يتحكم فينا هوس مسيطر. كما لا ينبغي أيضا أن نربط العلوم بالأهواء الإنسانية ونحيل هذه الحياة إلى صنم أو معبود<sup>(٣)</sup>.
- ٧ - وفي نفس الوقت لا بد أن نتذكر أن الله عندما خلق الطبيعة لم يخلقها فقط لتفي باحتياجات أجسامنا ولكن لتشبع أيضا احتياجاتنا الروحية وأيضا لتساعدنا على " فهم الخالق عن طريق ما خلقه فنرى الخالق في انعكاس أشعة الشمس على الماء مثلا حيث إن كل الأشياء هي

(١) أن رفض المسيحية للإجهاض لا يتوقف على نفخ الروح في الجنين، ولكن يتوقف فقط على قتل الجنين. انظر القديس بازيل الخطاب رقم ١٨٨.

(٢) يمنع سفر رقم ٥١ من أسفار الرسل البالغ عددها ٨٥ والذي يؤكد العهد مع نوح أن يكون الإنسان نباتيا من باب التأنف أو لكراهية اللحم قائلا: إن هذا يعتبر بمثابة تجديف على ما خلقه الله وبهذا يؤكد العهد مع نوح.

(٣) لقراءة نقاش حول مخاطر الانشغال بالطب إلى الدرجة التي تجعل الحفاظ على الحياة صنما راجع كتاب القديس بازل The Long Rules الإجابة عن السؤال رقم ٥٥.

انعكاس متفاوت الدرجات للخالق.<sup>(١)</sup> وأى تدخل فى الطبيعة من الممكن أن يحول دون قدرتها على أن تعكس وجود الخالق؛ وبالتالي يجب التعامل مع أشكال التدخل بالحذر والدعاء.

يمكن للمسيحيين إذا لم يتجاوزوا هذه الضوابط أن يستخدموا تقنيات الوراثة والإنجاب البشريين بما فيهما الهندسة الإنجابية. فمثلا لا يوجد من حيث المبدأ ما يمنع إزالة الجينات المسببة للأمراض أو الإعاقات سواء فى الجينات الجسدية أو التناسلية للشخص وفى كل من ينحدرون من هذا الشخص ومن حيث المبدأ ليس هناك ما يمنع تصحيح طبيعتنا الساقطة إذا لم يحدث تجاوز للضوابط التى تم ذكرها. فكما قال القديس بازيل "كل مهنة هى هبة من الله تقوم بعلاج القصور الموجود فى طبيعتنا".<sup>(٢)</sup> وعلى هذا فربما يكون جائزاً أن نسعى لتبديل أعمار البشر مرة أخرى؛ ففيما سبق كانت الأعمار تبلغ تسعمائة وتسعة وستين عاماً وهذا هو عمر (متوشالغ). (التكوين ٥ : ٢٦).

ولكن لابد أيضا ألا تخرج المهنة عن الحدود التى وضعها الله. فقد قال القديس بطرس فى فيلو كاليا "إن كرم الله وحكمته وأيضا قوته

(١) القديس ثيودورس الزاهد العظيم Theoreticon فى Philokalia ترجمة جى. بى. هـ. بالمر وآخرين (لندن: فيبر وفير، ١٩٨٤). ص ٤٥. لقد أصاب القديس ماكسيموس المعترف فى قوله "إننا لا نعرف الرب عن طريق ماهيته أو جوهره، بل نعرفه فى عظمة مخلوقاته ورعايته الإلهية لجميع المخلوقات. يشرح القديس ماكسيموس أمره لنا بأن نعرف الله عن طريق الطبيعة فى صيغة ثالوثية فيقول "نحن نعرف من المخلوقات من أوجدها ومن الاختلاف بين المخلوقات نعرف الحكمة الموجودة داخلها، ومن النشاط الطبيعى للمخلوقات يمكننا أن نميز الحياة الموجودة فى المخلوقات أو القوة التى تعطى الحياة للمخلوقات وهى الروح القدس. " القديس ماكسيموس المعترف First Century on Love ص ٤٦ و First Century of Various Texts ص ١٨٠ فى بالمر وآخرين.

(٢) القديس بازل. Ascetical Works ترجمة الأخت م. مونيكا واجنر (واشنطن دى سى، الجامعة الكاثوليكية لأمريكا برس، ١٩٦٢)، ص ٣٣٠.

وتبصره كامنين فى كل شئ خلقه الله، ولكن لا يتضحون لنا إلا من خلال قدرة الإنسان فى المهن<sup>(١)</sup>. وعلى ذلك فإننا لا نملك حرية التصرف فى هبات الله وفقا لأهوائنا أو بما يتناقض مع كرمه وحكمته وقوته وتبصره، ولا نستطيع أن نتصرف لمجرد إرضاء أهوائنا؛ لأن الأهواء تفسد القدرة على الفهم، إن تعاليم المسيحيين كانت تقول دائما: إن الأهواء قادرة على تحريف كل الأشياء الأخرى، كما أنها قادرة أيضا على إخفاء وتحريف ذاتها.

ولكن إذا كان لابد من تحديد المهن على هذا النحو فما هو علم العلوم الذى يهب التمييز اللازم والضروري لاستخدامهما استخداما راشداً؟ وفقا لمسيحية الآباء الكنسيين هذه المهنة ليست كباقي المهن من الممكن تعلمها عن طريق التدريس والممارسة، إنما هى عبارة عن رؤية روحية يتم الحصول عليها بفضل الله بعد تطهير الروح عن طريق الصيام والدعاء والاعتراف والعشاء الرباني وكل الأسرار الأخرى الخاصة بالكنيسة، ويجب أن تتخذ القرارات الخاصة باستخدام هذه التقنيات شأنها شأن كل القرارات الهامة بعد مباحثات وصلاة وتساور مع أب روحي.

تنسحب هذه الموافقة المتواضعة والحكيمة على التدخل الوراثي ولكن بعدد أقل من القيود على التعديلات الوراثية فى النباتات والحيوانات. فإذا أخذنا مثالا واحداً، نجد أن القديس بازيل العظيم يؤيد التدخلات الزراعية التى تتجاوز مجرد رعاية الحديقة. وهنا أيضا لابد أن نتوجه إلى إنتاج الكائنات المعدلة وراثيا بكل الحكمة والحرص وأن نراقب حدوث أى عواقب غير محسوبة، وأن ننتبه إلى آثارها

(١) القديس بطرس الدمشقي A Treasury of Divine Knowledge فى The Philokalia

ترجمة جى. أبى. هـ. بالمر وآخريين (لندن فيبر وفبير، ١٩٨٤) ص. ١٣٧.

التراكمية<sup>(١)</sup>. ولا يجب أن نتصرف إلا إذا اعتقدنا - بناءً على أسباب قوية - أن أفعالنا ستكون فوائدها أكبر من أضرارها، وهذا يعني أننا سنفضل دائما الحذر الزائد على المجازفة.

### استنتاج مسيحي تقليدي:

لا يوجد في المسيحية الصحيحة ما يدعو إلى حظر استخدام التقنيات الوراثية لتعديل البشر أو الكائنات الأخرى؛ فهذه ينطبق أيضا على التدخلات الطبية من أجل زيادة الإنجاب البشري، فهذه التدخلات ليست فقط جائزة وإنما ربما تكون مندوبة طالما أنها لا تتدخل في اللقاء الجسدي بين الزوج والزوجة لإنجاب أطفال وطالما أنها لا تتضمن قتل جنين.

ولكن علينا أن نضع مثل هذه التدخلات الوراثية في إطار بعض الضوابط الهامة والاهتمامات التي قد تبدو للوهلة الأولى وكأنها تشبه القضايا العلمانية المتعلقة بالتكنولوجيا والبيئة، ولكنها في واقع الأمر لا يمكن أن تفهم إلا من خلال المنظور غير العلماني الذي يعطيها المعنى والقوة، ولكي يتسنى لنا فهم أسباب القلق هذه؛ ولنرى اختلافها عن أسباب القلق التي تأتي من الرؤى العلمانية للطبيعة، لا بد أن نستفيض أكثر في شرح مفهوم الطبيعة المخلوقة في المسيحية.

توضح الفصول الأولى من كتاب التكوين أن مكانة الإنسان في الطبيعة ليست مجرد "طبيعية" أو بيئية "حيث إن الأشجار في جنة عدن

---

(١) أظهرت التجارب التي أجريت على المستوى البيئي الكلي أن النتائج غير المقصودة وغير المتوقعة من الممكن أن تكون ضخمة جدا ولا يمكن الرجوع فيها، كما حدث عندما تم إدخال الأرناب في شبه القارة الإسترايالية التي لا يوجد بين حيواناتها الأصلية حيوانات مفترسة. تتطلب الحكمة أن نأخذ بجديّة إمكانية حدوث مثل هذه النتائج على المستوى الجزئي أو على مستوى الوراثة.



توصف ليس فقط على أنها " لذينة للأكل " وإنما قبل هذا الوصف قيل إنها " بهية للنظر " (التكوين ٢ : ٩ ، ٣ : ٧)<sup>(١)</sup>. لقد خلقت أشجار الجنة من أجل الإنسان وجعلت خصيصاً ليأكل منها؛ ولكن هناك سبب آخر وراء خلقها وهو لا يقل أهمية عن السبب الأول ألا وهو أن نستمتع بجمالها، لكن ما هي أهمية الاستمتاع بجمالها؟ إن من يمارسون العبادة على وجهها الصحيح هم وحدهم القادرون على الإجابة عن هذا السؤال، وأثار "النظر" الصحيح مذكورة في كل أنحاء العهد القديم حيث يرد ذكر مجموعة من الشهود الملهمين من أمثال الملك داود وأيوب اللذين يتحدثان عن (أن المجد أى الجمال الإلهي يظهر فى العالم الذى خلقه الله ومن الممكن أن يقودنا إلى الخالق نفسه).

ولا بد أن ينبع فهم المجد الإلهي من العبادة الصحيحة وهو ما يتجلى واضحاً عند عقد مقارنة مع الشعوب المجاورة مثل عبدة [بعل] الذين كانوا يستشعرون جمال الله في الطبيعة ولكنهم لم يدرجوا على مدح وشكر الخالق، بل انحطوا إلى عبادة الأوثان، وربطوا أنفسهم بعناصر العالم المخلوق، وفي العهد الجديد تعطي تعاليم المسيح أمثلة متكررة لكيفية رؤية الله من خلال الطبيعة. فعند رؤيتنا لزهرة على جانب الطريق أو طائر يدور محلقة فوق رؤوسنا، يجب أن نستشعر أباننا السماوي الذى يكسو أزهار الزنبق في الحقول ويطعم الطيور في الهواء، إذا تعاملنا بهذه الكيفية مع الطبيعة، فستكون لها الشفافية التي كانت تتسم بها في الجنة حيث إنها هناك كانت تُرى دائماً على أنها تدل على الخالق.

ويقول القديس بازل العظيم في تعليقه على خلق العالم في ستة أيام: (إن العالم لم يخلق فقط لكي نستخدمه وإنما أيضا لكي نتأمله، وهو نفسه يفكر وهو يتأمل الأشياء الطيبة التي يمنحها لنا البحر مثلا. فالبحر لا يعطينا الطعام فقط وإنما يهبنا أيضا كنوزاً ثمينة مثل المرجان واللائي) ويقول - أيضاً - : "أى ترف لم يمنح للإنسان؟ لقد أعطى أشياء تلبي احتياجاته وأشياء أخرى لتجعله يتفكر في عجائب الكون". ويعلن القديس بازل عن نيته في أن يكتب تأملاته عن الكون فيقول بصراحة: "أريد أن تمتثلوا بالإعجاب بالكون بحيث إنكم في كل مكان وفي أي مكان ترون فيه نباتا تتذكرون الخالق". ولكننا لا نحتاج إلى تعليقات مثل تلك التي كتبها القديس بازل لمساعدتنا إذا كان الغرض من خلق الكون أساسي إلى هذه الدرجة؟ ألا تكفي ملكاتنا لنستشعر وجود الله في الطبيعة؟ يجب القديس بازل على هذا السؤال بوضوح فيقول: "سأقودكم عبر العجائب الغامضة لهذا الكون الشبيه بالمدينة الضخمة كما يقاد الغريب. لقد كان هذا الكون بلدنا الأول ولكن الشيطان طردنا منه واستبعدنا بعد أن قام بإغوائنا"<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك أصبحنا غرباء في وطننا وبالتالي فإن النظرة التأملية لعظمة الخالق المتجلية في الكون أصبحت غريبة بالنسبة لأكثرنا في معظم الأحيان، فإذا رغبتنا في استعادة هذه النظرة التأملية فلا بد أن نقوم بتطهير أرواحنا (القديس أثاناسيوس) لتصبح مرة أخرى نقية وقادرة على أن تعكس النور الالهي. وبالتالي هناك تراث غني من الكتابات التي تسدي النصائح في موضوع تأمل الطبيعة، وهو تراث بدأ في القرون الأولى للمسيحية، وهذا التراث لم يعتبر تأمل الطبيعة نشاطا إضافيا خاصا بالرهبان وإنما اعتبره قاعدة روحية، وخلال هذه الفترة ساد الرأي بأنه من الممكن

(١) القديس بازل العظيم في The Hexameron في الطبعة الثانية. تحرير فيليب شاف (بيبودي،

ماساتشوسيس هندركسون للنشر، ١٩٩٤) المجلد الثامن، ص ٩٤، ٧٦، ٨٢.

استعادة هذا الحق عن طريق الصلاة والصيام والتوبة، أي أننا باستخدام هذه الأشياء نستطيع أن نرى المنطق الأبدي الموجود في الكون. بل لقد كان هناك إجماع بأن معظم الناس لا بد وأن يتمكنوا من الإحساس بالطاقات الإلهية الموجودة في الطبيعة قبل أن يستطيعوا اكتساب خبرة مباشرة بالله، ومع تطور هذا التراث المسيحي الرئيسي، وضحت كتابات الشخصيات الهامة من أمثال القديس ماكسيموس في القرن السابع والقديس سيمون في القرن العاشر وهو الملقب باللاهوتي الجديد أن تأمل الطبيعة يدل على الدور الحقيقي للإنسان في الكون.

وقد كان من المفهوم أن علاقتنا بالطبيعة لا يجب أن تكون مجرد علاقة استخدام لها، كما أننا لا يجب أن نُخضع الطبيعة للأهواء البشرية، وهذا لا يعنى بالطبع أن دور الإنسان يقتصر على مجرد كونه راعياً للطبيعة أو بستائياً لها، بل هو أعظم من ذلك بكثير، هذا الدور يتضح في أمر الله لنوح بأن يكون سيداً للطبيعة، ويتضح حتى قبل ذلك في أمر الله لآدم أن يطلق الأسماء على كل المخلوقات الحية (التكوين ٢: ١٩). فالإنسان هو المسمّي والسيد والمتأمل للكون، وكل هذه الصفات تدل على مكانته في الكون باعتباره الرابطة الفريدة والوسيط الذي لا نظير له بين المرئي وغير المرئي. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي ينتمي إلى كلا العالمين، وهو الوحيد القادر على أن يمارس الكهنوتية الكونية من خلال الإحساس بوجود الخالق غير المرئي في الكون، وبالتالي فالإنسان يقوم بالتوحيد بين المرئي وغير المرئي، وبين الطبيعة وما فوق الطبيعة، وبين الأرض والسماء. وهذا ما سوف يحدث بدون أدنى شك في نهاية الزمان في أورشليم الجديدة، عندما تصير كل الأشياء كاملة وجديدة، ولكن حتى في زماننا الحالي هذا هو قدر الإنسان والمثال الذي يجب أن يسعى إليه.

وهذه المكانة للإنسان تمنحه سلطة هائلة على الطبيعة، ولكنها

تسمح له أيضا بأن يؤثر بشكل ضارٍ جداً على الطبيعة لأنها خاضعة ومسخرة له. وعلى هذا فإن كل تعاملاتنا مع الطبيعة تحتاج منا إلى الحكمة وإلى الصلاة وإلى الحذر حتى لا ننسى وظيفتنا السامية. فهذه المكانة العالية في الوجود تعني أننا يجب أن نهتم بالحفاظ على الطبيعة، وبإدراك قدرة الكون على أن يكون صورة للخالق، وهذا لا يعني أن نعتبر الطبيعة البرية المجال الوحيد للقيام بهذه الوظيفة، وإن كانت بلا شك سوف تلعب دوراً هاماً، فالأمر سينطوي على تغيير الطبيعة ولكن هذا التغيير سوف يكون من أجل إبراز صورتها، بالضبط كما أن تنقية المعادن النفيسة تبرز البريق الذي كان مختفياً تحت التراب، أو عندما يؤدي التهجين المتعمد للقمح إلى اكتشاف الإمكانات الهائلة الكامنة داخل حبة صغيرة يبسه تعود إلى عصر ما قبل كولومبوس، ولكن هل يمكن أن نتجاوز الإمكانات التي وهبها الله لفصيلة ما؟ وهل يمكن أن نحوّر في هذه الإمكانات إلى أن نشوهها بحيث يصبح الأمر وكأننا نسخر من خالقها الحقيقي؟! قد يكون هذا هو ما حدث بالفعل في حالة بعض أنواع الفاكهة التي تعيّر مذاقها، بل تمت التضحية به من أجل تسهيل عمليات الشحن والتسويق، وهو تهجين تم قبل عصر الهندسة الوراثية بكثير، أو مثلما حدث مع بعض سلالات الكلاب التي تم تصغيرها (مرة أخرى بوسائل تهجين طبيعية) حتى أصبحت من الصغر بحيث إن رثيّتها لا تتحمل أية حركات نشطة.

من الواضح أننا من الممكن أن نقوم بتغييرات منظمة وكاملة للطبيعة سواء محلياً أو عالمياً بحيث تتعثر وتصبح غير قادرة على تصوير قدرة وكرم الله، ومن الممكن أن نحول الطبيعة إلى رسوم ساخرة أو أشياء شيطانية تعبر عن انفلات زمام الأهواء الإنسانية، وتشغل مثل هذه الاهتمامات المسيحيين لأنهم يعون دورهم الصحيح وهو إسداء الخير ورعاية الطبيعة، بالإضافة إلى دور الكاهن والسيد.

وهكذا فعلى الرغم من أن بعض الاهتمامات والاعتبارات التي تشغل المسيحيين تشغل أيضا العلمانيين، إلا أن هناك اختلافا بين الطائفتين؛ فأساس اهتمام المسيحيين هو العبادة الصحيحة، ولهذا فإن محاولة رؤية الله في الكون تختلف تماما عن الوثنية البيئية الجديدة التي تعتبر الطبيعة مقدسة ولا يجوز انتهاك حرمتها، وبالتالي فإن أي فعل إنساني متعلق بالطبيعة يعد غير مرغوب فيه، إن لم يكن نوعا من التدنيس والانتهاك، والفيلسوف الروسي القس [بافيل فلورنسكى] يذهب إلى رأى مغاير عندما يقول: إن الإحساس الحقيقي بالطبيعة لم يحدث إلا بعد أن طردت المسيحية الإلهية الوثنية من الطبيعة. عندئذ أصبح ممكنا للمرة الأولى أن يقع الإنسان في حب الكون والطبيعة وهو ما لم يكن موجوداً عند الإغريق والرومان الوثنيين الذين كانوا - خلافا للوثنيين الجدد اليوم الذين يتسمون بالرومانسية - من الحكمة بحيث إنهم كانوا يسعون للحصول على حماية من هذه الكائنات الشيطانية التي تهددهم عن طريق الطقوس.

وتختلف هذه الاهتمامات عن الآراء الاختزالية لعلم البيئة أو البيئية العلمية التي تعتبر أن الإنسان لا يزيد عن أن يكون مكونا واحدا (وفى أغلب الأحيان مكون ضار) من النظام البيئي، وبالطبع من الممكن أن نرى الإنسان من ناحية ميكانيكية أو كيميائية أو حتى بيئية بحتة ولكن كل هذه النواحي تعجز عن إدراك أن الإنسان يرقى على الطبيعة بشكل حتمي؛ ولهذا السبب فهم يعتبرون أن الحرف الإنسانية تشكل تدخلًا في الطبيعة وأنها غير مرغوب فيها.

وأخيراً فإن وجهة النظر المسيحية تختلف أيضا عن فكرة الإشراف التي يعتنقها بعض المفكرين العلمانيين الذين يرغبون مع هذا في أن يجدوا بعض الدعم لآرائهم في الإنجيل؛ ولكن الحقيقة هي أن اللفظ الإغريقي والعبري لكلمة "مشرف" قلما يرد في الكتاب المقدس.

وعندما يتم استخدامه - كما هو الحال (في لوقا ١٦ : ٢-٤) - فإن لفظة "الإشراف" تكون متعلقة بالحقائق الروحانية (مثل "ملكوت الله" و"القانون والرسول") لا بالطبيعة، إن فكرة الإشراف التي تعتبر الإنسان وكيلا وحارسا نيابة عن المالك الإلهي - مثل الأختان [لابيديته] و[فايثوزا] اللتان كانتا تقومان برعاية ماشية إله الشمس الغيور [هيلوس] - غير دقيقة؛ فهي تقلل من عظمة الكون ومن محبة ورعاية الخالق عندما تزعم أن الكون أو الخالق بحاجة إلينا لكي نقوم بدور المديرين أو الموظفين، كما تخطئ أيضاً عندما تعجز عن فهم أن الإنسان خلق على صورة الرب؛ ولهذا فهو أرقى من بقية المخلوقات من ناحية الوجود، فالإنسان هو السيد الذي تخشاه كل الكائنات الحية، وهو أيضا الكاهن الذي يربط السماء والأرض عن طريق استشعار عظمة الخالق الكامنة في الكون، ونحن لن نتمكن من الاضطلاع بهذه الوظيفة بصورة كاملة إلا في [أورشليم] الجديدة التي سيكون فيها نوع من التبادل المتواضع الذي لا يتعارض ولا يتنافى مع سيادة الإنسان، ويقول القديس [أنطونيوس]: إن الهدف من خلق الإنسان هو "أن يقوم بتأمل الرب وتقديسه عند رؤية مخلوقاته لأنه خلقها من أجله".

أعتقد أنه قد أصبح واضحاً الآن أن الاهتمامات الأخلاقية المسيحية ذات أطر مرجعية مختلفة عن الآراء العلمانية المعادية للتكنولوجيا والمناصرة للبيئة التي توجه انتقادات لتقنيات الوراثة والإنجاب البشريين، فكما هو متوقع يرى المسيحيون العالم من منظورات أخلاقية ومعرفية وقيمة مختلفة عن الرؤية العلمانية للعالم.



# إعادة التفكير في المنظور العلماني لعلوم الحياة

للدكتور مصطفى أكبول





## إعادة التفكير في المنظور العلماني لعلوم الحياة

مصطفى أكبول

### موجز البحث

ما من شك في أن أفكارنا عن مستقبل الحياة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقداتنا عن ماضيها. فالطريقة التي يُفسَّر بها أصل الحياة ونشأتها تؤثر علي رؤيتنا لما هو صحيح أو خطأ مما يتعلق بهذه الحياة، وهذه الأحكام هي تماماً ما نطلق عليها مبادئ الأخلاق في علم الحياة.

فيما يختص بأصل الحياة فإن اليهودية والمسيحية والإسلام يتفوقون في التأكيد على النظرة الإلهية، وهي أن الله قد خلق هذه الحياة، أما العلم الحديث فقد تبنى النظرة المادية التي تعتبر الحياة نتاج القوى العمياء للطبيعة. وصار الصدام بين هاتين النظرتين يمثل العمود الفقري للجدل الدائر طوال القرنين الماضيين، ومن هنا تأتي ثنائية العلم من ناحية والدين من ناحية أخرى.

إلا أن ما وقع خلال العقود الأخيرة من اكتشافات علمية لم يتوقعها أحد عن أصل الكون وكيف نشأت الحياة فيه جعل بعض العلماء يعيدون التفكير في النموذج المادي، ومن أهم نظرياته الدارونية الجديدة في النشوء والارتقاء. وتوحي الدلائل الدافعة على أن الطبيعة تعمل بتخطيط دقيق بأن المنظور العلماني لعلم الحياة قد ينتهي به الأمر

إلى التسليم بالنظرة الإلهوية، بأن الحياة نتاج تخطيط وتنظيم قامت عليه قدرة ذكية

## النص الكامل للبحث

أود أن أشيد بالقرار الحكيم الذي اتخذته [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] بأن تحشد في ندوة واحدة هذا الجمع من العلماء والمفكرين الذين يمثلون وجهات النظر المختلفة: الإسلامية والمسيحية واليهودية إلى جانب المنظور العلماني، وتقوم حكمة هذا القرار على أساس واضح: وهو أننا في حاجة إلى التفكير فعاد التوصل إلى مستوى أخلاقي مشترك. نحتاج على أقل تقدير للاتفاق على ما يمكن وما لا يمكن القبول به في مجال أخلاقيات علوم الحياة ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا عن طريق الحوار. بل إنني أعتقد أنه يمكن تحقيق ما هو أكثر من ذلك عن طريق هذا الحوار، ألا وهو التوفيق بين وجهات النظر الإسلامية والمسيحية واليهودية والعلمانية وإزالة أوجه الخلاف بينها جميعاً.

وواقع الأمر أن هناك تشابهاً فعلياً بين وجهات النظر الإسلامية والمسيحية واليهودية: جميعها تقوم على الأساس الألوهي، وهي الفكرة القائلة بأن هناك إلهاً خلق هذا الكون وخلق من فيه من كائنات حية بما في ذلك - بالطبع - نحن البشر، وينظر إلى الحياة البشرية باعتبارها من صنع يدي الله القادر على كل شيء، وأنها بذلك حياة ذات هدف وغاية ويصبح لها حقوق أمر بها الله تعالى، وعندما يؤمن الإنسان بأن هناك خالقاً لهذه الحياة فلا بد أن يؤمن بالتالي أن من يملك حق استردادها هو هذا الخالق نفسه ولا أحد غيره.

ولا يوجد خلاف بين اليهودية والمسيحية والإسلام على هذا الخط الألوهي، قد توجد بعض الاختلافات في التفاصيل إلا أن التعاليم في الديانات الثلاثة تلتقي عند هذه العقيدة الألوهية.

كان المنظور العلماني هو الوحيد الذي تعارض مع هذا الخط الألوهي طوال العصور الماضية؛ فبخلاف الأديان السماوية الثلاثة لا ينهض المنظور العلماني على أي نص ديني؛ وهو لذلك ليس بحاجة إلى أن ينطلق في رؤيته لمسائل الحياة من هذه القاعدة الألوهية، والأدوات التي يتعامل بها هذا المنظور ليست الكتاب المقدس أو القرآن ولكن ما يتوفر لدى الباحث من معرفة إنسانية موضوعية وخبرة عملية في مجال بحثه، وبلغه العالم الحديث فإن ذلك يعني أساسا العلم الحديث.

ومع ذلك فإن هذا الاختلاف بين النظرة العلمانية من ناحية والرؤى الدينية من ناحية أخرى لا يعني أن عدم الاتفاق مسألة حتمية قدرية لا سبيل إلى تغييرها، فما بالك لو كان الحديث عن صدام بينهما؟! إن العلم عبارة عن دراسة موضوعية للعالم الطبيعي لا تحدها قيم معينة ولا يقيدها الانطلاق من قاعدة محددة، وللعلم بطبيعة الحال مقدمات أساسية ينطلق منها كأن يبدأ من نقطة أن هناك شيئاً اسمه العالم الطبيعي وأن الإنسان يستطيع دراسته، ولكن باستثناء ذلك فالعلم لا يمكن أن يوصف بأنه ألوهي أو ملحد. أو ترى يمكن ذلك؟

يتفق كثير من الناس على الرأي القائل بأن العلم لا ينبغي أن يوصف بأنه ألوهي أو ملحد. إلا أن هناك من لا يوافق على هذا الرأي ويعتقد أن العلم ملحد بطبيعته، بل يؤمن بأنه سلاح مميت ضد المعتقدات الألوهية، وبعضهم يعلن هذا الرأي في صراحة تامة، وأحد هؤلاء هو [ستيفن وينبرج] من جامعة تكساس والحاصل على جائزة نوبل؛ ففي خطاب ألقاه بمناسبة منحه جائزة خاصة من مؤسسة تدعى "مؤسسة التحرر من الأديان".

قال وينبرج: "إنني أشعر شخصياً أن تدريس العلوم الحديثة سوف يؤدي إلى تآكل المعتقدات الدينية، وأنا أؤيد ذلك بكل قوة. لقد

كان أحد الدوافع الهامة في حياتي هو شعوري بأن هذا هو من أهم الوظائف الاجتماعية للعلم، وهو أن يحرر الناس من الخرافات والأوهام". وإذا كُتِبَ لفكرة وينبرج هذه عن العلم أن تسود وتتصر "فسوف تتوقف هذه المسيرة الطويلة من طابور الكهنة والقساوسة والحاخامات والأئمة، ولن نرى أحداً منهم بعد ذلك. وآمل أن يسهم العلم في تحقيق ذلك. وإذا ما فعل فإنني أعتقد أنه سوف يكون أهم إنجاز يمكن أن نقوم به".

وبإمكان المرء أن يجد الكثير من مثل هذه الأقوال صادرة عن شخصيات بارزة في العلوم الحديثة أمثال [كارل ساجان]، و[ريتشارد دوكنز]، أو [دانيل دينيت]. وما يجمع بين هؤلاء جميعاً هو الاتفاق على تعريف الإيمان بالله وحده بأنه خرافة من الخرافات التي يدحضها العلم.

ولكن العلم - كما قلت آنفاً - ليست لديه عداوة متأصلة نحو الاتجاه الألوهي، بل يمكن القول بأن العلم الحديث نشأ في أحضان هذا الاتجاه؛ فقد كان معظم الرواد الذين أسهموا في نشأة العلوم شرقاً وغرباً من بين المسلمين والمسيحيين واليهود الذين يؤمنون بالله وبأن الطبيعة من صنع يديه.

وقد واجه هذا الإطار الألوهي للعلوم الحديثة تحدياً كبيراً في القرن التاسع عشر عندما حاولت نظريات [داروين وسنبر وماركس وإنجلز وفرويد] تفسير الكون والعالم الطبيعي وكذلك الطبيعة البشرية على أنها جميعاً نتاج قوى مادية عشوائية لا تهدف إلى شيء، وقد سادت مثل هذه النظريات لبعض الوقت - على الأقل - وجرفت في طريقها ما كان يوجد من قبل من تفسيرات ومعتقدات دينية. ومن هنا جاءت قولة [فريدريك نيتشه] الشهيرة: "مات الله". وأساس هذه العبارة كان معادلة العلم بالمادية، والمادية هي فلسفة تقول: بأن العالم

المادي هو كل ما هناك في هذا الكون، وأنه ليس وراءه أو بعده شيء آخر. وتُعرف هذه الفلسفة أيضاً بالطبيعية؛ وهي تصوّر الكون على أنه نظام مغلق من الأسباب والنتائج المادية، ولا تترك أي مجال لأسباب غير مادية: كالعقل أو الغاية قد تؤثر على الكون.

ومنذ القرن التاسع عشر يأخذ كثير من العلماء هذه المادية باعتبارها قضية مسلماً بها، ويرون أنها المرادف للعلم نفسه؛ ويدل على ذلك التعريف الذي يتبناه الكثيرون لكلمة العلم؛ إذ يعرف العلم: بأنه السعي لإيجاد أسباب طبيعية لكافة الظواهر الطبيعية، ولكن هناك مشكلة تتعلق بهذا التعريف؛ فهو يقوم على مقدمة منطقية يعوزها البرهان وهي: أن العالم الطبيعي كله نتاج لأسباب طبيعية صرفة، وربما يكون هذا صحيحاً، ولكن ربما لا يكون؛ فالعلم لا ينبغي أن يتخذ قراراً مسبقاً، بل يجب أن يسعى إلى اكتشاف الحقيقة.

والعلماء الماديون من أمثال [ستيفن وينبرج] الذي يتطلع إلى اختفاء الأديان كلها سوف يخبروننا بأن العلم قد وجد الحقيقة بالفعل عندما قام بتفسير كل الظواهر الطبيعية عن طريق توضيح أسبابها الطبيعية، إلا أنه حدث في العقود الأخيرة أن توصل العلم الحديث إلى كشافين لم يتوقعهما أحد يمثلان تحدياً كبيراً للدكتور [وينبرج] وأمثاله من الماديين العلميين، وأحد هذين الكشافين هو النظرية القائلة: بأن الكون قد نشأ بالانفجار الكبير، وقبل نظرية الانفجار الكبير هذه كانت النظرة الشائعة عن الكون هي أنه أزلي وثابت، وكانت هذه النظرة تتوافق بالطبع مع المادية التي كانت تنكر أي بداية محددة للكون، أي بتعبير آخر، أي خلق لهذا الكون.

وكان [جورج ليمتر] (١٨٩٤ - ١٩٦٦) هو الذي اكتشف هذا الخلق، وكان ليمتر أسقفاً في الكنيسة الكاثوليكية ودرس الفيزياء ثم أعلن في عام ١٩٢٧ أن الكون يتمدد، وكانت هذه النظرية التي تأكدت

باكتشافات لاحقة تعني أن الكون كان حجمه أصغر فيما مضى من أزمان سحيقة، وأنه في لحظة من ذلك الزمن السحيق كان في حجم نقطة واحدة أو ذرة واحدة تحتوي على مادة الكون كله، ولم يكن من الصعب على العلماء إدراك أن هذه الذرة عند بدء الزمن هي فكرة نظرية وأن المادة والزمن كما نعرفهما جاءا إلى الوجود من العدم مع الانفجار الكبير منذ ما يقرب من ١٥ إلى ١٧ مليار عام.

ويبدو أن نظرية نشأة الكون بالانفجار الكبير تدفع العلماء الآن إلى استنتاجات لاهوتية، وفي كلمات تقتبس كثيراً يقول عالم الفلك [روبرت جاسترو]: إن البداية الغامضة والمفاجئة للكون تعني "أن العلم لن يستطيع أبداً أن يميظ اللثام عن غموض خلقه، وبالنسبة لعالم قضى عمره مؤمناً بقوة العقل، تنتهي قصة الخلق هذه وكأنها حلم مزعج يرى فيه نفسه وقد ظل يصعد على جبال الجهل، وعندما قارب بلوغ أعلى قممه وتوقف عند آخر صخرة من صخور هذه القمة يلتقط أنفاسه وجد أمامه فريقاً من اللاهوتين جالسين عليها منذ قرون طويلة وكأنهم كانوا في انتظاره".

وعلاوة على ذلك فقد كانت قصة "الانفجار" في أدق تفاصيلها تتسم باتساق مذهل لا يمكن تخيله، وقد بدأ علماء الفيزياء في إدراك هذه الحقيقة منذ السبعينيات من القرن العشرين؛ فقد لاحظوا أن كل ما في هذا الكون من قوانين فيزيائية وكيميائية وبيولوجية وقوى أساسية كالجاذبية والكهرومغناطيسية وذرات وعناصر هي على الشكل الذي ينبغي أن تكون عليه لكي تلائم الحياة البشرية، ويسمى ذلك "المبدأ الإنساني"، أي أن كل جانب من جوانب هذا الكون قد جرى تصميمه وفق مقتضيات الحياة الإنسانية.

ويشير ذلك بطبيعة الحال إلى سبب غير مادي يتجاوز هذا الكون. ولعالم الفلك [فريد هويل] مقولة شهيرة يذكر فيها أن "التفسير البديهي

للحقائق الماثلة هو: أن هناك عقلاً خارقاً قد تعامل مع الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا وكأنه يلهو بها، وأنه لم يعد هناك مجال للحديث عن قوى عمياء".

وبينما نرى أن الفلسفة الغائية - التي تقول بأن لكل شيء في الطبيعة غاية خلق من أجلها - قد بدأت تعود إلى مجال الفيزياء، نجد أنها بدأت تفعل الشيء نفسه في علوم الأحياء، وقد بين لنا العلم الحديث في العقود الأخيرة أن بناء الكائنات الحية ينطوي على تصميم رائع قائم على قواعد بيانات وأنظمة دقيقة تبني وتصلح وتنسخ نفسها. ويمثل هذا التصميم المذهل في عالم الأحياء تحدياً صارخاً لنظرية [داروين] في النشوء والارتقاء، وهي التي تقول: بأن الحياة ما هي إلا نتاج لقوى عمياء في الطبيعة مثل الانتقاء الطبيعي والتحويلات العشوائية. ويتمثل هذا التحدي في نظرية علمية جديدة تسمى "التصميم الذكي" تثير جدلاً واسع النطاق في الوقت الحالي في الولايات المتحدة.

وفي عبارة موجزة تقول هذه النظرية: إن الحياة على الأرض هي محصلة القوانين الطبيعية والصدفة والذكاء. والداروينية لا تقبل إلا السببين الأولين؛ لأن الفلسفة المادية لا تعترف بوجود عنصر الذكاء إلا إذا كان شيئاً يتطور عبر الزمن من مادة لا عقل لها.

لذلك لا يمكن لنظرية "التصميم الذكي" ونظرية [النشوء والارتقاء الداروينية] أن يتعايشا معاً. وكلاهما يقدم تفسيراً لأصل الحياة البيولوجية ولكن بأسلوب مختلف، ويعترف [الداروينيون] في واقع الأمر بأن الطبيعة تنطوي على تخطيط ولكنهم يقولون: إنه تخطيط في الظاهر فقط، وقد بدأ [ريتشارد دوكنز] كتابه الهام "صانع الساعات الأعمى" والذي أعاد فيه صياغة النظرية الداروينية بملاحظة يقول فيها: "إن البيولوجيا هي دراسة أشياء معقدة يوحي مظهرها بأنها قد صممت من أجل غاية معينة"، ولم يخطر ببال [دوكينز] أن هذه الكائنات الحية



تعطي هذا الانطباع ربما لأنها قد صممت فعلا لتخدم غاية معينة؛ وذلك لأنه يعتقد أن آلية الانتقاء الطبيعي التي تقول بها نظرية داروين تكفي وحدها لتصميم كافة أشكال الحياة علي الأرض؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل آلية الانتقاء الطبيعي حقا بهذه القوة؟

يجيب المؤيدون لنظرية "التصميم الذكي" بالنفي؛ ويقىمون حجتهم على المعيار الذي وضعه [داروين] نفسه لإثبات فساد نظريته. يقول [دراوين]: "تنهار نظريتي من أساسها إذا ثبت وجود كائن معقد التركيب لم يكن حصيلة تعديلات طفيفة متعددة يلي كل تعديل منها سابقه ويضيف عليه"، ويطبق أتباع نظرية "التصميم الذكي" مثل عالم الكيمياء والحيوية [مايكل بيهي] هذا المعيار على نظم كيميائية حيوية معقدة مثل الزوائد البكتيرية الشبيهة بالسوط أو نظام تجلط الدم، ويقول: إنه ما كان لها أن تكون نتيجة "تعديلات متعددة طفيفة ومتتالية"؛ ذلك أنها نظم لا تعمل مطلقا إلا إذا كان تكوينها مكتملا، ويعني ذلك أنها نظم معقدة بشكل لا يمكن اختزاله أو تبسيطه. وعلى ذلك فإنه لا يمكن تفسير وجودها علي أنه حصيلة انتقاء طبيعي أو أي آلية طبيعية أخرى نعرفها.

وحيث إنه لا توجد آليات طبيعية معروفة نفسر بها أصل التعقيد البيولوجي فلا مفر من أن نصل إلى استنتاج مفاده: أن هذه الكائنات تبدو كما لو كانت قد صممت من أجل غاية معينة لأنها بالفعل كذلك. وهذه هي الفكرة الأساسية التي تقوم عليها نظرية "التصميم الذكي" وتتطور هذه النظرية في الوقت الحالي وهي في طريقها لإحداث تغيير في النمط الفكري لعلوم الأحياء الحديثة.

إن إعادة اكتشاف الحقيقة - التي تقول: بأن لكل شيء في العالم الطبيعي تصميمًا وغاية - من شأنها إحداث نتائج على جانب كبير من الأهمية، ومن أهم هذه النتائج كشف المادية العلمية وما تنطوي عليه

من إلحاد، والدليل على هذه الظاهرة هو أن أشهر ملحد في العالم الأكاديمي خلال النصف قرن الأخير وهو البروفيسور [أنتوني فلوو] من جامعة [ريدينج] بإنجلترا بدأ يقبل احتمال أن يكون هناك إله هو الذي أوجد الكون، وكان بحثه "اللاهوت والتزييف" والذي انبثق من عرض قام به أمام نادي سقراط عام ١٩٥٠م قد أرسى قاعدة الإلحاد الحديث لعقود طويلة، أما الآن ففي تطور ملحوظ يقبل البروفيسور [فلوو] وجود إله يمتلك معظم السمات المعروفة التي تميز القدرة المطلقة والعلم المحيط والكيان غير المادي" ولم يكن هذا الاتجاه الألوهي الذي اهتدى إليه نتيجة لتحول شخصي بل جاء نتيجة لتحليل منطقي لآخر المعطيات العلمية، يقول [فلوو]: "إن ما فعلته مادة الـ DNA هو أنها أبرزت بشكل واضح أنه كان للذكاء دور ملموس في نشأة الحياة إذ ما كانت تتحقق مثل هذه النتائج بذلك القدر الهائل من التعقيد لو لم يكن ذلك عملاً من أعمال الذكاء".

وهنا يتجلى معنى ما أشرت إليه في بداية هذا البحث عندما قلت: إن المنظور العلماني في مجال علوم الأحياء يمكن فعلاً أن يتفق مع المنظور الديني، والمرء ليس بحاجة لأن يبدأ من نص ديني لكي يرى ما في الحياة من هندسة وتنظيم وما تهدف إليه من أغراض؛ ولكن ما أن تبدأ من إيمان جازم بالفلسفة المادية حتى تجد نفسك عاجزاً عن رؤية ذلك.

وعندما نلقي وراء ظهورنا بمثل هذا الإيمان الجازم الذي لا يقوم على أية بينة ونتفق جميعاً على تتبع الدليل إلى حيث يقودنا فسوف نرى أن "المنظور العلماني" لعلوم الأحياء يؤكد المنظور الديني بأن هناك خالقاً هو الذي صنع هذا الكون وخلق ما به من كائنات حية. ومن هذا المنطق - الذي يمكن اعتباره حقيقة لا تحتاج إلى برهان - يمكننا بناء نظرية مشتركة للطبيعة البشرية وللمصير الإنساني.



# الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة

أ. د. أسعد السحمراني



## الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة

أ.د. أسعد السحمراني

### مقدمة عامة

تكثر النقاشات هذه الأيام، ويزداد اللغط والتشويش منذ سنوات مع التقدم الحاصل في علم الهندسة الوراثية، والسبب الجوهري لهذا الوضع أن عدداً من العاملين في المختبرات والأبحاث تجاوز الحد المألوف، لا بل تجاوز ما تقره المعتقدات والتشريعات الدينية في مسألة التكاثر البشري.

والأنواع المطروحة في التكاثر التي يدور حولها الجدل هي: الاستنساخ، وأطفال الأنابيب، والتلقيح الاصطناعي، يضاف إلى ذلك التدخل عند إتمام عملية التلقيح في تعديل الجينات الوراثية.

إن موضوع الاستفادة العلمية في تحسين وتجويد الإنتاج في عالمي: الحيوان والنبات لأمشكلة فيه؛ بل المطلوب أن تتوسع الآفاق البحثية، وأن يتم التطوير قدر الممكن طبعاً مع احترام قواعد الرفق بالحيوان بوصفه مخلوقاً مسخراً للإنسان، ومع مراعاة التوازن البيئي، والتوازن في الطبيعة عموماً، يضاف إلى ذلك احترام قواعد استخدام الثروة على أسس عماد الاقتصاد في الطاقة، وأخذ الحاجة دونما تجاوز لذلك باتجاه التبذير والهدر.

أما الإنسان فإن مسألة التكاثر عنده مرتبطة بأصول وقواعد وأحكام.

وأياً تكن المعتقدات، ومع تفاوتها في موضوع المساواة والعدل بين بني البشر، أو استخدامها للميز العنصري لادعاء حق إلهي بمقولة الشعب المختر أو الفئة المختارة، أو باعتماد نظام طبقي مغلق وظالم، أو بتبني مفاهيم غير قويمة، إلا أنها جميعاً تتفق على أن الإنسان له مكانة خاصة لا يرقى إليها أي مخلوق، وأن الإنسان يملك من عناصر التكوين خلقة لا تتوافر لسواه، وأبرز ذلك وأكثره وجهة العقل.

أما في الإسلام فإن الإنسان قد اختصه الله تعالى بخصائص ترتقي بموقعه ومكانته، ودوره الوظيفي كونياً إما لجهة العلاقة مع الخالق سبحانه، أو لجهة شبكة العلاقات الاجتماعية، ومنظومة القيم الناظمة لها، أو لجهة العلاقة مع سائر الكائنات والمخلوقات.

الإنسان له موقع متميز، وقد أعطاه الخالق من خصائص التكوين ما جعله الأرقى والأقوم هيئةً وتكويناً عضوياً؛ وقد ورد في الآية القرآنية الكريمة قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا الإنسان منحه الله تعالى ميزة أخرى تشكل الأساس المكين للتعامل معه والنظرة إليه؛ هذه الميزة هي أنه مستخلف في الأرض يتصرف في الإعمار والتطوير وفي التنظيم والتخطيط، وفي البحث والكشوف العلمية بالشكل الذي يستطيعه، طبعاً مع مراعاة التوازن وحدود الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٢)</sup>.

والقاعدة الثالثة هي قاعدة التكريم فهي أساس مركزي يحدد قواعد التعامل مع الإنسان مفهوماً وحقوقاً وموجبات، والتكريم هو لكل إنسان لأنه من جنس بني آدم، ولا اعتبار هنا للانتماء الديني أو القومي أو لأي

(١) سورة التين، آية ٤.

(٢) سورة البقرة، آية ٣٠.

نوع من أنواع الانتماء، فالآية القرآنية واضحة في هذا المجال، وفيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧١) (١).

وهذه الخصائص الممنوحة للإنسان من الله تعالى تقترب بخاصية رابعة هي العقل وهو مدار العلم والمعرفة، ولذلك كان البلاغ الإلهي مع قرار الاستخلاف بأن منح الله تعالى آدم العلم، وفي الآية الكريمة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٢).

فالإسلام فتح أبواب العلم والبحث أمام كل مستطيع لذلك بلا حدود أو حواجز؛ بل العالم والباحث مأجور على اجتهاده سواء توصل إلى الحقيقة أو قصر في ذلك، وفي الحديث النبوي الشريف: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد".

لكن البحث - سواء في الهندسة الوراثية، أو في علم من العلوم - لا بد له من ضوابط في التوظيف، وأساس هذه الضوابط هو: التزام أحكام الشريعة الإسلامية، والتي تتمركز مقاصدها في خمسة هي: "حفظ العقل، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ الدين، وحفظ المال".

وكل تصرف علمي في أمر التكاثر البشري أو في سواه يحتاج لتشريعات وقوانين تحترم هذه المقاصد الشرعية.

يبقى أمر لا بد من بيانه في هذه المقدمة وهو أن مقصد الشريعة في حفظ النسل يرتبط بمنظومة أخرى هي العلاقة بين الزوجين؛ إذ الارتباط بين نوعي بني آدم: الأُنثى والذكر برباط الزوجية يجب أن يقوم على أساس من العفة، وأن يحقق الاستقرار؛ وعماد ذلك المودة والرحمة؛ فلا الإشباع الجنسي وحده هو الهدف من الزواج ولا سواه، وإنما الزواج

(١) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية ٣١.



أساس لبناء الخلية الاجتماعية المركزية؛ الأسرة، ولهذا من الواجب أن تُلتزم مسألة العلاقات بقواعد الشرع في هذا، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالتكاثر البشري، فالتكاثر يجب أن يكون حصيلة علاقات زوجية سليمة، وأن يكون مصدر الكروموزومات (الصبغيات) التي يتشكل منها الجنين من الأبوين، ولا مانع من تدخل العلم عندما يوجد خلل شرط أن يبقى المصدر المكوّن للجنين وهو والداه المتزوجان بشكل شرعي، وأهمية التزام هذه القواعد يتحقق من خلالها نظام سليم لشبكة العلاقات الاجتماعية في: صلة الرحم، وفي أمر الميراث، والزواج، وسائر متعلقات الناس وروابطهم مع بعضهم التي تحتاج لقيم منظمة لهذه العلاقات.

إنّ التعاون المطلوب بين الجميع مع الإقرار بالتنوع هو ذلك التعاون الذي يحفظ مركزيّتين أساسيتين هما: الخلافة في الأرض والتكريم.

## المحور الأول: الإنسانية والخلق / العالم على الفطرة

١ - كيف ترى المعتقدات الدينية المختلفة العلاقة الملائمة بين الكائنات البشرية وبقية الخلق؟ لأي مدى تمّ منحنا الخلق في صورة إبداعية، ولأي مدى يكون الخلق قابلاً للتعديل والتحسين بواسطة البشر؟ وأي جوانب الخلق البيولوجي يمكن تعديلها وأي منها يُنظر إليه على أنه غير منتهك الحرمة؟

إنّ الإنسان محور الكون لأنه الكائن العاقل الذي يستطيع بفضل قواه العقلية، وجهازه النفسي في المشاعر والوجدان أن يتفاعل مع المحيط، وأن يتكيف معه، وأن يستكشف حقائقه بالقدر الممكن، وأن يؤمّن الآلات والوسائل المساعدة على التواصل والاتصال والتكيف وتذليل المتاعب والمصاعب، وسد القصور والنقص.

فالحيوانات ومنها اللبونة وأرقاها الشمبانزي لاتمتلك ذكاء، وإنما لديها مهارات تفرضها دوافع فيزيولوجية، وحاجات مادية، بينما يمتلك

الإنسان ما يمكنه من تجاوز المكان والزمان وإبداع الجديد دوماً؛ لذلك يكون من الطبيعي أن تنظر المعتقدات - أياً كان مصدرها، سماوياً أم بشرياً فلسفياً - إلى الإنسان على أنه في مرتبة أرقى، وفي مكانة قيادية، وأن سائر الكائنات من حيوان ونبات، وسائر الكائنات المنتشرة في هذا الكون الفسيح مسخرة له، ويمكنه الاستفادة منها في حاجاته وتعامله وابتكاراته وإبداعه، لكن كل ذلك يجب أن يتم بما يحفظ التوازن في الطبيعة؛ لأن العبث بالسنة الكونية، وبالأصول المحققة للتوازن يجزّ الأذى على الناس جميعاً وعلى الكائنات الحية من حيوان ونبات وهذا ليس من حق أي إنسان، إذاً المبدأ أن هناك ضوابط وأصولاً ومقاصد تحكم التسخير والتعامل.

أما العلاقة بين الكائنات البشرية وبقية الخلق فالمواقف فيها تتنوع وإن التقت في بعض الخطوط العامة، ولقد ورد في "سفر التكوين" من العهد القديم - وهذا المفهوم معتمد في اليهودية والمسيحية - ما يلي: "وقال الله: لتصنع الإنسان على صورتنا كمثالثنا. وليتسلط على أسماك البحر وطيور السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض، وجميع الحيوانات التي تدب على الأرض.

فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله، خلقه ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: انموا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها، وتسلطوا على أسماك البحر وطيور السماء، وكل حيوان يدب على الأرض.

وقال الله: ها قد أعطيتكم كل عشب يُخرج بزراً على وجه الأرض كلها، وكل شجر فيه ثمر، يُخرج بزراً يكون لكم طعاماً.

ولجميع وحوش الأرض وجميع طيور السماء، وجميع ما يدب على الأرض، مما فيه نفس حية، أعطيت كل عشب أخضر مأكلاً. فكان كذلك.

وفي سفر التكوين نفسه موقف يلحق تهمة الإغواء بالمرأة، وبالتالي يجعلها دون مرتبة الرجل بالأصل، وقد ورد: "فقال الإنسان: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت... وقال للمرأة: لأكثرن مشقات حملك كثيراً. فبالمشقة تلدين البنين. وإلى رجلك تنقاد أشواقك وهو يسودك".

وتكمل نصوص العهد القديم لتجعل من يهود شعباً دون سائر الأمم، وفي سفر تثنية الاشتراع: "لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اصطفاك الرب لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض".

إن هذه النصوص تحمل في طياتها حالات من الميز (أي: الرفعة) تؤسس لعنصرية كانت نتائجها ما نراه من خلال المنظمة الصهيونية حيث حصل التوظيف الديني في المشروع السياسي، وكذلك في تشريعات قوانين الأسرة والأحوال الشخصية وسواها مما يتعلق بالمنظومة الاجتماعية.

إن النصوص بداية أعطت مكانة للإنسان وجعلت سائر المخلوقات غير الآدمية مسخرات له، وهذا يظهر من خلال النص في أن الإنسان على صورة الإله ومثاله، ومن خلال تسخير الحيوان والنبات له لتأمين حاجاته.

لكن الميز يظهر من النص الثاني الذي يلحق تهمة الغواية بالمرأة، ويتوعدها بسبب ذلك بأنها ستتحمل متاعب وآلام، وهذا ما جعل التشريع اليهودي يؤسس لثقافة متوارثة تقول: بالتصنيف الدوني للمرأة وأنها مصدر الخطايا.

وتزداد منطلقات الميز في مزاعم الشعب المختار لأن الأصل أن كل البشر هم عباد الله ورحمته تشمل كل مهتد منهم ومستقيم في سلوكه وفكره. وفكرة الشعب المختار هذه أسست لثقافة عنصرية ترفض الآخر، لا بل لثقافة سياسية واقتصادية واجتماعية لا ترعى حرمة لأحد، فالشعب

المختار يبرر لنفسه كل ما لسواه من الأغيار لأنه يرى أنهم مسخرون له، وهذه النظرة الدونية لغير يهود دفعت بعض المغالين ممن صاغوا الأدبيات العبرية إلى حد وصف الأغيار بأنهم في مرتبة الحيوانات، ونصوص التلمود مشحونة بمثل هذه المفاهيم العنصرية، منها قولهم: "من ليس يهودياً ليس إنساناً والنطفة التي هو منها نطفة حيوان".

يضاف إلى ذلك أن نصوص التلمود (مِشناه وجمارا) - وقد تمت كتابتها بعد المسيحية - جاءت مليئة بالأحقاد ضد المسيح عليه السلام وضد المسيحية، وقد سبب ذلك متاعب ليهود أوروبا على مدى قرون، وقد أسس ذلك للصهيونية العنصرية التي دفعها مفهومها الاستباحي للأغيار إلى احتلال فلسطين، واغتصاب المقدسات والحقوق، وهذا يخالف ما بدأت به نصوص العهد القديم بأن الإنسان مكرم لأنه على صورة الإله ومثاله.

وإذا انتقلنا إلى معتقد آخر هو الهندوسية، نجد ثمة إشكالات عند طرح مفهوم الخلق والكائن البشري، فالهندوسية - كما هو معلوم - ديانة لا تنسب لشخص ما، بل هي تراث ثقافي تطور مع تاريخ الهند. وفي نصوصهم المعتمدة تحت اسم "مَنُو سَمَرْتِي" أو "شرع مَنُو"، ورد بشأن الخلق وتكوين الكائن البشري ما يلي:

"ثم خلق هذا العالم الفاني من مجموع أجزاء هذه الأشياء السبعة الأبدية اللطيفة، وهي العقل والإنية والعناصر الخمسة (الفضاء أو الأثير والهواء والنار والماء والتراب)، ذات القوة العظيمة غير الفانية.

وأودع في العناصر صفاتها، وخصّ التالي من كل واحد منها بصفات السابق مع زيادة، ثم أنه سمى كل المخلوقات وقدر أعمالها التي خلقت لها وفاقاً لما ذكر في الويد (العلم). ثم أن ابترهما خلق الآلهة العاملة على مختلف طبقاتها وخلق الأرواح اللطيفة وخلق مَها بَكيه (العبادة العظمى وهي خاصة بالأمراء والموسرين).

..... ولهذا فقد انصرف كل مخلوق، حين ظهوره إلى عالم الوجود، إلى ما خُلِقَ له وإلى عمله الذي خصّه به [ابْرَهْمَا] منذ الأزل. وذلك لأن كل مخلوق حصل، حين ظهوره إلى عالم الوجود على الصفة التي اختص بها من بطش ورأفة ولين وشدة وصلح وفساد وصدق وكذب وغير ذلك.

ولسعادة العالم خلق [ابْرَهْمَا] البراهمة من وجهه والكشتريين من ذراعيه والويش من فخذه والشودر من قدميه .

ويكمل النص الهندوسي ليقول: "وعهد إلى البراهمة بقراءة الويد وتعليمه والقيام بأعمال بكيه لأنفسهم ولغيرهم وخصّهم بإعطاء الصدقات وقبولها.

وفرض على الكشترية خمسة أمور وهي: المحافظة على الرعية، ودفع الصدقات، والقيام بعبادة بكيه، وقراءة الويد، وعدم الميل إلى نعيم الدنيا.

وفرض على الويش سبعة أمور هي: حفظ الحيوانات ورعيها، وإعطاء الصدقات، والقيام بعبادة بكيه، وقراءة الويد، والعمل بالتجارة، والتعامل بالربا، والاشتغال بالزراعة.

وفرض الإله الأعظم على الشودر أمراً واحداً وهو أن يقوم بإخلاص تام بخدمة هذه الفرق الثلاث .

إن المعتقد في الهندوسية ينطلق من الإيمان بثالوث آلهة هم: برهما- فشنو- شيفا. برهما الخالق، وفشنو واهب الرزق والخير، وشيفا إله الدمار والإفناء؛ وإن النظام الكوني في المخلوقات يقوم على الاختصاص بالنسبة لكل مخلوق لجهة الوظيفة والدور. والأمر المرتبط بالكائن البشري - كما لاحظنا في النصوص - أن الآدميين تمّ تكوينهم من أجزاء في جسد "برهما" الإله الخالق، وبناء على ذلك توزعوا في

أربع طبقات هي: البراهمة والكشاتريا والويشاش والشودر. وموقع كل طبقة تحدده طبيعة العضو في جسد برهما الذي كان مصدره، فالبراهمة وهم: طبقة رجال الدين يتكونون من الوجه؛ وبالتالي يكونون أعلى الطبقات مستوى، يليهم الكشاتر وهم الأمراء والحكام وأهل السلطة، وهؤلاء من ذراعي برهما، والطبقة الثالثة: الويشاش وهؤلاء هم الصناعيون والزراع والحرفيون ومن يقومون بأعمال تلبي الحاجات العامة في مختلف الميادين، وقد خلُقوا من فخذي برهما، أما الشودر وهم الطبقة الرابعة والأدنى فهم من قدميه وهم للخدمة، ولا يسمح لهم بقراءة علم الشريعة الهندوسية (الويد)، ولا بدخول بيوت العبادة، وليس لهم حقوق كسائر أبناء الطبقات الثلاث السابقة.

والمعتقد الهندوسي يلزم أبناء كل طبقة بالولادة ألا يتجاوزوا طبقتهم؛ أي يفرضون ما يسمى بنظام الطبقات المغلقة، وهذا لا شك نظام ظالم بحق الإنسان، وهذا النظام هو الذي دفع بوذا (سيدهارتا) إلى التمرد حيث كان ينتمي إلى طبقة الأمراء المعروفة [بالويش] أو الويشاش، ولما لاحظ الألم والشقاء في عموم أبناء المجتمع هجر قصره وزوجته وابنته وأسرته وانضم إلى الزهاد والنساك حتى بلغ درجة البوذا (الشخص المستنير) وبعدها وضع فلسفته الاجتماعية - الأخلاقية التي تحولت بعده إلى ديانة.

أما في الإسلام فإن الكائن البشري [الإنسان] يتمتع بمكانة خاصة لمجرد كونه إنساناً قبل الدخول في أمر معتقده وانتمائه القومي، وموقعه في العلم أو العمل. والإنسان في الإسلام أعطاه الله تعالى من خصائص التكوين الخلقي ما لم يُعط أي مخلوق آخر، وفي الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>. وهذا الإنسان

(١) سورة التين، آية ٤.

المخلوق في أحسن تقويم - كما يظهر من التكوين البيولوجي - منحه الله تعالى نعمة العقل واختص بها كي يبدع ويبتكر، ويفكر ويدير ويبنى ويخترع، وقبل ذلك كي يستطيع الفهم، وأول الفهم معرفة الخالق سبحانه، ثم تلقي رسالات السماء كي يلتزمها من أجل أن تكون هدى له، ومن أجل أن تشكل له أساس التشريع ليمضي في مسيرة حياته مستقراً، وليحافظ على أنعم الله تعالى دون هدر ولا تبذير ولا فوضى وأولها حقوق الإنسان، والرفق بالحيوان، والاقتصاد في استخدام الثروة، ولكن كل ذلك من أجل مقصد ومخلوق مركزي ومحوري هو الإنسان.

لذلك استخلف الله تعالى الإنسان في الأرض، وفي الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup>. وكتب سبحانه التكريم للإنسان لمجرد أنه من جنس بني آدم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

أما سلطة الكائن البشري/ الإنسان على سائر المخلوقات فقد جاءت تحت الفعل: "سخر"؛ حيث ورد هذا الفعل مرات كثيرة في الآيات الكريمة منها قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ﴾<sup>(٥)</sup>. وجاءت الآيات القرآنية تذكر فضل الله تعالى على الإنسان تحت اسم: "نعمة" ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾<sup>(٦)</sup>. وإذا ما خالف الإنسان أمر الله وكفر

(٤) سورة النحل، آية ١٤.

(٥) سورة إبراهيم، آية ٣٣.

(٦) سورة لقمان، آية ٢٠.

(١) سورة البقرة، آية ٣٠.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٣) سورة الجاثية، آية ١٣.

فإن البلاء سيصيبه وفي الآية: ﴿فَكَفَرْتَ بِأَنعِمَ اللهُ فَادَّافَهَا اللهُ لِيَأْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما في مسألة الرجل والمرأة أو آدم وحواء والغواية، فإن النص القرآني جاء يصحح ما زعمه كتاب العهد القديم حين ألحقوا تهمة الغواية بحواء، وفي النص القرآني وسوسة الشيطان كانت لآدم وحواء لأنهما نوعان لجنس واحد هو جنس بني آدم، واحتمال الوقوع في الخطأ وارد من كل منهما. قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَآزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>، ولأن الإنسان هو المكرم [أنثى وذكرًا] فإن المجال مفتوح للقيام بكل ما يحسن واقعه، ويحصنه من عوادي الطبيعة، ومن التوازل جميعاً أيّاً كان ميدانها بدءاً من اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح مروراً بالإعمار والإنماء والتطوير وسوى ذلك.

أما بالنسبة للجانب البيولوجي فلا مشكلة في اعتماد الإجراءات الوقائية، لا بل هي واجبة، كي لا يكون أي مولود لعاهات وآفات متوارثة تسببها خيارات غير سليمة في الزواج، لذلك فلا مانع من التدخل من خلال الفحص الطبي لمن سيقدمان على الزواج، هذا مع التزام توجيه التباعد في النكاح، أمّا بعد الحمل فإن الوقاية مطلوبة للأُم والجنين، وواجب كل مسؤول ومعني أن يعمل أقصى استطاعته في هذا السبيل، وأمّا بشأن التدخل في أمر التكوين الجنيني عند التلقيح فإن الأمر جائز إذا كان بقصد الحماية من احتمالات وراثية فيها عدوى أو خلل في التكوين، ويكون ذلك متماشياً مع الكرامة الإنسانية، أما إذا كان في إطار تحديد نوع الجنين بين ذكر أو أنثى أو لون بشرته وعينه

(١) سورة النحل، آية ١١٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٣٥، ٣٦.



وما شابه فعندها يدخل في دائرة الحرام، لأن مثل هذا التدخل يؤسس لعنصرية كما أنه يحدث خللاً في نسبة الذكور والإناث تقود إلى ما لا تحمد عقباه؛ ومن ذلك إشاعة الشذوذ والمثلية في العلاقات الجنسية.

٢ - إذا كان بإمكاننا تعديل الطبيعة البشرية، هل يكون للبشر مكانة مختلفة عن بقية الطبيعة/ الخلق، وهل يجب حمايتهم على نحو خاص؟

لقد دخلت الهندسة الوراثية في السنوات الأخيرة ميدان التكاثر البشري أو عملت على التدخل في التعديل الجيني في مقدمات حصول تكوين الجنين، وإذا كانت الهندسة الوراثية قد انطلقت من سنة الله في خلقه في مسألة التلقيح ومبدأ التكوين الجيني مستخدمة في الاستنساخ أو سواه الكروموزومات والبويضة والرحم إلا أن التدخل نفسه خاصة في التكاثر البشري يحتاج إلى ضوابط توفر الحماية المطلوبة للإنسان حقوقاً وكرامة وقبل ذلك طبيعة.

إن التبدّل والتعديل في الطبيعة النباتية لجهة التهجين وتجويد الأنواع من أجل وفرة الإنتاج وزيادته، أو لجهة الارتقاء به نوعاً بما يقدم ثماره وحبوبه على شكل أفضل لغذاء الإنسان أو الحيوان أمرٌ مطلوب لأن ذلك يسهم في تأمين حاجات الإنسان وإشباعه وكذلك حاجات الحيوان، كما أنه يسهم في سعادة الإنسان وكل ذلك يحض عليه الشرع ولا مشكلة فيه.

والأمر نفسه في ما يتعلق بالحيوان والطيور؛ فإذا ما استطاع العلم تطوير الإنتاج أو تحسين النسل في الحيوان والطيور بما يحقق وفرة في الثروة تصبّ في خانة تأمين الحاجات اللازمة لحياة أفضل في الاجتماع البشري فلا بأس، وكذلك لا توجد مشكلة في هذا التبدّل في أي وجه من الوجوه كان.

أما في ما يتعلق بالإنسان وإمكانات علوم الوراثة على التعديل أو

التبديل فإن المسألة لها قواعد وضوابط؛ لأن الأمر هنا لا يتعلق بالتكاثر كيفما كان وإنما التكاثر ينطلق من روابط زوجية تتسع إلى صلة الرحم ودرجات القربى حيث في كل مستوى ودرجة قاعدة للعلاقة والتعامل، وهذا يترتب عليه التزامات اجتماعية ومالية ومسؤوليات ومنظومة قيمية، وكل هذه الأمور هي التي تولد تماسك الأسرة كخلية مركزية تؤسس لتماسك نسيج المجتمع واستقراره.

كما أن هذه العلائق التي ينتج عنها التكاثر تؤمن للمواليد حقوقاً رعائية وإرثية، وأماناً اجتماعياً، ومن ثم تفرض أصولاً في الزواج والإنجاب، وأي تجاوز للشرع في هذا الباب يكون عصياناً لله تعالى ومخالفة للشرع، وفي الوجه الآخر يكون مسبباً لفوضى اجتماعية لها مفاعيل خطيرة.

إن أمر التبديل في الطبيعة التكوينية البيولوجية في الطبيعة البشرية أو العمل من أجل تفعيل طاقة الذكاء وتنشيط القدرة المعرفية لا مانع فيه شرط ألا يخل هذا التبديل في التنوع البشري ذكراً وأنثى وألواناً وألسنة لأن هذا التنوع يشكل المرتكزات الأساسية للتكامل والاندماج في المجتمع، كما أنه يؤمن مناخاً للتنافس يفعل النشاط الإنساني لأن توحيد الأنواع مع التماثل يتحول إلى تقليدية لها أكثر من مردود سلبي.

ولأن الضوابط الشرعية التي تقضي باحترام الإنسان على ما هو عليه من خصائص خلقية وعلى ما يولد فيه من طاقات وشكل وهيئة فإن واجب المشرعين المتصدّين لمعالجة نتائج الهندسة الوراثية وما يتم طرحه في هذه الأيام بشأنها أن يعمدوا إلى ما فيه توفير المناخ المحقق لكرامة الإنسان والذي يوفر له الحق في حياة كريمة، وبالتالي فإن حماية الإنسان والطبيعة البشرية من عبث علماء الهندسة الوراثية تحتاج إجراءات خاصة في أمر التبديل والتعديل بخلاف ما هو عليه الأمر في دنيا النبات والحيوان.

### ٣ - ما هي المكانة الأخلاقية للجنين البشري في مراحلہ الأولى والأخيرة؟

الجنين يبدأ تكوينه في رحم الأم بعد عملية تلقيح طبيعية بين زوجين، وبداية الحمل في طريقها إلى أن تكون مولوداً بعد استكمال التكوين، والتعامل مع الجنين يحتاج إلى منظومة أخلاقية، وهذه المنظومة يشترك فيها أكثر من طرف، وأول المعنيين هي الأم الحامل حيث يجب عليها ما يلي:

- تجنب تعريض النفس لأية حالات مرضية يمكنها أن تقي نفسها منها؛ أي أن تمارس الحذر الصحي والطب الوقائي حتى لا تكون من المسبيين للجنين بحالات من الأمراض أو التكوين بالولادة، وفي ذلك ظلم كبير.

- الابتعاد عن المخدرات والمسكرات والتدخين بحدود أو على شكل حالة إدمان؛ لأن ما تناوله له آثار سلبية على حالات تكوين الجنين وبالتالي تنقل له ما يمكن الاستغناء عنه.

- الانتباه إلى لباسها وأن يكون فضفاضاً يسمح بالحركة بشكل مريح وكذلك لاعتدال أعمالها وأمكنة نومها، وأن تتجنب كل بيئة يمكن أن تؤثر سلباً عليها كي لا ينعكس ذلك على الجنين.

أما فيما يتعلق بالآخرين من الأب إلى سائر المعنيين ومن هم في مواقع السلطة فالمطلوب منهم:

- توفير الرعاية الكاملة للأم الحامل بيئة وغذاء واستشفاء، وإبعادها عن حالات التوتر والانفعال لأن كل خلل في الوضع البدني والمحيط أو في الحياة النفسية والشعور يصيب الحامل تكون له مفاعيله على نمو الجنين وسلامته.

- أن يتم التنفيذ الدقيق لقوانين وإجراءات تقضي بفحص الخاطب والمخطوبة قبل عقد الزواج للتأكد من خلوهما من أية حالات قد تقضي لحالات غير سوية في تكوين الأجنة.

- مواجهة قانونية وإجرائية لدعوات إباحة الإجهاض بمبرر وبدون مبرر فإن ذلك يسيء لكرامة الإنسان ويخالف مقصد الشريعة في حفظ النسل، ويولّد خللاً بنيوياً في المجتمع لجهة الهرم السكاني، وقد يفضي بالمجتمع إلى الشيوخة.

إن الجنين له مكانة يفرضها الدين كما تفرضها القيم الإنسانية جمعاء، ولا يختلف اثنان عاقلان على ذلك، لذلك نجد المرجعيات الدينية الإسلامية والمسيحية قد واجهت دعوات الإجهاض ومنع الإنجاب أو وقفه.

إلا أن تنظيم الإنجاب بإجراءات ما قبل الحمل لا إشكالية فيها، والإجهاض نفسه قد يُرخص به حال التأكد بأنه يؤدي الأم ويلقي بها إلى التهلكة، أو إذا تم التأكد قبل أن يمر على الحمل أربعة أشهر بأن الجنين سيكون منه مولود مشوه بشكل لا يمكن معالجته أو تعويضه بآلات مساعدة، وما خلا هذه الحالات لا يجوز إباحة الإجهاض حتى لو أرادت الحامل ذلك أو أراد الأب، والمعلوم إسلامياً أن الشريعة تفرض على من قام بالإجهاض بعد نفخ الروح - أي عند تمام الشهر الرابع للحمل - ديةً ويعتبر الفعل جرماً بكل معنى الكلمة.

٤ - ما معنى مفهوم الكرامة الإنسانية كما يراها معتقدك؟ هل الكرامة متأثرة بتعرض التكاثر للمعالجة التكنولوجية البارة بما في ذلك انتقاء وتصميم الخصائص؟

إن الإنسان مستخلف في الأرض، ومنذ البلاغ الإلهي بالاستخلاف؛ وحيث إن الخيار متروك للإنسان بأن يسلك طريق الصلاح بتسبيح الله تعالى وحمده، أو طريق الإفساد وسفك الدماء فإن الله تعالى سلّح الإنسان بالعلم المنفتحة آفاقه، والشاملة مباحثه كي تكون معارفه وأنماط سلوكه على بينة. وفي النص القرآني: ﴿وَإِذْ قَالَ

رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ (١).

إذن من أسس كرامة الإنسان أن وهبه الخالق نعمة العقل، وأعطاه العلم بالأشياء بلاغاً، أو من خلال البحث والاستكشاف، أو الابتكار والإبداع، وهذه ميزة للإنسان جعلته يرتقي عرش التكريم الذي منحه له الحق سبحانه. وفي الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) (٢).

وإذا كان الاستخلاف قد اقترن بالعلم فإن التكريم قد اقترن بالترفضيل الذي أُعطي للإنسان دون سائر المخلوقات، وهذا التفضيل يحقق التكريم بأن يكون للإنسان حق الانتفاع بما سخر الله لهذا الإنسان من كائنات ومخلوقات أخرى، وبأن يتحرك حيث يريد في الكون الفسيح على رحابته براً وبحراً وجواً، وحقه في تحصيل الرزق والطيبات من المصادر المشروعة والمتاحة.

لهذا ينطلق الفكر في الإسلام في مختلف المناحي والبيادين، وفيما يتعلق بأي أمر يعنى به الإنسان من السياسة إلى الثقافة إلى الفن إلى الاقتصاد إلى الاجتماع البشري وفيه تكوين الأسرة إلى غير ذلك من مركزية الاستخلاف المقترنة بمركزية التكريم؛ فكل ما يخالف هاتين المركزيتين (الاستخلاف والتكريم) يكون في جدول انتهاكات حقوق الإنسان، وبالتالي يكون في خانة الانتقاص من كرامته ومكانته.

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣٠، ٣١. (٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

إنّ الإنسان الذي تستقيم مسارات حياته وحركته الحضارية بالانطلاق من هاتين المركزيتين أعطاه الله تعالى من الخصائص الخلقية في التركيب الجسدي البيولوجي والتركيب النفسي والعقلي ما لم يعطِ سواه من المخلوقات. وقد أبلغنا العليم الحكيم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١).

ونترك القرطبي ليتحدث عن كرامة الإنسان انطلاقاً من النص القرآني حيث يقول في تفسيره المسمى: "الجامع لأحكام القرآن": "جعلنا لهم كرمًا أي شرفاً وفضلاً. وهذا هو كرم نفي التقصان لا كرم المال، وهذه الكرامة يدخل فيها خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصحّ لحيوان سوى بني آدم أن يكون ممن يتحمل بإرادته وقصده وتدييره.

وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس، وهذا لا يتسع فيه حيوان اتساع بني آدم؛ لأنهم يكسبون المال خاصة دون الحيوان، ويلبسون الثياب ويأكلون المركبات من الأطعمة... وقال الضحّاك: كرمهم بالنطق والتمييز. ... وقال محمد بن جرير الطبري: بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم. وقيل: بالكلام والخط. وقيل: بالفهم والتمييز. والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويصل إلى نعيمه وتصديق رسله".

إن الإسلام يؤكد من خلال شريعته - قرآناً وسنة - بأن الله تعالى أعطى للإنسان من الخصائص ما لم يعطِ لمخلوق شكلاً ومضموناً.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

إن الله تعالى جعل في أساس تكوين الإنسان الصورة التي جعله عليها، وفيها قوام شخصيته المتميزة بخصائص غير متوافرة في سواه من مخلوقات، ووهبه بواسطتها - وفي مقدمتها العقل - القدرات التي تمكنه أن يستفيد من هذه الخصائص خصوصاً لجهة تحقيق السعادة، وتأمين أسباب المتعة والرفاه، لهذا حدد الأصوليون مقاصد الشريعة انطلاقاً من ذلك في خمسة هي: " حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ المال".

إذا تأمل الإنسان في مقاصد الشريعة وجد أن مدارها الإنسان؛ فكل ما قصدت الشريعة حفظه هو من متعلقات حياة الإنسان؛ وبذلك يكون كل الجهد منصباً من أجل كرامة الإنسان المستخلف في الأرض وهذا يكون بدفع ظلم أو خطر أو تعديات، أو يكون بتحقيق مصلحة ودرء مفسدة، وبالعامل في تأمين كل المستلزمات التي لا تتحقق مقاصد الشريعة إلا بها.

وإذا كان موضوعنا هو تسخير ما توصلت إليه التكنولوجيا البشرية من أجل خدمة أحد مقاصد الشريعة (وهو حفظ النسل) فإنه لا مانع من الاستخدامات المشروعة انطلاقاً من أحكام الشريعة ومبادئ الدين الحنيف، وبالاستناد إلى مصلحة الإنسان وفق الأسلوب الأفضل، وكذلك فإن اعتماد مكتشفات العلم، وما عرجت إليه المعارف في ميدان الطب والهندسة الوراثية لا مانع من استخدامه ضمن الضوابط التي سيلي ذكرها.

وقبل أن نتحدث في الوجوه المشروعة في استخدامات التكنولوجيا في التكاثر أو في معالجة بعض الأمور الوراثية التي تؤدي إلى وضع غير طبيعي في مولود نرى من المفيد أن نذكر بأن مسألة التكاثر بحد ذاتها أمر يحض عليه الإسلام؛ لأن من بين مقاصد الشريعة حفظ النسل ولا يكون ذلك بغير التكاثر.

وفي النص القرآني: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾<sup>(١)</sup>. وفي هذه الآية أن حفظ النسل يكون من تواصل عملية الإنجاب الممتدة من السلف إلى الأبناء فالأحفاد، وتواصل هذه العملية تحقيقاً لمقصد حفظ النسل.

والأمر بشأن الزواج في الإسلام أنه يحقق السكن النفسي والعاطفي "وفي هذا أمان للطرفين وتكامل في تكوين مرتكز الخلية الاجتماعية الأولى (الأسرة)، ومع هذا الأمان يتحقق الإشباع الغريزي في إطار الشهوة الموجودة في طبيعة نوعي بني آدم: الأثني والذكر، لكن الزواج مع السكن والإشباع العاطفي والجنسي والإنساني له غائية أخرى هي الإنجاب؛ وفي الحديث النبوي الشريف بيان واضح لهذه الأمور حيث أخرج الإمام أحمد في مسنده وآخرون عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة (توافر إمكانات الزواج)، وينهى عن التبتل (العزوبة) نهياً شديداً ويقول صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة".

وفي حديث آخر أخرجه الإمام أحمد: "أنكحوا أمهات الأولاد فإني أباهي بكم يوم القيامة". وفي حديث أخرجه أبو داود والنسائي وسواهما: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم".

إن هذه الأحاديث الشريفة جاءت تؤكد على الود كأساس في بناء العلاقة الزوجية؛ فالود أساس السكن الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(٢)</sup>. وكذلك جاءت تؤكد على ضرورة أن يختار الرجل شريكة حياته، والأمر كذلك ينطبق على المرأة في الاختيار الذي يحقق الإنجاب لحفظ النسل.

وإذا كانت الشعوب منذ القدم تعمل لإنجاب المواليد الأفضل فإن

(١) سورة النحل، آية ٧٢.

(٢) سورة الروم، آية ٢١.



ذلك نابع من الفطرة البشرية؛ فأفلاطون في حديثه عن التكاثر في كتابه: "الجمهورية الفاضلة"، يحدد مواسم للإنجاب ويأمر بالاستغناء عن المواليد الذين يكونون في غير هذه المواسم أو الذين يولدون بعاهات. وهناك شعوب وحضارات اعتمدت أنظمة طبقية كالهندوس مثلاً، أو سواهم من أجل الحفاظ على جنس نقي كما يزعمون.

وفي الأثر الإسلامي: "اغتربوا كي لا تُضُؤوا" وفي أثر آخر: "لا تنكحوا القرابة فإن المولود يُخلَق ضاويًا". وفي التعليق على الحديث ورد عند ابن منظور في "لسان العرب": "أي تزوجوا في البعاد الأنساب لا في الأقارب لثلاث تضيء أولادكم، قيل: معناه أنكحوا في الغرائب دون الأقارب فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى، وولد الأقارب أضعف وأضوى".

وقيل: معناه تزوجوا في الأجنيات ولا تتزوجوا في العمومة، وذلك أن العرب تزعم أن ولد الرجل من قرابته يجيء ضاويًا نحيفًا. وقد جاء علم البيولوجيا والطب ينصح بتجويد النسل من جهة التباعد في النكاح.

إذاً مسألة الحرص على الارتقاء بخصائص النسل من الطرق المشروعة في اختيار العلاقات الزوجية، ومن الأمور التي حض عليها الشرع في الإسلام ومن مؤيدات ذلك أن الطب الوقائي مما وجه إليه الإسلام انطلاقاً من معطيات كثيرة تتعلق بالغذاء أو الشراب أو النظافة أو البيئة أو التداوي أو غير ذلك، ويأتي في هذا الباب أيضاً الحذر من العدوى ومما ورد في هذا الباب الحديث النبوي بشأن الطاعون الذي جاء في نصه: "إذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوا عليه"، ومن تطبيقات ذلك أن الخليفة الفاروق رضي الله عنه أتى إلى الشام فلقه أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، وبعد الشورى قرر العودة فقال له أبو عبيدة: "يا أمير المؤمنين: أفراراً من

قدر الله تعالى؟. قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرّ من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى".

تأسيساً على هذه المعطيات لا يكون هناك مانع - التزاماً بقدر الله تعالى - أن يأخذ من سيقدمان على الزواج بالأسباب والمقدمات ومن ذلك الفحوصات الطبية التي تجرى قبل عقد الزواج وتعرض على أهل الاختصاص من الأطباء للفحص عن احتمال وجود عوامل بيولوجية بين طرفي العقد تؤدي إلى مواليد غير طبيعيين، أو إلى وجود جينات وراثية محتملة الانتقال إلى الأجنة وبذلك يمنع عقد مثل ذلك الزواج، والحالة الأخرى أن يكون الأمر محتاجاً للتداوي من أمراض قبل الإقدام على الإنجاب حفظاً لقاعدة الإنجاب لنسل سليم، والأخذ بكل هذه الأسباب لا يتعارض مع مقاصد الشريعة ولا مع مركزيتي الاستخلاف والتكريم اللتين أعطاهما الله تعالى للإنسان دون سائر المخلوقات.

وممن يذهبون هذا المذهب الشيخ عطية صقر من لجنة الإفتاء في الأزهر الشريف الذي أجاب على سؤال حول الهندسة الوراثية في شهر أيار/ مايو فقال: "إذا كان الغرض من هذه العملية تجنب وراثته بعض الأمراض في الذكور أو الإناث، وكان ذلك بطريقة علمية مؤكدة ليس فيها ارتكاب محرّم فلا أرى مانعاً من ذلك، لأن الوقاية خير من العلاج، والقرآن ينهانا عن الإلقاء بأيدينا إلى التهلكة والحديث يحذرننا من العدوى والتعرض لها، فلا ندخل بلداً سمعنا أن فيه طاعوناً، ولا نخرج منه إذا وقع ونحن فيه، وينهانا عن الأكل مع المجذوم (الجذام مرض يصيب بعض الأشخاص وبسببه تتساقط أطرافهم أو بعضها وهو مرض معدٍ)، وعن التعامل مع أي شيء فيه ضرر، فلا ضرر ولا ضرار في الإسلام".

وإذا اتجه الأمر في التكنولوجيا إلى الانتقاء أثناء عملية التلقيح لجهة الذكورة أو الأنوثة وذلك لإرضاء ما في نفس بعض الأهل فإن هذا الأمر سيؤدي إلى خلل ويفقد المجتمع التوازن مما ينعكس شذوذاً

في الممارسات والعلاقات بين النوع الواحد أو النوعين في جنس بني آدم، أضف إلى ذلك الخلل الاجتماعي الذي يحمل في طياته رفضاً مسبقاً لنوع المولود الذي لا يريده المقدم على إتمام عملية الحمل بالجنين، وهذا ينتقص من كرامة الإنسان التي سبق الحديث عنها ويدخل في باب الأمور المحظورة التي يحرمها الشرع.

ويحضرني في هذه المناسبة مثال إجرائي حصل في الهند عندما اضطر البرلمان أن يصدر قانوناً يمنع فيه التوسع في مسألة استخدام آلات الفحص والتصوير التي تعرّف المرأة الحامل بنوع الجنين (أنثى أو ذكراً) بعد اكتمال التكوين في الرحم لأن هذا الأمر أدى إلى اتجاه الأسر إلى عمليات إجهاض للمواليد من الإناث بسبب العبء الذي تشكله الفتاة على أبيها وأشقائها مالياً وفق أعراف الزواج في الهند؛ حيث المطلوب أن يجهّز الأهل ابنتهم، وهرباً من ذلك كانوا يعمدون إلى معرفة نوع الجنين للتخلص من الأجنة الإناث، ولقد صدر في أواسط الصيف العام ينص على أن استخدام آلات الفحص لنوع الأجنة تكون بإشراف حكومي لضبط ظاهرة الإجهاض.

إذاً تصميم الخصائص من خلال تقنيات علم الوراثة تكون مقبولة في إطار الوقاية من الموروثات ومن الأمراض ومن العدوى، وتكون مرفوضة إذا دخلت في إطار النوع في جنس بني آدم أي الذكورة أو الأنوثة وما يتبع ذلك كالتدخل في تحديد نوع البشرة أو في غير ذلك من الخصائص البشرية.

- هل هناك اتجاه عام نحو العلم والتكنولوجيا في معتقدك؟ هل يوجد أساس للقول بأن هناك بعض المجالات التي من الأفضل عدم الخوض فيها؟ وإذا كان الأمر كذلك، فماذا عساها أن تكون؟ هل يوجد انشقاق محافظ في مقابل آخر ليبرالي داخل معتقدك؟ أم أنه ليس هناك معنى لهذه المصطلحات في خطبكم؟

٥ - هل من الصواب القول بأن هناك شيئاً ما متصلاً في الطريقة التي يعمل بها العلم في المجتمعات الغربية تشجع على الاتجاه المتغطرس وغير الحكيم نحو الخلق/ الطبيعة؟

إن الإسلام أكد في نصوصه الشرعية قرآناً وسنة على تكريم العقل، ومكانة العلم والعلماء، وبيّنت النصوص أهمية العلم في معرفة الله تعالى، وفي استكشاف حقائق الكون وأنظمتها، وفي الابتكار والاختراع بما يشبع الفضول المعرفي عند الإنسان، وبما يؤمّن مستلزمات تحقيق السعادة والاستقرار والعروج في سبل الكمال.

والاتجاه العام الإسلامي المؤصّل على النصوص هو العناية بالعلم وطلب مكانة اختصّ بها العلماء دون سائر البشر. قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>. وفي آية أخرى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾<sup>(٢)</sup>. وإذا كانت هاتان الآيتان قد بيّنتا مكانة العلماء فإن نصوصاً أخرى جاءت تحض على العلم من جهة أن البحث العلمي والتعمق في الحقائق الكونية والاكتشافات تقود الإنسان الأكثر علماً إلى أن يكون الأكثر خشية لله تعالى. كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وتأتي الأحاديث النبوية الشريفة لتؤكد هذا الاتجاه العام وتضيق صفحات أي بحث أو مؤلف بها، ومن ذلك أن النبوة وهي اصطفاء إلهي لا ينال شرفها إلا من اختص الله تعالى بذلك إلا أن من جند نفسه للعلم والبحث يقارب هذه المرتبة الشريفة لأنه وريثها، وفي

(١) سورة المجالة، آية ١١ .

(٢) سورة آل عمران، آية ١٨ .

(٣) سورة فاطر، آية ٢٨ .

الحديث النبوي: "العلماء ورثة الأنبياء". وفي حديث آخر: "أقرب الناس درجةً من النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلّوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسياهم على ما جاءت به الرسل".

وإذا كان للشهداء منزلةً خاصةً يوم القيامة فإنّ العلماء وُعدوا بالمنزلة نفسها من خلال الحديث النبوي الذي جاء فيه: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء".

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: "فضّل العالم على العابد كفضلي على أذى رجل من أصحابي". ومن أسس سلوك المتعلم والعالم أنه إذا حصل علماً نافعاً وجب عليه نشره بين الناس لتعمّ فائدته؛ إذ لا خير في علم يبقى في ذهن صاحبه أو في قرايطسه. وفي الحديث النبوي: "من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار".

إذن العلم في الإسلام له وظيفة وغائية، وحامله حامل أمانة وواجبه أن يؤديها إلى من يحتاجها أو من يتوق إليها، ولا يجوز لعالم أن يكتم علمه أو أن يحتكره، والأمر نفسه ينطبق على المجموعات البحثية والعلمية، وعلى الدول والمؤسسات لأنّ القاعدة هي: "لا خير في علم يُحجّب عن العامة".

والعلم مطلوب أياً كان مصدره فالحقيقة العلمية لا هوية دينية أو قومية لها، وفي الحديث النبوي الشريف: "الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها أخذها"، وكما أشار الفيلسوف ابن رشد في كتابه: "فصل المقال": الواجب أن نأخذ الحكمة والحقيقة من مصادرها عند السابقين سواءً وافقونا في الملة أم خالفونا.

ثم لا علم محظور في الإسلام. فالبحث والاستكشاف مطلوبٌ في الميادين كافة، وحول كل منظومة في الكون والمجتمع لكن ما هو

داخل في دائرة الإباحة أو الحظر، والحلال أو الحرام هو توظيف العلم؛ وما دام العلم موظفاً من أجل الإنسان المستخلف في الأرض وتحقيقاً لسعادته وكرامته فإنه لا إشكال عند ذلك .

حتى السلاح مطلوب لرفع ظلم، ولمقاومة احتلال واغتصاب، أو لحفظ الأمن والسلامة العامة، وكما قال القدماء: "العلم سلاحٌ ذو حدّين"، وتوظيفه يكون للخير أو الشر، هذا هو المعيار في الإسلام .

وتأسيساً على ما تقدم فإنه لا علوم ممنوع الخوض فيها، وإنما العبرة في الوظيفة. أما الموقف من العلم فلا مكان فيه لتقسيم ينضوي فيه الناس تحت مسمى ليبرالي أو محافظ؛ فهذه تقسيمات سببتها ظروف سادت في أوروبا في القرون الوسطى زمن محاكم التفتيش؛ حيث حصلت مواقف سلبية من بعض العلماء ومن بعض النظريات وما توصلت إليه العلوم، وبالمقابل فتح الإسلام - منذ البعثة النبوية - السبيل لكل العلوم حتى أن بعض الدهريين المنكرين لوجود الله تعالى تجرأوا أن يحضروا إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مطالبين بمن يحاورهم ليقنعهم بوجود الله تعالى، فأشار رسول الله إلى الإمام علي رضي الله عنه بأن يلتقيهم في مكان خاص ويحاورهم ويناقشهم، هذه الحادثة تشكّل منطلقاً لما حصل في مسار الحركة العلمية بعد ذلك حيث كانت الأبواب مشرعةً لكل علم وعالم؛ وبسبب ذلك كان التعريب، وكانت حركة الإبداع والابتكار، وإذا كان قد حصل موقفٌ ما من ذي فكر أو أطروحة إنما كان الدافع فقط وقف التناول على العقيدة لا غير.

وإذا كنا نلاحظ وجود بعض ضيقي الأفق بين جماعات ممن باتوا مولعين بالغلوّ والإضافة إلى لائحة الممنوعات فإنما السبب يأتي من مفاهيم خاطئة، ومن تعصبات رديئة، وردات فعل لا مبرر لها؛ إذ الأساس عند المؤمن أن يمارس الفعل والإنجاز لا ردّات الفعل والانفعال.

بناءً عليه نقول: لا يوجد عندنا في دنيا المنهج العلمي ما اسمه ليبرالي أو محافظ، ولا مكان في الخطاب الإسلامي الحق لمثل هذه المفردات، وهي تقليد واقتباس للوافد من أوروبا والغرب لا بد من تبيانه ومعالجته، وعلى أية حال هناك بالمحصلة بعض المغالين الذين سيئون للدين الإسلامي ولسماحته ووسطيته وبأي مسمى تسموا باتجاه الإفراط أو التفريط، وهؤلاء نحتاج منهم أن يراجعوا مواقفهم وأن يعودوا إلى ما هو الأصل الذي يقوم على طلب العلم وتوظيفه من أجل الإنسان والتوازن النظامي الكوني مواجهة لكل عبث واخلل تحدثه الأساليب الفوضوية في التعاطي.

إن العلم في الأصل يجب أن يزيد أصحابه - أفراداً وأممًا ومجموعات - تواضعاً، وإيماناً بمكانة الإنسان، وبتعميم ما توصل إليه البحث لتعم الفائدة. هذا ما فعله العرب والمسلمون يوم قدموا للعالم قاطبة ما توصلوا إليه، ولم يستعلوا أو يحتكروا أو يحبسوا معرفة أو حقيقة علمية.

إلا أن أوروبا الغربية وملحقاتها في أيامنا هذه وأبرزهم الولايات المتحدة الأميركية - أقصد الملحق الحضاري لا السياسي - مارسوا ما نعرفه وما عرفته مراحل التاريخ في القرنين الأخيرين من توظيف للعلم في الدمار والقتل والعدوان وإفساد البيئة بكل مكوناتها بالتجارب النووية والنفايات السامة دون أن يعيروا أي انتباه للتوازن الطبيعي أو لكرامة الإنسان، وكثيراً ما أتت منتجات مصانعهم ومختبراتهم في غير الصالح العام والإنساني كما أنهم احتكروا المعارف وحججوها عن الشعوب والأمم.

والغطرسة الأوروبية وأمريكية في العلم بادية لكل مراقب ومتابع؛ حيث الكثير من مراكز البحث تُبقي ما تتوصل إليه ضمن جدرانها، وحبيس مكتباتها ومحفوظاتها، كما أنها تضع الشروط والقيود على

الباحثين فيها، وتمنعهم من السفر بعلمهم، وهذا أمر يعرفه أهل أمتنا العربية وسوانا من دول العالم في آسيا وأفريقيا، حيث سلبوا بعض الشباب من أهلهم ووطنهم لأنهم وجدوهم من صنف المبدعين، وقيدوهم لدرجة أنهم يرسلون معهم الحراس والمراقبين عندما يأتون لزيارة أهلهم وبلدانهم.

والخطرسة تبدو في وجه آخر هو أن العديد من الكليات في الجامعات أو الأقسام - خاصة في الاختصاصات الدقيقة ومراحل الدراسات العليا - تمنع دخول الطلاب من غير جنسياتها الوطنية، أو من قوميات معينة، وهذه أمور تسيء إلى روح العلم، وفضيلة العلماء، لا بل تخالف حقوق الإنسان التي يتحدث عنها بعض قادة هذه الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي أوصلتها الخطرسة إلى الامتناع عن توقيع ميثاق البيئة، والتي دفعها منهجها السياسي الاستعماري الساعي إلى السيطرة والتسلط إلى التوسع في استخدام أنواع الأسلحة كافة ليفتكوا بمن يخالفهم أو بمن لا يدعن لأطماعهم بدءاً من قصف اليابان بالقنابل الذرية إلى ما عاشه العالم من ويلات وجرائم ولا يزال ضد الفلسطينيين والعراقيين والأفغان، وإلى استخدام وسائل الضغط وسباق التسلح ضد كل جهة دولية لا تدين بالولاء لسלטهم وتسلطهم، من مثل دول في القارة الأمريكية: كفرنزويلا وكوبا والبرازيل إلى الأمة العربية حيث يعملون بها كل مبتكراتهم للتفتيت والتفرقة والسلب والسيطرة تحت ستار محاربة الإرهاب أو منع أسلحة الدمار التي يفتنونها ويطورونها ويستخدمونها.

وتتواصل التجاوزات على الإنسان وكرامته في مسائل غير الدمار وتلويث البيئة من مثل: الأفكار والمؤتمرات (مؤتمر السكان في القاهرة ومؤتمر المرأة في بكين حيث الدعوات لإباحة الإجهاض، وللمثلية في العلاقات الجنسية، ولممارسات بزواج وبلا زواج)، ولغير ذلك مما



يخالف القيم الناظمة للمجتمع سواء أكان مصدرها دينيًا أم إنسانيًا مُستمدًا من فلسفات وأعراف.

وهذه التجاوزات تبرز في إباحة التلقيح الاصطناعي من غير الزوج، وبالترخيص في الاستنساخ بلا ضوابط، أو في موضوع ما يسمونه القتل الرحيم. فالغطرسة العلمية عند الأوروأمريكان لم ترحم الإنسان؛ لا بل استباحت القيم واستباحت حياة الإنسان الخاصة، من مثل أساليب ووسائل التنصت والتجسس وغير ذلك الكثير. كل هذا يحتاج أن نعيد الاعتبار لغائية العلم ووظيفته، وأن يكون الأصل فيه العمومية وخدمة الإنسان والاستقرار الطبيعي/ البيئي والاجتماعي/ الإنساني.

**المحور الثاني: هل التكاثر التكنولوجي يؤدي إلى انشقاق بين النشاط الجنسي والتكاثر، وكيف يؤثر ذلك على الأسرة والأطفال؟**

إن النظام الكوني يقوم على نظام الأزواج والثنائية، والقاعدة في هذا النظام الزوجي أن يحصل التكامل بين النوعين أو الزوجين من الجنس الواحد كي تتم الغائية التي من أجلها كان هذا الكائن، وبها تستكمل وظيفته. وهذا النظام يخضع له كل مخلوق في الوجود؛ فالثنائية في النوع موجودة في الأزهار وتلاقحها وفي التيارات الهوائية والغيوم وفي نظام الكهرباء بين السالب والموجب وهكذا دواليك حتى تشمل كل ما في الكون.

وإذا انتقلنا إلى حالة الإنسان ضمن هذا النظام وجدنا أن نظام الأزواج بين الذكر والأنثى قد تطور مستوى العلاقات فيه مع المسار التاريخي للحضارات، ومع الأنظمة القيمية للفلسفات والتشريعات، وكان الأرقى نظام الاقتران بين نوعي الجنس الآدمي وفق أسس رسالات السماء، وفي الإسلام يُصنّف الزواج بين النوع الأرقى والأكثر قداسةً في أنواع الروابط كلها، وهذا الزواج يحقق - إذا قام على أسس سليمة - مقاصد كثيرة تؤمن

الاستقرار النفسي والاجتماعي للفرد وللجماعة، ويؤسس الانطلاقة لمسيرة الأسرة، ويؤمن الحصانة لطرفي العلاقة كي يتعدا عمّا هو محظور وغير مشروع في العلاقات، يُضاف إلى ذلك تحقيق مقصد الشريعة في حفظ النسل، وهذا المقصد في أساس فطرة الإنسان امرأة ورجلاً.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾<sup>(١)</sup>. وفي آية أخرى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾<sup>(٢)</sup>. في هاتين الآيتين بيان واضح عن ارتباط الحياة الزوجية بالعلاقات بين الزوجين في إطار الاستقرار الذي ينعكس إيجاباً في الأسرة، حيث يتكامل دور الرجل مع دور المرأة رعايةً وتحملًا للمسؤولية المشتركة وتوفيراً للقوة الحاضنة للنسل ليتوافر المناخ الصحي والسليم للأطفال إذ الفطرة في الطفل أن يلوذ بالأم مرة وبالآب أخرى، كما أن التربية السليمة للأطفال تتحصل في مناخ أسريّ تسوده المودة والتراحم؛ لأن علاقات زوجية يسودها التوتر والشقاق تنعكس على نفسية الطفل وتؤثر فيه لجهة الفكر والمشاعر والانفعالات ومن الناحية الفيزيولوجية في وظائف الأعضاء، فكيف الأمر لو حصل الانفصال وكان الطفل في رعاية أحدهما دون الآخر؟.

إن التكاثر باستخدام التقنيات العلمية المعاصرة - وقبل أن يناقش الإنسان ما هو حلال أو حرام فيها من الحالات والأنواع - إنما يحقق هذا التكاثر قاعدة حفظ النسل، ولكنه يجعل النسل في مناخ تربوي لا يحقق له السوية النفسية كما لو كان في حضن أبوين كونا معاً الأسرة، كما أن التكاثر وإنجاب الأطفال الذي يكون ثمرة الزواج ترافقه سعادة عند الأبوين، وبالإضافة إلى ذلك تتأمن العلاقات الزوجية وفيها السكن

(٢) سورة النحل، آية ٧٢.

(١) سورة الروم، آية ٢١.

والمودة، أما التكاثر باستخدام مبتكرات التكنولوجيا - سواء كان في الاستنساخ أو في حمل الأنثى من بنوك للملقحات من غير زواج - إنما يعيدنا إلى بدائية تجاوزهها الزمن منذ آلاف السنين، كانت الأم فيها وحيدة في مسؤولية رعاية الأطفال لأن الزواج لم يكن منتظماً ولا مستقراً، وهذا يقودنا إلى سؤال: هل يريد دعاة اعتماد التكنولوجيا في التكاثر وتجاوز الزوجية والأسرة أن يعودوا بنا إلى أنماط تجاوزهها الزمن؟.

إن العلاقة بين طرفي الحياة الزوجية يكون من خلالها الإشباع الجنسي وهو بحد ذاته هادف باتجاه تأمين التكاثر وإنجاب المواليد، فتتكامل الدوافع والميول بين العاملين: الجنس والتكاثر، فيصبح ذلك منطلقاً للروابط الأسرية؛ فالنشاط الجنسي القائم من زواج شرعي هو عامل استقرار نفسي يُشعر كلاً من الزوجين بخصوصية في العلاقة تؤصل لشراكة في مسيرة الحياة، كما أن الإنجاب من خلال هذا النشاط الجنسي الزوجي يقوم على شعور بين الزوجين بالمسؤولية المشتركة تجاه مولود سبباً مجيئه إلى هذه الدنيا، وعندما يمارس الزوجان الوالدية: الأبوة والأمومة تجاه مولودهما ويتربى في كنفهما ويتعرف على أهمية الدور الذي أداه الوالدان تجاهه يكسبه ذلك حباً لهما يبادلها بسببه الطاعة وتقوى أوامر الصلات العاطفية بين الأعضاء في مؤسسة الأسرة آباءً وأبناءً فيكون البرّ بدل العقوق والتنكر، وكل ذلك يستحيل أن يحصل لو أن التكاثر وإنجاب المواليد كان نتاج عملية اصطناعية من مصادر مجهولة دون أن تقوم على أساس الرابطة الزوجية السليمة والمشروعة.

تأسيساً على ما تقدم نخلص إلى القول بأن التكاثر وفق منطلقات عشوائية وتقنية بحتة غير مشروعة: كالتلقيح من غير الطرف الآخر في الحياة الزوجية أو الاستنساخ لأن ذلك لا يؤدي إلى الانشقاق بين النشاط الجنسي والتكاثر فقط، وإنما يؤدي إلى الانشقاق في التركيبة

الأسرية ويعطل روابط الوالدية والبنوة فيكون ذلك سبباً في تفكك العلاقات الاجتماعية بدءاً من تفكك الأسرة وتسود الفوضى المجتمع، وسيقود ذلك إلى ما لا تحمد عقباه فتكون التكنولوجيا سبباً في دمار المجتمع.

## ٦ - ما هو تأثير الاستنساخ التكاثري على الأسرة؟

إن الاستنساخ عملية تكاثر يقوم المبدأ فيها على أخذ خلية من الخلايا الجسدية وإيداعها في بويضة أنثوية منزوعة النواة أو فارغة من الكروموزومات وبعد ذلك توضع في رحم لتأخذ طريقها إلى التخلق لتصبح جنيناً، والمولود لن يكون مطابقاً بالكامل للمخلوق المستنسخ وإنما يكون شبهه تقريباً.

وإذا كان موضوعنا لا يدخل في موضوع عملية الاستنساخ فإن ما يجب بيانه قبل الإجابة عن السؤال هو أن سنة الله في خلقه أن ينشأ ويتكوّن المولود من مصدرين هما: الأم والأب حيث يستمد أساس تكوين نصف عدد الصبغيات (الكروموزومات) من كل من الأم والأب، وبذلك يأتي المولود وفيه مورثات من كلا الطرفين ومن آبائهما وجدودهما، وهذا الأمر يجعل المولود في حالة مسيرة حياة تبدأ بالشعور بالارتباط بكلا مصدرَي تكوينه: الأم والأب وأرحامهما، وعلى أساس من ذلك تكون الضوابط وتنظم العلاقات الاجتماعية، فيعرف من هو والده؟ ومن هي أمه؟ ومن هم أجداده؟ ومن هم أعمامه وأخواله؟ وهكذا إلى آخر سلسلة صلة الرحم.

إن الاستنساخ التكاثري هو آلية تؤمن التكاثر بلا أسرة، وتولد حالة من الفوضى في منظومات الأسر والمجتمع، ويؤدي إلى خلط في الأنساب، فالمولود من مصدر واحد هو المستنسخ الذي أخذت منه الخلية، وبذلك لا ثنائية والدية يرتبط بها، أي أم وأب. وبالتالي لن

يكون هذا المولود بين حضنين يعدّانه للحياة، وتتكامل الأدوار في ذلك.

ثم ينتقل الكلام إلى الزواج: من هم محارم المولود أنثى كان أم ذكراً؟

من يختار شريكاً للحياة؟ وماذا لو تزوج الرجل من امرأة وكانت شقيقته أو أمه أو عمته أو خالته؟! أو لو تزوجت المرأة من رجل، وكان هذا الرجل أباهما أو شقيقها أو عمها أو خالها... إلخ؟ وإذا انتقلنا إلى موضوع النسب نسأل: لمن يتسبب هذا المولود المستنسخ؟ ما هويته؟ وفي نظام الموارث: من يرث، ومن يرثه عند وفاته؟

إن الاستنساخ التكاثري يعطل النظام القيمي، ويفسد المجتمع.

إن البحث العلمي، واستخدام نتائج البحث في خدمة الإنسان وإسعاده أمر حضّ عليه الإسلام، ولم يمنع الإسلام بحثاً أو اتجاهات علمياً لكن شرط أن يبقى ذلك ملتزماً بمقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ المال، وشرط أن يلتزم الباحث أو الاتجاه العلمي ضوابط الشريعة في عدم مخالفة مركزية استخلاف الإنسان في الأرض، ومركزية تكريمه، ومن جهة ثانية ألا يخلّ البحث والعلم بالتوازن الطبيعي والبيئي كما هو حاصل الآن في الثقب لطبقة الأوزون، وفي التجارب النووية وما تخلفه، والنفائات السامة والتلويث وما ينتج عنه من مشكلات في البيئة باتت تهدر الحرث والنسل.

ويأتي الاستنساخ حالياً ليضيف جديداً إلى قائمة المفاسد باسم العلم حيث يسعى دعائه إلى المزيد من التلويث الاجتماعي، وكأنّ ضرب القيم من خلال الإباحية لم تكفهم.

إن الاستنساخ التكاثري يكون مفيداً لو سُحّرت فيه الجهود في

إطار النباتات والأشجار من أجل تجويد الأنواع، والتهجين وزيادة الإنتاج أو الارتقاء بالمكونات لتكون في خدمة الإنسان وإشباع حاجاته. وينطبق الأمر نفسه على الحيوانات والطيور إذ هي مسخرة لحاجات الإنسان ولا نظام قيمى سيتأثر فيما لو اعتمدت فيه عملية الاستنساخ التكاثرى.

وإذا اعتمد الاستنساخ في إطار الجراثيم وما يماثلها من أجل اكتشاف آثارها ومخاطرها أو الأحياء الدقيقة التي قد تقدم فوائد وإيجابيات فلا بأس بذلك.

أما أن ينتقل الأمر إلى دنيا الإنسان عبثاً وفوضى وعدواناً على القيم - كما بينا سابقاً- فهذا أمر لا يقره الإسلام ولا أبسط قواعد احترام حياة الإنسان، وحقه في عيش كريم له قيمه الناظمة لمساره.

إن هذا الموقف ذهب إليه "مجمع الفقه الإسلامى" بجدة (السعودية) في دورته العاشرة المنعقدة في شهر صفر ١٤١٨هـ والتي تقع بين ٦/٢٨ و ٧/٣ من العام ١٩٩٧ والذي نصّ قراره على ما يلي:

أولاً: تحريم الاستنساخ البشري بطريقتيه المذكورتين أو بأية طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري.

ثانياً: إذا حدث تجاوز للحكم الشرعى المبيّن في الفقرة أولاً، فإن آثار تلك الحالات تعرض لبيان أحكامها الشرعية (أي العقوبات التي تترتب على المخالفين).

ثالثاً: تحريم كل الحلول التي يُقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحماً أو بويضة أو حيواناً منوياً أم خلية جسدية للاستنساخ.

رابعاً: يجوز شرعاً الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان في حدود الضوابط الشرعية بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد.



## المناقشات





## الجلسة العلمية الأولى خلق الإنسان - الفطرة والطبيعة رؤية إسلامية - مسيحية - يهودية

الرئيس: الدكتور إبراهيم بدران

المقرر: الدكتور عبد العزيز سويلم

### المتحدثون

١ - الدكتور بروز فولج

٢ - الدكتور مصطفى أكيول

٣ - الدكتور أسعد السحمراني

رئيس الجلسة: لدينا - حتى الآن - أحد عشر اسماً. أظن أن العدد سيتزايد. لذا سيكون لكل متحدث دقيقتان كحد أقصى وأرجو الالتزام بهذا الوقت كي لا نطغى على وقت الآخرين. سنبدأ بالدكتور طه عبد الرحمن.

المتحدث د. طه عبد الرحمن: بسم الله الرحمن الرحيم أولاً أريد أن أشكر أصحاب المحاضرات التي استفدت منها كثيراً وأريد أن أفهم عند ثلاثة مفاهيم وردت، أولاً: مفهوم السيادة على الطبيعة، والثاني: انتفاء المقصد No Inteligant Design والمفهوم الثالث: الفرضية العلمانية التي جاء بها Vin brg ولكي تتضح المفاهيم فإن عندنا معياراً أساسياً وهو [ألا ينقلب المفهوم إلى نقيضه] فإذا قمنا مثلاً باستخدام مفهوم ما فإجرائيته تظل صحيحة ما لم يظهر إمكان انقلابه إلى نقيضه، فنحن إذا أخذنا (مفهوم السيادة إلى الطبيعة) فسنجد أن هذا المفهوم انقلب إلى نقيضه، بمعنى أن الإنسان بقدر ما يعتقد أنه يسود الطبيعة فإن الطبيعة تسوده باعتبار أنه بقدر ما يعتقد أنه يتصرف في الطبيعة فهي -

أيضاً - تتصرف فيه، وبالتالي فهذا ما نراه من وجوه انتقام الطبيعة للإنسان، فإذا سيادة ما يدعى بأنه سيادة الإنسان على الطبيعة لا ينبغي سيادة الطبيعة للإنسان؛ وبما أن هذا المفهوم لم يعد إجرائياً فينبغي أن نتخلى عنه إطلاقاً، فلذلك أشكر الأستاذ [فولج] الذي حاول أن يجدد نظره إلى العلاقة بين الطبيعة وبين الإنسان، وأنا أعتقد أن وجه العلاقة الصحيح الذي ينبغي أن يكون بين الإنسان وبين الطبيعة هو نقيض سيادة ما معناه [أن الطبيعة كانت أمّاً] للإنسان فينبغي أن ننظر إلى الطبيعة على أنها أم للإنسان، فإذا انطلقنا من هذا المفهوم [أن الطبيعة أم الإنسان] فإن العلاقة التي ستكون بين الإنسان وبين الأم تكون علاقة رحمة علاقة تراحم واستفادة؛ بحيث تكون الطبيعة كالأم الحنون ويكون الإنسان كالابن البار، وبمعنى آخر ينبغي أن نأتي بمفهوم جديد في العلاقة مع الطبيعة، وهو مفهوم البرّ بالطبيعة، هذه النقطة الأولى.

النقطة التالية هي قضية ما جاء به (دونكتر) وهو مسبق إلى ذلك - وهو [أن ما هناك ليس مقصدية كل ما هنالك أن الأحداث تسير وتنتهي إلى ما هي عليه لأسباب ميكانيكية] فأنا أقول: أولاً مفهوم القصد هو مفهوم لدى الغرب لدى هؤلاء فبأي معنى يتصورون المقصدية؟ يتصورونها بثلاثة أوجه ليست في الإسلام، أولاً يتصورون المقصدية (على أنها تقدير خارجي عن الأشياء) يعني تأتي المقصدية خارج الأشياء فهناك قوانين للأشياء ثم المقصدية خارجها، وهذا خطأ، فالمقصدية إذاً ليست تقديراً خارجياً للأشياء.

المقرر: يادكتور انتهت الدقيقتان حتى يكون الوقت متاحاً للجميع.

الدكتور طه: هي نقطة أكمل.

المقرر: باختصار شديد

د. طه: ثم يتصورون المقصدية (على أنها تقدير كلي) بمعنى أنها لا تظهر في الأشياء إلا إذا نظرنا إليها كلياً؛ في حين أن المقصدية هي في كل جزئية من جزئيات الأشياء، ثالثاً: يتصورون المقصدية (بأنها ستأتي آجلة) في حين أن المقصدية عاجلة؛ ولذلك ينبغي إعادة النظر في مفهوم المقصدية من هذه المنطلقات، وسوف نتبين أن ما يسمى بالسنن - وهي القوانين عندنا بالتعبير الحديث - ليست إلا المقصدية التي ندعو إليها ويدعو إليها أهل الدين، فإذا تبقى فرضية وهي التي أتى بها (Vin brg) لم يفعل شيئاً إلا أنه أخذ ما يسمى (Sacularization Tais) وطبقها في مجال المعرفة وقال: (إن المعرفة إذا تقدمت سينتهي زوال الإنسان) فإذا اعتبرنا ما قلت سابقاً: من أن المقصدية ليست المقصدية التي تفترض [الخارجية والكلية والآجلة] إنما هي جامع إلى الخارج وإلى الداخل وللكل، وجامع إلى الآجل والعاجل، إذا اعتبرنا ذلك فإننا سنتبين أنه نظر ديني في الأشياء لن ينتهي أبداً فضلاً على أنها مطروحة في مجالات أخرى كمجال (علم الاجتماع) وقد بطلت بطلاناً نهائياً، ولا أريد أن أطيل ولولا ضيق الوقت لشرحت الأمر أكثر وبينته وشكراً.

رئيس الجلسة: الكلمة للدكتور حامد أحمد فليتنفضل!

د. حامد أحمد: شكراً جزيلاً يا دكتور. لدي فقط إضافة سريعة لما قاله الدكتور مصطفى أكيول بشأن التصميم الذكي. ففي سبتمبر من العام الماضي ألقى البروفيسور [آربر] - أحد الحائزين على جائزة نوبل - محاضرة شديدة الروعة حول التطور البيولوجي والارتباط العلمي والروحي. لقد أثبت د. [آربر] أن هناك ما يسمى التصميم الذكي، غير أنه حاول التوفيق بين كل من التطور والخلق. فهو أحد علماء الأحياء الجزئية الذين أشاروا بوضوح إلى التصميم الذكي.

الرئيس: أتوجه بالشكر إلى د. حامد الكلمة الآن للأسقف كاميلو

باللين.

الأسقف كاميلو بالين: أشكر الدكتور السحمراني على طريقته الواضحة، وتوافق الكنيسة الكاثوليكية في أن الحياة تبدأ من لحظة تكوين الجنين؛ وهنا أريد توضيحاً بالنسبة لتعاليم الإسلام، هل فعلاً يعتقد الإسلام أن حياة الجنين تبدأ من أول لحظة لتكونه؟

المقرر: نحن سنبدأ جمع التساؤلات وبعدها نبدأ الإجابة عنها وأود أن أؤكد على أن السؤال إن كان موجهاً إلى أحد بعينه من الزملاء المتحدثين فبيّن لمن يوجهه.

الرئيس: الكلمة الآن للدكتور عمر سليمان.

د. عمر سليمان: بسم الله الرحمن الرحيم، عمر سليمان من منظمة وان السودان، أود أن أشير إلى الكلمات القيمة التي تقدم بها المتحدثون، وأرى أنه ربما يكون من الضروري أن نأتي بتعريف لكلمة الإنسان، نحن نعرف أن كل فرد هو إنسان لا أكثر ولا أقل ولكن ما هو الإنسان؟ هل هو التعريف السائد، التعريف البيولوجي الحيوي أم هناك تعاريف أخرى لأن هذا من الضروري حتى نظهر الأبعاد المختلفة للإنسان خصوصاً من الجانب الروحاني والأخلاقي؟ هذه واحدة، الشيء الثاني: هناك في العملية التعليمية - كما أنها في العملية الثقافية والاجتماعية - ثقافة لمحاولة فرز الدين من العلمانية، أنا أظن أننا نحتاج إلى كلمة أخرى لأن كلمة العلمانية إذا كانت مشتقة من العلم فليس هناك دين ضد العلم؛ إنما الدين والإسلام خاصة كما الأديان الأخرى يدعو إلى استعمال العلم للجوانب التي تتقيد بالأبعاد الأخلاقية، ثالثاً: أنا أرى - حتى يمكن أن نمكن هذا الأمر وهذا الاتجاه وهذه الثقافة - يجب أن يكون هناك شيء يسمى (ندوة المؤمنين التي تعني بعلاقة الدين بالعلم) لأن هناك تغيرات وتطورات كثيرة ستأتي في الجانب العلمي والبحوث وقد يأتي هذا الانقسام بمضاعفات، والدين يقدم البعد الأخلاقي للعلوم فيجب أن تكون هذه الندوة بين المؤمنين على الأقل بين ما يتبعون الديانات الرئيسية الثلاث وشكراً.

الرئيس: الكلمة للدكتور مظفر. فليفضل!

د. مظفر إقبال: لدي تعليق وسؤال أوجههما للأخ د. مصطفى. أما عن التعليق: فهو أن نظرية [التصميم الذكي] قد ذاعت ذيوماً كبيراً بين فئة معينة من المسلمين - خاصة في تركيا - دون الإدراك الفعلي للأسس المعرفية لتلك النظرية. والآن نصل إلى السؤال: هل من الملائم فهم ما يقولون به من منظور إسلامي؟ بعبارة أخرى، هل تلك الأسس المعرفية تكفي لاعتناق المسلمين لنظرية التصميم الذكي؟ أنفهم أن ما يحاولون فعله هو البقاء داخل الساحة العلمية؛ ولذلك يتبعون العلم والوظيفة المعرفية التي لا تتماشى مع النسق المعرفي الإسلامي، ومن ثم، فالسؤال الذي أطره بصيغة أخرى هو: هل نحن بحاجة - في رأيك - إلى التعمق في دراسة الالتزامات المعرفية لهؤلاء الناس قبل اعتناق فكرة التصميم الذكي؟ وبطبيعة الحال تتسم الأمثلة التي قدمتها لنا بالجدة غير أنها جديدة بمعنى أنها تضيف شيئاً آخر إلى شيء موجود مسبقاً؛ فعلى سبيل المثال، إن نظرت إلى الإمام الغزالي فقد كان يتحدث بالفعل منذ آلاف السنين عن تركيب خلايا النحل ولماذا يقوم كل النحل في جميع أنحاء العالم ببناء خلايا سداسية الشكل؟ إضافة إلى البكتريا أضفت أنت المثال الذي استشهدت فيه بخلايا النحل، فهل من مثال آخر يمكننا أن نجده؟

الرئيس: أتوجه لك بجزيل الشكر. وأخيراً الكلمة للدكتور بيترز.

د. تيد بيترز: أشعر بعظيم الامتنان للمتحدثين الثلاثة لإسهاماتهم في الإجابة عن التساؤل الهام: كيف ندرك أن الله هو خالق العالم الطبيعي؟ أحياناً في عملية التخصيب، يتم تخصيب بويضتين منفصلتين في المرأة ثم تلتحمان لتصبحا جنيناً واحداً. وبطبيعة الحال إن كانت البويضتان (XX) لما كانت هناك مشكلة. أليس كذلك؟ ولو كانت كلاهما (XY) لما كانت هناك مشكلة فسينمو الجنين بشكل طبيعي. بيد

أنه في الحالات النادرة حين تكون إحدى البويضتين (XX) والأخرى (XY) فغالباً ما يموت الطفل بعد ولادته. وكثيراً ما يحاول الفريق الطبي تعديل الأعضاء التناسلية للطفل جراحياً بعد استشارة الأسرة.

وسؤالي الذي أوجهه إليك هو: هل طريقة الطبيعة هنا - مبادئ الخالق- في توجيه الأسرة لتفضيل الذكر أو الأنثى من الأمور الأخلاقية؟

ثانياً: هل الأطباء هنا هم الأخلاقيون حقاً؟ لأنهم يُصلحون الطبيعة إذ يضعونها على المسار الصحيح خضوعاً لمشيئة الله تعالى؟

وثالثاً: فإن أيّاً منكم لم يتحدث عن الروح البشرية. هل من الضروري أن يكون نوع الشخص ذا علاقة بالروح؟ هل ترتبط الروح بأحد الشفرات الوراثية المعينة التي يتألف منها الإنسان أم أنها لا ترتبط بأي منها؟

الرئيس: أتوجه إليك بجزيل الشكر. الدكتور عبد الستار أبو غدة، لك الكلمة.

د. عبد الستار أبو غدة: عندي مداخلة... المتحدث الأخير الدكتور السحمراني: بالرغم من محاضراته القيمة التي جالت بنا جولة في معاني الفطرة وعلاقة الإنسان بالفطرة إلا أنه استحسن ترتيب مقاصد التشريع الخمسة التي هي [الدين ثم النفس ثم العقل ثم النسل ثم المال] هذه الأشياء التي هي النفس والعقل والنسل لا يستغني عنها الدين، وهذه الحجّة غير مسلمة لأنه حتى المال لا يستغني عنه الدين فالإنسان بدون مال لا يستطيع أن يقيم أوده ويؤدي واجباته الدينية، علماء أصول الفقه كلهم رتبوها بهذا الترتيب، وهذا الترتيب له أحكام شرعية لأنها مفاضلة فإذا تعارض حفظ الدين مع حفظ النفس يضحى بالنفس ويحفظ الدين، وهذا هو مستند كثير من الجرائم التي

فيها الحراية وفيها الردة وفيها الجهل، ولأجل حماية الدين كذلك تعارضت النفس مع العقل وهكذا. إذا فهذا الترتيب مقصود، الدين أول هذه المقاصد وأهمها ثم تأتي النفس ثم العقل ثم النسل ثم المال.

ملاحظة أخرى وهي أنه في سورة (المؤمنون) خلق نطفة ثم علقة واستخدام كلمة خلقنا ثم كسونا فليس هناك معنى أدق من هذا؛ وهو أن النطفة تتحول إلى علقة تنقلب عنها وتزول وتحل محلها العلقة ثم تزول وتحل محلها المضغة؛ فهنا فعلا تخليق تحول عين وانقلاب ذات لما وصل إلى طور العظام، فالعظام تبقى ولذلك يقول الله عز وجل ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وهذا ما أشار إليه بعض المفسرين، أخيرا قال أحد المتحدثين: لماذا نسميها العُلْمانية نسبة للعلم العلمانية ليست نسبة للعلم وضبطها الصحيح العُلْمانية لأنها نسبة إلى العالم ولكن اختصارا حتى لا نقول العلمانية نقول: الدهرية وهي التسمية التراثية حيث كان علماء التوحيد يسمونهم [الدهريون] لأنهم يؤمنون بأن الدهر هو الذي يخلق نفسه وهو الذي يدير نفسه.. أكتفي بهذا وشكرا.

الرئيس: الكلمة للشيخ محمد علي التسخيري.

الشيخ محمد علي التسخيري: أود أن أشير إلى ما تفضل به الدكتور [فولج] إذا كانت الترجمة دقيقة فقد فهمت أن المسلمين التقليديين يؤمنون بمسألة القدر الإلهي؛ في حين أن الإيمان بمسألة القدر هي معيار بين الإسلام، والخروج عن الإسلام، وليس هناك مفكر إسلامي يحترم نفسه لا يؤمن بالقدرية، القدر في الواقع كل المسلمين يؤمنون به، ولكن هذا لا يعني الجبرية كما يتصور الإنسان؛ فالله سبحانه وتعالى أعطاه قدرة الاختيار فالإنسان مختار لكن بإرادة الله تعالى ومن هنا فلا جبر ولا تفويض، هذه قاعدة معروفة بين المفكرين، القدر هو: تخطيط الله للحياة وقوانينها، وللإنسان أن يضع نصا لهذا القانون ليحصل على الحكم موضوع القانون للطاعة ليحصل الوصف



الإلهي أو للظلم ليحصل على الدمار [فبظلمهم أهلكتناهم]، الإنسان حر في أن يتخذ وأن يختار طريق الخير وطريق الشر وعلى أي حال الله تعالى هياً للإنسان كل سبل الخير والتكامل، ونقول: إن هناك تعليمات لو شكرنا الله فتوفيقنا لهذا الشكر يحتاج إلى شكر من قبل الإنسان المؤمن، فالإنسان المسلم يشعر بأنه يعيش في عالم من الجمال عالم من الحب حتى للطبيعة الربانية، فعن الرسول العظيم (هذا جبل أحد يحبنا ونحبه) هناك تعامل عاطفي بين اثنين.

الدكتور [أكيول] في الواقع حديثه كل منطق القرآن في إثبات الله تعالى، القرآن يتحدث عن الظواهر المتعددة الضخمة التي تهيئ للإنسان حياة طيبة: حركة الماء في الطبيعة حركة الهواء في الطبيعة حركة الدم في جسم الإنسان كلها تتكافل ليعيش الإنسان حياة ممهدة سعيدة، كل هذا يكشف عن التخطيط الإلهي الدقيق للحياة.

كلمة أخيرة هو نفس الإيمان بالتكامل يجعل الدليل على التخطيط الذكي؛ لأن التكامل هو صعود مرتبة دنيا إلى مرتبة عليا ولا يمكن للمعلول أن يكون أكبر من علته التي أوجدت هذه المرتبة العليا، فحقيقة التكامل هي من أحد أدلة التوحيد الإلهي وشكرا.

الرئيس: الكلمة للشيخ بدر الحسن قاسمي

الشيخ بدر الحسن القاسمي: بسم الله الرحمن الرحيم النظر في المحور الأول من الأسئلة الموجهة للباحثين يعطي للإنسان انطبعا بأن الترتيب الطبيعي للأبحاث أن تكون هناك أبحاث دقيقة حول الخلق والإبداع، والفرق بين هذه الأشياء التي سمعناها ولا شك أنها معلومات نافعة وأنها تميل إلى ذكر آيات الله تعالى في الكون، ولكن في المحور الأول إذا كنا نريد أن نصل إلى نتيجة فقهية حاسمة ما هو الخلق، والله سبحانه وتعالى خالق بأي معنى؟ فسر بعض الناس الخلق

بمعنى الإبداع وقالوا: هو الله سبحانه وتعالى، وحينما جاء موضوع التقدير فوفق ذلك بأن أحدا يصف الله تعالى بالخالق نحن في حاجة إلى التأكيد أو التنوير أكثر في موضوع مفهوم الخلق، الشيء الثاني: هو تغيير خلق الله أيضا فإنه لم يُعط حقه ونحن ناقشنا مواضيع كثيرة حينما استمعنا إلى كلمة الدكتور [السحمراني] فهو - كما تفضل الدكتور عبد الستار أبو غدة - بأن هناك حاجة للتفكير في قوله تعالى: ﴿فَكَسُونَا الْعِظَمَ حَمًا﴾ لو قرأ أحد تفسير الرازي أو تفسيراً من الكتب القديمة لعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى أخذ سلالة من الطين وشيئا جامدا كيف حاله سمعيا وبصريا، ذكر هذه الأشياء والمفاهيم موجود في كتب التفاسير، كذلك الدكتور [السحمراني] عنوان بحثه كان فيه كلمة [الفطرة] ولم يحدد معنى للفطرة، الفطرة أطال عليها الكلام ابن القيم وعقب عليه الإمام كشمير رحمه الله [كل مولود يولد على الفطرة] ما معنى الفطرة؟ هل هي القابلية للإسلام، الأمور هذه تحتاج إلى تدقيق أكثر حتى نصل إلى نتيجة حاسمة، أما ما يتعلق بالتغيير الجيني فالإنسان كرامته كاملة حساس متحرك بالإرادة، فحتى لو افترضنا نجاح العلماء المهندسين الوراثيين في هذا المجال كأنهم يريدون أن يصنعوا جيلا من [الروموت] ليتحرك وهو نوع من التشويه.. أكتفي بهذا وشكرا.

المقرر: يبدو أن مداخلات الزملاء تبين الأفق العريض جدا لموضوعنا اليوم، في الحقيقة هو مناسب جدا كمدخل لكثير من المناقشات التفصيلية اللاحقة وهذا يبدو أنه أمر مراد عندما خطط لهذا الملتقى.

الرئيس: الدكتور عبد المجيد الصغير:

د. عبد المجيد الصغير: شكرا سيدي الرئيس، أود أن أطرح سؤالاً عاما وهو ما سلبيات الأبحاث الطبية بعيدا عن أخلاقيات الطب؟ وكيف يتم الإجماع دوليا على وجود ضبط الأبحاث العلمية وتطبيقاتها العملية في مجال الطبيعة حفاظا على البيئة، والدعوة إلى الكف عن كل

الأبحاث التي من شأنها أن تحدث خللا في التوازنات البيئية؟ ولا يتم بالمثل الإجماع على تحريم المحاولات العلمية التي من شأنها أن تحدث أي اضطراب في وضعية الإنسان على مختلف المستويات الفكرية والاجتماعية، فكيف تتم إذا الدعوة إلى تخليق عمل الإنسان في الطبيعة ولا تتم الدعوة إلى تخليق عمل في الإنسان؟! بل كيف يتم التخوف والخشية من الانعكاسات السلبية على الطبيعة ولا يخشى من قضاء الإنسان على نفسه؟! وإذا كان المتهربون من علاقة الإنسان مع البيئة هم غالبا يكمنون في بعض الدول أو شركات بيع الأسلحة فإن أغلب المعارضين لتخليق الأبحاث البيولوجية هم من أصحاب الأيدولوجيات العلمانية أو شركات تجارية تتوقع - ربما - أرباحا هامة في مجال هذه الأبحاث، هذا كان سؤالاً عاماً بخصوص عرض الأستاذ [بروز فولج] فقد طرح عدة إشكالات متعلقة بعلاقة الإنسان بالطبيعة، وأشار إلى موقف أفلاطون المدعي بأن الله عليه أن يخضع إلى قانون المعقول. وأريد أن أضيف: أنه في الفكر الغربي - وهنا ألتقي مع مداخلة الدكتور طه عبد الرحمن في الفكر الغربي - تطرح مشكلة العلاقة بين الإنسان والطبيعة في صورة صراع، ونحن نعلم الهدف العام للفيلسوف الفرنسي [بيكرت] حيث كان هو السيطرة على الطبيعة، في حين نجد أن في الإسلام بدل مفهوم السيطرة مفهوم التسخير، والتسخير لا يكون إلا لشيء منسجم له وليس معارضا، ثم خلافا لقولة أفلاطون التي تم الاستشهاد بها والتي تعكس صراعا بين الله وبين الخلق فعندنا في الإسلام قاعدة عامة وهي (ضرورة موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) وهذا بالطبع يؤدي إلى الانسجام، وهذه الموافقة تتجلى بوضوح في المقاصد العامة للشريعة التي تمت الإشارة إليها.

أما بخصوص مداخلة الدكتور [مصطفى أكبول] حول نظرية التطور باعتبارها تتعارض مع فكرة التصميم، فأنا أريد أن أميز بين

شيئين: هناك فرق بين نظرية التطور كما طرحها وبين التأويلات التي ألحقت لهذه النظرية في الفكر الغربي، هناك فرق كبير بين مواقف الهبوط النفسي والتوظفيات التي مورست عليها، وهنا من الضروري أن أشير إلى الفرق بين الأثر الذي تركته هذه النظرية في العالم الغربي وما تركته في العالم الإسلامي، طبعا الموقف الغربي معروف ولكن العالم الإسلامي - وأود أن أشير إلى موقف شيخ الجسر في لبنان من هذه النظرية - حيث انتهى إلى أنه حتى إذا تأكدت صحة هذه النظرية وانتقلت من طور نظرية إلى طور العلم الثابت فلن يكون في ذلك ما يتعارض مع الإيمان والإسلام أو إثبات وجود الله، فليس هناك فرق ليس هناك تناقض واضح بين هذه النظرية وبين كون العالم صادر عن ذات عاقل، إذاً سواء قلنا: بالخلق المفاجئ أو الخلق التدريجي فكلا الغرضين لا يتعارضان مع الحكمة الإلهية وشكرا.

الرئيس: د. يمى طريف، فلتفضل!

د. يمى طريف: د. بروس - بالانتقال من بستاني إلى عالم بالطبيعة- أثبت أن المسيحية ليس فيها ما يمنع تطبيق الهندسة الوراثية في الإنسان والحيوان. إضافة إلى ذلك، لقد رحبت بالتنوع الجديد في الحيوانات والبشر والنبات. وإن كنت أظن أننا بعد الأمراض الجديدة التي تصيب البقر والطيور بحاجة ماسة إلى مثل هذا المنع والحظر. نحن بحاجة إلى حد ما.

إلى الدكتور مصطفى أكبول: كل ما استوعبته من بحثك هو أن الأعضاء الطبيعية الحية - وبطبيعة الحال فوق ذلك كله البشر - يتم تصميمهم وخلقهم. أؤكد لك أنني أتفق معك في ذلك، إلا أنها تقريباً المقدمات المنطقية لطبيعتنا الحية التي تم خلقها وتصميمها. ولكن ما هي العواقب والنتائج المترتبة على تلك المقدمات المنطقية في مجالات

الأخلاقيات الحيوية والأخلاقيات عامة والهندسة الوراثية وما إلى ذلك؟  
أشكرك.

الرئيس: د. ماهر حتحوت.

د. ماهر حتحوت: بسم الله الرحمن الرحيم. باختصار شديد، يتعين على الرد باللغة الإنجليزية. لأنني في الواقع أرد على د. فولترز والذي أتمنى أن يكون معنا في القاعة. لقد كانت هناك بعض جوانب القصور في تعريف العلمانية، فهناك أنواع مختلفة للعلمانية وليس كل العلمانيين ملحدين. على سبيل المثال، نعرف جميعاً أن هناك اختلافاً جوهرياً بين العلمانية الفرنسية ونظيرتها الأوروبية. فحين نتحدث عن العلمانية نتحدث تقريباً في حدود إطار فلسفي أو سياسي وهو [الفصل بين الدين والدولة]. ومن ثم، أود أن تكون التعريفات بغاية الوضوح وحسب، كي نعرف أننا حين نذكر كلمة [علمانيين] فإننا لا نعني بالضرورة مجموعة من الملحدين الذين ينكرون وجود الله. فمن المعروف أنه في الإسلام - على سبيل المثال - لدينا الكثير من القواعد والأطر الأخلاقية التي تعتمد على قاعدة "ما ينفع الناس". فما ينفع الناس يبقى كتعاليم الرسول (ﷺ) الذي قال: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهي له". وقد تأتي هذه "الحكمة" من شخص علماني أو ملحد أو من مؤمن. مثال آخر هو: (إذا دعاكم لما يحييكم) - فتطور الحياة بغاية الأهمية في حد ذاته. شكراً لكم.

الرئيس: نتوجه بالشكر للدكتور حتحوت والكلمة الآن للدكتور.

محمد على البار فليتفضل!

د. محمد على البار: تعليقي مباشر إلى كلام الدكتور (مصطفى أكيول) فلقد أجاد الكلام حول نظرية التطور والحديثة وتحولاتها العلمانية بأي شكل من الأشكال وبعدها عن الدين، وجاء بما يعتبر

نقيضها في الوقت الحاضر، ولكن أريد أن أوضح نقطة مهمة أشار إليها بعض المتحدثين من الساتلين والمعلقين، وهي أن في التاريخ الإسلامي كان هناك عدد كبير من العلماء الكبار الذين قالوا بنظرية التطور وبنوها على مفاهيم أخرى، فمثلا ابن خلدون أخذها في باب إثبات النبوة وكيف يصل الإنسان البشري إلى مرحلة أن يلتقي بالملك وهو روعي روحاني كامل؟! فوصفها بمراحلها الابتدائية والحلزون والنبات حتى يرتفع من عالم القردة إلى عالم الإنسان التي اكتملت مع الحس والرؤية، ثم يكتمل من الإنسان حتى يصل إلى عالم الروحاني إلى عالم الملائكة، والإمام محمد الباقر - وهو قبل ابن خلدون بعدة قرون بسة قرون أيضا - أشار إلى عملية وجود ربما كان هذا قبل آدم وذكر هذا، والمصادر الشيعية عندهم مصادر كثيرة فيها فخر الرازي وهو أحد المشهورين في الإسلام أشار إلى هذه النظرية ولم يحاربها أشار إليها ولم يقبلها قبولاً تاماً ولكن أشار إليها، فالنظرية موجودة واستخدمها كثيراً (أحمد البلخي) أحد الفلاسفة والفخر الرازي وإخوان الصفا والقطبي جلال الدين الرومي وعدد كبير من الفلاسفة والكتاب، وبعض العلماء - علماء الدين - أخذوا بهذه النظرية وقبلوها وجعلوها إثباتاً لنظرية التطور، وأن هذه الأكوان كلها في مسيرها إلى الله سبحانه وتعالى، وجلال الدين الرومي له قصيدة جميلة في هذا الميدان يصف فيها كيف كان يسير مع البهائم الموجودة في التبر وكيف طار في الهواء والماء ثم ارتفع إلى الأفق الأعلى مع الكون في الروحانية العالمية التي يتصل بها، فهذا الجانب نحتاج أن ننظر إليه، وليس بالضرورة أن نقبل النظرية الدروانية بشكلها الحالي.

إذاً فالنظرية الدروانية قد استخدمت حيث أفاض كثير من العلماء والكتاب في النظر فيها سواء من الشيعة أو السنة وآخرهم عباس محمود العقاد الذي كتب كتاباً جميلاً [الإسلام والقرآن]، ومن السعودية الشيخ

باشمیل کتب کتابا فی الدروانیة ذکر فیہ الموقف الإسلامی، وقد کان رئیس [الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر] وكان شجاعا جدا وطرح أطروحات قوية جدا لأن هذه النظرية لا ترفض ولا تقبل كما هي بما أضيف إليها في العالم الغربي حيث أريد أن يستخدم فيها ضد الدين وهذا مرفوض، أما الجانب الذي استخدم في الإسلام أو التاريخ الإسلامی فكان يستحق أن يعاد النظر فيه؛ فلا هي مقبولة بذاتها كاملة كنظرية، ولا هي مرفوضة تماما، فليس من موقف الإسلام أو موقف علماء الإسلام حتى في التاريخ الإسلامی أنهم وقفوا ضد هذه النظرية موقفا متشجعا كما نراه اليوم، بل وقفوا موقفا جميلا جدا وشكرا:

الرئيس: الكلمة الآن للدكتور. جاد.

د. فاروق جاد: سأحاول أن أخص بشكل سريع عدة نقاط. وحديثي يتعلق بكلام د. أكبول عن التطور والذي لا يجب إغفاله من جانبنا. هناك الكثير من التفسيرات والحقائق والكثير من الحقائق العلمية في هذا المجال. فمعظم الجينوم والمقارنة بين نظائره في الكثير من الحيوانات والبشر يبين شيئاً ينم عن التطور إلى حد ما، لكن عند معرفة ترتيب الجينوم البشري (خريطة) في عام ١٩٩٠ وجدوا ٩٩,٩٪ منه في مخصبات مختلفة، غير أن هذه الحقيقة هامة فيما يتعلق بتطور الخلية وأي تصميم لحياة. هذه هي أهم نظرية لحقائق الحياة: تكمن في الخلية، ولهذا لخلية خالق ودورة خلوية معينة. وأي خطأ في هذه الدورة قد يسفر عن كارثة. بعبارة أخرى، أي تغير في الخلية قد يؤدي إلى تشوه أحد جينات الخلية كجين B53 الذي تم اكتشافه العام الماضي. تظهر الخلية حيثئذ الكثير من التشوه الكوارثي. هذا ما أردت توضيحه.

الرئيس: الكلمة للشيخ إدريس.

الشيخ جعفر إدريس: تنازل شكرا

الرئيس: الدكتور عبد الغفار الشريف

د. عبد الغفار الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، هناك قضية مهمة، ففي القرن التاسع عشر كان يُتفاخر بأنه قرْن الإلحاد وقرن تحدي الأديان، لكن في القرن العشرين وخاصة في أواسطه وبعد نقض السببية المطلقة وانحلال نظرية السببية النسبية رأى العلماء - وخصوصا علماء النفس والاجتماع - أنه من الضروري أن يكون هناك إيمان بديانة، وأنه يجب لحل المشكلات النفسية حتى العلمية أن نغرس في نفوس الناس الإيمان ونرجعهم للإيمان، أنا أرى الآن - خصوصا في مثل هذا الملتقى الذي يجمع علماء الأديان وعلماء الطب وآخرين والكل متفق على ضرورة أن تكون هناك محبة ورحمة وتعاون بين هذه الأمم - أن نستصدر قانونا [نظاما] من هيئة الأمم أو من المنظمات العالمية بتجريم من يستهزئ بالديانات والمقدسات ويحاول أن يجعل التمييز الديني نوعا من أسباب الخلاف بين الأمم، وأعتقد أن كثيرا من القضايا تبدأ شرارة الخلافات الدينية فيها بقضية بسيطة ثم تنتشر وتؤدي إلى حروب.

القضية الثانية هي تعقيب أيضا على المحاضرة القيمة للدكتور أسعد السحمراني مثلا قضية الحب فإنه من مبادئ الإسلام الرحمة، وفي المسيحية مبدأ الحب، الإسلام كذلك جعل الحب أساس بناء المجتمع وهناك الآيات الكثيرة والأحاديث التي تدل على ذلك، مما جعل الدكتور البار يذكرني بدعوة جلال الدين الرومي التي كانت تقوم على الحب، ولذلك جمعت تلك الدعوة المسلمين وغير المسلمين وكانت من أنجح الدعوات التي سمت بالإنسانية إلى درجات عليا وشكراً.

الرئيس: أنا أشكر كل المعلقين جميعا... نعود مرة أخرى إلى المتحدثين... الوقت لهم نعطي لكل واحد خمس دقائق ينتقي النقاط التي وجهت إليه بشكل خاص، وإذا وُجد متسع من الوقت نأخذ النقاط العامة.



الرئيس: الكلمة للدكتور مصطفى فليتنفضل!

د. مصطفى أكيول: أتوجه بجزيل الشكر لكم على تعليقاتكم كلها. في الواقع أتفق مع التعليقات القائلة: بأن التطور يمكن مقارنته من المنظور الإسلامي والإلحادي بوجه عام، وهذا ما ذكرته بالفعل في كلمتي. ما أقصده هو أنه يمكن النظر للتطور -إن كنت تعني تغييراً أو وقت التغيير في الطبيعة أو ظهور جنس ما- يمكن النظر إليه كصناعة الله عز وجل، وعبر تاريخنا استطاع بعض العلماء المسلمين رؤية هذا ولم يره البعض الآخر. وأتشكك في الفكرة العالمية للتطور برمتها غير أنها من الممكن أن تكون مقبولة من المنظور الإسلامي.

وكما ذكرت من قبل، يعد التطور [الدارويني] نوعاً خاصاً جداً من التطور؛ إذ يصر داروين على أن [هناك آليتين للتطور: المحاكاة العمياء والانتخاب الطبيعي]. وكلتا هاتين الآليتين عمياء تماماً، فإن قلت فقط: إنه يمكن توجيههما، سيرد داروين عليك بالنفي وأن هذا غير مسموح، فهذا ليس في النظرية وإنما هو فقط تصميم ذكي؛ فإن ما تقوله نظرية التصميم الذكي هو [أن الذكاء قد لعب دوراً في تاريخ الحياة]. وكان من الممكن لهذه النظرية أن تتطور، وكان من الممكن أن تنجم عنها قضية أخرى حول خيارات الحياة قبل أن تكون هناك حياة منذ ملايين السنين. إذن فالمناقشة تدور حول آلية التطور. وتصر نظرية التصميم الذكي على أنه بدون الذكاء لن تكون الآلية الإلهية للطبيعة كافية لخلق صور معقدة من الحياة.

ولقد ذكر أحد الزملاء الأعضاء نظائر الجينات في تعليقه. وأنتم تعرفون أوجه التشابه بين الأجناس الحيوانية معرفة جيدة مما يعول عليه أيضاً في قضية التطور. بيد أن بعض أوجه التشابه لا تتفق مع النسق الكامل لنظرية التطور؛ فعلى سبيل المثال، العين البشرية هي عين أخطبوط زائفة جداً وهذا منظور تطوري وأجناس حيوانية غريبة تماماً،

غير أن لكليهما نفس التركيب؛ ومن ثم يتم تفسير هذا التشابه في بعض الأحيان بأنه نتيجة للانحدار من أصل واحد، ويمكن تفسيره أيضاً بأنه تصميم متشابه؛ فهناك حيوانات غير ذات صلة على الإطلاق في صور حياتية لها تراكيب متشابهة تماماً، ويمكنك أن تقول: إن تصميمهم هذا يخدم نفس الغرض، وما أقوله: هو أن التشابه ليس بالضرورة دليلاً على التطور. وهذا ما أقصده.

أما النقطة الثالثة فهي: هل تتفق نظرية [التصميم الذكي] مع روح الإسلام؟ أظن ذلك. فكما ذكرتم، تحدث الغزالي - على سبيل المثال - عن التصميم في الحيوانات. ولكن جاء بعد الغزالي داروين الذي أقام حجة مضادة. والآن لدينا نظرية [التصميم الذكي] التي تطرح حجة مضادة أيضاً. وأظن أنها نسخة محدثة من النقاش حول التصميم الذي ذكره جميع الموحدين والمفكرين الرئيسيين.

أما التصميم أو ما يطلق عليه الآن نظرية [التصميم الذكي] التي نوقشت في الولايات المتحدة الأمريكية فما هو إلا نسخة حديثة أو معدلة من نفس الفكرة الأساسية. وإذا كان الأمر كذلك فما هو الأساس المعرفي لنظريات التصميم الذكي؟ حسناً، يمكنك أن تقول: إن الأساس المعرفي لهذه النظرية هو التساؤلات التي طرحها [ديمسكي] و[بيهايف] و[فيليب جونسون] أو على غيرها من النظريات الأساسية للمسيحيين عن التصميم الذكي. بيد أن التصميم الذكي ليس فكرة قائمة على الدين المسيحي الذي يقيم مناقشات والذي يقول: "إن الحياة الميته ليست نتاجاً للطبيعة، بل إن للحياة قوة مبدعة كامنة وراءها." ويمكن إطلاق أي تسمية على هذه القوة المبدعة - أو ما يطلقون عليه اسم المصمم الذكي - وفقاً للدين الذي تعتنقه، فإن كنت مسلماً، يمكنك أن تقول: إنه من الجلي أن هذا المصمم الذكي هو الله لأن القرآن يتحدث عن خلق الله. وإن كنت مسيحياً فيمكنك أن تحدد شفرة

ما من الدين المسيحي. غير أن الفكرة الأساسية في كل ذلك هي أن هناك خالقاً. أما عن طبيعة هدف الخالق فهو شيء لا يمكن للعلم اكتشافه، ويمكننا تعلم هذا الهدف من الخالق ذاته من خلال وحيه الذي أنزل في الأديان المتنوعة وبمعرفة الهدف من الحياة يمكنك أن تدرك مغزى الحياة.

ونعود مرة أخرى إلى السؤال حول: ما هي النتائج [أو] المعطيات التي تترتب على نظرية التصميم الذكي؟ أعتقد أن نتيجة نظرية التصميم الذكي هي أنها تنقذ العلم من احتكار المادية له، وتوضح أن العلم يتوافق مع المعتقدات التوحيدية. فالعلم يتماشى مع هذه المعتقدات التوحيدية، وذلك سوف يساعد الناس على أن يأخذوا الدين مأخذ الجد مرة أخرى خاصة في العالم الغربي، وأنه يصدر ثقافته إلى أجزاء أخرى من العالم. وأعتقد أن التحول الجاري داخل العالم الغوي نحو التوحيد سيكون عوناً للثقافات الأخرى أيضاً؛ لأن الكثيرين منجذبون إلى العلمانية لمجرد أنها مهيمنة على الغرب. شكراً لكم.

الرئيس: أشركك جزيل الشكر. الكلمة الآن للدكتور فولتز فليتهفضل!

د. بروس فولتز: أود أن أتوجه بخالص الشكر إلى كل التساؤلات الجديدة الذكية المطروحة. غير أنني أود أن أعطي إجابات غاية في البساطة لأستغل الوقت الممنوح لي بأفضل شكل ممكن.

فيما يتعلق بتعريف العلمانية، ما أعنيه بلفظ "العلمانية" هو ببساطة تعريف للرأي العالمي القائل: إن هناك ديناً متوارثاً ولا أعني بها فصل التقاليد. في الحقيقة أتحدث عن العلمانية بوصفها رؤية عالمية فلسفية أساسية في اعتقادي، أما عن التساؤل: ما إذا كان ينبغي أن تنحصر في البحوث الوراثية فقط. أعتقد أنها ينبغي لها ذلك. ففي

وجهة النظر المسيحية - كما نفهمها - يسمح للعالم بتصحيح الطبيعة إن بدا ذلك من الحصافة في شيء، وإن كنا نحترم فكرة أن الله سبحانه وتعالى هو من خلق هذه الطبيعة. ليس هناك بالضرورة تعارض بين هذا وذاك، غير أننا لا بد وأن نكون في قمة الحرص والحصافة وأن نبدي احتراماً للطبيعة كخليقة الله وصنعه.

فيما يتعلق بسؤال آخر، أعتقد أن الأمر يتعلق بترجمة ما قلته فربما أوحى الترجمة أنني ألمح إلى أن الإسلام قدرني. لم أقصد أن يكون هذا من المعاني المتضمنة فيما قلته، وأستميحك عذراً إن أعطت الترجمة هذا الإيحاء.

هل تعتبر الطبيعة خرقاً للمبادئ الإلهية بالنظر إلى حقائق أخرى؟ أعتقد أنه من الأمور المميزة للمسيحية الأرثوذكسية هو أنها تنظر بجدية شديدة إلى مفهوم السقوط لا بصفته حدثاً إنسانياً فحسب بل بصفته سقوطاً لبني آدم كلهم. نقول: إن الله لم يخلق الطبيعة بل خلق الطبيعة الساقطة؛ لكنه ليس سقوطاً كاملاً فهي تحتفظ مؤكداً بالخير والجمال [النماء] والعدالة في جميع الأشياء التي تم خلقها في العالم أجمع. غير أن هناك أيضاً جوانب السقوط، حيث نجد الموت والمعاناة والمرض وجميع أنواع الفساد في الطبيعة. أعتقد أنه من الضروري القول: إننا حقاً نحاول العودة إلى الدورة الزمنية من الناحية النفسية. أعتقد أن معظم الأورثوذكس يؤمنون في أعماقهم - كما نأخذ بماخذ الجد- سفر التكوين الذي يقول: «إن الرب خلقنا من ذكر وأنثى».

لقد كانت المهمة الأصلية لسيدنا آدم عليه السلام هي الجمع بين المرئي وغير المرئي، الجمع بين الجنة والأرض، الجمع بين الأبدية في الزمن ولكن الجمع أيضاً بين الذكور والإناث في شكل من أشكال الوحدة، ونحن نجد تعريف الإنسان أو ما هو الإنسان؟ واضحاً في تلك التقاليد الإبراهيمية الثلاثة العظيمة. ف يتميز البشر بمكانة عالية إلى

حد ما. وأؤكد أنني أدعو إلى تأمل الطبيعة ورؤيتها بحيث يجب أن ترى قوانينهم الله في الطبيعة؛ ومن ثم إعادة الطبيعة مرة أخرى إلى الله عز وجل وإعادة مفهوم أننا يجب أن نكون رحماء فيما يتعلق بالطبيعة، إذ الرحمة هي هذا الشيء الذي نجده بوضوح في البشر - العلاقة الرحيمة بالله عز وجل - فالبشر رحماء يمكننا أن نشعر بالرحمة والتعاطف مع غيرنا من المخلوقات من وجهة نظر علمية. شكراً لكم.

**الرئيس:** الكلمة الآن للدكتور أسعد السحمراني

**د. أسعد السحمراني:** بسم الله الرحمن الرحيم... أولاً بالنسبة للأب المحترم [كاميللو] نحن ندعو إن شاء الله إلى أن نتعارف بعد المحاضرة إلى ما نسميه [اللقاء الإسلامي المسيحي في فضاء القيم المشتركة] وأنا ضد كلمة حوار لأن لها آلية متكاملة عندي، فالقيم واحدة ولذلك قلنا - ما نكرر في مسألة الحوار - دعوا مسألة العقيدة جانباً ومسألة العبادات وتعالوا نتحاور فيما ينظم العلاقة بيننا، هذه هي القيم المشتركة قضايا القيم مع مراعاة أن الجنين لا إشكالية فيه بين الإسلام والمسيحية عموماً في الكنيسة الكاثوليكية أو أي كنيسة أخرى، لأن الإنسان هو الإنسان مفهوم رسالة السماء، فنحن أساتذة العقائد عندنا نقول: إنه لا توجد أديان الدين واحد بيننا لله رب الخلق، وهناك رسالات سماوية متعددة، يعني كلمة أديان تكرر دائماً وهذا خطأ مصطلح، فهي تخرج المصطلح المفهوم الدقيق؛ فالكل روافد من نبع واحد، وحتى في الإسلام تبدأ المسؤولية من اختيار طرفي عقد الزواج لبعضهما حتى قبل أن يبدأ تكوّن الجنين فحكما مع تكون الجنين فيها مسؤولية أساسية ولماذا إذاً الفحص الطبي والقيمي والأخلاقي وغير ذلك.

الأستاذ عبد الغفار.. (موضوع احترام المقدسات) في الحقيقة لا أريد في هذه المناسبة أن أحمل الأب المحترم ولا إخواننا في القاعة

الذين يقيمون في أوروبا ولهم نشاطات إسلامية وفي أميركا، الإشكالية الأساسية أن الفاتيكان في المجمع الفاتيكاني الثاني ٦٤، ٦٥، في القرن الماضي أكثر من أربعين سنة أورد في مقرراته ما يلغي هذه التجاوزات ضد حرمة المقدسات الأخرى لكن لا يُصغي للجميع إلى هذا الأمر.



## الجلسة العلمية الثانية (خلق الإنسان في الإسلام والمسيحية)

الرئيس: الدكتور عزالدين إبراهيم

المقرر: الدكتورة عايذة عقيل

المتحدثون:

١ - الدكتور سيرل تينت

٢ - الدكتور جمال بدوي

٣ - الدكتور نصر فريد واصل





# الخلق والإنسان من المنظور المسيحي

الدكتور سيريل تينت



## الخلق والإنسان من المنظور المسيحي

### سيريل تينت

أكتب هذا البحث كرجل دين من الكنيسة الإنجليزية قضى أربعين عاماً من عمره في [الأبرشيات]. وخلال ذلك الوقت كان عملي - كراعي ومدرس - يضطرني إلى مجابهة المسائل الجديدة التي أثارها التقدم العلمي خاصة في مجال الهندسة الوراثية. وكنت أحاول دائماً اتخاذ ردود أفعال مناسبة للمواقف المتغيرة نحو قضايا من نوع القتل الرحيم والإجهاض. وقد دفعني ذلك بدوره إلى أن أعود بتفكيري إلى أصل هذه القضايا وأتأمل في مسائل من نوع الخلق والإنسان والله، وهناك بطبيعة الحال وجهات نظر مختلفة وأساليب متعددة لمعالجة مثل هذه الأمور داخل الديانة المسيحية، وينعكس ذلك على مذهبي الخاص في التقاليد الإنجيلية<sup>(١)</sup>.

وطريقتنا في التعامل مع القضايا الأخلاقية تتركز على ثلاثة أمور: [الإنجيل، والتقاليد المتواصلة في الكنيسة، واستخدام العقل والمنطق]. ويختلف المدرسون والمتخصصون في الموضوعات اللاهوتية في قدر الأهمية التي يولونها لكل عنصر من هذه العناصر. وأجد نفسي في

(١) استخدم تعبير الإنجيلية للإشارة إلى الكنيسة الإنجليزية وجميع الكنائس التي ترتبط بها وتتبعها في جميع أنحاء العالم.

صف هؤلاء الذين يولون أهمية كبرى للإنجيل، باعتباره وحياً من عند الرب وكلمة الله التي لا تعلوها كلمة والمصدر الأساسي للتعاليم المسيحية سواء فيما يختص بالعقيدة أو العمل.

إن الاستناد إلى الإنجيل (أو أي كتاب مقدس) يثير معضلة تفسير النصوص؛ لذلك أحسب أنني في حاجة لتوضيح موقفي بادئ ذي بدء. لذلك لا أعتقد أنه يحق للمرء استخدام الإنجيل في إثبات صحة نظرية علمية ما أو خطئها أو أن يقتبس منه نصاً بعيداً عن سياقه وخلفياته كبرهان يدافع به عن وجهة نظر معينة.

فالإنجيل لم يُكتب باعتباره كتاباً علمياً. وترى ذلك بصفة خاصة في المقتطفات التي أنوي الإشارة إليها في هذا البحث، حيث يتميز أسلوبها بالشاعرية البديعة، والإنجيل كتاب يستخدم الصور البلاغية للتعبير عن الحقائق الكبرى، إلا أنه كلمة الله التي أوحى بها، وهو بذلك يحتوي على مبادئ أساسية تتضح في كل صفحة من صفحاته توفر الإطار السليم والثابت لمناقشة القضايا المعاصرة في مجال أخلاقيات علوم الحياة.

وبدلاً من القيام بسياحة عبر صفحات الإنجيل كله نتوقف خلالها عند محطات معينة، سوف أركز بصفة خاصة على الفصول الافتتاحية لكتابه الأول، (سفر التكوين)، في محاولة للإحاطة بالمبادئ الأساسية التي تبرز لنا منها، وهذه الفصول الجميلة - بما نجده فيها من وصفين لعملية الخلق - تعطينا في جرعة واحدة تعاليم الإنجيل عن الله والإنسان والخلق<sup>(١)</sup>. وبعد ذلك، سوف أحاول أن أشرح مغزى هذه التعاليم وما يترتب عليها من نتائج.

(١) سفر التكوين ١: ١، ٢: ٣، ٢: ٤ - ٧

## تعاليم الإنجيل عن الله والإنسان والخلق)

### تعاليم الإنجيل عن الله :

في لغة بسيطة ومباشرة يقول الإنجيل: إن الله هو خالق كل شيء، وهو يخلق على مراحل متتالية، تبدأ بمرحلة تتسم بالفوضى التامة وتنتهي بمرحلة خلق الأرض، والنبات، والحيوان، وأخيراً الإنسان. وهو القادر على كل شيء، وفي غنى عن كل شيء، وفوق كل ما خلق. إن الله هو مانح الحياة ويمسك بزمام كل الأمور. ولكن فيما يرويه الإنجيل من قصة آدم وحواء نرى أن الله يخاطب الإنسان ويكشف له عن إرادته.

### تعاليم الإنجيل عن الإنسان وعلاقته بالله وبيقية الخلائق :

يصور الإنجيل الإنسان بأنه تاج الخلق كله، وهو آخر ما خلق الله ويتميز عن كل ما خلقه الله، وهذا نراه جلياً في وصف الإنجيل للإنسان بأنه خلق على صورة الإله، وفي هذا الصدد يستخدم الإنجيل كلمتين عبريتين: كلمة "تسيليم" (Tselem) وتعني صورة أو تشابه أو تمثيل لشيء، وكلمة "دميث" (dm-th) وتعني تشابه. ولا يوجد في الإنجيل تعريف لهاتين الكلمتين، لذلك كان من الطبيعي أن تكونا موضع مناقشات مستفيضة بين المتخصصين في علوم اللاهوت. وقد فسر البعض هاتين الكلمتين على: أنهما تشيران إلى العقل والإرادة الحرة، بينما يقول البعض الآخر: أنهما تشيران إلى القدرات الروحانية<sup>(١)</sup>، والأمر الهام هنا هو أنه بالرغم مما لدى الإنسان من سمات مشتركة مع بقية الخلائق، خاصة الحيوانات، إلا أنه يتميز عنها

(١) تجد ملخصاً وافياً لكل وجهات النظر هذه في:

ويحتل مرتبة أعلى منها كلها وهو بشكل ما انعكاس للآلة، وتفسيري للكلمتين العبريتين المشار إليهما آنفاً أن في طبيعة الإنسان جوانب وأشياء مما في طبيعة الله؛ فالإنسان لديه القدرة على الخلق والإبداع، والحب، والتفكير، واستخدام المنطق. كما أنه يستطيع أيضاً أن يعرف الله.

ويرتبط تعبير "على صورة الله" بأن على الإنسان أن يحكم بقية مخلوقات الله وأن يسخرها لصالح تكاثره وتعميره للأرض<sup>(١)</sup>، وتوضح سيطرة الإنسان هذه من تكليف آدم بأن يعطي للحيوانات أسماءها<sup>(٢)</sup>، وله أن يتمتع بثمار الأرض. كما أنه قد أسكن جنات عدن ليعمل بها ويرعاها<sup>(٣)</sup>؛ إذن فمهام الإنسان التي فوضه الله بالقيام بها هي أن يتمتع ببقية الخلائق ويسخرها له ويتحكم فيها وينميها ولكن عليه أيضاً أن يعتني بها ويحافظ عليها<sup>(٤)</sup>.

وعلاقة الإنسان بالله هي أيضاً على جانب كبير من الأهمية؛ فالإنسان له أن يكون فوق المخلوقات جميعاً، ولكن الله فوقه هو، وعليه أن يثق بالله ويطيع أوامره ونواهيه، وهناك حدود لما يمكن وما لا يمكن أن يفعله؛ فليس له أن يأكل من شجرة المعرفة بما هو خير وما هو شر<sup>(٥)</sup>، إن في طاعة الله والتسليم لأحكامه حياة ونعيم وفي عصيانه موت وغضب من الله<sup>(٦)</sup>.

(١) سفر التكوين - ١ : ٢٦ ، ٢٨

(٢) سفر التكوين - ٢ : ١٩ ، ٢٠

(٣) سفر التكوين - ٢ : ١٤

(٤) قي كلمة shamar العبرية المستخدمة هنا إجماع بالمعنيين الأخيرين

(٥) سفر التكوين - ٢ : ١٧

(٦) سفر التكوين - ٢ : ١٨ ، ٣ : ٢٣ ، ٢٤

## الرجل والمرأة:

قلت في الفقرات السابقة: إن "الإنسان" قد خلق على صورة الله<sup>(١)</sup> وفي النص الإنجيلي ترد الكلمة العبرية Adam وتستخدم بمعنى "الإنسان" أو بمعنى "رجل"، ولكن الكلمة ترد أيضاً في النص كمصطلح يعني الرجل والمرأة: "على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهما"<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من أن حواء قد خلقت من ضلع آدم إلا أننا نراها هنا ندأ له، فهو يعتمد عليها كما تعتمد هي عليه؛ وبهذا تكون هذه الفصول من الإنجيل قد نصت أيضاً على الخطوط العريضة من التعاليم الخاصة بالزواج: به يصبح الاثنان "جسداً واحداً". والمثل الأعلى في الزواج - كما نراه بين آدم وحواء - هو زوج واحد لزوجة واحدة. وهناك أيضاً المعنى الذي يشيد بأهمية الأسرة<sup>(٣)</sup>.

## صورة الإله والطفل قبل ميلاده:

لا تقول هذه الفصول من سفر التكوين شيئاً عن التوقيت الذي تبدأ فيه الحياة في الإنسان، باستثناء آدم، الذي خلقه الله مباشرة، وحواء التي خلقها الله من آدم<sup>(٤)</sup>، وبقية فصول الإنجيل أيضاً لا تتحدث عن الميلاد إلا باعتباره "الأزمة" التي تُفتتح بها الحياة، وطوال القرون الماضية ظل الجدل محتدماً في الكنيسة المسيحية حول اللحظة التي يصبح الجنين فيها إنساناً، مع اختلاف وجهات النظر حول تعيين لحظة دخول الروح جسد هذا الجنين، وهناك فقرة تتصل بهذا الجدل،

(١) الكلمة العبرية adam تعني بالطبع الكلمة الإنجليزية man ومعناها الرجل أو الإنسان. وادم هو من تتمثل فيه إنسانية الإنسان.

(٢) سفر التكوين - ١ : ٢٧

(٣) سفر التكوين - ٢ : ٢٤ ، ٢٥

(٤) سفر التكوين - ٢ : ٢١ ، ٢٢



وهي تتسم أيضاً بشاعرية جميلة، نجدها في المزمور ١٣٩ : ١٣ - ١٥  
 "لأنك أنت اقتنيت كُليتي. نسجتني في بطن أمي".

وتعني هذه الآيات ضمناً أن الله يعترف بنا كبشر متميزين قبل أن نولد، ولكنها لا تفصح عن أي توقيتات لذلك، وهناك فقرة أخرى يتم الاستشهاد بها أحياناً (سفر الخروج ٢١ : ٢٢-٢٥) لا توضح كذلك ما إذا كان الجنين في بدء تكوينه يعتبر شخصاً أم لا، فهي لا تذكر إلا ما ينبغي أن يكون عليه تعويض حمل أخفق نتيجة لعمل يتسم بالعنف. ويتبين من علم الأجنة أن بدء الحمل ليس حدثاً، وإنما هو عملية تمر بسلسلة من المراحل قبل أن نتمكن من رصد الكائن البيولوجي، وفي ضوء ذلك يتم الآن إعادة النظر في جميع جوانب المسألة المتعلقة بلحظة دخول الروح في الجسد، وقد اتخذ بعض اللاهوتيين الأخلاقيين من الكنيسة الإنجيلية والبروتستانتية موقفاً محافظاً متفقين مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في اعتبار الجنين إنساناً حياً منذ لحظة بدء الحمل<sup>(١)</sup>، ولكن هناك آخرون، مثل البروفيسور (جوردون دنستان)، يعارضون ذلك بشدة ويفضلون اتخاذ موقف أكثر انفتاحاً<sup>(٢)</sup>.

إنها في واقع الأمر مسألة مُحيرة، وأنا أميل شخصياً إلى الرأي القائل بأنه بمجرد أن تصبح الحياة المستقلة في حيز الإمكان ينبغي اعتبار الطفل الذي في بطن أمه شخصاً قد صُنِعَ على صورة الله، أما قبل ذلك فالجنين مشروع إنسان ولكن يجب أن يُعامل بكل احترام وعناية.

(١) البروفيسور أوليفر أو دونوفان من جامعة أوكسفورد، على سبيل المثال

(٢) New Techniques in Human Procreation, the Ethics: a British Churches Consensus, PP 163 - 176 in Ethical Problems Raised by the New Techniques in Human Procreation, 1986: Agadir, Publications de l'Academie du Royaume du Maroc.

دعنا نعود الآن لسفر التكوين. إن هذا الكتاب لديه ما يقوله عن عملية الميلاد بدعوته للبشر أن يتكاثروا؛ فالإنسان عليه أن يكون مثمراً ويزداد في عدده<sup>(١)</sup>. ونرى من خلال النصوص كلها أن الله هو الخالق الوحيد، ولكن الإنسان مكلف بأن يلعب دوراً هاماً في هذا الصدد، وأن يتحمل المسؤولية باعتباره مُنجباً. فبعد أن بدأ الله بخلق آدم وحواء اختار الإنسان لكي يواصل عملية خلق مزيد من الرجال والنساء، ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن الله وحده هو القادر على الخلق، وأن دور الإنسان هو أن يكون عاملاً مساعداً، إن الكلمة الإنجليزية التي تعني التكاثر هي pro - create وهي تتكون من شقين "pro" التي تعني من أجل أو تأييداً لـ ..، وكلمة create التي تعني يخلق، وسواء أدرك الإنسان ذلك أم لا، فهو يتعاون في عملية الخلق التي هي وقف على الله وحده، ومن الأشياء ذات المغزى في هذا الأمر أن التكاثر عملية مشتركة بين الجنسين، يحتاج فيها آدم لحواء، وتحتاج فيها حواء لآدم.

### عيوب الخلق والإنسان:

كما يتحدث سفر التكوين عن صورة الله في الإنسان، يتحدث كذلك عن سقوط هذا الإنسان، فقد ارتكب آدم وحواء معصية كبيرة عندما أكلا من شجرة الخير والشر، ونتيجة لذلك فقد حلت اللعنة بالإنسان وبقية الخلق وطرد الله آدم وحواء من الجنة، ومهما فهمنا من تفاصيل هذه القصة، فهي في مجموعها تقدم شرحاً قوياً لواقع الأحداث.

فالقصة تعني أولاً أن صورة الله في الإنسان تشوبها عيوب. وتختلف الآراء هنا مرة أخرى حول مغزى هذه الحقيقة؛ فأتباع [لوثر]

(١) سفر التكوين - ١ : ٢٨

يقولون بضياح الصورة، أما أتباع [كالفين] فيرون أن الصورة قد فسدت ولكنها لم تضع، وأنا أميل إلى تأييد هذا الرأي الثاني. فنحن نرى من خلال تجاربنا - سواء في التاريخ أو في الأدب - كيف يسمو الإنسان إلى مستويات عالية من الحب والإيثار والإبداع، ولكنه يهوي أيضاً إلى أعماق سحيقة من القسوة والأنانية والجشع والميل إلى التدمير والتخريب، إن الإنسان يبدى من الأفعال ما يجعله قريباً من صورة الإله، ولكنه يبدى من الأفعال أيضاً ما يجعله بعيداً كل البعد عن هذه الصورة.

"إذا أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندي" (١)

إن هذا الشد والجذب بين الخير والشر الذي يعبر عنه [سانت بول] هو شيء يعرفه الناس جميعاً، إن صورة الله مازالت فينا، ولكن أصابها شيء من التشويه.

ثانياً : لقد أفسح سقوط آدم المجال للنقص والمرض والضعف، بل إن الخلق كله قد أصابه الخلل وعدم الكمال؛ صحيح أنه مازال جميلاً ورائعاً ويكشف عن عظمة الله كما يقول المزمور "السموات تحدث بمجد الله" (٢) ولكنه لم يعد "جميلاً جداً". فقد خَلَفَ لنا هذا السقوط المعاناة والألم والكدر الموجه، ولم يعد النداء للإنسان بأن يسخر باقي الخلق وأن يوليه عنايته مصدرَ فرح له (٣)، وفي كثير من المواضع يشير الإنجيل إلى الخلق الذي يئن انتظاراً للخلاص. ويوضح

(١) رسالة إلى الرومان ٧ : ٢١

(٢) المزمور ١٩ : ١

(٣) سفر التكوين - ٣ : ١٧ - ١٩

آخر كتب الإنجيل (كتاب الوحي) كيف أن الخلق كله سوف يستعيد كماله الأصلي بسماوات جديدة وأرض جديدة" (١).

ما تتضمنه هذه التعاليم من معاني تواضع ولكن اضطلاع بدور هام:

أول هذه المعاني أن الإنسان ينبغي أن يتواضع لله، خالق كل شيء ورازق كل حي، كما ينبغي أن يدرك أنه مخلوق ولكن الله كرمه بأن جعله فوق بقية الخلق الحي والجماد، وعليه أن يكون مسيطراً على هذا الخلق وأن يستخره لخدمته على أن يعامله بحب ورعاية فهو مستأمن عليه، وفي هذا يكمن تفويض من الله للإنسان بأن يقوم بأعمال الزراعة والتعدين والطبابة والكشف العلمي، والخلل الذي أصاب صورة الإنسان بسبب السقوط يعني أن مهمته في السيطرة على بقية الخلق والعناية به لا بد وأن تتوسع لتشمل السعي لإصلاح العطب واستعادة الصحة لما يتلف أو يصيبه التشويه (٢).

إن عقيدة السقوط تتطلب من الإنسان نوعاً آخر من التواضع؛ فالإنسان نفسه جزء من خلق معيب وما يفعله قد تتعدد فيه جوانب النقص، إن من السهل أن نرى عيوباً في الشركات الكبرى والباحثين والفاستدين أو السياسيين القساة، ولكن عندما تفعل ذلك علينا أن نتذكر أننا أيضاً معرضون لأن يدفعنا الجشع والرغبة في الشهرة إلى ارتكاب الأخطاء، إذ إن أيّاً منا قد يتعرض لأن يغويه الشيطان فيعامل الناس الآخرين على أنهم مجرد أشياء لا آدميين مثله، لذلك يجب أن نتفحص دوافعنا وأفعالنا بصفة مستمرة، وأن نكون دائماً على استعداد لأن نغير

(١) رسالة إلى الرومان ٨ : ١٩ - ٢٢، كتاب الوحي ٢١ : ١ - ٤

(٢) يشير الانتباه أن في العهد الجديد اليوناني نجد أن المصطلحات المستخدمة للتعبير عن معاني الشفاء والخلاص تتداخل أحياناً. أي أن الأطباء والجراحين يمثلون جزءاً من أدوات الله في الإنعام على الناس بالشفاء والخلاص.

مواقفنا وأفعالنا، وذلك يشمل أيضاً المفكرين والمخططين والمشرعين والباحثين والمشتغلين بالطب، إذ إن هناك حاجة لمراقبة نشاطات رجال الأعمال والأكاديميين في مجالات مثل: صناعة الدواء والتكنولوجيا الحيوية مع إقرارنا بأن البحث العلمي نادراً ما يكون منزهاً عن الأهواء والمصالح، وقد أُنشئت بالفعل في معظم الدول هيئات لمراجعة الأبحاث العملية وتنظيمها والنظر في التطورات والممارسات في مجالات عديدة كالهندسة الوراثية، إلا أن الأعضاء الممتنمين لهذه الهيئات - وهم فلاسفة علمانيون - تم اختيارهم لخبراتهم الطبية والعلمية فقط دون الالتفات إلى مؤهلاتهم الروحانية والدينية.

إن هناك بعداً روحانياً لهذه الأمور يجب وضعه في الاعتبار عند اختيار هؤلاء إلى جانب مؤهلاتهم الفلسفية والعلمية؛ إننا محتاجون هنا لرجال ونساء أكثر التزاماً بشؤون الإيمان للمشاركة في مصارعة مشاكل تثيرها الإمكانيات الجديدة في الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية بصفة عامة، كما يجب إتاحة فرصة أكبر للزعامات الدينية ورجال الدين التابعين لأديان مختلفة أن يحتلوا مكاناً بارزاً في الهيئات التي تتولى تنظيم شؤون البحث العلمي<sup>(١)</sup>.

### استعادة الكمال للخلق وليس إنشاء خلق جديد

كما رأينا فإن تأثير الخلق الآن بعدم الكمال يعني أن دعوة الإنسان لإخضاع بقية الخلق لسيطرته ومنحها رعايته تشمل أيضاً السعي لإصلاح نتائج سقوطه، وفي هذا تفويض له بالسعي للشفاء واستعادة الصحة ومحاولة اكتشاف وسائل جديدة لعلاج الأمراض، وهنا فمن الضروري - أيضاً - أن نلاحظ فرقا هاما؛ إن الدعوة هي أن يحاول الإنسان

(١) كالهيئة البريطانية للإخصاب وعلوم الأجنة HFEA.

استعادة الخلق بقدرة الاستطاعة إلى ما كان عليه قبل السقوط من كمال لأن يسعى إلى تغييره أو إدخال تحسينات على الخلق الأساسي الذي صنعه الله. الدعوة هي إلى الاستعادة وليست إلى التجديد المبدع.

وهذا يثير مجموعة من القضايا: هل يجب استخدام الهندسة الوراثية - وبخاصة الاستنساخ عن طريق نقل نواة الخلية - في الوقاية من الأمراض الخلقية؟ إن بعض هذه الأمراض: كعمى الألوان تفرض قيودا على حياة الفرد وتحرمه من وظائف معينة ولكنها لا تهدد حياته. ولكن بعضها الآخر مثل [الثلاسيمية والهيموفيليا] تُصنف ضمن الأمراض القاتلة؛ وفي مثل هذه الحالات أرى أن تدخل الهندسة الوراثية مطلوب؛ فالجينات التالفة هي من نتائج سقوط الإنسان، وعندما يتم رصدها فمن الواجب والصحيح أن نسعى إلى استعادة هذا الجزء من الخلق لمجده الأصلي، ومن هنا يتضح أن استخدام الهندسة الوراثية لعلاج الأمراض أو الوقاية منها هو عمل صحيح، وغير الصحيح هو استخدام هذه التقنيات لإدخال تحسينات على الخلق.

وقد ادعى العلماء في الفترة الأخيرة أنهم استطاعوا عزل جينات معينة كتلك الخاصة بالطول، ويقال: إن الواحد منا سوف يمكنه في المستقبل أن يطلب طفله مقدا بمواصفات خاصة كأن يكون متمتعا بذكاء أكبر أو جسم رياضي أقوى.

إن محاولات التحسين هذه لا تنم عن تطاول على صنع الله ومحاولة القيام بدور الإله فحسب بل إنها قد تؤدي إلى مشاكل خطيرة. وقد ظهر بعضها بالفعل في الصين حيث نجد الآن أن نسبة الشباب من الذكور قد زادت عن نسبتهم من الإناث بعد استخدام فحص الأجنة الوراثي وإنهاء الحمل بناء على اختيار الزوجين إذا لم يكن مرغوبا فيه. وقد تتفاقم المشاكل الناتجة عن تفصيل الطفل حسب الطلب فتؤدي إلى فقدان التنوع والتميز بين المواليد، وأكثر من ذلك هناك إمكانية استخدام

تكنولوجيا التفصيل حسب الطلب هذه في أغراض خبيثة، وقد يبدو ما توحى به رواية "عالم جديد شجاع" لمؤلفها [الدوس هكسلي] بعيد الاحتمال في الوقت الحالي، ولكننا شاهدنا بالفعل استخدام هذه التكنولوجيا في أغراض جهنمية في ألمانيا والولايات المتحدة.

وبالمثل، فإن زرع أجهزه اليكترونية دقيقة في جسم الرياضيين لتحفيز الوظائف الطبيعية لعضلاتهم والوصول بهم إلى درجة خارقة من الأداء هو شيء يختلف تماما عن السعي لاستعادة ما فقد نتيجة حادث أو مرض، إنَّ ما ينبغي عمله هو السعي دائما لاستعادة الحالة التامة بدلا من محاولة تحسين الخلق الأساسي، وذلك للعودة إلى الأصل بدلا من محاولة تحويل الإنسان من بشر إلى نوع من الكائنات الخارقة أو الإليكترونية<sup>(١)</sup>.

وتخطر على البال أمثلة أخرى كثيرة على مسألة السعي لتحسين الخلق هذه. هناك جراحات التجميل مثلا التي انتشرت في دول كثيرة وتهدف إلى تحسين المظهر لكي يتماشى مع خطوط الموضة الجارية، ويصعب أحيانا بالطبع أن نفرق بين الاستعادة والتحسين؛ فعلى سبيل المثال: حالة طفل ولد بملامح وجه قبيحة سوف تسبب له مآزق شديدة وألماً أشد، ولكن عادة ما يكون الأمر أكثر وضوحاً بين استعادة الخلق إلى ما كان عليه وبين إعادة خلقه من جديد.

### تميز الإنسان:

إن خلق الإنسان على صورة الإله - كما يعلمنا الدين - يعني أن للإنسان كرامة خاصة وأن هذه الكرامة تتسع لتشمل الجنس البشري كله فلا ينبغي أن يُعامل أحد على أنه سلعة أو مادة أولية لبحث وراثه أو أي

(١) أنظر على سبيل المثال كتاب رأي كريزويل: "عصر الآلات الروحية: كيف نجيا ونعمل ونفكر في العصر الجديد للآلات الذكية" لندن، فينيكس ١٩٩٩.

نوع آخر من الأبحاث، وإذا لزم إجراء أبحاث على البشر فينبغي أن يكون ذلك بموافقة صريحة منهم، ثم إن حياة الإنسان يجب أنه ينظر إليها باعتبارها قدس الأقداس؛ فإن تمييز الإنسان عن بقية الخلق - بما في ذلك الحيوانات - يعني أنه يجوز ذبح الحيوان للمأكل أو الملبس، ولكن حياة الإنسان لا يجب مطلقاً أن تنتهك "سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان"<sup>(١)</sup>.

وهنا تواجهنا مشكلة بالنسبة لمن يؤمن أن الطفل لا يصبح شخصاً إلا لحظة الميلاد فقط لايعنيهم في قليل أو كثير ما يحدث له قبل تلك اللحظة، ولكنَّ هناك كثيرين يعتقدون أن الطفل يتمتع بميزة الكرامة الإنسانية منذ بدء الحمل أو بعد ذلك بقليل، وبالنسبة لهؤلاء تُثار أسئلة أخرى: هل يعني ذلك أن أي شكل من أشكال الاستنساخ يعتبر خطأ؟ ماذا نفعل بالبويضات الملقحة الفائضة من عمليات التخصيب الأنبوبي IVF؟ فإذا كانت لكل بويضة منها كرامة الإنسان، فمن الخطأ بكل تأكيد استخدامها في إجراء أية تجارب أو التخلص منها حتى لو كانت الطبيعة تبدو مسرفة في إنتاجها لهذه البويضات الزائدة عن الحاجة، والواقع أنه من السهل طرح الأسئلة ولكن من الصعب أن نجد لها إجابات.

إن معنى أن يكون للإنسان كرامة أساسية لا تشاركه فيها بقية المخلوقات تعني أن خلط جينات إنسانية بأخرى حيوانية في ممارسات الهندسة الوراثية خطأ فادح<sup>(٢)</sup>، وهذا يرتبط في واقع الأمر بشيء يؤكد عليه الإنجيل وبهم عمليات الهندسة الوراثية للحيوانات والمحاصيل. فالكتاب المقدس يؤكد على أهمية التمايز بين أنواع الخلق المختلفة

(١) سفر التكوين - ٩ : ٦

(٢) كذلك نحرّم الممارسة الجنسية بين البشر والحيوانات، سفر الخروج ١٢ : ٩ وسفر التثنية



وينهى عن خلط جينات النبات بجينات الحيوانات<sup>(١)</sup>، ويفهم المرء من التعاليم الإنجيلية أيضا أن هناك تحذيرا من طمس الفروق بين الإنسان والآلة، وقد جاء في كتاب مفيد و مثير للقلق في آن واحد للعالمة الجليلة البروفيسور [سوزان جرينفيلد] بعنوان: "أناس الغد" (إن إنتاج مخلوقات مُهَجَّنة من بشر وآلات قد أصبح في حكم الممكن. وإذ يدعو المتيقنون بحب التكنولوجيا إلى استخدام النانوتكنولوجي (تقنيات الأشياء متناهية الصغر) كشرائح كربون السيليكون الدقيقة وغيرها من التقنيات لهذا الغرض)<sup>(٢)</sup> وتستشهد البروفيسور [جرينفيلد] بأقوال كثير من المفكرين والباحثين الذين يتطلعون إلى مرحلة جديدة من مراحل التطور نجد فيها بشرا خارقين للطبيعة حيث توفر لهم التكنولوجيا قوى هائلة. فالتكنولوجيا التي لديها إمكانيات الشفاء، تتوافر لديها أيضا إمكانيات مخيفة، ولكننا ينبغي أن نكافح من أجل إبراز الفرق الواضح بين السعي لاستعادة الخلق إلى ما كان عليه من كمال وبين السعي لتغييره.

### الرجل والمرأة والأسرة:

إن تعاليم الإنجيل حول العلاقة التكاملية بين الذكر والأنثى من أبناء البشر والدور البارز الذي تحتله الأسرة لها أهمية كبرى بالنسبة للهندسة الوراثية؛ فالنموذج المثالي للتكاثر - وفق هذه التعاليم - أنه يتم في إطار علاقة جنسية شرعية؛ وعلي ذلك فإن عملية التخصيب الاصطناعي في أنبوب الاختبار تعتبر جائزة إذا لم تكن هناك وسيلة أخرى أمام الزوجين للإنجاب شرط أن تكون داخل هذا الإطار الشرعي، ومعنى ذلك أنه لا يجوز أن تتم عملية التخصيب هذه إذا كان في الأمر تبرع أو استخدام مواد جينية من طرف ثالث، أما محاولات

(١) الايون ١٩ : ١٩، وسفر التثنية ٢٢ : ٩٩

(٢) سوزان جرينفيلد أناس الغد، لندن: بنجوين ٢٠٠٣.

التكاثر عن طريق الاستنساخ الذي لا يحتاج أصلاً للممارسة الجنسية فإنه ليس خطأً وشاذاً فحسب بل إنه يؤدي إلى استيلاء أطفال لا يعرفون لهم هوية ولا تربطهم بغيرهم شبكة العلاقات التي لا غنى عنها من أجل حياة طبيعية وآمنة على المستويين: الشخصي والاجتماعي.

## ختام البحث

في الجدل الدائر حول الهندسة الوراثية، أرى أن الفصول الأولى التي يبدأ بها سفر التكوين توفر قاعدة صلبة يمكن للمرء أن يبني عليها الموقف المسيحي من هذه التكنولوجيا؛ فإن ما جاء بهذه الفصول من تعاليم حول الله خالق كل شيء، وحول الخلق والإنسان وقيمة الحياة الإنسانية واعتماد المرأة على الرجل والرجل على المرأة وخطيئة السقوط لهما من الأمور البالغة الأهمية، وأود أن أؤكد بصفة خاصة على حاجة الإنسان لأن يدرك مكانته وأن له كرامة وعليه مسؤولية. ولكن عليه أيضاً أن يكون متواضعا لله مدركا لعظمته ومعترفا بقصور إمكانياته هو، وأن هذا القصور ناتج عن طبيعته الخطاءة وعن اقتصار واجباته على أن يستعيد ما كان للخلق من كمال، وأن يكون مستعينا بالله في عملية التكاثر التي كلفه الله بها، لا أن يكون هو نفسه خالقاً.

وعندما أعدت قراءة هذا البحث انتبعت إلى أن ما به من آراء يقترب بشكل مدهش من وجهات نظر كثير من المسلمين حول هذه الموضوعات، ويتضح هذا التقارب بصفة خاصة في التعاليم التي تتعلق بالله وأنه هو الخالق، وبالإنسان وأنه الخادم لأغراض الخلق والتكاثر، وبالعلاقة التبادلية بين الذكر والأنثى وبأهمية الأسرة، وقد تثير تعليقاتي حول خطيئة السقوط شيئاً من التعارض في الآراء، وأتصور - بالرغم من ذلك - أن حججا مشابهة يمكن للمرء أن يسوقها استناداً إلى

نصوص قرآنية حول ضعف الإنسان وعدم كماله<sup>(١)</sup>. وعندما يتطرق الأمر إلى الموضوع الخلافى المتعلق بمكانة الجنين، فيبدو أن الخلاف فى الرأى موجود أيضا داخل الإسلام كما هو موجود داخل المسيحية<sup>(٢)</sup>.

وينطلق النقاش فى هذه الموضوعات بطبيعة الحال من قاعدة راسخة هي: أن الله قادر على كل شىء ويتبدى للعالمين فى خلقه، ولا أعتقد أن هذه القاعدة تروق لفيلسوف الأخلاق الحيوية العلماني، ومع ذلك هناك البعض ممن يتبعون أسلوبا نفعيا فى التفكير وبنون رؤيتهم على ما يعتقدون أنه سوف يترتب على مقدمات الأمور، وأنا لا أستبعد أن يوافقني هؤلاء على بعض ما توصلت إليه من نتائج، ويحضرني هنا قول "نبيل نيل" إن انتشار لغة الخطاب الديني فى مناقشات العلمانيين من فلاسفة الأخلاق وبخاصة تعبيرات من قبيل "التصوير الضوئي للأرواح" و "لعب دور الإله" يكشف عن اعتراف متنام وإن كان غير بليغ بأنه لا مفر من الإقرار بأن هذه أصلا مسائل دينية.

(١) نأخذ على سبيل المثال سورة النساء، آية ٢٨ و..... آية ١٩ - ٢٠.

(٢) Rispler - Chaim, V. Islamic Medical Ethics in the 20th Century, Leiden: Brill, 1993, p. p. 7 - 11.

Yacoub, AAA. The fiqh of Medicine. Responses in Islamic Jurisprudence to Developments in Medical Science, London: Ta ha Publishers, 2001, pp 202 - 221.

# الإنسانية والخلق رؤية إسلامية

الدكتور جمال بدوي



## الإنسانية والخلق رؤية إسلامية

د. جمال بدوي

أستاذ متفرغ (للدراستات الدينية والإدارة)  
جامعة سانت ماري - هاليفاكس - نوفاسكوشيا / كندا

### مقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد آخر المرسلين  
وعلى من سبقوه من الرسل والأنبياء ومن اتبعوهم إلى يوم الدين .

السيد رئيس الجلسة والسادة الأفاضل من الإعلام والمشاركين  
والمراقبين أحييكم جميعا بتحية الأنبياء، تحية السلام أدعو الله أن  
يشملنا جميعا بالسلام والرحمة والبركات .

أود في البداية أن أشيد بالقائمين على تنظيم هذا المؤتمر ليس لما  
بذلوه من جهد فائق في الإعداد له فحسب، بل أيضا لحسن اختيارهم  
لموضوعه ومحاوره، فالعالم يشهد تطورات هائلة وغير مسبوقه في  
العلوم والتقنيات الطبية، لذلك أصبحت أخلاقيات علوم الحياة مجالاً  
محوريا للعديد من الدراسات والأبحاث، والوراثيات البشرية وتقنيات  
الإنجاب هي من أكثر علوم الأحياء المعاصرة إثارة للجدل؛ ومن هنا  
كان اهتمام فلاسفة الأخلاق بها لما لها من نتائج بعيدة المدى في  
المجالات الطبية والاجتماعية والتشريعية بل والسياسية، وأي قرار يتعلق

بهذه العلوم - سواء كان على المستوى الفردي أو المهني أو الجماعي - لا بد وأن يتأثر في المقام الأول بالنظرة الدينية أو العلمانية لمتخذي هذا القرار وربما كانت أهم الأسئلة التي تعكس رؤية عامة عالمية هي:

\* ما هي مكانة الإنسان في نظام الخلق الذي وضعه الله؟

\* ما هي الطبيعة البشرية؟

\* ما هي الغاية من وجود البشر على هذه الأرض؟

\* وما هو شكل العلاقة التي ينبغي أن تربط بين الإنسان وبين الكون الذي يقضي فيه حياته الدنيوية؟

ويحاول هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة من المنظور الإسلامي.

### ■ مكانة الإنسان في نظام الخلق الذي وضعه الله:

يحكي القرآن كيف أعلن الله للملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة يعيش فيها ويعمرها ويحقق فيها ما أمر الله به: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سٰبِحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة: ٣٠)

وكان هذا أقدم بيان صريح في تاريخ البشرية عن كرامة الإنسان، وحيث إن الله القادر على كل شيء ليس بحاجة إلى خليفة أو وكيل أو مساعد في الأرض، فإن اختصاص الله للإنسان بالخلافة هو رمز على تكريمه باعتباره التاج الذي وضعه الله على رأس الخليفة كلها، ولكن هل يمكن للإنسان أن يكون أعظم من ملائكة الله؟.

والإجابة عن هذا السؤال نستقيها من القرآن الذي يروي أن الله بعد أن خلق الإنسان الأول أمر الملائكة أن تسجد له أي لآدم: ﴿وَإِذْ

قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ (البقرة: ٣٤)

كيف يمكن لهذا المخلوق الضعيف بل المعرض للوقوع في الخطيئة أن يوضع في هذا المقام العالي؟

إن الملائكة بطبيعة تكوينهم هم التجسيد الحي للنقاء والطاعة الخالصة لله تعالى. إذأ ليس بمقدورهم عصيان الله أو التمرد عليه إنهم الذين: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١). (التحریم: ٦).

هل يمكن للإنسان أن يرقى إلى مستوى أعلى من مستوى الملائكة؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بأن الملائكة تطيع الله لأن ذلك هو خيارها الوحيد وليس نتيجة للاختيار بين بدائل، وليس هذا هو حال الإنسان الذي يجد نفسه في صراع دائم بين قوى تدفعه نحو الله وقوى أخرى تدفعه بعيدا عن طريق الله، إن النجاح في دفع قوى الشر والمضي قدما في طريق الله هو الذي يمكن أن يضع الإنسان في مستوى أعلى من الملائكة الذين أمرهم الله بالسجود له اعترافا بفضله. فلا غرو إذن أن تقرأ في القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠). (الإسراء: ٧٠).

والمكرومون هنا هم بنو آدم، وهو مصطلح عربي قرآني شامل يضم بين جناحيه البشر جميعا بغض النظر عن العرق أو الدين أو الإيمان أو عدمه، وهذا يحدو بنا إلى أن نتساءل عن طبيعة هذا الإنسان الذي يكرمه الله بهذا الشكل.



## الطبيعة البشرية:

تلخص الآيات الآتية الطبيعة البشرية:

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُؤْلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (السجدة: ٦-٩).

من هذه الآيات يتضح أن طبيعة الإنسان المادية - العقلية - الروحانية. ويمثل الطين العنصر الجسدي الدنيوي في الطبيعة البشرية وفي هذا الجسد تعمل الغرائز والشهوات كآليات تحقق للإنسان بقاءه على قيد الحياة واستمرار نوعه من خلال التكاثر، وإلى جانب هذه الناحية الوظيفية في الجسم البشري، خلق الله الإنسان في تقويم جميل وتناسق بديع:

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (التين: ٤)

- ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفْطَيْنِ ﴿٩﴾﴾ (البلد: ٨-٩)

- ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ (الانفطار ٦-٨).

ولقد أنعم الله على الإنسان بالعقل والقدرة على التفكير المنطقي المعقد والتعبير عن ذلك:

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ (النحل: ٧٨).

- ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ  
الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ (الرحمن: ١-٤)

وترتبط مثل هذه القدرات بعضها ببعض وتعتمد على بعضها البعض، والحواس هي وسيلة الإنسان للاتصال بالعالم الخارجي وملاحظة ما يجري فيه والتجريب والقياس لكل ما يجده فيه، والتفكير المنطقي لا يتعارض مع الإيمان والعقيدة ولكنه وسيلة لا غنى عنها لاكتشاف الحقائق الروحانية إلى جانب الحقائق المادية، وذلك في حدود قدرات الإنسان الإدراكية والعقلية؛ فلا عجب إذن أن ينتقد القرآن من لا يستخدم هذه النعم التي وهبنا الله إياها بما في ذلك نعمة الحواس والعقل.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾  
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ  
هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (الفرقان: ٤٣ - ٤٤)

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾  
(الأنفال: ٢٢)

صحيح أن العقل وحده لا يكفي لفهم ما يحيط بالخلق من غموض ولكن من غير الصحيح أن العقل لا صلة له بقوة الإيمان أو أنه يتعارض معه، واستخدام العقل والمنطق في واقع الأمر ليس مطلوباً فحسب بل هو واجب يحثنا عليه القرآن الكريم:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ  
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا  
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

ويتحدث القرآن في أكثر من آية عن أهم مصادر كرامة الإنسان ألا

وهو نفخ الروح: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِۦٓ وَيَجْعَلُ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (السجدة: ٩)

ويقع هذا في قلب المفهوم القرآني للكرامة الإنسانية، إذ إن المكوّن المادي في الطبيعة البشرية هو الجزء الذي تشاركه فيه بقية الكائنات الحية، كما أن للحيوانات نوعا من الذكاء بدرجات متفاوتة ليس فيها بطبيعة الحال القدرة على التفكير المنطقي المعقد، ولكن الإنسان يتفرد من بين جميع المخلوقات بأن الله قد نفخ فيه من روحه، إن هذا القبس من روح الله هو ما يضيفي على الإنسان تلك الروحانية الفطرية وما يجعله مجبولا على مكارم الأخلاق، كما أنه هو الذي يضعه تاجا على رأس بقية المخلوقات، إن هذا التكريم الذي يسبغه الله على الإنسان إنما يتوقف على مدى وفاء الإنسان بالدور الذي أنيط به وهو أن يكون خليفة الله في الأرض، وهذه مسؤولية ضخمة تتطلب القدرة على الاختيار الصحيح، وإن الفشل في القيام بمثل هذا الاختيار يُفقد الإنسان هذا المركز المرموق الذي يتميز به عن غيره من المخلوقات، وقد يتهاوى الإنسان وينحدر إلى مستوى أدنى من الحيوانات وقد يصل الأمر بالإنسان إلى أن يكون واحدا من هؤلاء الذين: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: ١٧٩)

على أن المادي والعقلاني والروحاني في الإنسان ليست ثلاثة عناصر مستقل فيها الواحد عن الآخر، كما أنها ليست بالضرورة ثلاثة أجزاء يصعب التوفيق بينها دائما، ولا يعتبر الإنسان ملاكا متهاويا ولا حيوانا متصاعدا؛ هو بالأحرى كائن مسؤول لديه القدرة على الصعود إلى مستويات أعلى من تلك التي للملائكة، أو الهبوط إلى مستويات أقل من تلك التي للماشية، إن "الشجرة المحرمة" ترمز في المنظور الإسلامي إلى تجربة أخلاقية إنسانية عامة يمر بها الإنسان في كل مكان

وزمان؛ فهي تلخص في بلاغة قوية مفاهيم حرية الاختيار والغواية واتخاذ القرار والوقوع في الخطأ وإدراك هذا الخطأ ثم التوبة عنه ثم العفو والتصالح، وإن إدراك المرء لطبيعته ولمواطن القوة والضعف فيه أساسي لكي يتقبل نفسه ويتعايش معها بشكل صحي، وهذا بدوره يؤدي إلى حالة من التوازن العقلي لا ينوء المرء فيها بحمل زائد من الإحساس بالذنب والضعف، ولا يتفاخر بشكل زائد عن الشعور بالفضيلة والقوة.

إن وعي الإنسان بطبيعته يواجهه بأربعة تحديات أخلاقية:

أولاً: السمو على العنصر المادي فيه والسيطرة عليه بدلا من تركه مسيطرا.

ثانياً: تطوير عناصره العقلية والروحانية وإخضاعهما للإرادة الإلهية

ثالثاً: إدراك ما سوف يترتب على طاعة الله أو عصيانه من نتائج.

رابعاً: الاجتهاد في اجتياز الاختبار الدنيوي حتى يعود إلى جنات أعظم بعد

موته المادي، وليس هذا فقط بل حتى يحظى بالنعيم التام، وهو

القرب من الله والدخول في زمرة الأصفياء الأتقياء.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ

النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

(النساء: ٦٩)

إن صمود الإنسان أمام هذه التحديات يتصل اتصالاً مباشراً

بمفهوم الإنسان عن الغاية من الخلق وهو موضوعنا التالي.

الغاية من خلق الإنسان:

يعلّمنا القرآن أن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ

وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾  
(الذاريات ٥٦-٥٨)

إلا أن عبادة الله ليست مسألة شكلية ولا تقتصر على أداء شعائر معينة والقيام بأفعال الورع والتقوى، ولهذه الشعائر والأفعال أهميتها بطبيعة الحال، ولكن مفهوم العبادة في الإسلام أكثر شمولاً من المعنى المحدد لهذا المصطلح: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَعَاقَى أَمْوَالٍ عَلَىٰ حُجَّتِهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاقَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (البقرة: ١٧٧)

إن أي عمل يقوم به الإنسان يمكن أن ينطوي على عبادة إذا انطبق عليه شرطان:

أولاً: أن يتم بنية خالصة.

ثانياً: أن يتم في الحدود التي أمر بها الله.

وبهذا يمكن لأفعال عادية من تلك التي تتطلبها الحياة الدنيوية: كالأكل والنوم واللهو البريء أن تعتبر من أفعال العبادة التي انطبق عليها هذان الشرطان، ويتضح هذا المفهوم الموسع لمعنى العبادة في الإسلام من عدم تقسيم أنشطة الحياة البشرية تقسيماً مصطنعاً إلى فئات مختلفة بعضها للعبادة وأخرى للحياة العادية؛ فالإسلام ينظر إلى الحياة باعتبارها كلا متكاملًا يرتبط بعضه ببعض، وتشتمل على نشاطات فردية وجماعية: أدبية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وإن من أهم التحديات التي تواجه الإنسانية الربط والتنسيق بين هذه النشاطات في ظل الهداية الإلهية؛ إن هذا التحدي هو الذي يؤهل الإنسان لأن يكون خليفة الله

في الأرض، كما أنه يجعل الحياة الدنيا اختباراً للإنسان عليه أن ينجح فيه، إن علاقة الإنسان بالنظام الطبيعي والاجتماعي يتحدد في ضوء مفهومه للطبيعة البشرية وفهمه للغاية من خلقه وقبوله بالدور الذي هيأه الله له وهو أن يكون خليفة في الأرض.

### نظرة الإنسان للكون:

إن سلوك الفرد وأخلاقياته لا تتأثر بالطريقة التي يرى بها طبيعته الشخصية فحسب بل بالطريقة التي يرى بها العالم من حوله أيضاً. ويصور القرآن الكون على أنه مُسخر لخدمة الإنسان في أداء مهمته والقيام بدوره كخليفة الله في الأرض. ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ﴾ (لقمان: ٢٠).

على أن هذه النعم ينبغي أن تستخدم كما أمر الله؛ فالإسلام على سبيل المثال يعتبر أن البيئة هي أمانة فردية وجماعية وليست ملكية فردية أو جماعية؛ ومن هنا كان اعتبار تدمير البيئة أو سوء استغلال مواردها الطبيعية من الجرائم الأخلاقية، إن الانتحار يأس من رحمة الله، وإهمال الجسد أو الإساءة إليه وعدم الاهتمام بصحته تعتبر كلها من الأمور الخاطئة؛ لأن هذا الجسد هبة من عند الله يؤتمن الإنسان عليها وعلى صيانتها، والجسد هو وسيلة الإنسان للقيام بمهمته كخليفة الله في الأرض، وحتى ما يملكه الإنسان من ثروات تعتبر أمانة لديه؛ فالإنسان ليس حراً في أن يحرق ما يملكه تحت دعوى أنه حر فيما يملكه يتصرف فيه كما يشاء، وتقرأ في القرآن الكريم: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ (الملك: ١-٢).

ويعني هذا: أن القرآن يعتبر أن الحياة الدنيا هي اختبار وليست

مجرد تجربة يمر بها الإنسان دون غاية أو هدف، بل إن تمييز الإنسان عن بقية المخلوقات وإسباغ التكريم عليه يتضح في حسن استغلاله لإمكاناته المادية والعقلية والروحانية كي يغالب نقاط ضعفه ونواقصه، ويقوم بمهمته كخليفة لله في الأرض خير قيام، ولا تهدف هذه الرؤية الإسلامية إلى حث الإنسان على التقوى فحسب ولكنها تشجعه كذلك على اكتساب نظرة ديناميكية للحياة تتطلب المشاركة الفعالة من جانب الناس جميعاً في القيام بتصحيح ما يقع من أخطاء، ومحاولة تحقيق السلام والعدالة الاجتماعية.

إن أعظم تحدٍّ يواجهنا اليوم هو أن تعمل كل الطوائف الدينية على تنفيذ ما تعظ به، وأن تساند بعضها البعض في الوقوف ضد كل معتد على حقوق الإنسان وكل معطل لمسؤوليات خلافته في الأرض، وبذلك فقط يمكن لنا أن نستعيد الكرامة الحقيقية لبني البشر.

# خلق الإنسان بصورته الطبيعية

الدكتور نصر فريد واصل





## خلق الإنسان بصورته الطبيعية

للدكتور نصر فريد محمد واصل

مفتي الديار المصرية الأسبق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، وأستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

**تمهيد:**

هذا البحث يعبر عن وجهة نظر صاحبه في إطار الشريعة الإسلامية وأحكامها التشريعية بالنسبة للإنسان بصورته الطبيعية وحياته المعيشية والبيئة الطبيعية التي يحيا بها ويعيش فيها.

ونظرا لأن أهداف الندوة إقامة حوار علمي - ديني فلسفي - اجتماعي بين أتباع الأديان الثلاثة الكبرى (الإسلام - المسيحية - اليهودية)، وكذلك وجهة النظر العلمانية وأن هذا الحوار سيكون متعلقاً أساساً بالمكتشفات الحديثة في عالم الطب وتطبيقاته العملية الكثيرة على الإنسان في محاولة التغلب على آلامه وإدخال السعادة والاستقرار عليه، وذلك في وجود انعكاسات أخلاقية تتعلق بها يجب دراستها بدقة وإمعان لإظهار آثارها على الجوانب الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية والعلاقات الإنسانية وغيرها، وذلك من أجل تعايش جميع أتباع الأديان وكل بني الإنسان في سلام من خلال التحوار العلمي

السليم بين العلماء في كل التخصصات على المستوى العالمي للتقريب والتفاهم بين الجميع ليحل السلام محل الإرهاب، والعدل مكان الجور والحب بدل الكراهية، وتجنّي البشرية ثمار تقدمها العلمي العالمي في رحاب الأمن والسلام؛ فإنني لذلك أقدم بحثي هذا في عدة مطالب نجيب فيها عن التساؤلات المطروحة حول المحور الأول من الواجهة الإسلامية وذلك لتحقيق الفائدة من الناحية البحثية والعلمية بين العلماء في كل التخصصات، ونظرا لأن الأسئلة المطروحة حول المحور الأول: الإنسانية والخلق ستة فسوف تكون الإجابة عنها في ستة مطالب أيضا حسب ترتيبها.

## المطلب الأول

في كيف ترى المعتقدات الدينية المختلفة العلاقة الملائمة بين الكائنات البشرية وبقية الخلق؟ لأي مدى تم منحنا الخلق في صورة إبداعية؟ ولأي مدى يكون الخلق قابلا للتعديل والتحسين بواسطة البشر؟ أي جوانب الخلق البيولوجي يمكن تعديلها وأي منها ينظر إليه على أنه غير متتهك الحرمة؟.

إن المعتقد الديني الإسلامي يضع الكائن البشري في مكان السيادة والإدارة والقيادة بالنسبة لبقية الكائنات المادية والمخلوقات غير البشرية بالنسبة للأرض التي يسكن فيها والحياة التي يعيش فيها، وهذا الكائن الإنساني - بصفته الإنسانية والبشرية في كل زمان وفي كل مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - مؤهلاً بذاته وخلقته لحمل هذه المسؤولية وتلك القيادة مع اختلاف الأجناس والألوان والثقافات الإنسانية والمعتقدات الدينية، وهذا بطبيعة الحال ينطبق على كل الكائنات البشرية بدءاً من آدم وزوجه حواء وذريتهما من بعدهما إلى أن تقوم الساعة.

وهذه العقيدة الدينية لدى المسلم حقيقة إيمانية واجبة، وهي معلومة من الدين بالضرورة وذلك للنصوص القطعية الدالة على ذلك في الشريعة الإسلامية ونصوصها التشريعية في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ومنها:

قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup> والمراد به الإنسان [آدم وذريته من بعده] وذلك ليقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

(١) سورة البقرة الآية رقم ٣٠

(٢) سورة البقرة الآيتان ٣٠، ٣١

(٣) سورة البقرة الآية ٣٦

(٤) سورة هود الآية ٦١

(٥) سورة النساء الآية ١

(٦) سورة الحجرات الآية ١٣

جَهُولًا ﴿٧٢﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالأمانة في الآية الكريمة: أمانة المسؤولية والقيادة البشرية للكون المادي والاستخلاف فيه بالإصلاح والتعمير والبناء والبعد عن الهدم والإفساد.

وهذا بطبيعة الحال لا يتحقق إلا مع هذا الإنسان الذي يتحمل أمانة هذه المسؤولية المكلف بها والمنوطة به أصلاً حسب خلقه السوي وتكوينه البشري المؤهل لذلك بفطرته السوية التي خلقه الله بها وعليها تم التكليف بحمل هذه المسؤولية، وهذه الفطرة السوية تجعل من الإنسان - بصفته الإنسانية في كل زمان وفي كل مكان مع اختلاف الأجناس والألوان مع بقية الكائنات المادية والمخلوقات الطبيعية وغير البشرية - توافقا وتواؤما وتوازنا تاما يحقق له دوام العيش والاستقرار والسلام في حياته الدنيوية على هذه الأرض التي استخلف فيها وعليها؛ لأن هذا التوازن أمر ضروري لا بد منه كالروح مع الجسد وإلا حدث الخلل الذي يفسد الحياة والإنسان معا، وقد خلق الله الإنسان صالحا وقادرا لاستخلاف الأرض والحياة الكونية والمادية، وخلق الأرض بما فيها من كائنات غير بشرية صالحة بذاتها للإنسان ومعيشتها، واستمرار دورة الكون والحياة صالحة لهما معا إلى ما شاء الله ما دام الإنسان على أمانته ومسؤوليته الدينية والدنيوية التي كلف بها ولا ينحرف عنها، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢

(٢) سورة الأعراف الآية ٨٥

(٣) سورة الأعراف الآية ٥٦

ولذلك كان الإخلال بهذا التوازن الكوني بين الكائنات البشرية وبقية الخلق إن كان للإنسان يد فيه أو سبب من أسبابه هو إفساد في الأرض وجريمة كبرى في حق الحياة الإنسانية والكونية تستحق العقوبة الدينية الأخروية والمآخذة الدنيوية والقانونية معاً وذلك في التشريع الإسلامي.

وإلى هذا التوازن الإبداعي بين الكائنات البشرية وبقية الخلق في هذا الكون الذي تعيش فيه البشرية كلها والذي منحنا الله نحن البشر إياه تدل عليه كثير من النصوص التشريعية في الإسلام، ومنها قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالمال في الآية الكريمة هو كل ما يتموله الإنسان ويقدر على التمكن منه والوصول إليه مادياً أو معنوياً للعيش به ومنه في حياته الدنيوية، سواء كان ذلك في الضرورات أو الحاجيات أو التحسينات والكمالات، وسواء كان ذلك على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي، وهذا يشمل الملكية الفردية والملكية الجماعية للبشرية، أما البنون في الآية فالمراد به بنو الإنسان أي بني آدم وذريته من بعده إلى أن تقوم الساعة، وبذلك كان الإنسان والحياة المادية والكونية التي يعيش فيها معاً مظهر هذه الحياة البشرية وزينتها التي لا تتحقق إلا بوجود هذه الكائنات البشرية وبقية خلق الله جميعاً؛ وذلك من أجل استمرار الحياة البشرية والكونية محققة للخير والسلام بين الإنسان وأخيه الإنسان في كل مكان وبين الإنسان والبيئة الطبيعية التي يعيش فيها.

ونظراً لضرورة هذا التوازن بين الإنسان وبقية مخلوقات الله في الأرض والكون لاستمرار الحياة صالحة للإنسان وبقية الخلق بسلام وأمن وأمان يجمع بينهما معاً فقد سخر الله كل ما في هذا الكون

لمنفعة الإنسان ومصلحته بما يحقق دوام العيش والاستمرار في هذه الحياة، وفي خلافته الشرعية لهذا الكون الذي يعيش فيه يأخذ منه ما يكفيه ويحقق له تلك المهمة من غير إفساد لنفسه مع بني جنسه ولا غيره من المخلوقات التي خلقت من أجل مصلحته وتحقيق دوام معيشته وخلافته الأرضية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية ٢٩

(٢) سورة الجاثية الآية ١٣

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٣

(٤) سورة النحل الآية ١٢

(٥) سورة النحل الآية ١٤

(٦) سورة النحل الآية ٥

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأًا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٣) ﴿١﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢).

وما دام أن كل ما في الأرض مما خلقه الله مسخر لخدمة الإنسان ومصالحته، وأن ما بين السماء والأرض مما خلقه الله أيضا مسخر لخدمة الإنسان ومنافعه فإن حدود التغيير والتعديل والتحسين بواسطة البشر - فيما يقع تحت علمه وقدرته الممنوحة له من الله - جائز ومشروع في حدود التوازن البيئي والإنسان والكون الذي يعيش فيه وبما لا يتجاوز ذلك إلى الإخلال بين الإنسان والبيئة الطبيعية التي يعيش فيها وبين الإنسان وأخيه الإنسان في أي زمان وفي أي مكان.

وكل جوانب الخلق البيولوجي المسخر لخدمة الإنسان ويكون سببا مباشرا أو غير مباشر في حياته ودوام خلافته الشرعية في الأرض صالحة كما أمر الله وأراد سبحانه وتعالى يمكن التعديل فيها إذا كان ذلك ضروريا لحياته أو لدوام معيشته بدون حرج ولا عسر ولا مشقة، وبشرط ألا يؤدي إلى الإخلال بالحياة الطبيعية والتوازن البيئي بين كل الكائنات المخلوقة غير الإنسان وبينها وبين الإنسان، وهذا متروك من حيث الفعل وعدمه إلى مصلحة الإنسان وأولي العلم والعقل في هذا المقام لقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٦) ﴿٣﴾ وقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) ﴿٤﴾.

(١) سورة النحل الآية ١٣

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠

(٣) سورة يوسف الآية ٧٦

(٤) سورة النحل الآية ٤٣



## المطلب الثاني

### في مدى سلطة البشر على البشر في التعديل والتغيير والتحسين في الخلق

لقد بينا في المطلب الأول - من وجهة نظر الإسلام والعقيدة الإسلامية - أن الطبيعة التي يعيش فيها البشر مسخرة كلها وبكل ما فيها من مواد طبيعية وأحياء غير بشرية للبشرية كلها وللإنسان بصفته الإنسانية، وأنه سيدها والمستخلف عليها بإذن الله وأمره لتحقيق كل متطلبات معيشتة واستمرار حياته، وله بذلك التبديل والتغيير فيها بما لا يخل بالتوازن البيئي بين الكائنات بعضها وبينها وبين البشر وبما لا يؤدي إلى الإفساد في الأرض والحياة ويؤثر بالسلب على الحياة البشرية الإنسانية ومهمته الاستخلافية في الحياة بالتعمير والبناء، ولعل ما حدث من آثار سيئة وضارة بالحياة البشرية والبيئة معا بسبب إعصار [كاترينا] بالولايات المتحدة الأمريكية والذي يشبه في آثاره زلزال [تسونامي] في جنوب شرق آسيا وأباد مدنا بأكملها وشرد الملايين من البشر يؤكد ذلك، وتزايد معدلات وقوع هذه الأحداث الطبيعية بين البشر في عصرنا الحاضر شيء لا يمكن فهمه وشرحه إلا من خلال الانبعاث الحراري من الغازات وارتفاع درجة حرارة الأرض التي يسببها البشر. وهذا ما أكده حزب الخضر في جوابه عن سؤال: لماذا تزايد معدلات وقوع هذه الأحداث الطبيعية؟ بقوله: إن هذا شيء لا يمكن شرحه إلا من خلال ارتفاع درجة حرارة الأرض التي يسببها البشر. وكذلك وزير البيئة الألماني [بورغان ترايتون] في جوابه عن نفس السؤال: إن الأمريكيين يتحملون المسؤولية عن الإعصار بسبب رفض بلادهم الحد من انبعاث الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري وهي ظاهرة مسؤولة عن تزايد معدلات وقوع هذه الأحداث الطبيعية<sup>(١)</sup>.

(١) نقلا عن: أحمد بهجت في عموده اليومي صندوق الدنيا بجريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢

وقد بين القرآن الكريم - دستور الإسلام والمسلمين لعقيدهم وشريعتهم - أن كل الآثار السلبية للحياة الطبيعية والبشرية هي من فعل الإنسان، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾<sup>(١)</sup>.

ولذلك كان للبشر في العقيدة الإسلامية مكانة مختلفة عن بقية المخلوقات الطبيعية غير البشرية، حيث يجب حمايتهم من التغيير والتبديل الذي يؤثر بالسلب على خلافتهم في الأرض وقيادتهم للطبيعة البشرية والمادية المسخرة لمنافعهم الحياتية والمعيشية، لأن الإنسان هو سيد الكون، وهو المكلف بحمل الأمانة في هذا المجال، وذلك بنص قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأمانة التكليف البشري من الله لعمارة الأرض والكون الطبيعي للبشرية كلها تقتضي المحافظة على حدود هذا التكليف الإلهي مع الإنسان البشر على أكمل وجه، وبذلك كان التغيير والتبديل في البشر وفي حياته الوراثية بما يؤثر بالسلب على هذه المهمة الاستخلافية المكلف بها في عمارة هذا الكون هو من المحظورات الإسلامية التي لا يجوز الاقتراب منها شرعا بأي حال من الأحوال، لأن الدخول في هذه المحظورات في عقيدة المسلم يوجب العقوبة الدينية في الآخرة والديوية المقررة قانونا من أولي الأمر المكلفين بذلك.

وبذلك وجب حماية البشر على نحو خاص من أول بداية خلقه إلى تمامها ومن المهد إلى اللحد، وهذا ما يتم توضيحه وبيانه في المطلب الثالث.

(١) سورة الأعراف الآية رقم ٨٥

(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢

## المطلب الثالث

### مدى المكانة الإخلاقية للجنين البشري في مراحلہ الأولى والأخيرة

المكانة الإخلاقية للجنين البشري في مراحلہ الأولى والأخيرة في الإسلام هي من العقيدة الإيمانية الواجبة التي تتطلب حماية الجنين البشري في كل مراحل حياته الأولى والأخيرة وعدم الاعتداء عليه أو التعرض له إلا بمسوغ شرعي وعند الضرورة التي تتطلب ذلك للحفاظ على الأصل الذي تكون منه وعلى دوام الحياة البشرية الإنسانية على الوجه الصحيح الذي خلق الله البشر عليها.

ومراحل تكوين الإنسان في الخلق يكمل بعضها بعضا ولا غنى لأحدهما عن الآخر في وجود هذا الإنسان الكائن البشري الذي جعله الله خليفته في الأرض وسيدها بذاته وعقله وعلمه الذي علمه الله إياه في كل مجالات الحياة والذي بسببه فضل على الملائكة المقربين؛ وهذا ثابت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(١)</sup>.

والمراد أسماء كل العلوم والفنون والمخترعات التي ظهرت وتظهر في هذه الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومراحل تكوين الإنسان وخلقہ في هذه الحياة البشرية يدل عليها قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾<sup>(١٢)</sup> ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾<sup>(١٣)</sup> ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَدْنَيْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(١٤)</sup>.

(١) سورة البقرة الآية ٣١

(٢) سورة المؤمنون الآيات ١٢ - ١٤

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٥٥﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٨).

(١) سورة السجدة الآيات ٧ - ٩

(٢) سورة الفرقان الآية ٥٤

(٣) سورة غافر الآية ٦٤

(٤) سورة التغابن الآية ٣

(٥) سورة آل عمران الآية ٦

(٦) سورة النجم الآيات ٤٥ - ٤٦

(٧) سورة النساء الآية ١

(٨) سورة الحجرات الآية ١٣

وإذا كان منهج الله في خلق الإنسان وتكوينه قد ورد مفصلاً على النحو الذي سبق بيانه في الآيات السابقة، فإننا لم نجد في نصوص القرآن الكريم ولا في نصوص شرعية أخرى ما يشير إلى هذا التفضل بالنسبة لغير الإنسان في الخلق، حيث ورد ذكره والإشارة إليه بطريق الإجمال فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه الآية وما سبقها تدل على خلق كل كائن حي يدب على الأرض بما في ذلك الإنسان والحيوان والنبات.

أما الإنسان فقد جاء تكوينه وخلقته بطريق التفصيل والبيان من خالق الإنسان وهو الله سبحانه وتعالى، وذلك لأهميته ومكانته السامية بين المخلوقات كلها، لأنه المنوط بحفظها ورعايتها وقيادتها قيادة حكيمة تحقق التوازن بين الإنسان والطبيعة البيئية والبشرية التي يعيش فيها ومنع الإفساد الذي يهدد بالفناء والضرر والهلاك لكل منهما، وذلك يقتضي التكليف البشري والأمانة التي تحملها أمام الله في ذلك من الناحية الدينية والعقائدية التي توجب عليه عدم التفريط فيها، وذلك لأن الإنسان والحياة المادية التي يعيش فيها وجهان لعملة واحدة لا غنى لأحدهما عن الآخر بحال كالروح مع الجسد وذلك في نظر الإسلام، ولأن الإسلام عقيدة وشرعية وعمل، وعقيدة الإسلام توجب على المسلم أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً وأن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً؛ وليس في الإسلام عقيدة مجردة عن العمل ولا عمل يخلو من العقيدة، ولا من العقيدة الإيمانية الصالحة والعمل الصالح معا لدوام الحياة البشرية، ونصوص الإسلام كلها قاطعة الدلالة في ذلك، وبذلك في عقيدة الإسلام وأخلاقه لا فرق في وجوب المحافظة على الإنسان

(١) سورة النور الآية ٤٥

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

البشري وحمايته بين كونه جنينا في بداية تكوينه وخلقه في رحم أمه وبين كونه إنسانا كامل الإنسانية بعد خروجه من رحم أمه مولودا بين بني جنسه من البشر، بل جعل الإنسان في كل مراحل تكوينه ضرورة من ضرورات الحياة وكلية أساسية من كلياتها الخمس وهي: الدين، والنفس والعقل والنسل، والمال، والدين والنفس والعقل والنسل كلها في داخل الإنسان ومعه، والمال هو كل مكونات الحياة المادية بالنسبة للإنسان والحياة، وبذلك كان دوام هذه الحياة البشرية وصلاحها للإنسان بدوام هذه الكليات الخمس الضرورية للحياة والمحافظة عليها من العدم، وكثير من النصوص الإسلامية القطعية الثبوت والدلالة تؤيد ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>؛ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>

## المطلب الرابع

### مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام

مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام تعني المحافظة عليه والعناية به عناية فائقة مع نفسه ومع كل بني جنسه في كل زمان وفي كل مكان واتخاذ كل السبل المادية والمعنوية لتحقيقها في الحياة البشرية ودوامها مع الإنسان بصفته الإنسانية والبشرية مهما اختلفت الأجناس والألوان

(١) سورة المائدة الآية ٣٢

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١

(٣) سورة الإسراء الآية ٣١

والعقائد الدينية والثقافية في كل زمان وفي كل مكان؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧١) (١).

وهذا التكريم من الله لخلق الإنسان يوجب حمايته والمحافظة عليه في كل مراحل حياته، بل وبعد الممات، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "كسر عظم الميت ككسره حيًا".

وهذه الكرامة تتأثر بالسلب إذا تعرضت في مجال التكاثر البشري للمعالجة التكنولوجية البارعة بما في ذلك انتقاء وتصميم الخصائص إن كان ذلك يؤثر في الجينات الوراثية للإنسان ويغير في صفاتها الخلقية الطبيعية التي خلقه عليها في أحسن تقويم ولم تكن هناك ضرورة طبية علاجية لإعادة الشيء إلى أصله أو إصلاحه؛ وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق الداء وخلق الدواء فتداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام".

## المطلب الخامس حدود العلم ومجالاته العلمية ومكانته في الإسلام

لا حدود للنشاط العلمي ولا لمجالاته العلمية المتعددة والمتنوعة وتجاربه البحثية النظرية والعملية ما دام أنه يتعلق بصالح الإنسانية والبشرية، ويعمل على تطورها ونمائها لتحقيق استخلاف الإنسان بصفته الإنسانية والبشرية في الأرض والكون والحياة البشرية التي يعيش فيها خلافة شرعية تحقق الخير لجميع البشر باعتبارهم جميعاً في نظر الإسلام وعقيدته وشريعته أنهم عباد الله وخلقته، وأنهم إخوة في

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠

الإنسانية يتسبون إلى أب واحد وأم واحدة من حيث الأصل والنشأة مهما تعددت ديارهم قريت أو بعدت، واختلفت أجناسهم وألوانهم وعقائدهم الدينية والثقافية، حيث إن أباهم جميعا آدم وأمهم جميعا حواء بنص قوله تعالى في كتابه القرآن الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: الآية - ١٣)، وقد كرم الإسلام العلم والعلماء في كل مجالاته العلمية التي تفيد الإنسانية والبشرية سواء كان علما دينيا أو علما دنيويا، ورفع مكانة العلماء لذلك إلى المكانة والمنزلة التي لا يصل إليها إلا الملائكة الكرام والرسول والأنبياء الكرام وإلى الدرجة والمكانة العالية التي شهد الله فيها لنفسه بالوحدانية والتفرد بالذات الإلهية في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: الآية ١٨)

ومن النصوص الشرعية قطعية الثبوت والدلالة على رفع مكانة العلماء ومكانتهم في الإسلام كذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة الآية: ١١).

وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (سورة العلق ١ - ٥)

وهذه الآيات هي أول الآيات القرآنية التي نزل بها الوحي من السماء على نبي الإسلام محمد بن عبد الله رسول الإسلام والمسلمين ورسول الهداية إلى الله والسلام الاجتماعي إلى الناس أجمعين؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣٥)



وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ (الأحزاب الآيات ٤٥ - ٤٦).

وهذه الآيات القرآنية الأولى التي نزل بها وحي السماء على رسول البشر نبي الإسلام عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام فيها إشارات واضحة الدلالة العلمية لأولي العقول والمدركات الإيمانية والعلمية السليمة؛ على أن هذه المدركات الإيمانية والعلمية للإنسانية والبشرية لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة العلم المكتسب الذي منحه الله للإنسان في كل زمان وفي كل مكان، سواء كان ذلك بطريق الوحي الإلهي الذي نزل من السماء أو كان بطريق الاكتساب البشري والتفكير العقلي والاجتهاد.

كما أن في هذه الآيات إشارة واضحة إلى أن كل علم تعلمه الإنسان في الماضي أو يتعلمه في الحاضر أو في المستقبل إنما هو من علم الله ومما علمه إياه وأنه قليل جدا من علم الله الكثير الذي ورد ذكره والإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥) وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (سورة البقرة: ٣١).

وهذه الأسماء التي علمها الله لآدم ما هي إلا أسماء العلوم كلها وأسرارها ومفاتيح بنوزها العلمية ما ظهر منها حتى الآن في كل التخصصات العلمية وما خفي ولم يظهر بعد ومحتمل ظهوره للعلماء حتى قيام الساعة، وهذا العلم كله يحمله عقل الإنسان الذي هو هبة من الله لخلقه وسر من أسرارهِ سبحانه والذي أودعه في آدم أول البشر خلقا ثم في نسله من بعده وفي ذريته إلى أن تقوم الساعة كآية من آيات الله العظمى في خلقه.

وبهذا العقل الذي يحمل هذا العلم كرم الإنسان في الأرض وكان به مؤهلا للاستخلاف في الأرض لكل مظاهر هذه الحياة الدنيا وقادرا

على تحمل المسؤولية البشرية المنوطة به، وعلى حمل الأمانة الشرعية التي كلف بها من الله وأمر بتبليغها وتوصيلها لكل البشر بطريق مباشر أو غير مباشر والعمل بما جاء بها في صالح البشرية كلها، وتحقيق السلام الاجتماعي العالمي بينهم في كل زمان وفي كل مكان مهما اختلفت بينهم الألسنة والأجناس والألوان ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٦﴾﴾ (الأحزاب: ٧٢).

وبواسطة هذا العقل الذي يحمله الإنسان تتم معه كل العلوم الإنسانية والكونية وتظهر به كل ما يستجد من علوم ومخترعات حديثة وهي كلها من علم الله الذي علمه للإنسان كما ذكرنا من قبل قليل من كثير لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٧٦﴾﴾ (يوسف: ٧٦). ولأهمية العلم بجميع فروعِهِ وتخصصاته العلمية للبشرية فقد حث الإسلام البشر على طلبه وتعلمه، وأمر به في نصوصه الشرعية وجعله فريضة دينية يجب السعي في سبيله وإليها، وقد ورد في ذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"، والمراد بالمسلم الجنسان بما يشمل الذكر والأنثى على حد سواء، وقوله صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، وقد حض الله على العلم والتفقه في الدين بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ (التوبة: ١٢٢).

والفقه في الدين في الآية يراد به فقه نصوص الدين كلها وأحكامه الشرعية بما يجمع بين الدين والدنيا في كل العلوم والمدارك البشرية والإنسانية لتحقيق التوازن و التوازن بين الإنسان وبيئته البشرية التي يعيش فيها، ليعيش فيها مع أخيه الإنسان ومع كل مخلوقات الله البيئية المسخرة له في أمن وأمان وسلام في كل زمان وفي كل مكان؛ ولهذا كان الإسلام (عقيدة وشرعية) و(دينا ودنيا) معا لا غنى لأحدهما عن الآخر كالروح مع الجسد في الإنسان.

## المطلب السادس استخدام التكنولوجيا الجينية من أجل العلاج في الإسلام

بيننا فيما سبق أن الإنسان في نظر الإسلام هو خليفة الله في الأرض وهو سيد هذا الكون الذي يعيش فيه بأمر الله، وأن الله كرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً، وذلك بالعلم الذي منحه الله إياه، والذي يشمل كل العلوم والفنون التي تعين الإنسان على إدارة البيئة المعيشية له، بما يكفل له دوام الاستمرار والحياة الدنيا والخلافة الأرضية جيلاً بعد جيل، وبيننا أن العلم في نظر الإسلام لا حدود له ما دام أنه في صالح البشرية والحياة البيئية للإنسان في كل زمان وفي كل مكان، ويدخل في ذلك علوم الصحة لكل من الإنسان والبيئة التي يعيش فيها والمكان.

ولذلك فليس في الإسلام ما يمنع من استخدام التكنولوجيا الجينية من أجل العلاج المفيد للصحة أو الوعي للإنسان بالدرجة التي تحقق هذا الهدف على أفضل وجه وأحسنه، بشرط ألا يؤثر ذلك في الجينات

الوراثية والقدرات البشرية الطبيعية التي يتميز بها الإنسان وبها فضله الله على كثير من خلقه. وألاً يكون الإنسان في هذا العلاج محلاً للتجارب العلمية العملية التي تتعارض مع كرامته الإنسانية كما هو الحال بالنسبة للجماد والنبات والحيوان، وذلك لأن الله كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة في أرضه وسخر له كل ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما لمصلحته، وملّكه وحده جميع ما في الأرض بما في ذلك من بحار وأنهار وأرض ونبات وطيور وحيوان حيث قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾<sup>(١)</sup>، وبذلك لا يجوز في الإسلام أن يكون هذا الإنسان الذي كرمه الله وجعله خليفة في الأرض محلاً للتجارب البشرية مثله في ذلك كالجماد والنبات والحيوان، والتي هي جميعاً خلقت من أجله ولمصلحته ولو كانت هذه التجارب من أجل العلاج المعين للصحة أو الوعي لأن ذلك يتعارض مع كرامة الإنسان ومكانته الإنسانية في الحياة ومع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا والله أعلى وأعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) الجاثية: الآية - ١٣.

(٢) الإسراء: الآية - ٧٠.



## المناقشات



## الجلسة الثانية

رئيس الجلسة: الدكتور عز الدين إبراهيم

المقرر: الدكتورة عايدة عقيل

المتحدثون:

١ - سيريل تنت

٢ - الدكتور جمال بدوي

٣ - الدكتور نصر فريد واصل

الرئيس: أُنح كلمة مدتها خمس دقائق للدكتورة عايدة العقيل وبعدها استراحة لصلاة المغرب ثم نلتقي بعد ذلك للمناقشة- أشكركم بشدة.

د. عايدة العقيل: أتوجه بالشكر الجزيل للدكتور إبراهيم. أود انتهاز هذه الفرصة لطرح بعض التساؤلات للإمامين: الإمام الأكبر طنطاوي، والإمام الأكبر نصر الدين واصل؛ حيث إنني عالمة هندسة وراثية طبية وعالمة بالمجال الطبي، أود أن أسأل: إن كنا بالتقنية الحيوية الحديثة نتدخل بالفعل في خلق الله، مع العلم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء بما فيه الإنسان والحيوان والنبات بتنوع؟ إذن، هل بتدخلنا نتدخل بالفعل في خلق الله؟

وهناك سؤال هام آخر عن التدخل الوراثي، فهناك نوعان من التدخل الوراثي، هناك علاج بالخلايا الجسدية والذي يتدخل في



جينات الخلايا الجسدية، وهناك علاج آخر بالخلية الجنسية وفيه نتدخل في خط النسل، وأعتقد أن الجميع يتفقون على أنه لا ينبغي لنا التدخل بخط التناسل لأن هذا يعدّ تدخلاً في الحمض النووي الوراثي. على الجانب الآخر، يعدّ العلاج بالخلية الجسدية هاماً في علاج كل من السرطان وغيره من الأمراض، أود مناقشة هذا بتعمق أكبر مع الإمامين الجليلين ومع غيرهما من المتحدثين الأجلاء من رجال الأديان الأخرى أيضاً.

وسؤال هام آخر أطرحه حول: تخليق الأجنة بالاستنساخ لأغراض العلاج بالخلايا الجذعية، وهو علاج هام للكثير من الأمراض مثل: السكر وغيره من الأمراض. إذن من وجهة نظر دينية - في الأديان السماوية الثلاثة - هل يسمح لنا القيام بذلك؟ أظن أن من الهام إثارة مثل هذا التساؤل، وهناك أمر هام آخر وهو تصميم الجنين: وأعني بهذا تصميم جنين كي يكون مانحاً للخلايا الجذعية لطفل آخر مريض؛ فهل هذا حلال في الأديان الثلاثة؟

أطرح هذه الأسئلة الثلاثة الهامة لوجود الأئمة الكبار وجميع المتحدثين الأجلاء الذين شاركوا في هذه الجلسة. شكراً لكم.

الرئيس: هل لي بسماع أسئلة الجانب المسيحي إن كانوا مستعدين؟

د. منير فرج عبد المسيح: أشكرك سيدي الرئيس. أنا د. منير فرج ممثل الفاتيكان - مصري الجنسية. لست هنا لطرح سؤال بل للتعقيب على ما قاله رئيسنا حول الاستنساخ، فالأمر ذاته ينطبق على المسيحيين سوى أنه لم يسأل الأشخاص المؤهلين للإجابة. غداً أثناء تقديمي لورقتي سأقول بصفتي - كممثل للفاتيكان - إنه لدينا أكاديميين، لدينا الأكاديمية البابوية التي تتعامل مع كل ذلك الجدل حول الأخلاقيات

الحيوية والاستنساخ والاستنساخ العلاجي والموت الرحيم وما إلى ذلك، لدينا أكاديمية العلوم البابوية، والجدير بالذكر أن البروفيسور الدكتور أحمد زويل عضو بهذه الأكاديمية؛ لذا حين كان [كليتون] يبحث عن أشخاص بارزين لسؤالهم حول الاستنساخ، لم يتوجه بالسؤال للأشخاص الملائمين في الكنيسة الكاثوليكية. لذا فالأمر سيان.

أما النقطة الثانية التي أثارها الإمام الأكبر مفتي الجمهورية وزملاء آخرون حول ما حدث في الأيام الأخيرة في بعض الدول الأوروبية فلقد كان هذا بالفعل سلوكاً محزناً تجاه دين غاية في الاحترام، دين حب وسلام، دين الإسلام.

الرئيس: شكراً للدكتور. عبد المسيح. وإنه ليحزننا حقاً أن البعثة لم تتوجه بالأسئلة للأناس الصحيحين، ولكنني حين قلت: إنهم توجهوا بها إلى أهل العلم، فأعني بذلك أن لدي أسماء العلماء الذين توجهوا إليهم بالأسئلة، وعلى ما يبدو فإنهم إن لم يكونوا ثقات فإنهم على الأقل أهل علم. بيد أن لدي بياناً أصدره الفاتيكان وآخر أصدره مجلس الكنسي في جنيف غير أنه ليس لدي أي شيء من كنيسة إنجلترا. ولكنني على يقين أن اللجنة - إن لم تكن على علم بهذه البيانات - كان عليها أن تضعها كملاحق بالتقرير الذي تقدمت به إلى الرئيس كليتون. فعلى الأقل فإن هذا الرئيس الإنسان - كليتون - يستطيع أن يقوم بكل ما بوسعه وقد قام به بالفعل. غير أن التقرير الذي تسلمه لم يكن كاملاً، بيد أنه الأمر الصائب لفعله. هل هناك أية أسئلة لدى الجانب اليهودي؟

د. ديفيد بلويش: لا أود أن أطرح تساؤلاً بقدر ما أود أن أبدي تعليقاً... أود على وجه الخصوص أن أؤيد الاقتراح الذي طرحتموه سيادتكم في بداية الجلسة. فمنذ عام مضى - في المؤتمر الذي انعقد في لندن - أتذكر أنني أبدت تعليقاً وطالبت بضرورة القيام بما طالبتكم به اليوم.

للأسف، هناك من الناس من يتحدثون باسم اليهودية دون أن يكونوا على درجة كافية من المعرفة بالديانة اليهودية، ولسبب أو لآخر يلقون القبول كأصوات ذات سلطة (ثققات) ينبغي أن تتحدث من موقع السلطة.

أما عن المشكلة الثانية المشتركة بين كلا الديانتين فهي المقدار الكبير من اللغة العامية التي تظهر في لغة المتحدثين من العلماء. لذا، فالمساواة هنا أقل من كافية، حيث إنه من الممكن الحصول على بيان تفصيلي شامل فيما يتعلق بتعاليم الأديان فيما يخص أية نقطة على وجه التحديد، وربما يتطلب الأمر هذا أكثر فيما يتعلق بالإسلام أكثر منه فيما يتعلق باليهودية، فبمقدار ما يتعلق الأمر باليهودية، فقد تغيرت الأمور إلى حد ما أثناء العشرين عاماً الماضية. فهناك الآن مواد علمية أكثر متاحة باللغة الإنجليزية -على سبيل المثال- وبالفرنسية، غير أنه فيما يتعلق بالإسلام فليس متاحاً سوى القليل باللغة الإنجليزية مما يصعب الأمور على من يهتم بالمنظور الإسلامي ويبحث عن نص يتعامل مع هذه القضية؛ لذا أود أن أؤيد المقترحات الخاصة بالإعداد لمثل هذه المواد العلمية... أنا لا أطلب بالتأكيد بإجابات محددة الآن، غير أن هناك العديد من النقاط التي أثيرت أثناء الكلمات الملقاة اليوم تتناول تساؤلات لطالما بحثت لها عن أجوبة في الإسلام، وما استطعت أن أحصل عليها هي أجوبة مصوغة بشكل واضح ودقيق حول الإجهاض، وكذلك الخلافات التي تكون بين العلماء فيما يتعلق بالإجهاض أثناء المراحل الأولى من الحمل، وأرى هنا تشابهاً ملفتاً للنظر - لا بين تعاليم الإسلام واليهودية في هذا الشأن - ولكن بين وجود خلافات بين العلماء في هذا الشأن في كلتا الديانتين.

والنقطة الأخرى التي أود توضيحاً لها في هذه الجلسة - إن أمكن هذا أو في أي جلسة أخرى - هي أن الإسلام واليهودية بينهما الكثير من العوامل المشتركة، أحد هذه العوامل هو الاعتماد الكبير على تطور

الشريعة فيما يتعلق بالأخلاقيات الحيوية. وتنشأ المشكلة عندما يحاول الناس تقديم هذا إلى العوام من الناس بلغة مغايرة للغة العلماء فعندئذ يميل الشخص إلى عدم استخدام الاستشهاد الواضح لهذه السابقة حتى في المناقشات المعتمدة على التناظر، وفي اعتقادي فإن البعض على الأقل يظل غير متأكد فيما يخص أية إيضاحات أخرى في هذا المجال.

**الرئيس:** حضرة المحترم ديفيد بلويش، أوجه لك جزيل الشكر على ما قدمتموه من تعليق. وسأطلب من الأمانة العامة الحصول على البيانات الرسمية من وجهة نظر اليهودية والبيانات الرسمية من وجهة نظر المسيحية ليتم الاحتفاظ بها على الأقل مع الأمانة العامة كمرجع لنا، والآن فيما يتعلق بسؤالك عن الإجهاض، سأعيد توجيه السؤال وأطلب إجابة عملية سريعة في ٣ دقائق وإلا سأعيد توجيه السؤال لنفسه وأجيب عنه.

**د. جمال بدوى:** سأردد وحسب ما تعلمته من العلماء وإلا فلنصححوالي ما أقول.

رقم ١: كمبدأ وكما أوضح آنفاً، ليس حلالاً العبث بالأجنة لأن هذا ليس بالشيء الذي يعبث به.

رقم ٢: يمكن أن يكون الإجهاض حلالاً في أي نقطة زمنية حين يكون ضرورياً لإنقاذ حياة الأم. ومرة أخرى قد يكون هنا اختلاف طفيف بين العلماء؛ فوفقاً للشيخ القرضاوي -مثلاً- يكون لحياة الأم الأولوية على حياة الجنين، إلا أن السبب الأوجه من الناحية العملية هو أن حياة الأم الموجودة معروفة بالفعل أما حياة الجنين فما هي إلا احتمالات، ثانياً: يترتب على فقدان الأم عواقب أكبر إذ يتسبب في حزن وخسران أكبر بكثير في نطاق الأسرة بالنسبة لكثير من الناس، في حين أن الجنين لا يكون قد ولد بعد. لذا فإن فهمي للوضع للمرة

الثانية هو كالتالي (إن لحياة الأم الأولوية حتى ولو اضطررنا إلى التضحية بالجنين).

وفيما يتعلق بالإجهاض أعتقد أن د. واصل وآخرين أوضحوا أنه ليس محرماً، غير أن هناك درجة من الإثم تخالطه اعتماداً على المرحلة التي يتم فيها. والآن، يبدو أن آراء الأغلبية إلى جانب الإجهاض حتى يبلغ الجنين ١٢٠ يوماً كأفضل تفسير لأحد الأحاديث النبوية الشريفة في هذا الصدد، غير أنني أترك هذا الأمر للدكتور. محمد على البار الذي سيلقي كلمته غداً، وهناك أيضاً أحاديث صحيحة أخرى يبدو أنها تتحدث عن المدة ما بين ٤٠ إلى ٤٥ يوماً من عمر الجنين.

الرئيس: أتوجه بخالص الشكر إلى كلا العالمين الجليلين. وهناك الكثير من العلماء الأجلاء في هذا المؤتمر لذا أطلب من الدكتور (ديفيد بلوئيش) التحدث إلى (د. حسان حتحات) وهو اختصاصي أمراض النساء والولادة وشخص متحفظ حين يأتي الأمر إلى قواعد الشريعة، كما أوصيه بالتحدث إلى د. محمد على البار الذي يتسم بنفس الخصائص. فليس لدينا الوقت الكافي لمناقشة هذا الأمر مناقشة تفصيلية. الآن لدينا ست دقائق قبل أن أختتم هذه الجلسة، وهي فرصة لسماع سؤال أخير من الجانب العلماني.

الرئيس: حسناً! كان هناك سؤال علماني أثير في الجلسة الأخيرة هو، [هل للعلم حرية التدخل في حياة الإنسان وجسده بنفس مقدار حريته في التدخل في الطبيعة؟] في الواقع الإجابة: هي أننا يُسمح لنا بالتعامل مع الطبيعة لأن الطبيعة تحت إمرتنا - كما قال د. بدوي في كلمته - لكن الإنسان حر - إلى حد كبير- في السعي وراء ما يجلب له المنفعة، غير أن حريته تلك محدودة بحدود يفصلها لك علماء أقدر في الجلسات المقبلة.

وبذلك أختتم هذه الجلسة وأعتذر عن طولها، إلا أنني شعرت أن ما جئتم من أجله قد تم تناوله على أيدي العلماء المختصين من الجانب المسلم؛ لذا لم أود أن أقاطع حديث فضيلة المفتي لأنه كان يعالج تلك التساؤلات بشكل مباشر، وهذا هو السبب في قلبي في بداية هذه الجلسة: إنه لدي تساؤلات هنا - في الواقع ألغيت ثلاثة تساؤلات. ولقد أجب عن هذه التساؤلات د. بدوي أو الشيخ واصل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## الجلسة العلمية الثالثة (الخلق والتحكم في الطبيعة والأخلاقيات رؤية إسلامية علمانية)

الرئيس: الدكتور محمد هيثم الخياط

المقرر: الدكتور ماهر عبدالقادر

المتحدثون:

١ - الدكتور عمار الطالبي

٢ - الدكتور مظفر إقبال





# الإنسان، الفطرة الطبيعية والتقنية

الدكتور عمار الطالبي



## الإنسان، الفطرة الطبيعية والتقنية

الأستاذ الدكتور/ عمار الطالبی

جامعة الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن التقدم الهائل المتسارع في مجال البيولوجيا الطبيعية، والعلم التقني، والنتائج التي توصل إليها الباحثون أخذت تأثيرها في الإنسان يزداد يوماً فيوماً. وهذا التقدم وإن عمل من أجل حلّ بعض مشاكل الإنسان وآلامه، إلا أنه وضع أمام الفلاسفة الأخلاقيين والمفكرين من أهل الديانات مشكلات عويصة ومخاطر، وشعر المفكرون بوجود خطر انفكاك بين الوسائل والغايات التي يقصد بها تغيير ظروف الإنسان، الأمر الذي أدى إلى خيبة ظن الناس فيما يتوقعونه من العلم والتقنية، بسبب المخاطر التي أصبحت تمس قيمة الإنسان وتهدد ذاتيته، فأصبح من الضروري مراجعة أمر هذا العلم التقني، وتفادي ما ينشأ عنه من تهديد لوجود الإنسان، لأن التقنيات ليست غاية في ذاتها، وإنما هي وسيلة لترقية الإنسان وتحسين ظروفه وشؤونه في الحياة؛ ولهذا السبب نشأت حركات " أخلاق الحياة " لمراجعة الوسائل والغايات وإحياء القيم الدينية والخلقية، وضبط ذلك كله بقوانين ملزمة باحترامها في الواقع، وهذا أمر ضروري لاستمرار الحضارة وبقاء الإنسان الذي لا بقاء له بحق إلا إذا استند إلى قيم خلقية ذات بعد ديني عميق تكون

رقبياً داخلياً يلتزمه الإنسان عن اقتناع وحرية، ويحسن أن يشترك في هذه المراجعة المجتمع، وأصحاب السلطة والقرار، وهذا يتطلب أن يحصل المواطنون على معلومات كافية ليعرفوا ما يتوقع من العلم التقني في هذا المجال، وليضع هؤلاء جميعاً المبررات الأخلاقية التي يمكن أن يقوم عليها استعمال التقنية، والتعامل مع البيئة، لأن تطور التقنية جعل الفلسفة الأخلاقية الكلاسيكية غير كافية لحل المشكلات الجديدة التي نتجت عن هذا التطور. وربما أمكن القول بأن هذه المشكلات أخذ الشعور بها صورة حادة في المجتمعات المتطورة التي يتصل الفرد فيها بهذه التقنيات، وأصبحت له ثقافة عامة عن مثل هذه المشكلات، وأصبح المجتمع في حيرة في سبيل اختياره للقيم الإنسانية، وكاد يفقد يقينه، وكأنه يسير في ظلام من الشك، ولهذا لا بد من التفكير في الوصول إلى سند قوي ديني أخلاقي ينقذ الإنسان في هذا العصر الذي ساد فيه عدم اليقين، وهوى الإنسان ورغباته الذاتية التي لا حدود لها، ولهذا وجب أن نصل من جديد إلى معنى للإنسان، إذ لا نستطيع أن نحافظ عليه ولا أن نصونه إن لم نعرفه<sup>(١)</sup>.

ولأن هذه الأبحاث البيولوجية الطبية تتجه إلى صنع الإنسان على صورة الأشياء التقنية، وإلى أن يعامل معاملة "الشيء" "ذاته" و يتحول إلى "بضاعة". نحن نتمنى أن تدوم هذه الأبحاث و أن تزداد دقة ومهارة، ولكن لا بد أن تكون حذرة وأن تتفادى المخاطر.

ولهذا فإن مسؤولية الأخلاقيين وأهل القانون ينبغي أن تتجه إلى وضع أخلاق للحياة وقوانين، غايتها صون الإنسان كي يبقى "ذاتاً" ولا يتحول إلى "موضوع" انسياقاً وراء الأحلام الخيالية للعلم التقني، ولا

Roberto Andorno; La bioéthique et la dignité de la personne, PUF, 1997; (١) P.120.

ينبغي أن يترك حل مشاكل الإنسان في جملتها إلى البيولوجيين والتقنيين من الأطباء وغيرهم الذين لا يزعمون هم أنفسهم أنهم على علم بكل شيء في الإنسان، خاصة ما هو جوهري وأصيل فيه، ومعناه الأسمى وسرّه في هذا الوجود وما يتعلق بذلك من المسائل الحاسمة المصيرية؛ إذ لا تعالج هذه العلوم إلا مظاهر الإنسان، ولا تتجاوز ما أعدت له، ووظيفة العلم التقني هنا ليست وحدها التي تحقق لنا سعادة الإنسان، ومهمة أخلاق الحياة أن توجه التقنيات حتى لا تقع في الخرافات مدمرة لذاتية الإنسان، فتعمل لتقطيعه في جسمه بوسائل تقنية تسلط على جسم الإنسان كأنه مادة لا معنى لها، فإن سرّ هذا الجسم إنما هو في المبدأ المنظم له، المدبر لأعضائه - على نحو ما يرى ابن سينا - وهذا المبدأ هو روحه، وسرّ وجوده.

ولهذا لا ينبغي أن نستند إلى الآراء المسبقة التي تعادي الدين، وتضاد الميتافيزيقا عن مجرد الهوى، فليس العلم المادي وحده هو الذي يحتكر المعرفة، ولا يزعم هذا خارج مجاله المادي. فإلى أي مدى يستطيع هذا الإنسان التقني أن يحكم ويتصرف في الإنسان نفسه، وفي قيامه بكل ما يستطيع أن يقوم به بتقنياته المختلفة في التصرف في الجسم البشري، وموروثاته، وخصائصه؟ ألا يؤدي ذلك إلى فقدان الإنسان الذي نعرفه وننتهي إلى صنع إنسان غريب عنا ومختلف عن قوام الإنسان الذي ألفناه وعرفناه؟

ألا يؤدي انفجار الخلايا وموروثاتها إلى مثل ما أدى إليه انفجار الذرة؟ الأمر الذي يؤدي إلى تدمير الإنسان وهلاك بيئته؟

وإذا كان البيولوجيون يتجهون إلى تغيير جسم الإنسان وعقله فربما أدى ذلك إلى تغيير الطبيعة البشرية ذاتها، بدعوى العلاج وتحسين النسل، وهذا ما يثير القلق، وربما يكون خطر ذلك أكثر مما نتوقع فنشقق على أنفسنا منه، إذ أن بعض البيولوجيين والتقنيين ربما يعثون

بالجنس البشري ومورثاته وخلاياه، فيهلكون الحرث والنسل، فلم تبق التقنيات تمارس على العالم الخارجي (على الأشياء) وإنما أصبحت اليوم تمارس على الإنسان ذاته الذي يستعمل هذه الأدوات بعد أن اخترعها لتتصرف هي فيه بدل أن يتصرف هو فيها.

يشك بعض المفكرين في تصرفات علماء البيولوجيا، بل في الأخلاقيين أنفسهم الذين يسوغون تصرفات المجتمع العلمي، ولا يتورع بعضهم عن الانسياق لإغراء الأموال والمكافآت فيخضع هؤلاء لأرباب المخابر والشركات التي تسعى إلى الربح بأي وسيلة.

النوع البشري ينتمي إلى العالم الحي كما يستند في وجوده إلى العالم غير العضوي، فحماية الكائنات الحية وغيرها إنما هي حماية الإنسان نفسه، وصونه من الكوارث التي يمكن أن تصيبه، ولذلك كانت الأرض ذات أهمية واضحة للمخلوقات الحية إذ هي منها وإليها ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه/ ٥٥) فنظام الأرض البيئي هو مصدر يمد الحياة بعناصر البقاء واستمرار الوجود، ولذلك ورد في القرآن الكريم ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف/ ٨٥). فنباتها وحيواناتها وتربتها وماؤها وهواؤها مدد لحياة الإنسان، وشرط لبقائه. فكما يجب الحفاظ على خلايا الإنسان يجب كذلك حماية الأرض وعناصرها وما يحيط بها، فهي بمثابة أمهات الأجنة البشرية، فالأرض - عند بعض المفكرين - تساوي الحياة؛ لذا يرى بعض الفلاسفة حتمية تأسيس أخلاق خاصة بالأرض، ولا يقتصر النظر إليها على أنها مصدر النفع والجمال فحسب بل يمنع هدر جمالها ومنافعها، والعدوان المطلق على حيواناتها فهي أمم أمثالنا كما صرح بذلك القرآن: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴿٣٨﴾ (الأنعام/٣٨)، والأرض في نظر الحضارة الغربية عموما هي مخزن ميت لموارد طبيعية<sup>(١)</sup>، وموضوع للاستغلال المطلق. فإذا هدم الإنسان الطبيعة وأفسد الأرض فإنما هو بصدد تدمير نفسه، فالإنسان يجدر به أن يتأمل الطبيعة وأن يصادقها ويسعى لمعرفة سعيها حميما، ولا يقتصر على الانتفاع بها ماديا، وإنما يسعى لينتفع بها روحيا بالتعاطف معها، وبذلك فإن صلواته لله خالقه تلتقي مع صلاة الطبيعة العذراء لله أيضا: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء/٤٤). فكما يقول Schuon F<sup>(٢)</sup>: الصلاة نقطة التقاء بين الأرض والسماء، في قمم الجبال التي تعلو إلى السماء وفي تفتح الزهرة وروعتها وفي تغريد الطير.

ويرى المتصوفة المسلمون أن بين العالم الأصغر والأكبر ضربا من التناغم والتناسق باعتبار أن العالم إنسان كبير، والإنسان عالم صغير، وهو الحلقة الوسطى في سلسلة الوجود الكبرى، من أدنى الكائنات إلى أعلاها، والإنسان عندهم أيضا بمثابة العين في العالم<sup>(٣)</sup>.

### قال جلال الدين الرومي:

"لقد مت ك معدن، وتحولت إلى نبات، ومات في النبات ونشأ مكانه الحيوان، ثم مات الحيوان فإذا أنا إنسان"<sup>(٤)</sup>. والإنسان من بين هذه المخلوقات هو المؤهل للمعرفة والقداسة، وب عقله ينال السلطة على

(١) Stan Rowe, The trumpeter, vol. 19. N° 2 (2003).

(٢) Spiritual perspectives and human Fact, London 1953, P.213.

(٣) M. Smith, Readings From the Mystics of Islam, London,1950, P.112

(٤) سيد حسين نصر، دراسات إسلامية، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٥، ص ١٢٩.



سائر الكائنات، وكما يرى (عبد الكريم الجبلي)، فإن الإنسان هو الحلقة الواصلة بين الله والطبيعة، فكل إنسان صورة عن الله من حيث كماله، ويتصور هؤلاء المتصوفة أن بين العالم والإنسان نوعاً من الموازنة قائم أمام المتأملين، وأن الطبيعة كتاب ضخم للحكمة الإلهية، وصورة صادقة لهذه الحكمة الربانية، وهذا الكتاب في الإسلام هو القرآن وكتاب الطبيعة أيضاً، وفي النصرانية هو السيد المسيح عليه السلام. فالعالم إذن مليء بالمعاني، كل العالم له دلالة، وأن هذا المعنى آت من موجود أسمى، وهو الله، وهذا ما ذهب إليه - في خاتمة حوار - جماعة من العلماء الغربيين في مختلف الاختصاصات في الجامعة الأمريكية Princeton في Nem Jersey في الستينيات حيث تأملوا في معنى أبحاثهم، وانتهوا إلى أن الله موجود وأنه حاضر في كل شيء<sup>(١)</sup>.

لكن الإنسان المتدين بدأ يفقد الإحساس بالمعنى الروحي للطبيعة، وكما يرى [سيد حسين نصر] فإن الإنسان المسيحي نفسه أصبح في نظره للنجاة يرى أن المسألة تعود إلى العلاقة بين الإنسان والله والتاريخ، وكاد يفقد صلته بالنظام الكوني Cosmique فكانه يميل إلى عدم الشعور بأن العالم من خلق الله<sup>(٢)</sup>، وكف الناس في كثير من الأوساط عن البحث عن رؤية جديدة للكون ومعناه. ولذلك يرى بعض المفكرين أنه لا يمكن أن يقع سلام في المجتمع البشري، ما دام الاتجاه نحو الطبيعة كلها قائماً على العدوان.

وهذا يدعونا إلى التفكير في معنى النضال من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان في ظل هذه الظروف التي تهدد وجوده نفسه، والتفكير

(١) René Frydman, Dieu, la Médecine et l'embryon, paris 2003, PP.59 - 60.

(٢) M Eliade, The Sacred and the profane, the nature of religion, إلى استند في ذلك إلى New york.1959, P.179.

في العمل الحقيقي على المستوى الاجتماعي والإنساني إزاء هذا كله، فقد صنع الإنسان لنفسه بيئة اصطناعية وأصبحت الطبيعة مستبعدة بدرجة كبيرة كما أن الطبيعة فقدت معناها، وانعكس هذا على الإنسان فأخذ يشعر بالفراغ في نفسه، وربما عبر عن ذلك في مظاهر عنيفة.

فالإنسان أخذ يهيمن على الطبيعة بواسطة الآلات، وانعكس ذلك العدوان على الطبيعة على الإنسان بأمراض شتى نفسية وجسمانية، لأن الفكرة التي يقوم عليها العدوان على الطبيعة في الثقافة الغربية هي الهيمنة على الطبيعة بدون حدود، وفي الوقت نفسه صحبتها حرية الطبيعة الحيوانية في الإنسان لإشباع رغباته كما ساد مفهوم للطبيعة مادي محض، واعتبر التقدم الاقتصادي غاية في ذاته، وانتقلت قيمة الإنسان إلى الأشياء التي يصنعها، ونظر العلماء والباحثون إلى الطبيعة مقطوعة الصلة بالله خالقها، وكأن هذه الرؤية هي الرؤية الشرعية الوحيدة للعلم؛ فنشأ عن ذلك عدم توازن حقيقي بين الإنسان والطبيعة، وأصبح التحدي والصراع هو السائد، ونسي الناس أن فقدان الانسجام بين الإنسان والطبيعة يرجع إلى فقدان الانسجام بين الإنسان وخالقه والبعد عن الله<sup>(١)</sup>، إن الكون يتحدث إلى الإنسان، وكل مظاهره لها معنى كامن فيها لمن يفهمه، إنها لرموز وتجليات لموجود أعلى، فكما أن الوحي رسالة روحية إلى الإنسان، كذلك بناء الكون يحوي رسالة موجهة إلى الإنسان لأن الكون ما هو إلا فعل وإبداع إلهي.

وكما يذهب [سيد حسين نصر] فإن العلم الحديث قطع صلته بالبحث عن جذور الوجود وعن أصله نفسه، حتى أصحاب العلم [الكوسمولوجي] اهتموا بالجوانب المادية للوجود، ونظروا إليه نظرة

أرضية لا تخرج عن الجوانب الفيزيائية والكيميائية)، وساد الاتجاه إلى أن الأعلى ينتج عن الأسفل، والأعظم يأتي من الأصغر<sup>(١)</sup>، وكأن الطبيعة لا تستطيع أن تعلم الإنسان أي شيء عن الله، وذلك أن العلم أنكر أي معنى روحي للطبيعة يهدي إلى الله، واختصرت الطبيعة في "اللا معنى".

لكن توجد فلسفات وديانات تدرك أهمية الطبيعة في الحياة الدينية، ففي [الكوسمولوجية] في القرون الوسطى أخذ الإنسان مكانة المركز في العالم واعتبر على مثال الرحمن وعلى صورته "The image of good"، ولكن منذ [ديكارت] اختصر العالم الخارجي في الامتداد المحض واعتبرت الحيوانات مجرد آلات، وتحولت الفلسفة إلى رياضيات وأصبح الكم أساس العلم، إن الفلسفة بدون بعد علوي فلسفة سطحية وارتداد إلى مجرد المنفعة، يصبح الإنسان فيها كائناً أرضياً بلا غاية سوى السيطرة على الطبيعة واستغلالها.

إن [الميتافيزيقا] باعتبارها علم الحقيقة وعلم أصل الأشياء ومصيرها، وباعتبارها العلم المطلق وعلى ضوئه يسير العلم النسبي، هو العلم الذي يستطيع أن يميز بين المظهر والحقيقة. وبذلك يميز الإنسان بين مستويات الوجود والحقيقة وأن يرى كل شيء في مكانه.

إن التقاليد الصينية وخاصة Taoism ادركت حضور البعد العلوي "All - Things under heaven are products of being, but being it"<sup>(٢)</sup> self is the products of not - being

إن مبدأ الانسجام هو السائد في كل شيء. وهو حاضر في كل

(١) Seyyed Hassein Nasr, Man and Nature, The spiritual crisis of modern man. Mandala edition, London, 1976, PP. 32 - 33.

(٢) L. Giles, The sayngs of Lao Tzu, London 1950. P.11.

شيء صغيرا كان أو كبيرا. فأنت كي تحيا في سلام وانسجام مع الطبيعة أو الأرض يجب أن تحيا في انسجام مع السماء؛ ولكي تصل إلى هذه الغاية يجب أن تحيا تبعا ل: Tao، فغاية الحكيم أن يكون في انسجام مع الطبيعة.

وفي اليابان نجد أيضا الطاوية Taoism والبوذية Budism ونزعتهما في الاتفاق مع الطبيعة والكون معها في سلام، وغاية الإنسان الروحاني في التقاليد الشرقية أن يتأمل الطبيعة ليصبح واحدا منها؛ وإذا كان في انسجام مع الطبيعة فإنه من خلالها يكون في انسجام مع الناس وكل ذلك انعكاس للانسجام مع السماء<sup>(١)</sup>.

والإسلام يرى أن الطبيعة ميدان معرفي يُرى بنور العقل والقلب أيضا، والطبيعة في نظر الفقهاء في تصور [سيد حسين نصر] هي أرضية للأفعال الإنسانية، وهي مجال للتحليل والفهم في نظر الفلاسفة والعلماء، وهي مرآة للتأمل، مرآة تعكس الحقائق العليا غير المحسوسة في نظر أهل العرفان، والميتافيزيقا، وفي المجال المعرفي يوجد ارتباط وثيق بين البعد الميتافيزيقي ودراسة الطبيعة: ﴿سَرُّهُمْ أَيْتَاتَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت/ ٥٣) وهذا نجده كذلك في الطاوية الصينية.

ونموذج ذلك في رأي [سيد حسين نصر] هو (ابن سينا) و(بهاء الدين الأبلبي) اللذان جمعا بين العلم و المدرسة الإشرافية الصوفية، ففي الإسلام إذن ارتباط وثيق بين الإنسان والطبيعة، وبين الدين والعلم، وهذا واضح أشد الوضوح في القرآن نفسه الذي هو كلمات الله المدونة إلى جانب كلماته المخلوقة في العالم الخارجي وهي

The Sayngs of Chuan Chun, New York, 1963, P.88.

(١)

The Sacred Books of China, The texts of Taoism, New York. 1962, PP.315 - 16

الطبيعة فهي كتاب ناطق، ولذلك استعمل القرآن مفردة " الآية " لتدل على الآية التي هي مقطع من القرآن، واستعمل اللفظ نفسه للدلالة على ما يحدث في النفوس كما استعمل ليدل على الظواهر الطبيعية<sup>(١)</sup>، ويرفض الإسلام الانفصال بين الإنسان والطبيعة فجاءت رؤيته متكاملة للعالم، ويدعو الإنسان باستمرار للتأمل في الطبيعة لا باعتبارها مستغلة، وإنما باعتبارها مرآة تعكس حقيقة عليا، ومظهرها واسعا للرموز التي تتحدث إلى الإنسان، وأنها لها معنى ينبغي أن يكتشفه، وظهور الإنسان في هذا العالم في هذه الرؤية الإسلامية إنما هو ليحصل على معرفة شاملة للأشياء بحيث يصبح الإنسان العالمي، الإنسان الكامل تتجلى فيه كل أسماء الله الحسنی وصفاته العلی<sup>(٢)</sup>، بل يرى [أبو بكر سراج الدين] أن العالم الخارجي هو انعكاس للنفس الإنسانية، ولذلك إذا فسد الإنسان أدى فساد بالضرورة إلى فساد آخر في العالم؛ ومعنى ذلك أن للإنسان في العالم موقعا خاصا يؤهله لمعرفة، فهو أمين الكون وسيدته في الوقت نفسه بتعليم الله له وتسخير الأشياء له ليصبح خليفته Vicegerent في الأرض لتنفيذ إرادة الله، ومعنى ذلك أنه قيم أمين على العالم Costodian of nature .

إن الإنسان بفضل الله ثم بفضل عمله في الطبيعة ومشاركته في العالم الروحاني يلقي نورا خلال الطبيعة، فإذا توقف الإنسان عن تأملاته تصبح الطبيعة محرومة من هذا النور الذي يضيء أرجاءها، وهذا ما يفسر لنا أن الإنسان إذا اتجه في طبيعته الداخلية إلى الظلمة والعماء Chaos انقلبت الطبيعة أيضا من حالة الانسجام والجمال إلى عدم التوازن وإلى الفوضى .

Man and nature, P.95.

(١)

(٢) الإنسان الكامل للجيلي، انظر:

Al. Jili, De l'homme universel (Transl. T.Burkhardt), Lyon, 1953.

إن الدارس لسطح الطبيعة الذي يحيا على سطح الوجود يدرس الطبيعة باعتبارها شيئا ماديا فحسب رغبة في السيطرة عليه والتصرف فيه، ولكن الذي يتجه نحو البعد الباطني لوجوده هو الذي يستطيع وحده أن يرى الطبيعة باعتبارها رمزا وحقيقة شفافة يتوق إليها ويأنس بمعرفتها وفهمها فهما حقيقيا، وبهذا القرب بين الإنسان والطبيعة في الإسلام لم يعتبر العلوم الطبيعية طبيعة طابعة فقط ولا يدرسها أصحابها دون أن يتذكروا بأنها طبيعة مطبوعة، وبهذا تطورت الفلسفة في حضارة الإسلام بمختلف فروعها [فابن سينا] مثلا كان طبيبا و فيلسوفا مشرقيا متصوفا، وكذا كثير غيره ممن جمعوا بين عدّة علوم دون تنافر بينها ولا شعور بأنها منفصلة بعضها عن بعض، فتعلمن العلم وتعلّمن الفلسفة في هذه الحضارة ولم يصبح هذا العلم دنيويا خالصا، ولا هذه الفلسفة دنيوية محضة، ولا تخلت عن الغاية القصوى لوجود الإنسان<sup>(١)</sup>.

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم الأرض بأنها: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" فهي لها قداسة لا يجوز إفسادها.

ونجد الهنود<sup>(٢)</sup> الأمريكيين يرون في الطبيعة البكر وفي الغابات والأشجار وفي السماء وفي الطيور رموزا مباشرة للعالم الروحاني، ولذلك فالطبيعة عندهم ذات طابع مقدس، كما يرى الإسلام مظاهر الطبيعة آيات تشير إلى وجود الله، فالرجل الهندي يسير على الأرض الهوينا ويرفق بها كأنه يشفق عليها شفقة الأم على أطفالها.

وفي العهد القديم يذكر أن الطبيعة لها مشاركة في رؤية الدين للحياة، ففي رؤية هوشع Hosea أن الله أدخله في عهد مع الحيوانات

(١) سيد نصر. Man and Nature, P.97.

(٢) وهم هنود الزوني الأحمر في جنوب غرب أمريكا الذين يتجهون إلى التوحد مع الطبيعة وإقامة السلام الدائم بين البشر وبين البشر والآلهة، ولا يتصورون الحياة صراعا.

والنباتات<sup>(١)</sup> لأجل أن يسود السلام، وأمر نوح أن يحافظ على الحيوانات سواء ما كان منها طاهراً أو غير طاهر نافعاً أو غير نافع<sup>(٢)</sup>. واعتبرت الطبيعة البكر في اليهودية مكاناً للخطيئة والعقاب، كما أنها موضوع يلجأ إليه الناس ويتأملونه، أو أنها انعكاس للجنة، وأحييت هذه النظرة وهذا التقليد التأملی بعد ذلك في اليهودية في المدرستين: [القيالية والحسدیم]<sup>(٣)</sup>، كما أن بولس الرسول يعتقد أن كل الخلق يشارك في الفداء على نحو ما يراه المسيحيون، ويرى Johannes Scotus Eregina أن العالم كله خلقه الله من خلال المسيح<sup>(٤)</sup>، وإليه يعود.

فالإنسان موقعه بين الروحاني والمادي ومشارك في طبيعة كل منهما لأنه خلق على صورة الله، فهو - أي الإنسان - حيوان انعكس فيه العالم الروحاني<sup>(٥)</sup>، وفي الحديث النبوي: "خلق الله آدم على صورته"، ومن الناحية الميتافيزيقية لا يمكن فصل المعلول عن علته، فالطبيعة في جملتها لا يمكن فصلها عن خالقها، فالخلق مستمر في سلسلة من المخلوقات متتالية متعاقبة، وهذا لا يتعلق بمجال المعرفة النظرية فحسب وإنما يتعلق بالجانب العلمي وهو تطبيقات العلم في التقنية؛ لذلك تجد - كما قال [سيد حسين نصر] - قلقاً عند من يهتمون بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة عندما يرون ما يرون من مشاهد تدمير الطبيعة وتلويثها، وكان من المتوقع من العلم والتقنية أن يمسحاً آلام الإنسان وبؤسه ويزرعاً السلم، ولكن حدثت بسببيهما مشكلات

(١) سفر هوشع ٢٠/٢: واقطع لهم عهداً في ذلك اليوم مع وحوش البرية وطيور السماء والحيوانات التي تدب على الأرض.

(٢) G. Williams, Wilderness and paradise in Christian thought, Introduction, p.

(٣) Kabbalistic and Hassidim Schools.

(٤) H. Bett, Johannes Scotus Eregina, a Study in médiavel philosophy, Cambridge, 1925, P.32

(٥) Man and Nature, P.101.

متعددة لإرضاء رغبات الإنسان الحيوانية وخلق حاجات جديدة ورغبات لا تنتهي، ففي القديم كان السعي موجها لإنقاذ الإنسان من الطبيعة، أما اليوم فالطبيعة هي التي يجب إنقاذها من الإنسان لأنه أصبح حربا عليها، ولتجنب ذلك وللحفاظ على سلامة الإنسان يجب أن يكون الإنسان في سلام مع الطبيعة، ولا يكون كذلك إلا إذا اكتشف فيها معنى روحيا يؤدي به إلى حبها و صداقتها، كما أنه لا سلام بين الناس إلا إذا ساد سلام وانسجام مع الطبيعة، وأصبح الناس في سلام مع مصدر كل شيء وخالقه فيسود بذلك السلام بين الله ومخلوقاته<sup>(١)</sup>، كذلك فليس الإنسان غريبا عن الطبيعة ولا أنه ليس جزءا منها كما ذهب إلى ذلك القديس [أوغسطين].

فنحن نرى اليوم بعض المعاهد العلمية مثل: Jons institute for reproductive médecine تنتج أجنة بشرية لغرض البحث فقط، ويعتمدون في ذلك على شراء البويضات من النساء والمني من الرجال، ومنها يصنعون أجنة في الأنابيب "In Vitro"، إن بعض العلماء يتعدون عن الرشد ويفقدون صوابهم حينما يرون أن الطفل عندما يولد لا يعترف له بإنسانيته قبل أن تجرى عليه بعض الاختبارات تتعلق بجيناته بحيث إذا لم تنجح هذه الاختبارات فإنه يفقد حظه في الحياة، وقد ذهب إلى هذا الرأي عالم لامع وهو Francis Crick الذي حصل على جائزة نوبل، وبدأ في الولايات المتحدة تعقيم المرضى والمجرمين سنة ١٩٠٧ حتى لا يمكن لهم الإنجاب<sup>(٢)</sup>، كما أن قتل الأطفال يمارس اليوم في بعض البلدان كالصين<sup>(٣)</sup>، كما أن الفحص قبل الولادة أدى إلى إسقاط أجنة سليمة وإلى إبقاء أخرى مريضة، وإذا كان الغرض

Man and Nature, P.136.

(١)

(٢) وأخذت بهذا قانونيا كندا وسويسرا ودمارك ونرويج وألمانيا وفلندا والسويد.

René Frydman, Dieu, la médecine et l'embryon, P.133.

(٣)



من هذا الاختبار تجنب الأمراض، فمن يحدد هذا المرض، وما هو المورث الذي يمنع أو يترك بدعوى تجنب ولادة معوقين؟ ومع الأسف فإن التشريع البريطاني أجاز إجهاض الجنين المعوق فكيف نميز قانونيا بين المعوق وغيره؟! كأن المعوق ليس بشرا، وإذا كان الجنين مثلا غير مرغوب فيه فهل تزول كرامته واحترامه بسبب ما سيصير إليه؟! إن من حق الإنسان أن يوجد وألا يُعدم.

أما العدميون فيرون أنه لا شيء يدعونا أن نختار وجود الإنسان على غيابه وبقاءه في العدم<sup>(١)</sup> وهذا ما يدعونا إلى تأكيد واجب جديد على الإنسانية وهو حق وجوده، وإذا وجد وجب الحفاظ على وجوده، فالإنسان في جوهره لا يجوز أن يكون موضع تلاعب، ولا يجوز هدم إمكانية حياة استقبالية، فليس للإنسان حق في الانتحار ولا أن ينحر غيره، فالذي ينبغي إنقاذه هو وجود الإنسان نفسه باعتباره كائنا أخلاقيا، فمجرد حضور الإنسانية فيه يضعنا أمام مسؤولية الحفاظ عليها، وأن الشر المتوقع والخوف منه هو الذي يساعدنا على أن نتجنبه، وكما قال Hans Jones فإنه بفضل الخوف من الخطر الذي يهددنا نتعلم قيمة من هو مهدد بهذا الخطر.

إن مجموعة الجينات التي تميز الفرد ممن عداه ينبغي أن نترك لها الأبواب مفتوحة لإمكانيات لا تجعل الأفراد متطابقين؛ ليكون كل فرد وحيدا لا يشبه الآخرين إذ تتحدد ذاتية الفرد عند لحظة الإخصاب، ومنذ ذلك الوقت ينبغي أن يكون وجوده محترما وصاحب حق في الحماية ولا يباح في هذه الحال من الضعف التلاعب بهذا المخلوق، وهذا النفوذ إلى الجينات والتصرف فيها يحدد ما يختص به الفرد ويصبح كائنا شفافا بيولوجيا، ويصبح مستقبله البيولوجي وتفاصيل بنيته معروفة بتحليل ADN، فتكون له صحيفة مقروءة في مستقبلها كما قال

Roberto Andorno, La bioéthique et la dignité de la personne, P.59.

(١)

أحد الأمريكيين: G. Annas<sup>(١)</sup> إذ يمكن قراءة وصف جزء مهم من مستقبله الخاص به، وبياح سرّه الطبي وذلك له علاقة بالوظائف وشركات التأمين؛ فيكون لذلك كله تأثير على صورة الشخص نفسه لذاته كأن يعرف أنه سيصاب بمرض قاتل فيحصل له مركب النقص، وربما أصيب بالحصر، وهل في إخبار الشخص أنه سيمرض بمرض لا علاج له تكون له صحة نفسية بعد ذلك؟! وفي حالة التأمين يستبعد مبدأ التضامن الجماعي ضد الأخطار، ولا يبقى للشركات إلا الذين لا يصابون في أغلب الأحوال بشيء.

ولكن التصرف في المورثات علاجيا، إذا كان يهدف إلى الوقاية أو العلاج لبعض الأمراض عن طريق التعديل في ADN الذي تشمل عليه الخلايا فذلك جائز لأن ذلك لا يقتصر على التعديل في الأعراض وإنما يمس أسباب المرض نفسها، أما إذا كان هذا العلاج من النوع الذي يعدل في الخلايا الجرثومية Les Cellules germinales reproductives فإن ذلك يمنع لأن التعديلات تنتقل إلى النسل، ويمكن أن تحدث منه أخطار تغيير الميراث الجيني الذي لا رجعة فيه، ولذلك يجب أن يمنع العلاج الجيني في الخلايا المنتجة لأنه يمكن أن يهدد الأجيال المقبلة بسبب هذا التعديل، وكذلك التعديل الذي يمكن أن يجري على الأجنة.

ولذلك قررت [اللجنة العالمية لأخلاق الحياة] التابعة لليونسكو: "أن المجين Le Génome مقوم أساسي للتراث الإنساني المشترك" (الإعلان العالمي المادة: ١).

إن الأوساط السياسية والطبية ذاتها أخذت تحذّر من عواقب

(١) The génétic privacy ACT and commentaire, J.Boston university, 28Févr- 1er, 1995, Internet.

تقنيات أطفال الأنابيب والإخصاب الصناعي والاستنساخ إذا أسيء استعمال هذه التقنيات، وإذا طبقت دون وازع أخلاقي فإنها يمكن أن تكون خطرا على مستقبل الإنسان.

أما آراء أهل الديانات الإبراهيمية التوحيدية فقد تشابهت تقريبا في وجوب مراعاة كرامة الإنسان وبنائه البيولوجي، وإذا كان البحث يقصد به العلاج واستئصال الأمراض الوراثية وغيرها فإن ذلك لا ينكر، وإنما الذي ينكره هؤلاء ولا يقبلونه هو العبث بمكونات الخلايا البشرية؛ لأن تعديل بعض الصفات الوراثية يؤدي إلى مشاكل أخلاقية واجتماعية، وربما أدى عامل الشهرة والربح والسبق العلمي إلى تجاوز الوازع الأخلاقي في البلدان التي لا تعلق لها بالقيم الدينية، لأن هذه القيم إذا كانت راسخة في النفس فإنها تكون بمثابة مراقب داخلي يشعر فيه الإنسان بمراقبة الله له.

وهناك تجاوزات غير مقبولة مثل: خلط المادة الوراثية من حيوانين منويين مع نواة بويضة واحدة لإنتاج حيوان له أم واحدة وأبوان، ومنها: إحداث تزاوج بين خليتين لخلط مادتهما الوراثية لإنتاج خلية ذات تركيب وراثي مغاير، ومنها: التهجين بين الحيوانات المختلفة بتجارب معينة، ومنها: عملية الاستنساخ بنزع بويضة أنثى حيوان ثم زرع نواة خلية أخرى في البويضة مكان النواة المنزوعة، وهي تجارب بدأت على الضفادع إلى أن أجريت على النعاج، وإنتاج دوللي<sup>(١)</sup> النجم اللامع في عالم البيولوجيا.

ومن أخطاء ذلك تغيير وتعديل المورثات لأغراض صنع أنماط من البشر، ومن أخطار ذلك أيضا احتكار المعرفة الوراثية لدى المؤسسات العالمية الكبرى والمختبرات التي تشرف عليها القوى العالمية الكبرى،

(١) بعد العدد ٢٧٧ محاولة، ونجح منها ٠,٣٪ ووصلت التكاليف إلى ٧٥٠ ألف دولار.

وإنتاج أناس يشعرون أنهم مصنوعون ممن تحكموا في صفاتهم الوراثية فأصبحوا بشرا مصنوعين لأغراض محدودة إما عسكرية أو غيرها؛ ويؤدي ذلك إلى القضاء على نظام الأسرة والعلاقات الإنسانية الحميمة، وإلى اختفاء الأبوة والأمومة وما يترك ذلك كله من أثر على حياة الإنسان، كما يؤدي إلى توسيع الإجهاض بعد أن بلغت الهندسة الوراثية إلى خلايا الجنين ومعرفة الأمراض الوراثية التي يحملها وغيرها من الصفات غير المرغوب فيها، والاطلاع على هذا يشجع على القضاء على الجنين وحرمانه من الوجود وإمكان رفض الزواج وحقوق أخرى إذا كشف هذا السرّ وأبيح لغير صاحبه، وإذا طبق الاستنساخ على الإنسان فربما استعمل ذلك لخدمة أصحاب الطغيان والشرور [كهتلر]، ويصبح الإنسان يباع في السوق لأنه مصنع كما تباع قطع غيار الجسم الإنساني.

لكن من الذي يحق له أن يبدل صفات الآخر؟ من الذي يقرر مَنْ يعيش ومَنْ الذي يموت؟ ومَنْ الذي يسيطر على هذه البحوث؟

كما يمكن للمرأة التي لا تريد الزواج أيضا أن تشتري نطفة مجمدة و تلجأ إلى طبيب ليزرعها في رحمها وهي لا تعرف مصدر تلك النطفة التي اشترتها من البنك، كما يمكن الاستغناء عن رحم المرأة، ويصنع الطفل خارج الجسم الإنساني، إن الأسلحة البيولوجية نموذج مدمر لهذه التطبيقات التي تؤدي إلى استعمالها في الحروب بأنواع من البكتيريا أو الفيروسات، كل هذا يؤدي إلى تشويه الكائن البشري والنيل من كرامته وهدم الثوابت التي تقوم عليها الحياة الإنسانية منذ آلاف السنين.

نعم أمكن لهذه الأبحاث أن تنتج الأنسولين، وتكتشف مواد تقضي على التلوث البترولي في البحار، وإمكان اكتشاف الأمراض الوراثية التي ما تزال مجهولة، ولكن كل هذا ليس من شأنه أن يزيل القلق والخوف من المخاطر.

إن التصرف والتعديل اللا أخلاقي في الإنجاب والتحكم في المورثات والاستنساخ وكل ما ينال من كرامة الإنسان وحرية ينبغي رفضه دينيا وأخلاقيا وفلسفيا، حتى لا تستثمر نتائج البحث العلمي القوي السياسية وذوو النزعة الاستبدادية، والجري وراء الربح، ونحن نرى حكومة تخصص ميزانية ضخمة لوضع خريطة المجين البشري فهل ذلك لا يستثمر في أغراض أخرى؟

إن التصرف الذي يؤدي إلى استنساخ الإنسان يمكن أن يجعله شيئا يباع ويشترى، فالاستنساخ فيما يبدو أمر مستهجن تمجده الأخلاقيات لمساسه بكرامة الإنسان، أما استنساخ خلايا الإنسان لغرض الوصول إلى تكوين نسيج جسدي أو أعضاء أو مواد علاجية فلعله أن يكون مفيدا كثيرا مع الحذر الشديد من إمكانية نقل الفيروسات المعدية للمورثات التي تتحكم في إنتاج المواد السامة في بعض الحالات، وهو ما قد يؤدي بالضرورة إلى هلاك الجنس البشري فيما يرى جورج ماتي Georges Mathé<sup>(١)</sup>.

ولكي لا يصبح الإنسان شبيها بالآلة فتساوى الأفراد في القيام بوظائف متماثلة متطابقة يجب منع كل محاولة تؤدي إلى استئصال إنسان مطابق وراثيا عن طريق النقل النووي ابتداء من خلية بشرية لشخص بالغ أو طفل لتخليق أناس متطابقين، وهذا لا يمنع حرية البحث العلمي الذي لا تضر نتائجه بذاتية الإنسان، لأن التصرف في الجينات ليس محرّما على إطلاقه في الشريعة الإسلامية، وليس عملا شيطانيا كالذي أشير إليه في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا مَرْمَرَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء/١١٩) فلقد كان العرب يُتَّكُون آذان الأنعام (أي يقطعونها) علامة على أنها تخص الأصنام، ويشقونها كذلك

(١) "Manipulations génétiques et leurs applications" In. Droits de l'homme et manipulations génétiques, publication de l'académie du Maroc, Rabat, 1997.P.194.

لتختص بها ألهمهم فيما يزعمون، وأما تغيير خلق الله الوارد في إغواء الشيطان فهو أنهم كانوا يفتأون عين البعير<sup>(١)</sup> كي لا يُركب ويُكرم لكثرة ما أنسل، وكذلك وسم الوجوه بالنار وما إلى ذلك من الأشياء الذميمة، ويدخل في تغيير خلق الله تغيير الفطرة الروحية وإفساد دين الله، ويرى الشيخ [الطاهر بن عاشور] المفسر الكبير أنه: ليس من تغيير خلق الله التصرف في المخلوقات بما أذن الله فيه، ولا ما يدخل في معنى الحسن، فإن الختان من تغيير خلق الله ولكنه لفوائد صحية، وكذلك حلق الشعر، وتقليم الأظافر لفائدة تيسير العمل بالأيدي، وكذلك ثقب الأذان للنساء لوضع الأقراط والتزيين<sup>(٢)</sup>، والمقصود بذلك طاعة الشيطان والأخذ بدعوته، ولذلك فإن التصرف الذي لا يؤذي الإنسان ولا يهدد ذاتيته: كالتصرف لأغراض علاجية وإزالة الأمراض الوراثية مما يدخل في مصلحة الإنسان فإن الشريعة تحبذ ذلك لأنه من قبيل المداواة التي أمر الشارع بها، وقد أساء فهم هذا المعنى من الآية عدد من الباحثين؛ ولهذا فإن الإسلام لا يضع قيوداً على حرية البحث العلمي، إذ هو أمر حث عليه الإسلام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت/ ٢٠) ولكن لا بد من ضوابط في تطبيق نتائج البحث العلمي لتكون في فائدة الإنسان لا لمجرد العبث واتباع الخيال، وضوابط الشريعة في هذا الباب أن كل ما فيه مصلحة واضحة فهو شريعة وأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة إذا غلب الفساد على الصلاح، ونظراً لتعدد هذه المشكلات البيولوجية

(١) ويسمى الحامي.

(٢) التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت ١٤٢٠/٢٠٠٠، ج ٤ ص ٢٥٨-٢٥٩. وأوضح ذلك أكثر في كتابه: النظر الفسيح على مشكل الجامع الصحيح. وقد أعطى الرازي لتغيير خلق الله دلالات نفسية وروحية كالتشويه والأحلام الكاذبة والانحراف عن القيم الدينية والخلقية.

التقنية فلا يجوز أن نسارع بالمنع قبل التأكد من تحقيق الأهداف التي لا تضر بكرامة الإنسان، ولا نمنع البحث العلمي بمجرد التوقعات التي لا أساس لها من المعرفة العلمية.

وفهم من الفطرة الدينية والكونية التي وردت في القرآن أن وحدة الإنسان في نوعه تقتضي المغايرة في الأشخاص جسمانيا وروحانيا<sup>(١)</sup> فلا تُقوَّب شخصية الإنسان بالوسائل البيولوجية. وكما يرى [روني قينون]<sup>(٢)</sup> فإن المشاكلة تجرد الأشخاص من ميزاتهم للفطرة ويصبحون وحدات عديدة آلية، وهذا مخالف للفطرة وهذا مساس واضح بشخصية الإنسان وحرية وتحدد من آفاقه المفتوحة روحيا وبيولوجيا، اللهم إلا إذا تصورنا الإنسان جسما خالصا كما ورد في حديث [نتشه] في كتابه: هكذا تكلم زرادشت "أنا كلي جسم، وأنا لا شيء إلا الجسم وليست الروح إلا كلمة تعني حقلا من الجسم"<sup>(٣)</sup>. ومعنى هذا كله أن الطبيعة العميقة الحقيقية للإنسان الفطري لا يجوز تغييرها. فهذا [ماريو شوارس Mario Soures] البرتغالي الذي يصرح بأنه لا صلة له بالدين وأنه من اللا أدرية يقول: "إنني اعترض بشدة على كل أشكال التصرف في الجينات البشرية، وأبدي بعض التحفظ بخصوص التصرفات التي تقع في مجال الحيوانات والنباتات"<sup>(٤)</sup>. والواقع يحتم علينا أن نقاوم ثقافة الموت التي يبررها أصحابها بالألم الذي لا يطاق، وما إلى ذلك فإن علاج الآلام لا يكون بالحكم بالموت وإنما يجب اللجوء إلى المساعدة

(١) عبد المجيد مزبان: "التصرف في الجينات وصف الإنسان في كرامته" ضمن: حقوق الإنسان والتصرف في الجينات، الرباط ١٩٩٧ ص ١٣٦ وهو من منشورات أكاديمية المملكة المغربية.

(٢) ويسمى عبد الواحد يحيى بعد أن اسلم.

(٣) المرجع نفسه، ص، ١٣٨.

(٤) المرجع نفسه، ص، ١٧٩.

الروحية والعناية والحب، الأمر الذي يمكن أن يخفف هذا الأمر؛ فإذا شعر المريض أو المحتضر بالعناية والرعاية فإن القلق يزول عنه أو يخف لأن الحياة هبة من الله لا يجوز أن يتصرف فيها تصرفاً مطلقاً، فمحو حياة شخص معناه هدم ما بناه الله و هو انحراف واضح، إنما يجب أن يترك حقه في مستقبل مفتوح فلعله أن يشفى و لعله أن يفيق من غيبوبته، وقد تقع جرائم في هذا المجال بغرض الحصول على أعضاء وزرعها، وكم سمعنا أن أطفالاً اختفوا لهذا السبب لتباع أعضاؤهم للمرفهين، وهذا زيغ مرعب وعلامة واضحة على مرض هذه الحضارة المعاصرة لنا كأن تصورنا للإنسان انقلب فأصبح إنتاجاً صناعياً مع أن حياته هبة من الله.

والواقع أن البتّ في الأبحاث التي لا ينبغي القيام بها من الصعوبة بمكان إذا أردنا أن نضع قوانين وأحكاماً شرعية لبيان الحالات التي يمكن التدخل فيها في الجينيات والتي لا ينبغي، ورغم أننا نرى أن التصرف إذا كان لغايات طبية علاجية فلا مانع منه، ولكن تحديد هذه الغايات ليس واضحاً ولا دقيقاً في حالات كثيرة.

أما الزعم بأفضلية عدم الحياة على الحياة مع مرض خطير فهو مقارنة بين الوجود والعدم، إذ هناك هوة لا تعبر بين الأمرين، ثم من نحن حتى نحكم على حياة الآخر بدلاً منه، وأن نقرر هل يستحق أن يحيا أو لا يستحق؟ إننا نقع في تناقض إذا اقترحنا الدواء الذي نفترض أن يؤدي إلى الشفاء وهو في الواقع يؤدي إلى القضاء على المريض، وهل تخضع الأجيال المقبلة لما نقرره نحن اليوم؟! ومن يضمن لنا أن يكونوا أكثر سعادة أو أن يبقوا بشراً طبيعيين؟!

إن احترام الأجيال القادمة يحتم علينا أن نأخذ حذرنا من استعمال التقنيات المختلفة خاصة على جينات الإنسان الذي يمكن أن يؤدي إلى مخاطر لا تدخل الآن في حسابنا.



فإذا تغيرت الطبيعة البشرية بسبب هذه التقنيات فإنه يصعب التكهّن بمصيرها، وبإمكان حمايتها إذا لم نضبط الغايات التي نهدف إليها من ذلك التغيير، ولعل هذا التغيير يفقد الإنسان مكانته ويصبح حيوانا مفترسا يصعب التحكم فيه وفي تكاثره، ويصبح فاقدًا لمكانته الأدمية وربما سعى الباقون على طبيعتهم للقضاء عليه وعلى شروره.

إن بداية الحياة في الكائن البشري إنما تصبح واقعا في هذه الثنائية التي يلتقي فيها الحيوان المنوي والبويضة، وبذلك تكون العناصر المكونة للحياة قد توافرت، وتستمر هذه الحياة في النمو والتكامل، وهذه الحقيقة تقرها البيولوجيا ذاتها، لأن هذه النطفة المخصبة تشتمل على البرنامج الوراثي الذي أصبح كاملا في هذه الخلية المخصبة، وهذه هي البداية الحقيقية لحياة الجنين؛ فالجنين إنسان له بداية وضرورة ثم النهاية وهي الموت، ونظرة البيولوجيا ربما تختصر هذا الكائن في مجموعة من الخلايا، وربما ظن بعض هؤلاء البيولوجيين أن هذه الكمية من الخلايا يتوقف مصيرها على رغبة الوالدين. فالرغبة هي التي تعطي معنى الفرد البشري، ولكن ما هو معيار هذه الرغبة وهل الرغبة هي مصدر احترام الجنين؟ وإذا وجدت رغبات عدمية عبثية فهل ينساق الأخلاقي إلى هذه الرغبة وتكون مشروعة مهما تكن طبيعتها؟ ويحدد: René Frydman العتبة الأساسية بأنها هي العلوّق برحم الأم وذلك أهم من الولادة نفسها لأنها يمكن أن تتقدم على موعدها فهي عتبة رمزية بعدها يصبح الجنين غير مسموح بالمساس به. فهو يرى أن الكرامة لا تكمن في هذه البويضة، ولكن في الرجل الذي سيخرج للوجود يوما ما، ولكي يصبح رجلا يجب أن يقول الزوجان: نحن

نريده<sup>(١)</sup>، وهذا الرأي ليس له سند موضوعي يمكن الاعتماد عليه أخلاقيا فيما أزعّم.

فالجنين منذ الإخصاب يتخذ صورته المبرمجة في هذا المشروع الإلهي، لذا يجب احترامه باعتباره فردا بشريا له حقوقه، ومن ألزم هذه الحقوق حق الحياة وحق الوجود فهو ليس مجرد حياة كيميائية، إنه مرحلة أولى من حياة تتلوها مراحل ولا تلغي المرحلة التالية سابقتها فهو في حالة تكوّن ونمو وليس مجرد كومة من الخلايا إذا لم تتفق مع رغبة الوالدين، فكل جنين بشري يملك جينات هي نفسها التي يكون عليها ما سيصير إليه من بالغ راشد؛ فهو ينتمي إلى الجنس البشري كما ينتمي البالغ نفسه، وإذا كان هناك تمييز بين نظرة البيولوجي والأخلاقي والقانوني إلى الجنين فإن الأساس البيولوجي واضح، فالجنين كائن بشري يتحلّى بميراث من الجينات خاص به، فهو متجه لأن يصبح طفلا ثم رجلا، أما مسألة الروح أو النفس فهي ليست من ميدان البيولوجي بقدر ما هي من ميدان الدين أو الفلسفة لأن هذا الجانب الروحي خرج بطبيعته عن مجال العلم، فالفرد تاريخ حياة تتطور فيه، فهي حركة متصلة حلقاتها وتحول لهذه الإنية التي تلخص في مجينه: *Génome* فهو بروحه ينتمي إلى صنف أخلاقي، لأنه يحمل قيمة أساسية هي قيمة الحياة، ولا يكمل حتى يموت فله جانب وجودي *Ontologique* وجانب القيمة *Valeur* وهي قيمة أخلاقية وسرّ وجوده ولا يجوز أن يختصر الإنسان إلى جسم فقط ولا إلى وعي وحده فهو وحدة متكاملة، فله وجود موضوعي بيولوجي ووجود أخلاقي؛ ومعنى ذلك أنه ليس شيئا ولا يجوز أن يشيء *Résification*، فهو الكائن الذي ينبغي أن يعامل باعتباره غاية في ذاته، وهذا يتعارض مع معاملة "الشيء" أو

"الوسيلة" تعارضا تاما، فهو يملك كرامة في جوهره، فوجوده وحدة فريدة لا تضاهيها أي وحدة معدنية أو نباتية أو حيوانية لما يتسم به من عقل ووجدان، والمولود ليس شيئا آخر سوى الجنين الذي كبر وغادر رحم أمه ليستقل خارجه، ولذلك فالمعطيات البيولوجية تبين لنا أن الجنين إنما هو كائن إنساني منذ البداية، وربما غاب الجانب الشخصي عن البيولوجي، وعني به الفيلسوف، ولذلك يجب بحث الجنين من مقاربات بيولوجية وفلسفية أخلاقية وقانونية<sup>(١)</sup>.

إن بعض الباحثين اصطنع بعض المصطلحات مثل مصطلح: "الشخص" وبنى عليه أحكاما، فما لم يصبح الجنين شخصا له وعي ويواجهك وتشعر بوجوده الواعي فإنه ربما يعتبر شيئا أو لا إنسانياً، وإنّ الواقع شيء آخر لا يزيله هذا الاصطلاح وهو الحياة المقدسة والحق الذي ليس لنا أن نلغيه باسم اصطلاح معين فيتعرض لتصرفات عدوانية مثل التجريب العاث والتجميد وإمكانية الانقسام إلى توأمين في الأسبوعين الأولين، وبداية ظهور المجموعة العصبية في اليوم الرابع عشر، هذه الإمكانية للانقسام لا تتعارض مع الفلسفة ولا مع البيولوجيا نفسها، لأن ما ينتج عن الانقسام إنما هو أفراد، والتعدد لا يمنع من الفردانية التي تكون لكل واحد منهم، فالانقسام لا يهدم الفرد، وإنما يعده، فكل كينونة بيولوجية هي فرد لأنها وحدة عضوية ذات بناء ووظائف. فهو فرد ينتمي إلى طبيعة ذات وعي، فهو يستحق الاحترام اللا مشروط في جملته جسدا وروحا والاعتراف بحقوقه، وبعض البيولوجيين يرى أنه لا يستحق الاحترام إلا بعد نمو معين في الجهاز العصبي مثلا وهو أمر ضروري عندهم، وإن كانوا لم يتفقوا على اللحظة التي يستحسن فيها الاحترام، حتى بداية الخيط الأول للجهاز

العصبي يتناسون أن الخلايا التي تظهر بعد أربعة عشر (١٤) يوما لم تأت من العدم، وبعضهم يحدد احترامه بعدة أسابيع أو في الأسبوع العشرين (٢٠) بعد أن تبدأ بعض الوظائف الحسية في أدائها، أو بعد الميلاد عندما يشعر بذاته و بوجوده الشخصي.

وهذا كله في الواقع تجزئة لمراحل كائن واحد ضرورية لوصوله إلى غايته، لأن بدايته آيلة إلى نهايته وبدايته هي الأساس لنهايته، وإذا هدم الأساس انعدمت النهاية أو الغاية؛ فلا يجوز أن نجزئ الجنين كأنه شيء من الأشياء، كما لا يجوز أن يختصر الإنسان في بعض وظائفه كالوعي مثلا، لأن هذه الوظائف يلزمها مضي وقت معين كي تظهر، وعدم ظهورها قبل وقتها لا يفقد الجنين احترامه وحقه، وهل يمكن الوصول إلى درجة ما وقع في ألمانيا النازية حيث يقتل المرضى عقليا في المستشفيات بدعوى الصحة العرقية *Hygiène raciale* ويقوم مقامه اليوم الإخصاب الصناعي، ويصبح الجنين لا قيمة له إلا إذا ثبت أنه كامل باختبار ما قبل الولادة، وهذا يؤدي إلى إلغاء أو إعدام من لا يُرغب فيه أو ليس موافقا لرغبة ما من رغبات أمه أو أبيه أو كليهما أو يقع ذلك بتشخيص ما بعد الزرع *Diagnostic préimplantatoire* واختيار أطفال ذوي صفات مرغوب فيها، وقد يتجاوز البيولوجيون ذلك إلى قتل الأجنة المجمدة بعد مضي خمس سنوات، أو ترك للبحث، وقد يقتل الأطفال بسبب ما يخشى من الفقر أو كثرة السكان كما كان الأمر في الجاهلية عند العرب قديما وفي الصين اليوم، وقد ورد في القرآن: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾<sup>(١)</sup> (الإسراء/٣١) وكان العرب يقتلون من البنات من ولدت منهن زرقاء أو شيماء أو رسحاء أو

(١) إملق: افتقر، ويطلق الإملاق على الجوع وتقتل البنات خوف العار ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ (التكوير/٩). و﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا و هو كظيم﴾ (النحل/٥٨).

برشاء تشاؤما بهن<sup>(١)</sup>، ولذلك ندد القرآن بذلك كله وحرمه تحريماً شديداً ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ (الأنعام/١٤٠). وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا﴾ (الاسراء/٣١)، والخطء: الإثم المرتكب عن عمد، أما الخطأ فهو ما يرتكب عن غير عمد. ولذلك فإن الإجهاض في الإسلام جريمة إلا لضرورة قاهرة كالخوف من موت أمه، وخاصة بعد أربعة أشهر من الإخصاب ويحتفظ الجنين بحقه في الإرث<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حزم: "إن تعمدت الأم قتل جنينها فعليها القصاص أو المفاداة إذا عفا عنها صاحب الحق أي ولي الجنين"،<sup>(٣)</sup> وإذا صلح الفرد لوجوب الحقوق الشرعية له فمعناه أنه أهل لما له من الحقوق، وهذه الأهلية أو الذمة هي التي تسمى في الحقوق الوضعية بالشخصية القانونية La Personnalité Juridique، وله حق نسبه إلى أبيه والميراث وهو أهل للوصية والوقف وهو ما يزال في بطن أمه، وهذا ينتج منه أنه شخصية إنسانية منذ التلاقح، وليس شخصية إمكانية<sup>(٤)</sup> فقط، فالمساس بالجنين هو مساس لعمق ما في الإنسان<sup>(٥)</sup>.

وكان الفقهاء المسلمون يعتمدون على المعطيات العلمية في عصرهم لتقرير الحكم الديني فيما يتعلق بالجنين كما يعتمدون على النصوص وتأويلها، ويذهب [ابن باجة] إلى أن الطفل الرضيع "حيوان بالفعل وإنسان بالقوة إذ لم تكن له القوة الفكرية"<sup>(٦)</sup>.

(١) نقلها السهيلي في الروض الأنف عن تفسير النقاش، انظر التحرير والتنوير، ج٧. ص ٧٥.

(٢) محمد سلام مذكور، الجنين والأحكام المتعلقة به في الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية.

القاهرة ١٩٦٩، ص ٢٤٦.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٤٩.

Personne Potentielle

(٤)

René Frydman, Ibid. P.229.

(٥)

(٦) رسائل ابن باجة الفلسفية، بيروت ١٩٦٨، ص ١٦٠.

إن معرفتنا اليوم بالجنين غير كافية<sup>(١)</sup> لتقرير أحكام قاطعة، كما أن البحث ما يزال ضرورة لمعرفة أدق وأشمل.

ومن الآراء الحصينة ما ذهب إليه الأستاذ حتوت: " لا أجد مبررا يشير إلى أن الجنين قبل نفخ الروح ليست له سمة الإنسان، وأنه ابتداء من ذلك فقط يكون ذا حياة إنسانية<sup>(٢)</sup> " ولذا يجب حماية الجنين قبل ولادته كما تجب بعد ولادته، إنه فصول لكتاب يجب قراءته وفهمه كله قبل أن نحكم بالتصرف فيما لا نعلمه علما كافيا ولم نقرأه قراءة واضحة لمعرفة مستقبل البناء البيولوجي بحسناته ومضاره، إذا أخذنا بوجوب احترام الحياة، لأن بعض الباحثين يرى أن البيولوجيا الجزيئية تجعلنا نعتقد بأن تهديدا جديدا يلوح في الأفق، ولذلك يتساءل: بأي معيار نحكم بأن موجودا ما ليس له أن يحيا فنقرر إعدامه؟! ولذلك فإن تعاون العلم والأخلاق والقانون والحوار بين أصحابها يجعل العلماء أكثر تواضعا، وأكثر شعورا بالمسؤولية بما يمكن أن يتوقع من مخاطر<sup>(٣)</sup>، ولعل مبدأ "أقل الضرر" الذي يدعو إليه الإسلام فيما إذا غلبت المصالح والمنافع هذا الضرر أو كما يسميه الفقهاء أخف الضررين هو الذي يمكن أن تعتمد عليه الأخلاقية الحيوية<sup>(٤)</sup> وأخذ الحالات المختلفة حالة حالة ومبدأ [درء المفاسد مقدم على جلب المصالح]، ولا ينبغي التعميم الاعتباري الذي لا مبرر له ولا سند، الأمر الذي يؤدي إلى المساس بكرامة الإنسان: كالتجارة بالأجنة، وقتل المعوقين والمرضى، ومن حق الطفل أن تكون له أم حقيقية وأب حقيقي لا أن يكون له والدان صناعيان أو

(١) La connaissance que nous avons de l'embryon aujourd'hui est largement insuffisante et la recherche s'impose comme une nécessité. Frydman, Ibid. P.211.

(٢) حتوت، بداية الحياة الإنسانية.

Le commencement de la vie humaine; Son commencement et sa fin selon la conception Islamique, 1990.P.52.

(٣) Frydman; Ibid.P.147.

(٤) Le moindre mal في تعبير Frydman المرجع السابق، ص ٢٣٥.

مجهولان أو غير شرعيين، كما لا يباح الإجهاض - كما دعا إلى ذلك مؤتمر "السكان" في القاهرة سنة ١٩٩٤- بدون قيد ولا شروط، ونادى بالحرية الجنسية ورفع كل حاجز عنها، وليس هذا إلا نوع من الانفلات والتسيب الذي يتعارض مع القيم الأخلاقية والدينية الرئيسية مثلما يذهب [بتر سنجر]<sup>(١)</sup> الأسترالي إلى أن حياة المولودين الجدد المتخلفين عقليا لا تساوي أكثر مما يساوي الكلاب أو القردة (الشامبانزي) الكبار، وانتقد مبدأ احترام حياة الإنسان بدون شرط، وزعم أنه ليس لذلك أساس ديني وخاصة اليهودية، وأنه يرفض هذا المبدأ<sup>(٢)</sup>.

ومن أجمل ما ذهب إليه ابن جنّي (ت ٤٥٨ هـ) في اشتقاق كلمة [الإنسان] في العربية أنها مشتقة من الأنس: "إنسان عندي مشتقة من أنس، وذلك أن أنس الأرض وتجميلها و بهاءها إنما هو بهذا النوع الشريف اللطيف المعتمر لها والمعني بها"<sup>(٣)</sup> فهو يأنس بنفسه وبأضرابه بما أوتيته من عقل ونطق، وأنست به هذه الدنيا أيضا وعمّرت فهو أنس ومأنوس به<sup>(٤)</sup>.

فالإنسان القديم أو الأول سمّي بآدم في لغة العرب، وأصله من اللغات السامية، و "ADAMAH" في العبرية معناه الأرض، واسمه في التوراة آدم<sup>(٥)</sup> أي الذي أتى من الأرض<sup>(٦)</sup>، وفي الفارسية

(١) Peter Singer, Animal liberation, A new ethics for our treatment of animals, new York.1977.

(٢) "We have rejected the traditional principle of sanctity of human life(...) biological species wick really has not intrinsic moral significance at all". P.Singer and H.Kuhse.Should the baby life? The problem of Handicapped Infants. Oxford university press, 1985.P.129.

(٣) الخصائص، الآفاق الجديدة، بيروت (د. د. ت)، ج ١، ص ٢ - ٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ١ ص ١٧، وإلى هذا المعنى ذهب ابن عربي في الفصوص، ص ٣٤٨.

(٥) Genesis 2/7.

(٦) Ibid 3L19.

"فمنها أخذت لأنك تراب وإلى التراب تعود". وفي القرآن: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ (طه/٥٥).

"كيومرت" أو "كيامرتن"، وفي اللغات الأوروبية: "ADAM" كما يطلق في العبرية لفظ "أدوم" "ADOM" على اللون الأحمر<sup>(١)</sup>، وجاءت كلمة "أدامو" من أصل أكادي أو آشوري بمعنى يعمل أو ينتج<sup>(٢)</sup>.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى خلق آدم في سبع مواضع منه: البقرة/ ٣٠ - ٣٨، الأعراف/ ١١، الحجر/ ٢٦، الإسراء/ ٦١، الكهف/ ٥٠، طه/ ١١٦، ص/ ٧١. وجرى حوار بين الله والملائكة في شأن خلق آدم في القرآن، كما أشير إليه في التلمود<sup>(٣)</sup>، خلق الله آدم من طين ونفخ فيه من روحه بعد أن سوى خلقه وأصبح قابلا لأن تثبت فيه الروح التي نسبها الله إليه تشريفا للإنسان وتكريما: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص/ ٧٢).

فالإنسان في القرآن موجود أصيل غير مشتق من كائنات حية أخرى، كما تذهب افتراضات التطور البيولوجي، فالدين المنزل بين حقيقة الإنسان متكاملة، فصرحت الديانات السماوية بأصله وطبيعته، ونشأته، ومكانته في الكون، والغاية من وجوده على الأرض، وبمصيره بعد ذلك كله<sup>(٤)</sup>.

وإن اختلفت هذه الديانات في التفاصيل إلا أنها متفقة على تمييز الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، فقد أشار القرآن إلى أن الإنسان لم يكن من قبل ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ (الإنسان/ ١)، وتكلم الله في القرآن عن خلقه ورسالته الكبرى، عن قوته، وضعفه، وأخلاقه، وسلوكه مع

(١) The encyclopaedia of religions, London 1987, Vd.1. P.27.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، دار مكتبة العائلة، بيروت، ٢٠٠٠ ص ٣.

(٣) Paul Isaac Herchon, Talmudic miscellany, London, 1980, PP.294 - 5.

(٤) محمد عبد الهادي أبوريدة، قاموس القرآن الكريم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٣١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ١٢١.



الله ومع الناس أمثاله، وعن غروره أحيانا بنفسه وكفره، وكفاحه في سبيل الحق لإصلاح نفوس البشر.

ويصف القرآن خلق الإنسان بأنه خلق ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) (التين/٤)، فالله سواه فجعله متعادلا متناسقا في قوامه الجسماني والنفساني، متكاملا في تركيبه، وجميلا من حيث حسن صورته الظاهرة، وصورته الباطنة، وما استجمعه من خواص الكائنات، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصُورَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ﴾ (التغابن/٣)، فجمال صورة الإنسان وتقويمه يتسق مع الجمال الماثوث في الطبيعة: في أرضها وسماؤها، ولذلك فسّر البيضاوي هذه الآية: "فصوركم من جملة ما خلق فيهما، بأحسن صورة، حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات، وخصكم بخصائص المبدعات، وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات"<sup>(١)</sup>.

وكما يرى الفلاسفة الإسلاميون فإن الله ركب الإنسان تركيبا محسوسا ومعقولا على هيئة العالم، وأوجده على شبه كل ما هو موجود في العالم حتى قيل: إن الإنسان هو عالم صغير، ومختصر للعالم الكبير، وذلك ليدل على معرفة العالم<sup>(٢)</sup>، وأنه مركب من: "جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالبصيرة"<sup>(٣)</sup>، وبهذا فسّر الراغب الأصفهاني قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧١) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٢) (ص/٧١ - ٧٢)، حيث أشار بالروح إلى النفس التي لا يحتاج وجودها في الإنسان إلى دليل

(١) القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المطبعة العثمانية، استانبول ١٣٢٩هـ، ص ٧٣٩.

(٢) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبي اليزيد العجمي، دار الصحوة ودار الوفاء، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٥.

لوضوح أمرها، والعلم بها علم حضوري أو شهودي<sup>(١)</sup>، وجعل معرفة النفس مقرونة بمعرفته في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات/ ٢٠ - ٢١)، وفي قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت/ ٥٣)، فالإنسان في نظر [الراغب الأصفهاني]: "من حيث يتغذى ويتناسل فنبات، ومن حيث يحس ويتحرك فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار"<sup>(٢)</sup>، ولكن جوهره وحقيقته في روحه وصورته المعقولة، لا صورته التخطيطية، وفضله على الحيوان أيضا في جسمه بلسانه الناطق، ويده العاملة، وانتصاب قامته التي تشير إلى "استيلائه على كل ما وجد في هذا العالم"<sup>(٣)</sup>.

فالإنسان أفضل موجود، ولكن بشرط أن يراعي ما به صار إنسانا، والذي صار به إنسانا إنما هو العلم الحق، والعمل المحكم، لأن الله علمه، ووضع فيه نورا، يعلم أسماء الأشياء وحقائقها، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة/ ٣١)، إذ أن أول خطوة في المعرفة هي وضع الأسماء على المسميات، وهذا يشمل اللغة ومسمياتها، وحقائق هذه المسميات أيضا، وبالعقل صار الإنسان خليفة في الأرض، وقد سمى الله العقل نورا، وسماه حياة، وروحا كذلك، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى/ ٥٢)، ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام/ ١٢٢)، ولذلك كانت معرفة الله ثمرة من ثمرات العقل الفطري ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

(١) وهذا ما يعبر عنه بعض الفلاسفة الغربيين بالحدس "Intuition".

(٢) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) المصدر نفسه.

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴿ (الروم/ ٣٠)، فجعل الله الإقرار بربوبيته جبلة في الإنسان وفطرة طبيعية، وسجية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ (الأعراف/ ١٧٢)، وسمى هذه الفطرة وهذه الشهادة "صبغة"، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة/ ١٣٨)، وبهذا فقد ركب فيه ما يدل على خالقه، وما يؤدي إلى العلم وإلى الحكمة التي هي: "اسم لكل علم حسن، وعمل صالح، وهو بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري، ولكن لا يكون العمل محكما إلا بالعلم<sup>(١)</sup>.

وينبها الراغب الأصفهاني بفطنته القرآنية إلى أن الله تعالى: "أفرد ذكرها، الحكمة في عامة القرآن عن الكتاب، فجعل الكتاب اسما لما لا يدرك إلا من جهة النبوات، والحكمة لما يدرك بالعقل (...). ولولا الكتاب لأصبح العقل حائرا، ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب"، وسمى الحكمة: الميزان ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾<sup>(٢)</sup> (الشورى/ ١٧)، كما فسر "النور" الذي ورد في (سورة النور/ ٣٥) بنور العقل مضافا إلى نور الشريعة على النحو التالي: جعل الله تعالى في هذه الآية المصباح مثالا للحق، والمشكاة مثالا لصدر المؤمن، والزجاجة لقلبه، والشجرة المباركة وهي الزيتون للذين الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، والزيت للقرآن، وبيّن أن القرآن يمد العقل مدد الزيت للمصباح، وأنه يكاد يكفي لوضوحه وإن لم يعاضده، ثم قال: «نور على نور» أي نور القرآن على نور العقل<sup>(٣)</sup>، وهذا تفسير ذهب

(١) الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص ١٨٠،

(٢) فسر البيضاوي "الميزان" بالشرع، وبالعدل، وبآلة الوزن.

(٣) الراغب الأصفهاني، المصدر نفسه، ص ٧٠،

إليه أيضاً [أبو حامد الغزالي] (ت ٥٠٥ هـ) في كتابه "مشكاة الأنوار" وكان متأثراً بالأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ومعاصراً له، وهو شخصية متميزة بذهن وقاد، جمع بين الحكمة والشريعة في تصانيفه الرائعة<sup>(١)</sup>.

### كرامة الإنسان:

تستعمل لفظة [الكرم] في الأصل لوصف الإنسان، وقد تستعمل في وصف الخيل والإبل والشجر وغيرها من الموجودات، وذلك إذا قصد بها وصفها بالعتاقة، والأصالة، والمكرمة: فعل الكرم<sup>(٢)</sup>، وإذا وصف به الله سبحانه فهو يدل على إحسانه وإنعامه، والتقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ﴾ (الحجرات/١٣)، سلوكٌ ينتمي إلى أعمال القلوب التي تبدو في أعمال الجوارح، وأكرم هذه الأفعال الأخلاقية ما قصد به وجه الله، وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم.

ويرى الأصفهاني "أن كل كرم حرية" لأن الإنسان يتحرر فيه من أغراضه وأهوائه الخاصة الدنيوية، وأكرم الأفعال أيضاً ما بني على علم ودراية<sup>(٣)</sup>، "وشرف الإنسان أن يوجد كاملاً في المعنى الذي وجد من أجله" ولذلك كان الإنسان واسطة بين عالمين: العالم الطبيعي والعالم الروحاني، له عقل يرتقي به إلى الأعلى إلى النور، وهوى يهوي به إلى الأسفل إلى الوحل والطين، وبين هذا وذاك يبدو جهاد الإنسان نفسه، لتتحقق إنسانيته على أكرم وجه، وكلما حقق درجة من الرقي ازدادت

(١) منها مفردات القرآن، وهو قاموس ألفاظ القرآن ومنها تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، وكلاهما مطبوع ومعروف.

(٢) ابن جنّي، الخصائص، ص ١٧، وقد بينا المعاني المختلفة لفعل كرم في القرآن في بحث آخر.

(٣) الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٤٤،

إنسانيته، وكرّم مقامه<sup>(١)</sup>، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (الشمس/ ٩ - ١٠).

والذي يعيننا هنا هو الكرامة الإنسانية التي أكدها القرآن في سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) (الإسراء/ ٧٠) فالآية تتضمن أمرين: التكريم، والفضل. فقد كرّمه الله تعالى فيما يفسر به [القاضي البيضاوي] هذه الآية "بحسن الصورة، والمزاج الأعدل، واعتدال القامة، والتميز بالعقل، والإفهام بالنطق، والإشارة، والخط، والتهدي إلى أسباب المعاش، والمعاد، والتسلط على ما في الأرض، والتمكن من الصناعات، وانساق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية، إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك، مما يقف الحصر دون إحصائه<sup>(٢)</sup>"، فهو بهذا كريم (أي نفيس) في صورته وفي سلوكه، إنه مكرّم في ذاته، ومفضل بالنسبة لغيره من الكائنات تفضيلاً كثيراً<sup>(٣)</sup>، بتسخير الله تعالى هذه المخلوقات له ليتصرف فيها، ويفيد منها بما أوتيته من عقل يصل به إلى العلم، وقدرة جسمانية يعمل بمقتضى علمه وفهمه، فكان كريماً بنفاسة عقله، ولطافة مشاعره، وجمال صورته، بعقله تتم معرفة الله، وفهم كلامه، وتصديق رسله، ومن المكارم ما يصل إليه من حكمة، وما يوصف به من جود وحلم، وما إلى ذلك من مكارم الأخلاق، وباكتساب هذه المكرمة العقلية والأخلاقية استحق أن يرشحه الله سبحانه لخلافته في الأرض، وتمكينه فيها ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

(١) المصدر نفسه، ص ١٩،

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص ٣٨٠،

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٥، ١٦٥.

خَلِيفَةً ﴿ (البقرة/ ٣٠)، ﴿وَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿ (الأعراف/ ١٢٩)، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (الأنعام/ ١٦٥).

والخليفة في الأصل اللغوي تستعمل فيمن يخلف غيره، في عمل يقوم به فهو "فعليل" بمعنى "فاعل" والتاء فيه جعلت للمبالغة في الوصف كالفلاحة، كما تستعمل في الذي يخلف صاحب الملك في التصرف في مملوكاته، والخلافة هنا قيام الإنسان بتنفيذ أمر الله تعالى بالوحي أو الإلهام، وتلقين ذريته ما أراد الله منهم في هذا العالم، وكيف ينظم أحواله وأحوال أهله، ويشير ابن عاشور إلى أن في هذا إيماء إلى حاجة البشرية في إقامة نظام حكم (خليفة) للفصل بين الناس<sup>(١)</sup> وذلك لتعمير الأرض، وإحداث النظام الذي يستقيم به أمر العالم، ومعاش الناس في الأرض<sup>(٢)</sup>، وحمل الإنسان المسؤولية التي عجزت عنها الموجودات الأخرى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿ (الأحزاب/ ٧٢)، فالأمانة مسؤولية تترتب على ما أوتيته من عقل وفهم، وسمى هذا أمانة لأنها واجبة الأداء، ولعظم شأن هذه الأمانة أنها لو عرضت على الأجرام السماوية وغيرها - على فرض أنها ذات إدراك وشعور - لامتنعن عن حملها، والإباء هنا عبارة عن عدم الاستعداد لحملها، وفسرت الأمانة أيضا بالحرية، حرية الإرادة، كما فسرت بالعقل وبالتكليف<sup>(٣)</sup>، فالإنسان أعظم من

(١) ابن عاشور، المصدر نفسه، في تفسير قوله تعالى "إني جاعل في الأرض خليفة" البقرة/ ٣٠).

(٢) يقول ابن عربي: "يرتقي الإنسان إلى خلافة الله تعالى والنيابة عنه في العالم" فالله قد رشح الإنسان لعبادته وخلافته وعمارة أرضه.

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص، ٥٦٤.

الطبيعة، لطبيعته العقلية وكرامته الأخلاقية، ولكنه قد يخطئ في حمله لها، ولذلك وصف بالظلم والجهل، لما يعرض له من هفوات بسبب تغلب هواه على عقله، وشهواته على عفته، ولقد ضع القرآن الإنسان في منزلة العبودية، فهو مخلوق، الغاية من وجوده عبادة الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿٥٦﴾ (الذاريات/٥٦)، كما جعل له منزلة الخلافة، ويذهب الراغب الأصفهاني إلى أنه لا تصح خلافة الإنسان إلا بطهارة النفس باستعمال: التعلم، والعفة، والصبر، والعدالة، هذا مبدأ الطهارة، وغايتها: الحكمة، والجود، والحلم، والإحسان، فبالعلم يتوصل إلى الحكمة، وبالعفة يصل إلى الجود، وبالعدالة تستقيم الأفعال، وهذا ما يمثل المكرمة السياسية التي يستحق بها خلافة الله، فالخلافة تُسْتَحَقُّ بهذه المكرمة السياسية ويتحقق ذلك بتحري مكارم الشريعة، والسياسة سياستان: سياسة الإنسان لنفسه، وسياسته لغيره، من ذويه ومجتمعه، ورأس المكارم الإسلامية هي مكرمة التقوى في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّمُ﴾ (الحجرات/١٣)، فمن كان طاهر النفس، كان صالحاً لخلافة الله، وصار من الربانيين؛ لأن الخلافة هي الاقتداء به على قدر طاقة البشرية في تحري ما تدل عليه أسماؤه وصفاته، ومن لم تطهر نفسه، لم يظهر قوله، ولا فعله<sup>(١)</sup>.

والغاية من خلافة الإنسان لله سبحانه هي عمارة الأرض بصنع الحضارة، وتوجيه البشر إلى الحق واعتقاده، وإلى الخير وفعله، متوجهاً في ذلك كله للهدى الإلهي، ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ٣٨) ﴿٣٨﴾، ومستعملاً جهده العقلي، وجهده العضلي، في بناء الحضارة وإنتاج الثقافة، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾

(١) الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ٩٦،

(هود/٦١)، أي أقدركم على عمارتها ومكنكم منها، وأمركم بها<sup>(١)</sup>، وبهذا فإن الإنسان كرم بأن حاكي الكائنات العليا في عبادته لله، وروحانيته ولطافته، وحاكي الكائنات السفلى بكثافة جسمانيته وعمله في الصناعات والأعمال المادية التي تتيح له أن يعيش مكرما في حياته، وأن يسعد في الدنيا، ويؤهل نفسه لسعادة الآخرة إذ يتجلى في قوته العاقلة نور معرفة الله، وفي أعماله الأخلاقية الحضارية حكمة الله وقدرته .

وأما ما ورد في الحديث النبوي "خلق الله آدم على صورته" فهو يقصد به المعنى المجازي لأن الله تعالى نفخ فيه من روحه، وجعل له عقلا به يدرك، ويصل إلى العلم، وإلى الحكمة وما إلى ذلك من صفات الله، وإن كانت مطلقة في جانب الله سبحانه، ونسبية في جانب الإنسان، وإن كان بعض المتأولة من أهل الحديث أعاد الضمير في "صورته" على آدم، لأنه أقرب مذكور، ومعنى ذلك أن الله خلق آدم على هذه الصورة نفسها التي نراها اليوم لم يتغير، ولم يشتق من مخلوق آخر.

وكذلك ما ورد في سفر التكوين (٢٧ - ١ Genesis) فإن قراءته قراءة تشبيهية، يرفضها الفلاسفة النصارى واليهود، فالذي جعله شبيها بالله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى/١١) هو العقل أو الإرادة، فإن المشتغلين بالدراسات المتعلقة باللغات السامية، يميلون أخيرا إلى تأويل كلمة "على صورته" باعتبارها مجازا بالنظر إلى الإنسان الذي هو خليفة الله في ضوء تعبير أكادي<sup>(٢)</sup> "Viceroy".

ولما كانت الإنسانية مكرمة عند الله تعالى ترتب على ذلك تحريم

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص، ٣٠٠.

The Encyclopedia of Religion, Vol 1, P.27.

(٢)



الاعتداء عليها وقتلها، وسوى القرآن قتل نفس واحدة بقتل الناس جميعاً، كما سوى إنقاذها وإحياءها بإحياء البشرية قاطبة ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة/٣٢)، وذلك لأنه سفك حرمة الدماء، وسن القتل وجرأ الناس عليه<sup>(١)</sup>، وكذلك من قام بما من شأنه أن يحفظ حياة نفس، وإنقاذها من الموت، فكأنما فعل ذلك بالبشر جميعاً، ومعنى ذلك: "تعظيم قتل النفس، وإحيائها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها، وترغيباً في المحاماة عنها"<sup>(٢)</sup>، ومن رحمة الله بالناس أن حرم قتل النفس ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء/٢٩-٣٠).

وفي الحديث: "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم"<sup>(٣)</sup> ويبدو احترام النفس الإنسانية في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال ابن شهاب: "ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جنازة قط"<sup>(٤)</sup>، فهو يمشي راجلاً احتراماً وإكراماً للنفس الإنسانية، ووقف لجنازة يهودي مرت أمامه، فسئل عن ذلك فقال: أليست نفساً؟.

وعندما توفي النجاشي ملك الحبشة قال: "مات اليوم عبد صالح فقوموا فصلوا عليه"<sup>(٥)</sup> فصلى عليه وأصحابه، واحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم حياة النبات فنهى عن قطع الشجر، وحياة الحيوان

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل، ص. ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص. ١٤٨.

(٣) ابن عبد البر، الاستذكار، ج ٢٢، ص. ٢٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص. ٢٢٣.

(٥) ابن عبد البر، التمهيد ٦/٣٣١، أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٣٨/٢، والبخاري في الجنائز، ومسلم في الجنائز، وأبو داود عن أبي هريرة، وكان ذلك في رجب سنة ٩ هـ.

فقال: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أطلقتها تأكل من خشاش الأرض"<sup>(١)</sup>، ونهى عن التمثيل بالحيوانات وعن أن تتخذ غرضا في الرمي، وقال: "من قتل عصفورا بغير حق عذب به يوم القيامة، لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا"<sup>(٢)</sup>، ورأى جماعة نصبوا دجاجة يرمونها فنهى أن تصبر البهائم، أي أن تجعل هدفا يرمى، كما نهى عن المثلثة بالحيوان وحث على عدم إزعاج الحيوان: "أقروا الطير على وكناتها"<sup>(٣)</sup>، وأشار إلى أن في كل ذي كبد حزى أجرا<sup>(٤)</sup> إذا أحسن إليه بطعام أو شراب أو رعاية. وقال: ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حق إلا سأله الله عز وجل عنها. قيل يا رسول الله وما حقها؟ قال: يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمي بها<sup>(٥)</sup>.

وإذا رجعنا إلى فلاسفة الإسلام ومفكره فإننا نجد الكندي (ت ٢٥٠ هـ) يذهب إلى: أن حقيقة الإنسان هي نفسه التي يتعهد بها بالعلم والعمل لتزكو، والتمسك بما يهدي إليه العقل من الخير، أما الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) فإن الإنسان عنده له موقع بين عالم الشهادة وعالم العقل، ويجمع بين البدن الذي هو من "عالم الخلق" والنفس التي هي من "عالم الأمر"، وإن كان العقل أشرف أجزاء النفس لأن معرفة الإلهيات تتم به، وهو أقرب الموجودات إلى الله شرفا ولطفا وصفاء لا مكانا وموضعا، ثم تلوو النفس لأنها كالمتوسطة بين العقل والطبيعة<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في التوبة.

(٢) البخاري في الذبائح تعليقا. باب ما يكره من المثلثة، مسلم، كتاب الصيد.

(٣) ابن عبد البر، الاستذكار، ج ٢٧، ص ٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢٦/٣٩٧٥١. وفي إغاثة الكلب بالماء، البخاري في المزارعة باب فضل سقي الماء.

(٥) أخرجه النسائي في الصيد، ٢٣٩/٧. ورواه أحمد والدارمي وإسناده حسن.

(٦) الجمع بين رأبي الحكيمين، ص ١٠٨.

ويصور ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) الطبيعة البشرية بأنها يتنازع فيها العقل والهوى، وله في النفس رسائل كثيرة والقصيدة العينية التي يرمز فيها إلى أحوال النفس وقصتها هبوطا وصعودا.

ويرى ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ): أن الإنسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التي تسمى ملائكة، وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام، فهو بوجوده الجسماني مقيم في هذا العالم العقلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى إذا ظفر بهذه الرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوي وأقام به سرمدًا في صحبة الملائكة<sup>(١)</sup>.

ويرى أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) أن حقيقة الإنسان إنما تتمثل في القلب باعتباره لطيفة ربانية، ولها بابان أحدهما مفتوح إلى عالم الحس عالم الشهادة. وباب مفتوح إلى عالم الغيب؛ فله موقع بين العالمين، وقلبه هو محل معرفة الله ومحبه<sup>(٢)</sup>.

ويذهب [ابن باجة] مذهب أرسطو في أن الإنسان هو العقل، وأمامه إمكانان: إمكان طبيعي وهو الذي يستطيع الإنسان أن يدركه بالعلم، ويقدر على الوقوف عليه من تلقائه، وإمكان إلهي الذي يدركه الإنسان لكن بمعونة إلهية ولذلك بعث الله الرّسل<sup>(٣)</sup>، ويرى أن الإنسان من عجائب الطبيعة<sup>(٤)</sup>، وأن طبيعته كواسطة بين السرمدية والكائنات الفانية، ففيه معنى يجعله يلتحق بالسرمدية، معنى يشبه الكائنات الفاسدة أي الفانية<sup>(٥)</sup>، وأن كلّ ما

(١) محمد عبد الهادي أبو ريده، " نظرة القرآن في الكون "، ضمن الملتقى الإسلامي المسيحي الثالث: حقوق الإنسان، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس ١٩٨٥، ص. ٢٨١. نقلا عن تهذيب الأخلاق لابن مسكويه.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٢٩٨.

(٣) رسائل ابن باجة الإلهية، تحقيق ماجد فخري، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٨ نص. ١٤١.

(٤) المصدر نفسه، ص. ٩٦.

(٥) المصدر نفسه، ص. ٩٥.

يفعله الإنسان باختياره فهو فعل إنساني وإلا فهو فعل حيواني، وإذا فعل صوابا فهو فعل إنساني أيضا بل هو إلهي<sup>(١)</sup>، والعلم شرف ونبيل سواء كان نافعا أو ضارا<sup>(٢)</sup>. فالطفل عنده إنسان ينشأ، والشيخ إنسان يبلى<sup>(٣)</sup>.

ويذهب [ابن طفيل] (ت ٥٨٦ هـ) إلى أن الإنسان خلق لغاية، وأعدّ لأمر عظيم لم يعد له شيء من الحيوان<sup>(٤)</sup>، وأشرف جزء فيه هو الذي يدرك واجب الوجود، وهو أمر رباني إلهي، ويرى أيضا أن البدن لم يخلق له عبثا، ولا قرن به لأمر باطل فيجب على الإنسان أن يتفقد جسمه ويصلح من شأنه، ويلزم نفسه دوام النظافة وإزالة الدنس عنه والاعتسال بالماء في أكثر الأوقات وتطيبه بما أمكنه من طيب النبات وصنوف العطر، وتعهده لباسه بالتنظيف والتطيب حتى يتلأأ حسنا وجمالا ونظافة وطيبا<sup>(٥)</sup>، كما عليه أن يرتاض. ويرى أنّ النفس ذات شريفة بها يدرك الإنسان الوجود الشريف المطلق واجب الوجود، فالإنسان مباين لسائر أنواع الحيوان.

أما [ابن عربي] الصوفي (ت ٦٣٨ هـ) فإن رؤيته للإنسان تقوم على أن له كرامة ووجودا لا يجوز لأحد أن يهدمها: "النشأة الإنسانية بكمالها الروحي والجسمي صورة الله التي لا ينبغي أن يتولى حلّ نظامها سواه، ولأن في حلّها حلا لنظام الكون وضياعا للغاية المقصودة من وجوده<sup>(٦)</sup>" لأنه سعى في خراب ما أمره الله تعالى بعمارته، ومن

(١) المصدر نفسه، ص. ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص. ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص. ٧٤.

(٤) حي بن يقظان، ص. ١٠٦.

(٥) المصدر نفسه، ص. ١١٢.

(٦) مقدمة أبي العلا عفيفي لنصوص الحكم، القاهرة، ص. ٣٨. وانظر شرح فصوص الحكم

لمحمد داود قيصر رومي تهران ١٣٧٥، ص. ٩٧٥ - ٩٧٦.

سعى في هدمه فقد سعى في منع وصوله لما خلق له<sup>(١)</sup>، وهو عنده المقصود الأول من العالم كله، وأن العالم تم بوجوده فهو من العالم كفص الخاتم من الخاتم الذي هو محل النقش<sup>(٢)</sup>، "وأفراد الإنسانية من حيث أن كلاً منها إنسان ليس فيها خبث بل كلها طيب بالطيب الذاتي، لأن كلاً فيها مخلوق بيديه (بيدي الله)<sup>(٣)</sup> وحامل لما عنده من الصفات الإلهية<sup>(٤)</sup> وذلك أنه: "لا بدّ من المناسبة بين العلة والمعلول، ولو بوجه ما<sup>(٥)</sup>"؛ فالإنسان إذن - عنده - مقصود أصلي بالإيجاد في علم الله أولاً ثم في الواقع العيني، فالإنسان "كون جامع لجميع صفات الوجود ومراتبه ومختصر شريف لها، وهو الغاية القصوى من الوجود"<sup>(٦)</sup>.

إلا أن [ابن خلدون] (ت ٨٠٨ هـ) يرى أن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة، فمن حيث كونه حيواناً فعدواني، ولا يزول عدوانه إلا في نظام اجتماعي سياسي، ويرى أن الإنسان رغم حيوانيته فهو طيب خيّر لأنه كائن عاقل ولذلك يتجه إلى الخير والفضيلة وإن كان فيه استعداد للظلم<sup>(٧)</sup>.

أما [الطرطوشي] (ت ٥٢٠ هـ) فقد ذهب إلى أن الإنسان دون دولة مثل الحيتان في البحر يزدري الكبير منها الصغير<sup>(٨)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص. ٩٧٩.

(٢) المصدر نفسه، فص حكمة إلهية في كلمة آدمية، ص. ٣٥٨.

(٣) المعنى أنه خلق بقدرته بالإضافة إلى عنايته به عناية خاصة.

(٤) شرح الفصوص، لقيصر الرومي، ص. ١١٨٢. ما دام متصفاً بالكمالات فإذا نزل إلى

الاتصاف بالتقائص بحرته يصبح خبيثاً

(٥) المصدر نفسه، ص. ١١٨٤.

(٦) أبو العلا عفيفي، مقدمة تحقيق فصوص الحكم، ص. ٣٨.

(٧) المقدمة، دار الجيل، بيروت، ص. ٤٧.

(٨) سراج الملوك، الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤ هـ، جان ص. ١٦٠.

وإذا عدنا إلى [جمال الدين الأفغاني] الفيلسوف الحديث (ت ١٣١٤ هـ) فإننا نراه يتصور الإنسان بأنه "كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية والكونية"<sup>(١)</sup>، وأن "الإنسان الكامل كتاب جملي، وأمّ لجميع الكتب بعد تفصيلها"<sup>(٢)</sup>، وأن "علم الإنسان الكامل مرآة لعلم الحقّ، وعلم الحقّ متجلّ عليه، وظاهر به"<sup>(٣)</sup> وأنه "برزخ بين العالم وأسماء الله"<sup>(٤)</sup>.

ونسب إلى الإمام على أمير المؤمنين أنه قال:

أتزعم أنك جرم صغير      وفيك انطوى العالم الأكبر  
وأنت الكتاب المبين الذي      بأحرفه يظهر المضمّر  
وفي عصرنا هذا أخذ الوعي بكرامة الإنسان يزداد وضوحاً أكثر، لذلك نجد مقاومة للمحاولات التي تنال من كرامته وتميل إلى أن تجعله شيئاً من الأشياء<sup>(٥)</sup>، وانتهى عصر استعباد البشر، وإن كان كثير من الناس في العالم يتعرضون للإهانة والتعذيب والقتل وللتصرف فيه بالتقنيات التي أصبح لها سلطان على الأبدان بدعوى أن حياة بدن ما أصبحت غير مفيدة، ويبدو أنه لا حدود لهذه السلطة الجديدة.

فالإنسان له كرامة مزدوجة، فهو ينطوي على كرامة ذاتية منطبعة في وجوده البيولوجي والروحي من جهة، وعلى كرامة تتجاوز كيانه الذاتي إلى سلوكه من جهة أخرى، فهو ذو كرامة إذا كان فعلة يتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه، وهي كرامة تصدر من حياة فاعلة للخير،

(١) جمال الدين الأفغاني، رسائل في الفلسفة والعرفان، تحقيق وتقديم السيد هادي خسرو

شاهي، طهران ١٤١٧هـ، ص ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥. وأسماء الله هنا: هي صفاته من: العلم والقدرة وغيرها، بما

يناسب الإنسان النسبي.

ويقصد بها غالبا المعنى الأول، وبناء عليها تترتب حقوق الإنسان وهي فكرة قديمة<sup>(١)</sup>.

فاليونان يتصورون - كما فعل أفلاطون - أن الإنسان يحمل عنصرا إلهيا في وجوده (وهو النفس)، ولذلك فإن النفس نبات إلهي سماوي وكان رأس الإنسان مرفوعا للدلالة على ذلك<sup>(٢)</sup>. وكذلك عند الرومان مثل [شيشرون].

وذهبت المسيحية إلى أن الله خلق الإنسان على صورة تشبه الله، وإلى الله مصيره كما في اليهودية<sup>(٣)</sup>، وفي أثناء القرن الثامن عشر قطعت كرامة الإنسان من أصلها المطلق إلى ذات الإنسان نفسه مقطوعة الصلة عن المتعالي Fondement transcendant وبنيت على فكرة [كنت] Kant في الاستقلالية الأخلاقية Autonomie morale فأصبح الأساس هو القانون أو المعاهدات أو الدساتير، وفقد الأساس الحقيقي العميق لاحترامه وتقدير كرامته<sup>(٤)</sup>.

إن الإنسان المحدود النسبي لا بدّ أن يرجع إلى المطلق لتكون له قيمة حقيقية، ولا ندعي كرامة للإنسان دون أن يكون لها سند سوى طبيعة الإنسان المشتركة، فالذي ينبغي إنقاذه من التقنية والحروب إنما هو وجود الإنسان باعتباره كائنا أخلاقيا كرمه الله؛ وبذلك نكون أمام مسؤولية الحفاظ عليه والدفاع عنه ضد كل ما يمس كرامته ويغيّر طبيعته ويضر بجسمه أو عقله، فمن حقه أن يوجد وألا يُعدم ولا يجوز أن

(١) نجدهما عند أفلاطون ط ١٧٦ Thétète، و Timée 90 A، والجمهورية La République، وعند أرسطو ١١٧٧، V، a 16,B 28 Ethique à Nicomaque.

(٢) أنظر: Timée,90 A

و Roberto Andorno, la bioéthique et la dignité de l'homme, P.37.

(٣) Cicéron, de officiis, 1,30.

(٤) Fondement de la métaphysique des mœurs, Paris, Vrin, 1980, p, 113.

يكون موضع تلاعب في أيدي أصحاب التقنية، ولا يجوز أن نختصره في جسمه ولا في روحه، بل يجب احترام طبيعته في جملتها ووحدتها، فهو جسم يتضمن وعيا وهو فعل من أفعاله، وبذلك تميّز عن بقية العالم المادي، ولا يتوقف احترامه على ظهور قدراته العقلية وممارسته للتعقل فهو شخص ذو وجود محترم ولو لم يتم نمو إمكاناته بعد كما هو الأمر عند الجنين والمولود الجديد، أو الذي فقد قدراته أو نقصت لظروف ما في زمن ما، فهو (أي الإنسان) ليس محصورا في النشاط العصبي "Activité Neuronale"<sup>(١)</sup> وبذلك تشمل هذه الطبيعة كل فرد وإن نقصت ملكاته أو فقّد شيء منها: كالأعمى والأصم والأبكم، والجنين المنغولي Mongolien لأنهم متساوون في الطبيعة وإن اختلفت أفرادها، فمجرد انتماء الفرد للجنس البشري يجعله محترما منذ تكوّنه إلى مماته على خلاف ما يذهب إليه بعض البيولوجيين أمثال Engelhardt<sup>(٢)</sup> الذي يرى: "الوعي الذاتي بالحياة وحده هو المعيار الحقيقي - Only self Conscious life has rights" وكونه ينتمي للجنس البشري ليس له أهمية في نظره. فهو لا يستحق العناية إلا كالعناية بالحيوان، فالأجنة والرضع والمعوقون عقليا لدرجة خطيرة والذين هم في غيبوبة دائمة ليسوا أشخاصا وإن كانوا كائنات إنسانية؛ فهذه نظرة علمانية واضحة<sup>(٣)</sup>.

إن كل إنسان غاية في ذاته ولا يمكن أن يكون وسيلة أو شيئا، وهو مبدأ أخذ به [كنت] وغيره، فالإنسانية نوع يجب الحفاظ عليه، وتاريخ يجب معرفته وهي قيمة يجب الدفاع عنها، وأخص خصائص الإنسان أنه كائن أخلاقي بالدرجة الأولى وأنه الوحيد الذي يعلم أنه

Jean - Pierre Changeux, L'homme neuronal, Paris Fayard, 1983, P.364. (١)

The Foundations of bioethics (New York) Oxford University press, 1996, (٢)  
P.P.138 - 145.

Roberto Andorno, ibid., P.46. (٣)



سيموت ولا يمكن قطع الصلة بالقيم والأصول المعنوية الماثورة في الخلق الإنسانية الأمر الذي ندعوه معاني الفطرة، ولا يجوز - في نظرنا - التصرف غير العلاجي الذي يغير من الطبيعة الإنسانية كمزاوجة الإنسان بالحيوان، فالإنسان كما خلقه الله لا يحتاج إلى تحسين في جوهره، ولا ينبغي أن يتجاوز الإنسان نفسه، ولا نحرمه من حرته لأننا إذا صنعناه كما نريد فقد أفقدناه هذه الحرية ورفضنا شروط حياة الإنسان وإمكاناته، فالعلاج مهمته القضاء على المرض لا على المريض، فالآليات والتقنيات أدوات اخترعها الإنسان وهي امتداد ليديه وخلقته الأصلية فلا ينبغي أن تتجاوز أغراضها إلى أن يصبح الإنسان نفسه آلة أو آيلا إلى الآلية، وهذا ما أدخل الخوف في نفوس بعض الناس من الآلة والاتجاه ضدها وهو ما يسمى *Téchnophobie* وهو ما يجعلنا نعجز عن التنبؤ بما سيصير إليه الإنسان، إننا ضد تغيير البنية المادية للإنسان والخروج به عن مخططه الوراثي السليم كاستنساخ الأفراد من البشر الذي يؤدي إلى وجود قوالب متماثلة، ويقضي على التنوع والاختلاف الذي يتميز به كل فرد عن الآخر، فإن الشخص بالمعنى الحقيقي لا يمكن تكراره كما قال مونييه<sup>(١)</sup>، فليس أكثر مساسا بشخصية الإنسان من أن يُصنع مثله، سواء كان استنساخا جنينا أو من خلايا جسمية غير جنينية، فيصبح الإنسان شيئا موضوعا في سلسلة من أمثاله، وهذا يتناقض مع حق "الذاتية" الذي ينبغي أن نعترف به لكل إنسان<sup>(٢)</sup> فلا تكون شخصيته نسخة من الآخر، فالناس عادة متشابهون وليسوا متطابقين، وعملية الاستنساخ تجعلهم متطابقين، وربما أصاب

Mounier, Le personnalisme, Paris, PUF, 1951, P.47.

(١)

Roberto Andorno, Ibid, P.91.

(٢)

الإنسانَ المستنسخ حزنٌ شديد إذا علم أنه نسخة من شخص آخر، وباختيار غيره وقراره، فيكون نتيجة لقرار صدر قبل وجوده.

ولهذا نرى الفيلسوف Hans Jones يقول: "احترم حقّ حياة كل إنسان فيه ودعها لتجد طريقها الخاص بها...<sup>(١)</sup>" ولا يكون الطفل ثمرة التقاء الأب والأم المتحابين، وإنما عن طريق أعمال تقنية فيصبح الإنسان الصانع Homo Faber يمارس تقنياته على نفسه، دع عنك ما يؤدي إليه الإخصاب خارج الرحم من مشكلات مثل نقل الأجنة وتجميدها، وإجراء التجارب والبحوث عليها، ويبقى عدد من الأجنة الزائدة عن الحاجة ينتظر تجارب أخرى إذا لم تنجح الأولى، ولقد نبه البيولوجيون والتقنيون إلى أن كثيرا من هذه الأجنة يموت أثناء النقل أو بعده، هذا وقد يستنسخ إنسان بدون إذنه كما يمكن بيع أجنة مستنسخة، أو استنساخ أشخاص مجرمين، أو صنع سلالة من عبيد أو من جيش لأداء وظائف صالحين لها فقط، وكيف لنا أن نعرف المجرم من غيره إذا صنعت عدّة نسخ من شخص واحد؟! إنه يفقد هويته ويصبح مجهولا، وربما ظهرت أشكال غير عادية، وتصبح خطرا على الناس، وإذا كان جنينا ربما قطعت منه أعضاء للحاجة إليها، وترمى بقية جسمه في سلة المهملات؛ فنحن لا نرى مانعا من علاج الأمراض الوراثية والمستعصية وتخفيف آلام البشرية، ولكن لا بدّ من ضمانات أخلاقية وقوانين وضوابط صارمة، ولهذا يتجه أغلب الناس إلى الحذر الشديد من إنتاج البشر، وربما أجمع أغلب الناس على منعه، ولكن الباحثين المغامرين لا يمكن منعهم إن سرّا وإن جهرًا في واقع الأمر ولهذا يشتد القلق من هذا الوضع.

(١) Respecté le droit de chaque vie humaine de trouver sa propre voie et d'être une surprise pour elle-même", Technik, Medizin und ethik, Insel Verlag, 1985, P.114.

ويرى البيولوجيون أن نسبة الموت عالية جدًا في الفئران المستنسخة مع ما يصاحب ذلك من أمراض، وقصر عمر.

ومن أخطاء ذلك - أيضاً - أن يعتمد أحد الطغاة إلى استنساخ نفسه وعلى شكله، كذلك خطر إنتاج أناس آليين Robots<sup>(١)</sup>.

وأما العقم فيمكن علاجه دون دخول طرف ثالث حتى لا يهدم الهيكل الاجتماعي وأسس القربى، والزواج والمواريث وما إلى ذلك من القوانين المدنية والجنائية وبصفة عامة يؤدي هذا التصرف الاستنساخي إلى تخريب النظام الفطري، وإمكانية إنتاج كائنات تحمل أمراضا وفيروسات وإنتاج بكتريا خطيرة يصعب التحكم فيها، وتشكيل جيش كبير وحشي، والواقع أن الجنين هو أكثر عرضة للعبث به لأنه لا يدافع عن نفسه.

ويرى بعض الفقهاء أن احترام حياته يكون بعد أربعين يوما أو بعد ١٢٠ يوما<sup>(٢)</sup>، وحسب ملاحظات [ابن سينا] بعد ٢١ يوما من الإخصاب أو ثلاثين يوما حسب ملاحظات أخرى، ويرى [الشافعي] أنه يعتبر إنسانا إذا تبين من خلقته عين أو رأس أو أصبع أو ما أشبه ذلك مما يفارق فيه المضغة والعلقة والدم<sup>(٣)</sup>، وبين [الإمام مالك] «أن كل من طرحته (المرأة المضروبة) من مضغة أو علقة أو ما يعلم أن يكون ولدا ففيه الغرة<sup>(٤)</sup>» وهو رأي [أبي حنيفة]، وأن "الجنين منفرد بحكمه دون أمه فوجب أن تكون ديته موروثه عنه كسائر الديات<sup>(٥)</sup>".

(١) هناك فرقة تسمى L'église raélienne، وهي فرقة ملحدة وتسمى نفسها كنيسة، أسست شركة تجارية "Clonaid" لمشروع استنساخ الإنسان كما صرح بذلك B. Boisselier في جريدة 20 - 21 Le Monde 20 أبريل ١٩٩٧. انظر: René Frydman, Ibid, P.324.

(٢) وهو المدة التي تضمنتها النصوص اليهودية كالتلمود.

(٣) ابن عبد البر، الاستذكار، بيروت، ج ٢٥، ص ٨٣.

(٤) المصدر نفسه ج ٢٥، ص ٨٣. والغرة ما يقوم مقام الدية الكاملة ومعنى هذا أن إسقاط الجنين في مثل هذه الحالات جناية وتقدر الغرة بستمائة درهم عند جمهور الفقهاء.

(٥) المصدر نفسه ج ٢٥، ص ٨٩.

وإذا ضُربت المرأة فماتت بعد موت الجنين أو خرج الجنين بعد موت الأم حيًا ثم مات فعلى من ضرب المرأة ديتان: دية الأم، ودية الجنين، وذلك يعتبر قتلا لشخصين<sup>(١)</sup>؛ فهذا كله يشير إلى قداسة الحياة وحرمتها إذا تأكد الإنسان من وجودها، وأن الذكر والأنثى في ذلك سواء<sup>(٢)</sup>، وإذا سقط الميت من بطن أمه بفعل فاعل، وهو حيّ ثم مات ففيه الدية كاملة، لأننا تحققنا حياته في مذهب الإمام مالك<sup>(٣)</sup> وعلى الضارب كفارة زيادة على الدية<sup>(٤)</sup>، وهي: صوم شهرين متتابعين مع تفصيل في ذلك، وتعرف حياته عندهم بالاستهلال وهو الصباح أو البكاء أو التنفس أو حركة أو عطاس، وإذا علمت حياته فأحكامه أحكام الجنين، وقال ابن رشد: "والأجود أن تعتبر نفخ الروح فيه أعني أن يكون تجب فيه الغرّة إذا علم أن الحياة قد كانت وجدت فيه"<sup>(٥)</sup>.

ولقد أفتى [مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف] بحرمه الاستنساخ بكل الوسائل. وأفتى [آية الله صانعي] بأن وجود الإنسان يجب أن يكون صادرا عن الزواج الشرعي وأن الاستنساخ البشري محرّم. ويرى الإمام الشيخ [محمد مهدي شمس الدين]<sup>(٦)</sup> أن الاستنساخ محرّم تحريما مطلقا<sup>(٧)</sup> ولا يجوز للإنسان أن يتصرف في بدنه إلا في حدود. ويرى [الشيخ حسن شاهين]<sup>(٨)</sup> أن الاستنساخ مباح في الأصل، فإذا خدم الإنسانية أي وترتبت عليه مصلحة فهو مباح بل

(١) ابن عبد البر، المصدر نفسه، ص. ٧١. بقية هامش ٧٤٩ من ص، ٦٩،

(٢) المصدر نفسه، ج ٢٥، ص، ٧٨،

(٣) المصدر نفسه، ج ٢٥، ص، ٨٠،

(٤) المصدر نفسه، ص، ٨١،

(٥) بداية المجتهد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨، ج ٢، ص، ٤١٦،

(٦) رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.

(٧) الاستنساخ بين الإسلام والمسيحية، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٩، ص ١٣٢.

(٨) مدير معهد الإمام الصادق للدراسات الإسلامية.

مستحب، وإذا أدى إلى مفسد ومضار فهو محرم، لأن الأحكام الشرعية تترتب على المصالح والمفاسد<sup>(١)</sup>، وهذا يرجع إلى قواعد شرعية معروفة مثل: (الأمر بمقاصدها)، و(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، (لا ضرر ولا ضرار)، (الضرر يدفع بقدر الإمكان)، ومعنى هذا أن الأمر يتطلب دراسة أعمق، ثم وضع أحكام وضوابط بناء على ما تصل إليه من حقائق بطرق علمية وبحوث لا تترتب عليها أضرار بالجنين البشري، أما السيد [عبد الكريم فضل الله]<sup>(٢)</sup> فيرى أن الاستنساخ لا إشكال في جوازه ضمن ضوابط حددها مثل عدم إهانة الإنسان، عدم الضرر والهرج والعسر، عدم الوقوع في المحرمات<sup>(٣)</sup>.

وكذلك موقف [آية الله العظمى محمد حسين فضل الله] في أن اكتشاف أسرار الجسم البشري في عملية الاستنساخ أمر مفيد لا يمنع من الاستفادة منه في زرع بعض الأعضاء لتعويض ما تلف منها في الإنسان<sup>(٤)</sup>، وأنه يمكن الاستفادة منه في نسخة ثانية من إنسان أو حيوان، ويرى أنه لا يمكن أن نصدر حكماً مباشراً شاملاً في قضايا تترتب على ذلك مثل القضايا الشرعية والأخلاقية والقانونية<sup>(٥)</sup>. إنَّ الفقيه قبل أن يجتهد في قضية مثل هذه لا بد أن يكون على علم بموضوع

(١) المصدر نفسه. ص ١٢٨، - ١٢٩.

(٢) عميد حوزة الثقلين العلمية.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٢، - ٢٧٣. وهو يرى أن الولد من خلية جسدية له أب وأم، فأبوه هو أب صاحب الخلية، وأمّه هي أمّه وصاحب الخلية هو أخوه الشقيق.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٩،

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٠، يرى أنه لا يجرم مطلقاً ولا يباح مطلقاً، بل المعيار في ذلك هو المصلحة، والضرر. فإذا غلبت المصلحة على الضرر جاز ويجرم العكس، أما التغيير في الخلق الوارد في القرآن فيقصد به تغيير الفطرة أو تغيير الجسم لغرض عبثي كما يفعل أصحاب الجاهلية. أما الوشم والنمص الوارد في حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه البخاري وغيره فهو حديث موقوف عليه؛ وقول الصحابي ليس حجة عند الأصوليين.

فتواه علما واضحا بالتعاون مع أهل الاختصاص حتى يمكن له أن يجتهد وأن يصل إلى حكم على قاعدة رصينة، ومع الأسف نجد بعض الفقهاء يتسرعون في إصدار فتاوي قبل التحقق من طبيعة موضوع الحكم، والحكم على الشيء فرع عن تصوره - كما يقول المناطقة القدماء - لأن التقني في مثل هذه العمليات لم يخلق الخلية ولا حياتها، وإنما أخذ خلية أو خلايا موجودة ومخلوقة، خلقها الله ثم هيا لها ظروفًا معينة بتقنيات خاصة كي تنمو، لأن الاستنساخ قد يحدث طبيعيا عند ولادة توأم من الخلية نفسها، أما إذا كان الاستنساخ من خلية جلدية فإن بعض الناس يرى أنه لا يكون هناك تطابق تام لأن البيئة لها دخلها وتأثيرها في إيجاد الاختلاف، وربما طالبت الفتاة بحقها في الأمومة دون زواج، والواقع أن معرفة الخريطة الجينية للإنسان يؤدي إلى محاذير كثيرة كشركات التأمين وغيرها وكالوظائف وإن كان لها نفع في اكتشاف جينات سرطان الثدي وأمراض القلب، وسرطان المصمران الغليظ، وهل يمكن للمرأة التي فقدت وحيدها أن تأخذ خلية من جسده وتستنسخ ابنا خلفا للذي ربته وأحبته؟ وربما تتغير المفاهيم بتقدم العلم.

وإذا ألقينا نظرة على الإنترنت وجدنا اختلافا كبيرا في وجهات النظر، وإن كان للمجتمعات نظرة سلبية إزاء كل جديد في مبدأ الأمر وعلى كل حال لا ينبغي الارتجال في هذا الميدان الحساس، ولئن كان [فضل الله] جوز الاستنساخ الجيني إلا أن كثيرا من الفقهاء خالفوه الرأي واعتمدوا فتوى الأزهر في المنع، وتتفق معه الكنيسة القبطية<sup>(١)</sup>، أما الشيخ نصر فريد واصل، فقد حرم الاستنساخ لغرض علاج العقم ويعتبره من قدر الله «ويجعل من يشاء عقيما» وفي هذا نظر لأنه يمكن دفع قدر الله بقدر الله أيضا، كرفع المرض بالدواء، ويأسف الدكتور حسن الترابي

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٣، وهو رأي الأنبا موسى عضو الكنيسة القبطية المصرية.

أن كثيرا من الفتاوى في هذا الباب تصدر بغير إدراك شامل للموضوع، ولكل الجوانب العلمية الطبية البيولوجية، كما أن بعض الباحثين لا يحبون أن يدركوا المخاطر التي يمكن أن تحدث، ويؤثر أن تجمع كل حيشات العلم وآثاره، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وأخلاقيا على أساس تلك الآثار والنتائج ولا تكون الفتاوى تصدر آليا دون دراسة واسعة.

أما منظمة الصحة العالمية على لسان مديرها العام الدكتور [هيروشي ناكاجيما] فقد وقف موقفا واضحا، وبيّن أن الاستنساخ عمل غير مقبول أخلاقيا، وأنه انتهاك لكرامة الإنسان ولحماية أمن المادة الوراثية الإنسانية، وكوّن مجموعة علمية لدراسة ذلك كله، وأيدت هذه المجموعة حق كل إنسان في أن ينتفع بتطبيقات التقدم العلمي، وضرورة احترام حرية البحث العلمي، ومنعت الأشكال المتطرفة من التجارب مثل الاستنساخ البشري، والتخصيب بين الأنواع وتغيير مورثات أصل الخلية دون أن يؤدي هذا الاحتياط إلى منع بحوث الاستنساخ دون تمييز<sup>(١)</sup>.

وقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي قرارا بهذا الصدد بين فيه أن الإسلام لا يضع قيودا على البحث العلمي، ولكن لا بدّ من حذر بوضع ضوابط في تطبيق نتائجه، التي يؤدي تطبيقها إلى الإضرار بالإنسان أو الاعتداء على كرامته أو على العلاقات الأسرية والاجتماعية التي وضعتها الشريعة المطهرة، وخاصة النسب والقربة، وقرّر تحريم الاستنساخ البشري بطريقته أو بطريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري. وتحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية رحما كان أو حيوانا منويا أم خلية جسدية<sup>(٢)</sup>.

وعلى كل حال فإنه ينبغي ألا تعطى أهمية لروايات الخيال العلمي

(١) المصدر نفسه، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) قرار المجمع بتاريخ ٢٣ - ٢٨ صفر ١٤١٨هـ/ ٢٨ يونيو - ٣ يوليو ١٩٩٧ في اجتماعه بجدة بالمملكة العربية السعودية.

كما تصورهما بعض وسائل الإعلام. كما لا ينبغي أتباع مجرد الانفعال الأخلاقي، وربما ضيقت قوانين معينة في هذا المجال على الباحثين فيلجأون إلى بلاد أخرى تشكو من فراغ قانوني فيقومون بأبحاثهم بكل حرية، وإذا منع البحث في القطاع العام، فهل يمنع في القطاع الخاص الذي لا تموله الدولة؟ وربما تتلاشى المعارضة والمخاوف والتحفظات الأخلاقية إذا تبين الطريق السليم في تطبيق بعض النتائج العلمية التي يأمن الإنسان فيها على كرامته وبنيته الفطرية، ويستفيد منها للقضاء على أمراض وراثية خطيرة، ويخفف ذلك كله من آلامه وأوجاعه، ولذلك ينبغي التحري الدقيق في إصدار الأحكام التي لا تنبني على قواعد سليمة مؤكدة ورؤية شاملة للجوانب العلمية والتقنية ونتائجها الواقعية<sup>(١)</sup>.

إذاً فما الذي يمنع من التحكم في الجينات التي تعزز قدرة الإنسان على تحمّل الأثقال ودرجات الحرارة أو البرد، أو حذف الجينات التي تسبب الهرم والشيخوخة ليبقى الإنسان حيويًا إلى أن يموت ولا يصيبه شيب ولا تجاعيد، إنَّ تحسين النسل البشري ليس ممنوعًا وإنما الممنوع تشويه خلق الله، فالتصرّف في الجينات ليس معناه خلقًا جديدًا، وإنما هو خلق الله أساسًا والتحسين لا ينافي التباين والاختلاف، ويمكن القول بجواز التصرف في الجنين الميت في مجال البحث والتجارب إذا تحقق من موته وإذا أذن والده، كما يمكن زراعة أعضاء في مرضى لإنقاذ حياتهم، وخاصة قبل نفخ الروح أي في حدود

---

(١) يؤكد هذا الحذر أن المجمع الفقهي أفتى في جواز حمل الزوجة الثانية الصّرة، عن الأولى بشروط ثم تراجع ومنع ذلك مطلقاً لأنه علم حقائق أخرى محتملة لا تعرف فيها الأم الحقيقية.



أربعين يوماً أو ١٢٠ يوماً على اختلاف الفقهاء في ذلك<sup>(١)</sup>، وابن حزم يرى أن الجنين بعضٌ من أمه ولحمٌ من لحمها<sup>(٢)</sup>، وهذا لا يقبله غيره. وكذلك أجاز بعض الفقهاء إسقاط الجنين إذا كان مشوهاً جداً، وذلك قبل ١٢٠ أو قبل ٤٠ يوماً إذا رأت ذلك لجنة من الأطباء، ويزعم بعض الباحثين أن الجنين قبل نفخ الروح ليس آدمياً<sup>(٣)</sup>. ولكن ابن رجب الحنبلي قال: "قد صرح أصحابنا بأنه إذا صار الولد علقة لم يجز للمرأة إسقاطه، لأنه ولد انعقد بخلاف النطفة<sup>(٤)</sup>"، ولكن هذا الرأي الذي يذهب إلى جواز إسقاطه قبل ٤٠ يوماً عند الحنابلة ليس له دليل واضح. أما الإباضية فإنهم يمنعون الإجهاض مطلقاً<sup>(٥)</sup> إلا لضرورة قصوى كالحفاظ على حياة الأم، وكذلك المالكية وبعض الشافعية، بل إن المالكية لا يجوز عندهم "إخراج المني المتكوّن في الرحم ولو قبل الأربعين يوماً، وقال (الدسوقي) هذا هو المعتمد<sup>(٦)</sup>"، وذهب [محمد بن أحمد بن جزى الغرناطي] إلى أنه: "إذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشدّ من ذلك إذا تخلّق، وأشدّ من ذلك إذا نفخ فيه الروح، فإنه قتل نفس إجماعاً<sup>(٧)</sup>". وذهب [أبو حامد الغزالي] وهو شافعي إلى أن الإجهاض جناية على موجود وحاصل وله أيضاً مراتب:

(١) أنظر رأي محمد نعيم ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، عمان ١٩٩٦، ص ١٠٥ - ١٠٦، وهو يرى أن الجنين قبل نفخ الروح لا يعتبر آدمياً وهذا يقرب من رأي العلمانيين الغربيين.

(٢) المحل، ج ١١، ص ٣٣.

(٣) مثل محمد نعيم ياسين، أبحاث طبية في قضايا فقهية معاصرة، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٤) جامع العلم والحكم، ص ١٥٧.

(٥) أطفيش محمدي يوسف، شرح النيل، ج ١٥، ص ١٥٢.

(٦) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٧) القوانين الفقهية، ص ٢٣٥.

وأول مراتب الوجود: أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية<sup>(١)</sup>. ولعل رأي المالكية وأبي حامد أقرب إلى ما قرره البيولوجيا اليوم من أن الجنين حي منذ الإخصاب وبذلك يكون محترما في حياته، والاعتداء عليه جناية.

إن الإسلام يتجه إلى العلم والبحث، ويدعو إليه بإلحاح شديد، ولا شك أن التقنية إن هي إلا تطبيقات للعلم، وامتداد له، ونتيجة من نتائجه، واتجه العلم في الإسلام إلى النواحي التطبيقية العملية اتجاها واضحا إذا كانت تطبيقات نافعة، ولذلك قدم المسلمون للعلم الأوروبي ما نهض به وصار في تقدم مستمر، ولذلك نرى الأستاذ René Frydman يكتب "أرض الإسلام أهي أرض العلم"<sup>(٢)</sup> إن الطب تقدم فيه المسلمون تقدما هائلا عن طريق التجربة والمشاهدة، وأسسوا مستشفيات حقيقية يطبقون فيها الجراحة كما طبقوا التخدير والتلقيح بصنع أدواتها، وكان في قرطبة وحدها ما لا يقل عن خمسين مستشفى، وتاريخ العلم يشهد لهذا، والعلم فريضة إسلامية ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر/٩).

وما يقال في الطب يقال في الفلك والرياضيات والفيزياء، والمسلم يأخذ العلم من أي قوم ينقله وينسبه إلى أصحابه، ويضيف إليه، ولا يقتصر عليه، يأخذه من أصحاب كل دين ونحلة، ولا يتردد في الانتفاع به إذا وجده صحيحا نافعا، وطلب العلم عبادة في الإسلام، وقد أشار القرآن إلى الجنين وذكر مراحل المختلفة وتطوره مما لا يختلف عما وصل إليه العلم في عصرنا هذا<sup>(٣)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين، ج٢، ص ١١٠،

(٢) Dieu, La médecine et l'embryon, P.48.

(٣) أنظر كتاب موريس بكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.

إنّ العلم في الإسلام هو اكتشاف لسنن الله في الكون، ولا يمنع الخوض في أي مجال ولكن بشرط ألا يكون تطبيق ذلك العلم مضرا بالإنسان أو اعتداء على كرامته.

ويمكن القول: بأنه توجد جماعات متشددة في تصوراتها تأخذ النصوص حرفياً، وجماعات أخرى تؤوّل النصوص في ضوء العقل السليم، وتاريخ الإسلام شهد أهل الحديث وأهل الاعتزال؛ أهل النصوص وأهل المعاني، ومن يتوسط بينهما كالأشاعرة، وما يزال هذا الوضع قائماً إلى اليوم.

يتسم الغرب في العلاقة بينه وبين الطبيعة بالصراع والمواجهة، ونشأ عن ذلك العلم وما يتبعه من تقنية، وطريقة الغرب في الحياة هي مواجهة العالم الخارجي وإجباره على أن يستجيب له لإشباع رغباته.

أما الشرقي فهو يتكيف مع الطبيعة ويسالمها كالثقافة اليابانية التي تؤكد الحياة وتتكيف معها وتستمتع بها، وكذلك الثقافة الهندية التي تميل إلى تأكيد الفناء [كالنرفانا عند البوذية]، وكما يرى [رسل] فإن الإنسان معني بثلاثة أنواع من الصراع: صراع ضد الطبيعة، وضد غيره من الناس، وضد نفسه ذاتها، وهذا يعبر عن الفكر الغربي وثقافته فهو يُعنى بالمشكل الطبيعي ويؤكد كما يعنى الصيني بالمشكل الاجتماعي، والهندي بالمشكل النفسي، أي باطن الإنسان من أجل فهمه.

فالغرب يعطي الأولوية للعقل والعلم بالاتجاه إلى العالم المشاهد، كما يؤكد الإرادة والفعل، لأن ذلك مصدر للإشباع والرضا، لذلك يتسم بالفعالية والسعي إلى اصطناع التقنية بلا نهاية ولا حدود، ولذلك كَوّن لنفسه عالماً ثانياً بجانب عالم الطبيعة وهو عالم التقنيات، وأصبح هذا العالم الثاني مؤثراً أيما تأثير في حياته، وأصبح بذلك وجلاً من التقنيات وهذا ما يسمى "Technophobie" وربما يصبح ثائراً وساخطاً عليها، وتوجد في الأوساط الغربية اليوم فلسفة تدعى (فلسفة الآلة أو التقنية)،

ولهذا نجد عددا من الفلاسفة النقاد ظهوروا في الغرب أمثال [هسرل] في محاضراته "الأزمة في الضمير الأوروبي" (١٩٣٠) فرأى أن العلم فيه ثقبه سوداء؛ فالعلماء لهم وسائل عجيبة لمعرفة الأشياء، ولكن ليس لهم أية وسيلة لمعرفة أنفسهم باعتبارهم كائنات لها ذاتيتها وهذا الذي جعل سير العلم سيرا أعمى ولا ندري أين يتجه، وكما قال [أنشتاين]: "عندما أقوم بعمليات حسابية وأرى حشرة صغيرة تنزل على ورقتي تكون لدي رغبة في أن أصيح: الله أكبر!، فمع كل المجد لعلمنا فنحن لسنا إلا جراثيم بائسة"<sup>(١)</sup> فالذين يمكن له أن يساعد العلم ليقى متواضعا ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء/٨٥).

فينبغي أن يسأل الناس عن تطبيقات العلم والغاية من ممارسة التقنية إذا أضرت بالإنسان، ولكن الاتجاه الغالب اليوم في الغرب هو ما يسمى "Techophile" فالتقنيات أدوات يحسن بها الإنسان شؤون حياته ويحقق إشباع رغباته، ولذلك فهناك ثقة في العلم والتقنية لما لها من فائدة للإنسان، وعلاقة الإنسان الغربي بهذا الاعتبار بالطبيعة هي علاقة صراع وهيمنة وتحكم، واستنزاف للموارد الطبيعية، وتدمير للنظم البيئية، والتلوث، واختفاء بعض أنواع الحيوانات؛ ولذلك نجد الفلاسفة الغربيين اليوم مثل [يونس هانس] Hans Jones من يلجأ إلى التقاليد الميتافيزيقية والدينية للإجابة عن هذه المشكلات التقنية المعاصرة، لأن العلم أصبح قاطعا لعلاقته مع الأخلاق والدين، وظن الإنسان أنه مركز الكون وأنه مستقل بذاته خالق لقيمه، ويؤمن بالعلاقات الكمية؛ ولهذا نجد الفيلسوف [كارل أتو آبل] يرى ضرورة تأسيس ما سماه "بالأخلاقيات الكبرى" Macro - éthics وهي الأخلاق المشتركة بين جميع أمم الأرض، وتكون هذه الأخلاق تعلق على أخلاق العلم،

(١) Karl Jaspers, Introduction à la Méthode de la Philosophie, Paris, 1966, P.14.

لتكون للمجتمع التقني أخلاق تحكم علاقته بالتقنية، لأن التصرفات التقنية أخذت تضر بالإنسان، فلا علاج لذلك إلا بالزهد في جزء منها، وبعدم المشاركة في إنجاز التقنيات إلا إذا علمنا آثارها على وجه كاف ونترك التقنيات التي تجلب المضارّ والدمار، لأن بلوغ نهاية التقنية هو انقلابها إلى ضدها ويؤدي ذلك إلى أوضاع مأساوية بما فيه من زيادة سطوتها، وكان بعض الناس يرى: أنه لا سيادة على الطبيعة إلا إذا قطعت الصلة بين العلم والأخلاق والدين ويأخذون بالشعار: "أنجز كل ما هو ممكن"، فالعدمية وما بعد الحداثة متفقان على القطيعة مع أي حقيقة مطلقة التي يمكن أن تكون لها شرعية ويمكن فرضها على الناس، كما يمكن أن تكون لهم سندا متعاليا يستعصمون به لدفع المحن والدمار.

إنه يجب التفكير في وضع أخلاق البحث العلمي المتعلق بالإنسان لوضع ميثاق واضح لذلك. ووضع [بروتوكولات] بحثية تعرض على لجان علمية وظيفتها حماية الأشخاص في البحث الحيوي الطبي Biomédicale لتفحص هذه اللجان هذه البروتوكولات قبل إنجازها، فقد كانت تجرى أبحاث على الذين حكم عليهم بالإعدام وعلى المسجونين، ولذلك ينبغي أن تخضع البحوث التي تجري على الأطفال والنساء الحوامل والمرضى عقليا لشروط محددة، منها: ألا تكون هناك مخاطرة كبيرة، وكذلك تجنب التمييز بين الفقراء وغيرهم، وخاصة التمييز بين أهل الشمال وأهل الجنوب، بحيث يقع استغلال سكان العالم الثالث لبحوث لفائدة العالم المصنع، ولا يقع الاهتمام بالأمراض التي تكون في العالم الثالث فقط، ولا بدّ من إعلام كافٍ، ووضع ميثاق للمريض المقيم في المستشفى فهو شخص له حقوقه وواجباته قبل أن يكون مريضا، فربّما يستغل لأبحاث من غير علمه، فلا بد من رضاه وموافقته في كل عمل من شأنه أن يكون جزءا من

بحث يُجرى عليه، ويكون على علم بما يمكن أن يحدث له من مخاطر، ولا يكفي في ذلك وضع مبادئ عامة غير واضحة لا تؤدي إلى الحفاظ على الميراث الإنساني المتمثل في الجينات البشرية.

لا بدّ للبحث العلمي أن يمضي ليتقدم وتتقدم التقنية، ولكن مع يقظة وحذر، لأن التقدم قد يكون جنونا، ولذا يمنع تقطيع الجين بالتجارب، واستعمال ذلك لأغراض صناعية وتجارية ويمكن أن يستعمل لهذه الأغراض إذا غابت المراقبة والبروتوكولات الخاصة بالبحث العلمي الذي يُجرى على التراث الجيني البشري.

إن استعمال التقنية الجينية من أجل العلاج الذي يعيد الصحة أو الوعي أمر ضروري، وهذه هي غاية الطّب الذي إقما أن يقي ويحفظ الصحة، وإقما أن يعالج لإعادة الصحة إذا وقع فيها خلل، وأمّا العلاج التعزيزي فإنه فيما أرى غير ضروري؛ ولكن إذا رغب الإنسان في ذلك وأخبر بما يمكن أن يكون هناك من مخاطر كبيرة أو خفيفة، فإذا لم تكن هناك مخاطر أو مخاطر ضعيفة فلا نرى بأسا من ذلك لأن الغرض من ذلك إنما هو تنمية القدرات الإنسانية باستعمال التقنيات بطريقة علمية واضحة، وبطريقة تضمن عدم الضرر أو الإساءة بعد مدّة إلى وظيفة العضو أو إلى كيانه ذاته، وعن طريق بروتوكول يخضع لفحص لجنة توافق عليه مع موافقة المعني نفسه.

إن القدر المشترك بين الديانات الكتابية هو الرحمة، والله هو الرحيم كما ورد في القرآن مرات عديدة تبلغ بمختلف اشتقاقاتها ٣٣٣ مرّة، وورد في الكتاب المقدس في التوراة ٢٦٦<sup>(١)</sup> مرّة، وجاء في إنجيل متى (٧،٥) (طوبى للرحماء فإنهم يرحمون)؛ ولذلك ينبغي أن

(١) Jean Delumeau, "L'Histoire face au fait religieux" In le fait religieux (١) aujourd'hui, Rencontres internationales de Carthage 3eme session, du 1 au 6 Février 1999, P.82.

تسود هذه الرحمة بين بني آدم. وأن يقبل بعضهم بعضاً، وأن يسود التسامح واحترام آراء الآخر إذا لم يعمد إلى فرضها بالقوة أو بالحيل، وقبول الاختلاف، وما التقنيات إلا أدوات في يد الإنسان فلا يطلب منها ما لا تعطيه، وأن العلم لم يقل الكلمة الأخيرة، وأنه ليس في استطاعته أن يجيب عن كل سؤال يسأله الإنسان، فالعلم يسأل: كيف؟ والفلسفة: لماذا؟ فلا يجوز أن نخضع العلم للدين ولا الدين للعلم فإنهما طريقان للمعرفة لا يتعارضان في نهاية الأمر عند العقلاء من أهل الدين والعلم، وصدق Charles Townes الحائز على جائزة نوبل لاكتشافه Laser عندما قال: "العلم يبحث لمعرفة آليات العالم، ولكن الدين يبحث عن معناه ودلالته"<sup>(١)</sup>.

﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) (فصلت/ ٥٣).

# الله والإنسانية والطبيعة من المنظور الإسلامي

الدكتور مظفر إقبال





## الله والإنسانية والطبيعة من المنظور الإسلامي

مظفر إقبال<sup>(١)</sup>

مقدمة البحث:

إن أفضل وسيلة للإجابة عن التساؤلات التي تثيرها التطورات الحديثة في علوم البيولوجيا هي دراسة هذه التساؤلات دراسة متأنية في إطار بحثي ذي محددات معرفية وأنطولوجية واضحة المعالم.

فالأسئلة عن وضع الجنين وهو مازال مضغعة إلى أن يصير جنينا مُخلّقا، وتلك التي تدور حول استخدام تقنيات الاستنساخ، والأسئلة التي تتعلق بمفهوم الطبيعة البشرية وكرامة الإنسان لا يمكن تحديد إجابتها دون الإجابة قبل ذلك على أسئلة أخرى: ما مفهومنا عن الإنسانية؟ كيف تفهم العلاقة بين الكون المخلوق، بما فيه من كل أنواع الحياة، وبين خالق هذا الكون وكل أشكال الوجود الحيوي والاصطناعي؟ هذه أسئلة أولية توفر الإجابات عنها إطاراً للبحث يمكن من خلاله الإجابة عن تلك الأسئلة الثانوية التي تطرحها التطورات والمستجدات في علوم الحياة وما يتعلق بها من تقنيات. ولهذا الأسلوب في تناول مثل هذه الأسئلة فائدة إضافية وهي وضع أساس

متين للأبحاث المستقبلية في هذه المجالات واكتساب القدرة على الاستجابة الفورية لأية تساؤلات بمجرد طرحها.

ونظراً لذلك، فإن هذا البحث سوف يعرض في إيجاز وجهات النظر الإسلامية عن تلك الأسئلة الأولية حول طبيعة الحياة البشرية وعلاقة الخالق بالخلق والمخلوق. وبناء على ذلك يتناول البحث ما تثيره التطورات العلمية والتكنولوجية من تساؤلات.

### المنظور الإسلامي لعلاقة الخالق بالمخلوق:

#### إرساء الأساس المعرفي:

من بين الديانات السماوية كلها، يقدم الإسلام كتاباً محفوظاً هو من أشمل الكتب المُنزلة في تناول أسس الحياة الإنسانية ومن أشدها إيجازاً في التعبير عن ذلك. ويعتقد المسلمون أن القرآن هو فعلاً كلام الله نزل به الوحي في مكان محدد وعبر فترة زمنية محددة، إلا أنه يتجاوز الزمان والمكان، ونجد في هذا الكتاب تعريفاً دقيقاً لكل ما هو إسلامي، فلا غرو إذن أن يمثل الإطار المرجعي لكل القضايا الهامة في الفكر الإسلامي، والآيات القرآنية هي نصوص تنبض دائماً بالحياة، إذ يتلوها ملايين المسلمين في جميع أنحاء العالم يومياً، فالقرآن كتابٌ لا مثيل له فيما لدى البشر من كتب؛ لأنه هو نفسه يقول بذلك ويتحدى المشككين في علو قدره أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة واحدة من سوره<sup>(١)</sup>، وحتى الآن وبعد مرور أربعة عشر قرناً من تنزيله لم ينبر أحد لقبول هذا التحدي.

ونظراً لما للقرآن من أهمية أساسية في تاريخ الحياة الإسلامية،

(١) أنظر سورة يونس: ٣٨

وسورة هود: ١٣

يمكن القول: بأنه يمثل المصدر الأعلى والأسمى لكل المعارف الإسلامية، وقد ظل هو المرجع المعرفي لأي حديث عن الله والحياة والكون طوال سنوات التاريخ الإسلامي، وقد أفرز ذلك كمًا هائلًا من التراث الثقافي يرتكز على رؤية القرآن للحياة في هذا العالم؛ وعلى ذلك فإن فضله لا يقتصر على العلوم الأساسية التقليدية كالتفسير ونحوه، بل يمتد أثره ليشمل باقي العلوم كلها، يقول أبو حامد الغزالي: "ألا تعلم أن القرآن محيط (من المعرفة) تتفرع منه علوم الأوائل والمحدثين تماما كما تتفرع الأنهار والأغاديير من شواطئ المحيطات؟" (١).

إن اعتبار القرآن مصدرا لكل أنواع المعرفة لا يوفر أساسا معرفيا راسخا لأي تساؤل يدور في الذهن فحسب، بل يوفر حلا لمشكلة المنهج؛ ذلك أن القرآن يفصح في بيان رائع وبساطة عبقرية عن نظام الخلق ويعرض إطارا ثابتا للعلاقات بين الخالق والمخلوق.

### المفهوم القرآني عن الله:

يشدّد القرآن بأسلوب توكيدي حاسم على وحدانية الله: لا إله إلا الله (٢)، يعلنها القرآن بكل وضوح لا يحتمل أي لبس أو غموض. ويمثل هذا الإعلان لبّ العقيدة الإسلامية، وهو الجزء الأول من الشهادة التي ينطق بها آلاف المسلمين طوال سني حياتهم كما ينطق بها من يدخل في دين الإسلام لأول مرة، إنه إعلان فعلي ومعرفي عن وحدانية الله التي لا تماثلها أية وحدانية أخرى في الوجود وتجعل كل ما دون الله باطل، وتعتبر كلمة "الله" التي يتكرر ذكرها ثلاثة آلاف مرة

(١) الغزالي، أبو حامد: "كتاب جوهر القرآن" ترجمة محمد عبد القاسم. (لندن: كيجان بول إنترناشيونال، ١٩٨٣ ص ١٩-٢٠).

(٢) أنظر سورة البقرة: ١٦٣، ٢٥٥ وآيات أخرى كثيرة.

في القرآن عن الذات الإلهية، ومن المؤكد أن وجودها سبق نزول الوحي بالقرآن حيث كانت كلمة معروفة تماما عند العرب المعاصرين لنبي الإسلام، وكانت تشير في الأدب الجاهلي إلى معنى الألوهية، غير أن القرآن أعاد صياغة الكلمة بحيث لم يعد يحتمل معناها أية إشارة إلى شراكة مع آلهة أخرى "عن طريق إزاحة أية شوائب عالقة بفكرة الألوهية الخالصة الحقّة وتنفيتها من أية صفة توحى إلى أفهامنا أو تصوراتنا أن الله شئ مخلوق" (١) وتقدم لنا سورة الإخلاص في إيجاز مذهل أول تعريف للذات الإلهية العليا ووحدانيتها يعتمد أسلوب النفي:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (١١٢: ١-٤)

ويجدر بنا أن نذكر في هذا الصدد أن استخدام القرآن لكلمة "الله" التي كان عرب الجاهلية يتداولونها لم يمس بأي سوء تفرد إله القرآن بالعلو والسمو، بل أعاد إلى الكلمة معناها الصحيح بأن أعلن "أن هذا الإله العلي ليس عليا بالمعنى النسبي، (أي على قمة هرم من الآلهة)، بل بالمعنى المطلق (أي أنه عليّ ويتفرد في عليائه)؛ أي أنه الإله الواحد الأوحّد في هذا الوجود. وهو بذلك الإله الحق، ومادونه فهو باطل، أي مجرد أسماء من غير محتوى أو مضمون حقيقي، من ضرب أوهام وخيالات كاذبة" (٢). حيث يعلن القرآن:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ﴾ (٤٠: ١٢).

وكما جاء على لسان [إيزوتسو]: "فإن إعادة صياغة مفهوم الإله

(١) Massignon, Louis, The passion of al - hallaj; trans by Herbert Mason (Princeton, Princeton University Press, 1982) vol.3, 125

(٢) Izutsu, Toshihiko, God and Man in the Quran: Semantics of the Quranic Weltanschauung (Tokyo: Keio University, 1964).6.

لم تقتصر على مجرد تغيير مفهوم العرب لطبيعة الله بل كانت تعني أيضا تغييرا جذريا في رؤيتهم لهذا الكون<sup>(١)</sup>، .

ومن المفاهيم الأولية التي ساعد المنظور القرآني للعالم على تغييرها بشكل جذري مفهوم الخلق، بما في ذلك خلق البشر؛ إن القرآن لم يضع - بإعادة صياغته لمفهوم الإله - كل الأشياء الموجودة في مكانها الصحيح فحسب، بل جعلها تعتمد في وجودها على الخالق، إذ يقول القرآن: إن الوجود الحقيقي هو لله وحده، وكل ما عداه من موجودات إنما هي موجودة بأمره ومشيئته، فالله هو مانح الوجود والكينونة، وهو الخالق الأوحى بلا منازع: خلق الملائكة (سورة غافر: ١٨) والجن (سورة الرحمن: ١٤)، والسموات والأرض (سورة إبراهيم: ٢٢)، والجبال والأنهار (سورة الرعد: ٣)، وخلق الأشجار والفاكهة والحبوب والأعشاب (سورة الرحمن: ١٠ - ١١) وخلق كل أنواع الحيوانات:

﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ (سورة النور: ٤٥)

ويؤكد القرآن أن الله:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٢)

وينبغي النص هنا على أن المفهوم القرآني للإله لا يتضمن أية مشاركة بين الخالق والمخلوق، ويؤكد القرآن أن ما يفصل الجوهر الإلهي في كماله وقدرته عن الكائنات المخلوقة في قصورها عن التكافؤ مع هذا الجوهر بون شاسع لا يمكن قياس مدى اتساعه بما نعرفه من مقاييس. ويشدد القرآن على أنه سبحانه:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٤٢: ١١) (١١٢: ٤)

ويتعدد ذكر هذا في القرآن بشتى الأساليب:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ  
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ  
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ  
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة الحشر: ٢٢ - ٢٤)

### الخلق ونظام الطبيعة:

ما يطلق عليه "الكون" أو "العالم" لا يختلف في الإسلام عما جاءت به الديانتان السماويتان الأخريان. إذ تقول هذه الديانات الثلاث: إن الله هو الموجد لكل شيء موجود في هذا الكون، وفي الإسلام يتم فعل الخلق هذا بكلمة "كُن" (١): إذا أراد الله لشيء أن يوجد، أي يكون، قال للشيء كُن، فيكون هذا الشيء وتصير له كينونة، وهذه القدرة على الخلق هي المادة الأساسية في موضوع نشأة الكون في الإسلام، وهو العلم الذي يختص بدراسة أشكال الخلق في هذا الوجود، مع ملاحظة أن موضوع الخلق في القرآن يشمل العالم المادي والعالم اللامادي، وكل ما في هذين العالمين يخضع لنظرية وجود واحدة ويعتمد في وجوده على وجود الله (٢). هذه الرابطة الجوهرية بين

(١) أنظر سورة يس: ٨١

(٢) يشير القرآن إلى الله بأنه رب العالمين ومالك السموات والأرض. نجد هذا في السور

والآيات التالية: ١: ١؛ ١٣١: ٥؛ ٢٨: ٦؛ ٤٥: ٦؛ ١٦٢: ٧؛ ٥٤: ٦١؛ ٦٧؛

١٠٤؛ ١٢١: ١٠؛ ١٠: ١٠؛ ٣٧: ٢٦؛ ١٦: ٢٣؛ ٤٤: ٢٨؛ ٣٠: ٣٢؛ ٢: ٣٧؛ ٨٧؛

١٨٢؛ ٣٩: ٧٥؛ ٤٠: ٤ - ٤١؛ ٦٦: ٤١؛ ٩: ٤٣؛ ٤٦: ٤٥؛ ٣٦: ٥٦؛ ٨٠: ٥٩؛

١٦؛ ٦٩؛ ٤٣؛ ٨١؛ ٢٩؛ ٨٣؛ ٦

مستويات الوجود المختلفة تحول التعدد في أشكال ومظاهر الوجود إلى وحدة واحدة، هي وحدة الوجود، وإن ما يجمع بين كل هذه المستويات في نهاية الأمر هو اعتمادها كلها في وجودها على وجود الله؛ ومن هنا كان ارتباط عالم الطبيعة بكافة مستويات الخلق الأخرى، وهذا الأساس المشترك بين كل أشكال الوجود المختلفة هو ما انعكس في الثقافة الإسلامية على شكل روابط بين مختلف فروع المعرفة ولغة مشتركة تعبر عنها وتنظيم هرمي واحد يجمع فيما بينها.

وحيث إن الله هو علّة وجود كل الأشياء - حيث تستمد وجودها منه سبحانه - فإن ذلك الاعتماد الأنطولوجي على الخالق يُعظّم من شأنها ويرفعها من مرتبة كونها مجرد أشياء إلى مقام كونها آيات تدل على وجود إله حق يعلو عن مستوى الوجود المادي ولا تدركه معرفة أو خبرة كائن مادي أو غير مادي، وعلى ذلك فإن ما يعرف في القرآن بـ "الآيات الدالّة" <sup>(١)</sup> لا تقتصر على كونها أدوات في الجدل المنطقي لإثبات وجود الله، بل آيات تلح علينا إلحاحاً لا سبيل إلى مقاومته أن نمد أبصارنا إلى ما وراء الظواهر التي تتحدث عنها.

ويتجلى تعظيم شأن المخلوقات إلى مقام الآيات الدالة على وجود الله في هذا الانتظام البديع لتوالي الليل بعد النهار والنهار بعد الليل <sup>(٢)</sup>، ودقة مسار الشمس ﴿وَالشَّمْسُ بَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ <sup>(٣)</sup>

(١) وتعرف بهذا الإسم حيث تتكرر فيها عبارات مختلفه مثل: "إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون" (١٦ : ١١). "إن في ذلك لآية لقوم يسمعون" (١٦ : ٦٥).

(٢) انظر سورة البقرة: ١٦٤

(٣) انظر سورة يس: ٣٨ : ٣٩



ويؤكد القرآن أن الظواهر الطبيعية التي نلاحظها جميعا كانتظام الكواكب في مدارات محددة إنما هي من صنع الخالق العليم القادر:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ويوجه القرآن أنظارنا إلى أن هذا الانتظام ليس نتيجة لقوانين طبيعية معينة، بل إن ظواهر هذا الانتظام المحكم إنما هي آيات لقوم يعقلون، ومفهوم "قوانين الطبيعة" في واقع الأمر هو مفهوم علماني إذ ينأى به عن مفهوم "مانح القوانين وواضعها" أي أن ذلك المفهوم العلماني يجعل من "الطبيعة" صانعة للقوانين؛ وفي الإسلام لا يصنع القوانين إلا الله.

وهكذا إذا نظرنا إلى فروع العلم المختلفة من منظور الثقافة الإسلامية نجد أنها جميعا في سعيها لاستكشاف الجوانب المتعددة للعالم الطبيعي إنما تسعى في حقيقة الأمر لمعرفة كنه شيء واحد فقط ذي وحدة مؤتلفة هو الكون القرآني، أو ذلك العالم الذي يحدثنا القرآن عنه، ويشمل هذا العالم الكائنات المادية وغير المادية، وكلها تنتظم في تخطيط علوي من علم الله اللانهائي وصنعه الذي لا تحده أية حدود. وغاية هذا العلم سر لا يعلمه إلا الله، ولكن القرآن يحث البشر على السير في الآفاق واكتشاف قوانين الطبيعة؛ إذ يوجه الأنظار إلى ما تنطوي عليه ظواهرها من دقة الانتظام وعظمة الصنع وجليل الفائدة وذلك من خلال أمثلة حية لهذه الظواهر؛ وتتوزع هذه بين مختلف المجالات العلمية: كالفلك، والفيزياء، والرياضيات والجيولوجيا وعلم النبات، ولكن عند دراسة هذه الظواهر في سياقها الميتافيزيقي الصحيح تصبح هي نفسها وسيلة لمعرفة ما وراء القوانين التي تحكمها، وتكرر

(١) انظر سورة يس: ٤٠

الدعوة القرآنية للتفكير فيما نراه من أعمال الطبيعة بشكل يوحي بأن ذلك الصعيد الزمكاني (أي الزمني والمكاني) الذي يضم عالم الطبيعة هو الخلفية الحقيقية للكون القرآني. <sup>(١)</sup>

إن موضوع الخلق في القرآن هو من أبسط الموضوعات حيث يعتمد على حقائق أساسية ظاهرة للعيان، ولا يشير القرآن من قريب أو بعيد إلى طريقة الخلق؛ إذ يقتصر الأمر في بساطة تامة على ذكر الحقائق الأساسية: خلق السماوات السبع واحدة فوق الأخرى في نظام تام، أدناها للأرض التي اتخذها البشر سكنا لهم تزدان وتتلألأ. ثم هناك الشمس وغيرها من النجوم السماوية، وهناك الجبال وهناك ذكر لبعض النباتات والحيوانات بل وحتى الحشرات، وكلها تنتظم في عالم واحد مترابط ناشئ عن نفس المصدر الرباني الذي أوجد أول كائن بشري. وقد جاء هذا العالم إلى الوجود كعلامة، إذ إن نظام الطبيعة يعتبر دليلاً ومؤشراً على ما وراء الطبيعة، وهو الأصل والمنشئ لهذا النظام:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالسَّحَابِ وَمَا يُنْفَخُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَارًا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) هذه الآيات التي تدعى الآيات العلمية في القرآن كانت موضوع كم كبير من التفسير العلمي الحديث. ويزعم المفسر المصري طنطاوي الجواهري (١٨٦٢ - ١٩٤٠) أنه أحصى كل الآيات التي تشير إلى الظواهر الطبيعية فوجد أنها تصل إلى ٧٥٠ آية (إلى جانب آيات أخرى تشير بشكل غير مباشر إلى الكون المادي). كما أنه قارن هذا العدد بالآيات التي تختص بالأمور الشرعية ووجد أن تلك الأخيرة لا يزيد عددها على ١٥٠ آية. إلا أن هذا التناول للآيات محفوف بالمشاكل.

(٢) أنظر سورة البقرة: ١٦٤

ويذكر القرآن بصفة خاصة النحل الذي أوحى الله إليه (١٦ : ٦٨ - ٦٩)؛ والعنكبوت الذي يصف القرآن "بيته" بأنه أوهن البيوت في معرض حديثه عن أولئك الذين يتخذون من دون الله أولياء (٢٩ : ٤١) ويهدد سليمان الذي حمل رسالته إلى ملكة سبأ (٢٧ : ٢٨)؛ والغراب الذي علم قاييل كيف يدفن جثة أخيه هايل (٥ : ٣١)؛ والناقة التي كانت آية لثمود (٩١ : ١٣)؛ والنملة التي قالت للنمل أن يحتموا في مساكنهم من سليمان وجنوده (٢٧ : ١٨)؛ وحوت يونس (٣٧ : ١٤٢)؛ والذئب الذي ادعى إخوة يوسف أنه أكله (١٢ : ١٦)؛ والحمار الذي وصف صوته بأنه أنكر الأصوات (٣١ : ١٩)؛ والذباب الذي يعجز عن خلقه "الذين تدعون من دون الله" ولو اجتمعوا له (٢٢ : ٧٣)، والجراد والقمل والضفادع التي أرسلها الله على آل فرعون الذي طغى (٧ : ١٣٣)؛ والبعوضة التي قال الله: إنه لا يستحي أن يضرب بها مثلاً (٢ : ٢٦). ومن النباتات والثمار التي جاء ذكرها في القرآن شجرة الزيتون المباركة (٩٥ : ١)؛ والعنب والنخل والرمان (٥٥ : ٦٨).<sup>(١)</sup>

ويلتزم هذا العالم المادي بقوانين من وضع الله كما ينبغي للبشر أن يفعلوا، ومن ذلك ما أوحى به الله إلى النحل (١٦ : ٦٨)، ومجئ السماء والأرض إلى الله طائعين عندما أمرهما الله بذلك (٤١ : ١١) وتسبيح ما في السموات والأرض لله العزيز الحكيم (٥٩ : ١ ؛ ٦١ : ١ ؛ ٦٢ : ١ ؛ ٦٤ : ١)، ويجمع القرآن بين كافة أشكال الخلق ومستوياته في نظام علوي واحد لأن المصدر والمنشئ واحد وهو الله، ثم في خطوة كاسحة يعلن أن كل هذه المخلوقات إلى فناء ولا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام، ويدوي صدى هذا التأكيد على طبيعة الوجود

(١) وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

العابر لكل المخلوقات في جميع أنحاء النص القرآني للتذكير بأن العبادة لله وحده وأن كل ما سوى الله مجرد مخلوقات زائلة تدين لمشيئته بوجودها.

ومن خلال هذا الاستعراض الشامل لموضوع الخلق تقيم " الآيات الدالة " رابطة وثيقة بين الكون المادى والعالم الميتافيزيقي؛ فهي تجعلنا نمد بصيرتنا إلى ما وراء هذا الكيان المادي لتأمل ما لا يمكن أن ندركه بأبصارنا، وتميز هذه الآيات بشكل أساسي بأنها لا تكتفي بالإشارة دائما إلى الظواهر الطبيعية؛ فالاستشهاد يتم أيضا بالحديث عن الأحداث التاريخية بنفس قوة البلاغة وروعة التعبير، كما يلح علينا هذا الاستشهاد - مثلما يحدث في آيات الظواهر الطبيعية - بأن نتفكر في مغزى تلك الأحداث التاريخية ومدلولاتها في تصوير علاقة الخالق بالخلق والمخلوقات.<sup>(١)</sup> ويضيف بذلك حلقة جديدة في سلسلة الربط بين المادي والميتافيزيقي، وهي تشمل هذه المرة البعد الزمني. وبذلك يكتمل المجال الزمكاني (الزمني والمكاني) الذي يمثل الشرط اللازم للوجود.

وبذلك يكون وضع العالم الطبيعي قد تحدد في نظام الخلق من حيث المكان والزمان. وبعد ذلك تثب هذه الآيات في طفرة ميتافيزيقية إلى قلب الرسالة القرآنية، ألا وهي الوحدانية التي يتفرد الله بها. فيطرح القرآن هذا السؤال البلاغي:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا

(١) انظر علي سبيل المثال سورة البقرة: ٢٤٨ (مثال التابوت) وسورة البقرة أيضا: ٢٥٢ (قضية جالوت)، والآية ٢٥٩ (التي تحكي قصة الرجل الذي آمانه الله مائة عام ثم أحياه ليكون آية) إلى غير ذلك من الآيات.

رَوَّاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَا أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ (١)

ويذكر القرآن - في خضم سرده - السحاب الذي يرسله الله فينزل منه ماء تحيا به الأرض بعد موتها وتخرج من الثمرات خيرا كثيرا. (٢)

### المفهوم القرآني للإنسان:

يتحدث القرآن عن الإنسان باعتباره خلقا متميزا قد وهبه الله نعمة المعرفة واختصه بأمور أخرى ينفرد بها عن بقية المخلوقات، خلق الإنسان في أحسن تقويم (٣)، خلق من علقه (٤)، وعندما ينمو ويكتمل يغطيه من الخارج جسد هو وعاء ضعيف خلق من تراب فيه نفخة من الروح، وفي جوف هذا الوعاء عضو يتوسطه، وينبض بانتظام هو القلب مكن ضميره ومودع أسراره التي سوف تنكشف يوم الحساب؛ ولهذا الكائن المخلوق نفس هي جماع أحاسيسه وأفعاله ومنها تسري في جسده تيارات غامضة من الأفكار والأوهام والرغبات والمشاعر وتتأصل فيها صفاته التي تجلب له اللوم والعقاب (٥)، وفطرة الإنسان التي فطر عليها تستطيع قبل أن ينالها أي فساد أن تتعرف على وحدانية الله.

إن موضوع الخلق في القرآن يحدد أشكالا ومستويات مختلفة من الخلق ثم يؤلف بينها جميعا في كل عضوي واحد، وتنعكس صورة

(١) انظر سورة النمل: ٦١.

(٢) انظر سورة يس: (٣٣ - ٣٤) التي تقول:

"وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون. وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون".

(٣) انظر سورة التين: ٤

(٤) انظر سورة العلق: ٢

(٥) انظر كتاب "شرح عجائب القلب" في كتاب الغزالي [إحياء علوم الدين] الجزء ٢١ حيث يوجد شرح رائع لأربعة مصطلحات هي: القلب، والعقل، والروح، والنفس.

هذه الوحدة في عقل الإنسان الذي أودع فيه الله قوة إدراك ما وراء الحواس الداخلية الخمسة وهي: الحس المشترك - (وهي الحاسة التي تُجمع كافة الإنطباعات) -، الخيال (وهو نوع من المعرفة الحسية العابرة)؛ الواهمة (وهي إدراك لمعاني خاصة تتعلق بالتقويم والتقدير)؛ الحافظة، (وهي الذاكرة الحسية)؛ والمتخيلة، (وهي العقل الذكي)<sup>(١)</sup>. وهذه الخاصية هي ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وهي مقدرة تم اكتسابها من خلال المعرفة التي أعطيت لآدم، الإنسان الأول وقد أسبغ الخالق نعمة المعرفة هذه على آدم عندما علمه الأسماء كلها.

وحيث إن كل شيء في هذا الوجود يستمد وجوده من وجود الله، فذلك لا يعني إلا أن الله موجود دائما في الأشياء المادية من خلال خلقه لها وقدرته على إنزال أحكامه عليها وعلمه الواسع الذي يحيط بكل شيء.

وهذا الوجود الإلهي الذي يصل في حالة الإنسان وفق ما جاء بالقرآن إلى درجة أنه أقرب إليه من حبل الوريد (٥٠-١٦) يتصل على فترات بالتاريخ البشري من خلال الوحي ورسالات الأنبياء.

ويتحدث القرآن عن الإنسان منذ لحظة خلقه ويعظم من شأنه من خلال ميثاق أبدي ومعرفة أسبغها الله عليه، إنه يضع الإنسان على رأس جميع المخلوقات الأخرى نظرا للثقة التي يضعها الخالق فيه ولأنه الوحيد من بين بقية المخلوقات الذي اختار أن يحمل الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها<sup>(٢)</sup> إن إعادة اكتشاف هذا الميثاق من خلال الذكر يزيل عن النفس حُجُبها كما يزيل البرق حُجُب

(١) انظر المرجع الخاص بماسينيون (١٩٨٢) الجزء الثالث ص: ٧٠ حيث يوجد بيان بأوجه التلاقي بين مبادئ علم الكلام والمبادئ الفلسفية المأخوذة عن الإماميين والهيلينيين قبل القرن الرابع الهجري.

(٢) انظر سورة الأحزاب: ٧٢

الظلام ويوحدّها ويغيّر من مظهرها ويجعلها كيانا متماسكا ينعم بالهدوء والسكينة، وهذه هي النفس المطمئنة التي يخاطبها القرآن في قوله:

﴿يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٧٨﴾﴾<sup>(١)</sup>

إنها النفس المتوحدّة التي تفتن إلى الآيات التي تنتشر في هذا الكون وفي داخلها:

﴿سَازِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِيٰ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾<sup>(٢)</sup>

ويتعرض القرآن لغوامض الحياة معتبرا إياها حقائق واضحة كالميلاد الذي يوصف بأنه مرحلة من مراحل نشأة الجنين (المؤمنون: ١٢-١٤؛ غافر: ٦٩)، والموت والبعث والحياة الآخرة. ولا يفرض رسالته على أحد، بل يخير البشر (والجن) في قبول أو رفض هذه الرسالة<sup>(٣)</sup>. ويعيّن القرآن الحدود الشرعية للنشاط الإنساني، ويعطي الإنسان حرية اتباع طريق الخير أو منحدر الشر<sup>(٤)</sup>، ولا يتناول القرآن الأمور المجردة والكليات المبهمة، بل يتجه مباشرة إلى أشياء مادية ملموسة ومحددة ويستخدم أسماء على درجة عالية من الدلالة مثل: القادر والجبار والمالك.

**طبيعة الأسئلة التي تثيرها التطورات العلمية والتكنولوجية في مجال علوم الحياة:**

كما جاء في صدر هذا المقال، إن أفضل وسيلة للإجابة عن الأسئلة التي تثيرها التطورات العلمية والتكنولوجية في مجال علوم الحياة هي أن يكون لدينا إطار بحثي مرجعي، والآن وقد أرسينا قواعد هذا الإطار دعنا

(١) انظر سورة الفجر: ٢٧-٢٨

(٢) انظر سورة فصلت: ٥٣

(٣) "لا إكراه في الدين" (البقرة: ٢٥٦)

(٤) "وهديناه النجدين" (سورة البلد: ١٠)

نثبت هنا ملاحظة هامة وهي أنه وفق ما جاء بالقرآن تتفق كافة الديانات السماوية في مفاهيمها عن الله والخلق، وفي واقع الأمر يستخدم القرآن مصطلح "الإسلام" في إشارته إلى كل ما سبقه من أديان أوحى بها الله إلى أنبيائه ورسله الذين بعث بهم قبل محمد (ص) بل ويعتبرهم مسلمين؛ معنى ذلك أن القرآن لا يرى أية فروق جوهرية بين تعاليمه وبين ما جاء من تعاليم في الكتب المقدسة التي نزلت قبله إلى أنبياء آخرين، ومن هنا كان اتفاق الأديان السماوية في صورتها الأصلية، في نظرتها إلى علاقة بني البشر بغيرهم من المخلوقات، وتتمثل هذه النظرة في أن بني البشر مؤتمنون على هذه المخلوقات، ويتطلب هذا الوضع أن يتحلى بنو البشر بالعقل والحكمة في استخدامهم لما أتاه الله لهم من موارد، وتجدر الملاحظة هنا أيضا بأن الإسلام - وبالتالي بقية الأديان السماوية - يحظر انتهاك حرمة ما خلقه الله؛ لذلك لا يقر الإسلام فكرة "تحسين" الطبيعة؛ إذ لا يوجد أي أساس على وجه الإطلاق لافتراض أن البشر يستطيعون أن يتناولوا بالتعديل أو التحسين ما صنعه الله أحسن الخالقين، كما يقول القرآن. ولا شك أن الله وهب الإنسان قدرات خلاقة وميلا إلى الإبداع، إلا أن مجال هذه القدرات يختلف بشكل جذري عن المجالات الإلهية، ويتضح ذلك بشكل ناصع من عجز الإنسان أن يخلق شيئا من لا شيء، فكل ما يستطيعه هو أن يتعامل مع أشياء موجودة بالفعل.

وحيث إننا كبشر نتمتع بقدر من الحرية، فلنا أن نمارس هذه الحرية في إدخال بعض التعديل على الموجودات بما في ذلك الكائنات الحية، ولكن علينا أن ندرك أن هذه الحرية يستتبعها قدر كبير من المسؤولية وتترتب عليها نتائج كثيرة، وينبغي أن نكون على وعى تام بطبيعة هذه المسؤولية الأدبية قبل أن نتصدى للإجابة عن أية أسئلة تتعلق بالنواحي الأخلاقية مثل: ما هي بالتحديد طبيعة الحرية المتاحة للإنسان في هذا المجال؟ ما النتائج المترتبة على تعديل جوهر طبيعة الأشياء



الموجودة بالفعل؟ وما الغرض من مثل ذلك التعديل؟ وما الفوائد المرجوة من ممارسة هذه الأفعال؟

### طبيعة الجسد كما يراه العلم الحديث:

تفترض هذه الأسئلة كلها فهما أوليا لطبيعة الجسم البشري؛ لذلك قد يكون من المفيد أن نذكر أن العلم الحديث يقيم بناءه النظري على مبدأ أولي هو: (أن هذا العالم المخلوق برمته بما في ذلك الإنسان، عبارة عن تجمعات للمادة، ثم إنه يعتبر المادة واقعا ذاتي الوجود، ذاتي الاستقلال، لا تعتمد في وجودها على غيرها، وسواء تكونت مما يسمى بالانفجار الكبير أو من غير ذلك، فليس للمادة أية قداسة في نظر العلم الغربي الحديث غير تلك التي يضيفها عليها الإنسان بمحض إرادته، وتصدق هذه الفرضية الأساسية في رأي العلم الحديث على كافة مجالات الوجود بما في ذلك الوجود الإنساني الذي يتفق العلماء بصفة عامة على أنه كان نتاج عمليات عشوائية حدثت بالصدفة في سلسلة ما يسمى (بالنشوء والارتقاء).

والأهم من هذا بالنسبة لموضوعنا هو ذلك المفهوم المحدد للتطور الذي يعتبره العلم الحديث الآن حقيقة ثابتة، صحيح أن بعض علماء الدين المسيحيين قد أوجدوا ليد الله مكانا في سلسلة التطور باستخدام بعض البهلوانيات اللفظية في كتاباتهم<sup>(١)</sup>، ولكن حتى هذه التي يطلق عليها "نظريات التطور اللاهوتية" تظل مناقضة تماما لما جاء بالقرآن عن أوصاف لخلق الإنسان من حيث بدايته في الجنة ثم هبوطه اللاحق إلى الأرض، إلا أن عددا غير قليل من المسلمين قد قبلوا

(١) انظر علي سبيل المثال المرجع الحديث التالي:

Peters, Ted and Hewlett, Martinez: Evolution from Creation to New Creation: Conflict, Conversation and Convergence (Nashville: Abingdon Press, 2003).

نظرية [داروين] دون أية تحفظات لأنهم يجلبون العلم والتكنولوجيا الغربية أيما إجلال<sup>(١)</sup>.

إن القبول بالنظرية الداروينية - في أية صورة من صورها أو أي مستوى من مستوياتها - يؤدي بالضرورة إلى القول: بأن جسم الإنسان لا يخرج عن كونه كياناً ذاتيَّ الوجود مستقلاً عن أي خالق أو صانع لأنه نتج عن عمليات عشوائية وقعت بمحض الصدفة.

ومهما يكن من شأن أية حجج يدعون بها لتبرير هذه الرؤية فالمحصلة النهائية هي الهبوط بمنزلة الإنسان وكرامته إلى مستوى كونه مجرد نوع آخر ضمن عدة أنواع من المخلوقات.<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظر المرجع الآتي حيث يوجد وصف تفصيلي لتأثير الداروينية على العالم العربي: Ziadat, Adel A. Western Science in the Arab World - the Impact of Darwinism, 1860 - 1930, (London: Macmillan press, 1986).

(٢) يبذل (حسين الجسر)، على سبيل المثال، جهوداً كبيرة للتوفيق بين نظرية التطور وبين التعاليم القرآنية. ويستشهد بالآية القرآنية: "وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون". (الأنبياء: ٣٠) على صحة نظرية التطور. فقد كتب يقول: "لا يوجد في القرآن دليل واحد يبين ما إذا كانت كل أنواع المخلوقات في هذا العالم قد خلقت دفعة واحدة أو أن ذلك قد تم بشكل تدريجي، مع الإيمان المطلق بأن كل نوع من هذه المخلوقات موجود بفضل الله تعالى. ويجد موضوع التوفيق بين الداروينية والإسلام معالجة مستفيضة في كتابات (أبو ماجد محمد رضا الأصفهاني)، وهو عالم ديني شيعي من كربلاء في العراق. وقد ألف كتاباً في عام ١٩٤١ في جزأين بعنوان: "نقد فلسفة داروين" وفيه يدافع الأصفهاني عن نسخة معدلة من نظرية التطور أساسها خلق الله. وكان يعتبر أن [لامارك، ووالاس، وهكسلي وسبنسر وداروين] من المؤمنين بالله. ويستشهد بكتابات الإمام (جعفر بن محمد بن الصادق) (خصوصاً كتاب التوحيد) وكذلك بكتابات إخوان الصفا لبيان أوجه الشبه التشريحي في الإنسان والقرد، ويزعم أنه ما كان بمقدور داروين أن يشرح هذه التشابهات كما فعل الأخوان. ولكنه اعترض على وجود تشابهات بين الجنين الإنساني وأجنة الحيوانات الأخرى. وكان يؤكد أن وحدة التركيب بين الكائنات الحية جاءت نتيجة للحكمة السماوية وليس لأفعال عشوائية تقع في الطبيعة عن طريق الصدفة. كما كان يطالب بتحديد العلل الأولى.

ولكى نفهم أمر هذا القبول بالنظرية (الداروينية) في العالم العربي علينا أن نتذكر أنه نشأ في العالم العربي (وإلى حد ما في شبه القارة الهندية وفي تركيا) في بيئة ثقافية سياسية واجتماعية تواجدت في ظل الاستعمار؛ فقد تمت في عام ١٩٢٤ ترجمة كتاب [هيكل] عن التطور، وقام بنقله إلى العربية عالم مصرى مسلم هو [حسن حسين] تحت عنوان: "فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء"<sup>(١)</sup> وكتب حسن مقدمة طويلة في صدر هذه الترجمة تقع في اثنتين وسبعين صفحة عبّر فيها عن اتفاقه مع [هيكل] على بعض أفكاره العلمية التي كان يروج لها، إلا أنه فند كل الأفكار التي وردت في كتابه مناقضة للدين على الرغم من محاولة التوفيق بين الإسلام والعلم.

ويصر حسين في مقدمته على أن آيات القرآن التي تتحدث عن خلق العالم في ستة أيام لا ينبغي أن تؤخذ بالمعنى الحرفي، ويزعم أن ما جاء على لسان [داروين] هو نوع من الحكمة الإلهية<sup>(٢)</sup>. وبعد أربع سنوات من تاريخ نشر كتاب حسين، قام [إسماعيل مظهر] بترجمة الفصول الخمسة الأولى من كتاب داروين "أصل الأنواع" إلى اللغة العربية ثم أضاف إليها أربعة فصول في عام ١٩٢٨، وقد تم نشر الترجمة الكاملة في عام ١٩٦٤، كما أنه ألف أيضا كتابا عن التطور في عام ١٩٢٤،<sup>(٣)</sup> وكان مظهر واحدا من العرب العلمانيين الذين لم يجدوا شيئا ذا قيمة في حضارتهم العربية، وكان يدعو إلى اتباع المنهج العلمي ليس في التعليم فحسب بل في حياتنا اليومية أيضا<sup>(٤)</sup>، كذلك

(١) القاهرة: ١٩٢٤، في كتاب زيادة، ص ١١٠

(٢) المرجع السابق ص ١١٤

(٣) مظهر، إسماعيل: ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، القاهرة ١٩٢٦، في كتاب زيادة، ص ١١٤.

(٤) نفس المرجع، ص ١١٦.

قام بإصدار جريدة "العصور" وكان شعارها: "حرر فكرك"، وكان يؤمن بأن الإنسان يجب أن يكون حرا في فكره وتعبيره بل وفي دينه أيضا حتى يحقق التقدم في حياته، كما كان يرى الدين كعلاقة خاصة بين الفرد وربه، وكان يزعم أن الشريعة الإسلامية ربما كانت تلائم عرب القرن السابع، ولكنها لا تلائم بحال من الأحوال المجتمع العربي الحديث، ولم يكن غريبا - والحال كذلك - أنه كان من أشد المتحمسين للزعيم التركي [مصطفى كمال أتاتورك].

وفي تركيا، كان التعليم العالي في الإمبراطورية العثمانية حتى حوالي عام ١٨٥٠ تحت إشراف علماء الدين من خلال مؤسسات دينية يرأسها شيخ الإسلام، ولكن نتيجة للاتصال بالغرب فقدت هذه المؤسسات شعبيتها، ونظرا لما أصابها من جمود وتحجر فقد خمدت فيها روح التجديد والإبداع بعد أن كانت منارا للتعليم الإسلامي، وفي عام ١٩٢٣ تم إلغاء هذه المؤسسات برمتها مع إلغاء الخلافة العثمانية عندما أحكم كمال أتاتورك قبضته على السلطة وتولى رئاسة الجمهورية التركية الجديدة، وفي تلك السنة الفاصلة أصبحت تركيا دولة ذات هوية متنافرة: إسلامية علمانية؛ دولة يمنع دستورها أن يكون للشريعة الإسلامية أي دور في المجتمع أو الحكومة (البند ٢ من الدستور التركي الذي روجع في عام ١٩٨٢). وفي السنوات الأولى من توهج الثورة الكمالية حاولت الزمرة الحاكمة تطهير الحياة العامة من كافة المظاهر الدينية، فتم استبدال الأبجدية الرومانية بالأبجدية العربية، واقتلاع الإسلام والدراسات الإسلامية من مناهج التعليم، وترجمة الصلوات إلى اللغة التركية بعد أن كانت تقام باللغة العربية، كما تم حظر التعليم الديني بأسلوب الطرق والزوايا التقليدية، وتبنت الدولة نظاما تشريعا وقضائيا يقوم على النموذج الغربي.

ومن الأشياء الهامة التي تخص دراستنا هذه أن نظرية التطور

الداروينية تم إدخالها إلى منهج علم الحياة كعنصر من أهم عناصر مكوناته، وعندما توفي كمال أتاتورك في عام ١٩٣٨، كانت تركيا قد تحولت تماما إلى دولة علمانية يتولى شؤون الحكم فيها رجال ونساء يكونون للإسلام عدا شديدا ويرفضون بكل شراسة أن يتخذوه أسلوبا للحياة.

على أن الإسلام ظل هو الدين الذي تعتقه الغالبية العظمى من الأتراك، إلا أن استئصال اللغة العربية من الحياة العامة وإرغام المؤسسات التعليمية على حذف الدراسات الإسلامية من مقرراتها والتخلي عن الزي الإسلامي التقليدي والتوقف عن الممارسات الإسلامية وعن تطبيق المعايير الدينية جعل من الصعب على الذين يتمسكون بدينهم أن يفصحوا عن أى شئ يتصل بعقيدتهم، وصار لا صوت يعلو على صوت العلمانيين الذين كانوا يعتبرون أى شئ يأتيهم من الغرب كأنه كتاب مُنزل، ولا يعني ذلك أنه لم تكن هناك أية مقاومة لذلك التيار العلماني الجارف، فعلى الرغم من عنف الدولة ضد التدين وقمعها لأى تعبير عن المنظور الديني لهذا العالم ظلت هناك على جميع مستويات المجتمع التركي هيئات ومنظمات إسلامية تحاول جاهدة الحفاظ على القيم والأخلاق الإسلامية وتعزيز المنظور الإسلامي لهذا العالم.<sup>(١)</sup>

(١) على الساحة السياسية كان هناك دائما تقليد بعدم الاعتراف بشرعية أى حزب له توجهات إسلامية. فقد تم حظر حزب التقدم الجمهورى والحزب الجمهورى الحر والحزب القومى قبل عام ١٩٥٥. أما حزب النظام القومى فقد أُعلن أنه خارج على القانون في عام ١٩٧١. واكتسب حزب الإنقاذ القومى شعبية كبيرة خلال السبعينيات من القرن العشرين ولكن أطاح به إنقلاب عسكري في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٨٠ واضطهد زعمائه وتم إيداعهم السجن، وضغط العسكريون بكل جهدهم، وهم معقل الكماليون، للدفع بالدولة إلى النموذج العلماني، وأقرب مثال على إسقاط الشرعية عن الأحزاب الإسلامية هو الحظر الذي فُرض على حزب الرفاه في ٢٨ فبراير عام ١٩٩٧.

وفي ١٧ سبتمبر من عام ١٩٩٨<sup>(١)</sup> أصدرت الأكاديمية التركية للعلوم بيانا تصدرته سطور من أقوال مصطفى كمال أتاتورك: "إنني لا أترك وراثي ميراثا من كتب مقدسة أو عقائد جامدة أو قواعد متحجرة. إن ميراثي هو العلم والعقل".

ثم يمضى البيان قائلا:

"إن العلم هو أنجح مشروع قام الإنسان بتطويره حتى يفهم ويفسر الكون والطبيعة التي نعيش فيها وذلك عن طريق الملاحظة والتجريب والاختبار".

وقد ظل العلماء لقرون طويلة يقاومون الاضطهاد والمعوقات التي تعترض سبيلهم دفاعا عن تفوق عقل الإنسان وذكائه وعن مقدرته في التوصل إلى الحقيقة ونبد الأفكار المنحازة والتقاليد البالية، والعلم يمثل اليوم أعظم وسيلة يمكننا الاعتماد عليها لاستكشاف الطريق نحو أهداف الحضارة الإنسانية في دراسة الطبيعة وتعظيم فرص السعادة والتقدم أمام المجتمعات، وتقتضي طبيعة العلم أن يعمل من خلال الفكر الحر وكذلك عن طريق ما يفرزه من فرضيات قابلة لأن توضع موضع الاختبار، والمجتمع العلمي الدولي لا يقبل أية حقائق علمية أو يصادق عليها قبل سنوات طويلة من المناقشات الحرة والاختبارات المتعددة باستخدام وسائل مستقلة عن تلك التي يستخدمها الباحثون؛ فالفرضية التي تنجح في الصمود أمام تلك الاختبارات القاسية وتجتازها جميعا تصبح في نظر المجتمع العلمي نظرية علمية تفسر أكثر من ظاهرة في آن واحد، وتسمح في نفس الوقت بإفراز فرضيات جديدة تخضع بدورها للاختبار؛ ولأن العلم نظام فكري يفترض وجود واقع خارجي يمكن فهمه فهو يتميز بصفة أساسية عن العقائد الدينية الجازمة والجامدة

(١) يمكن الحصول على نسخة كاملة من هذا البيان من الموقع التالي:  
[http:// Athens/ Cyprus/ 8732/ tubabildir: html](http://Athens/Cyprus/8732/tubabildir.html)

لأنه يقبل الجدل والمناقشة بصفة مستمرة، ولأن النظريات التي تعتبر ناجحة وتبدو راسخة يمكن دائما إعادة النظر فيها في ضوء أية تفسيرات جديدة أو حقائق متقدمة.

وقد انطلقت في السنوات القليلة الماضية حملة منظمة ضد العلم الحديث وضد تدريس العلوم في بلادنا، وتتجلى هذه الحملة بصفة خاصة في الهجوم على النظريات العلمية التي تتعلق بأصل الكون والحياة وتطورها، وتلقى هذه الجهود المناوئة للعلم دعما ومساندة قوية من جماعات دينية معينة داخل البلاد وخارجها، وفي واقع الأمر لا تعدو المفاهيم التي تطرحها هذه الجماعات أن تكون سوى آراء تحاول منظمات مسيحية مختلفة الترويج لها طوال سنوات عديدة ولكنها لم تلق سوى الرفض التام في البلاد المتقدمة علميا، ولدى هذه الجماعات الدينية اعتقاد لا يقبل المناقشة بأن الكون وما فيه من حياة قد خلق في فترة زمنية قصيرة على يد قوة خارقة بعيدة عن نطاق التفسيرات العلمية. وقد شنت هذه الجماعات حرباً شعواء على نظرية التطور بصفة خاصة. وتقرر هذه النظرية أن الحياة بأشكالها المتنوعة قد تفرعت وتطورت إلى هذه الأشكال من أصل مشترك واحد عبر عصور زمنية طويلة وأنها تخضع بصفة مستمرة لعملية تغير. وتمثل نظرية التطور اليوم مفهوما أساسيا يوضح الكثير من المشاكل المتعلقة بالحياة، وتلقى قبولا واسعا النطاق في دنيا العلم وتأييدا قويا من العلماء المرموقين والهيئات العلمية ذات السمعة العالمية، وعلى الرغم من أن نظرية التطور قد نشأت في بادئ الأمر في حوض العلوم البيولوجية إلا أن العلماء قد وجدوا لها تطبيقات مثيرة للاهتمام في مجالات أخرى مثل: علوم المعرفة والاجتماع والاقتصاد حيث يتم استخدامها لتقصي ما يحدث من تطور للمعلومات المكتسبة في هذه المجالات عند انتقالها من جيل إلى الجيل الذي يليه<sup>(١)</sup>. وليس هناك

(١) الجزء المطبوع بحروف سوداء يريد به الباحث إبراز أهميته.

أساس من الصحة لما تطلقه الجماعات الدينية من إشاعات تزعم أن نظرية التطور لم تعد تحظى بالقبول وأنه قد ثبت زيفها .

إن الهدف الحقيقي من كل هذا الهجوم على التراث العلمي المتراكم عبر قرون طويلة هو تنشئة أفراد لا يعملون فكرهم فيما يقال لهم ويؤمنون به دون تمحيص أو تساؤل أو نقد، ولا يضعونه موضع الاختبار؛ فهم يقبلون أي معلومات تصلهم تماما كما هي وإن كانت مغلوبة . وهكذا يتضح أن تلك الدوائر التي تشن حربا معلنة أو خافية على الحكومة العلمانية وحرية التعليم وتقدم العلم والتكنولوجيا في بلادنا لا ترغب في التعامل مع أفراد متحضرين يتمتعون بالاستقلال الفكري، ومثل هذه القطاعات في المجتمع تبدأ عادة بحشر المعتقدات اللاعلمية ضمن الأفكار العلمية في مناهج التعليم، وذلك في المدى القريب، أما على المدى البعيد فهم يهدفون إلى تحقيق حذف كامل لنظرية التطور من الكتب الدراسية، ولم تلق مثل هذه المحاولات الساذجة إلا الرفض الحاسم منذ سنين عديدة في الدول التي ترسخت فيها التقاليد العلمية .

وتؤمن الأكاديمية التركية للعلوم بأن العلم هو الطريق الصحيح لفهم الكون الذي نعيش فيه وتحديد الطبيعة واستكشاف قوانينها وتحقيق التقدم في البرامج الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إن للمواطنين في بلدنا كل الحق في التمتع باستخدام منتجات العلم التي تنعكس في تطبيقاته . ولا تقف مسؤولية مواطنينا عند هذا الحد، بل عليهم أيضا أن يتعلموا الطرق والأساليب العلمية وأن يسهموا في تقدمها، لذلك نجد لزاما علينا أن نحذر الجمهور ونحيطه علما بالجهود المبذولة لتنقية نظامنا التعليمي من العناصر التي تفتقر إلى العلم وإصرارنا على إثراء مناهجنا التعليمية بالأساليب الحديثة للتفكير العلمي ومنتجاته، واتخاذنا ما يلزم لضمان أن يهمل علينا القرن الواحد والعشرون وقد نجحنا في



تنشئة جيل ديمقراطي علماني يتميز بفكر حر وضمير حر ومعرفة يسعى إليها بحرية كاملة .

أما في شبه القارة الهندية فقد كانت هناك استجابات محدودة لنظرية [داروين]. ففي كتاب محمد إقبال (١٨٧٦ - ١٩٣٩) "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"<sup>(١)</sup> نجد أنه يشير في موضعين من هذا الكتاب إلى داروين بطريقة غير مباشرة، ويضم الكتاب ست محاضرات كان إقبال قد ألقاها في عام ١٩٣٠، وهي تشكل استجابة إسلامية مبكرة للنظرية المادية. كتب إقبال يقول:

"إن اكتشافات نيوتن في مجال المادة وداروين في مجال التاريخ الطبيعي تكشف عن وجود آلية، وكان الاعتقاد أن كل المشاكل هي في واقع الأمر مشاكل الفيزياء؛ فالطاقة والذرات بكل الخصائص التي أوجدت نفسها فيهم قد تفسر كل شيء بما في ذلك الحياة نفسها والتفكير والإرادة والإحساس، وأصبح الزعم هو أن مفهوم الآلية - وهو مفهوم فيزيائي بحت - ينطوي على تفسير جامع مانع للطبيعة. وما زالت المعركة بين المؤيدين والمعارضين لمفهوم الآلية هذا دائرة في مجال علم الأحياء، فإذا كان القول: (إن الحقيقة الواقعة هي ما تدركه الحواس) فهل يؤدي ذلك إلى رؤية لهذه الحقيقة تتعارض مع رؤية الدين لها؟ هل ينتهي الأمر بالعلم الطبيعي أن يلتزم بالتفسير المادي؟"<sup>(٢)</sup>.

(١) Iqbal, Muhammad Allama, The reconstruction of Religious Thought in Islam, Ed. by M. Saeed Sheik, Lahore: Iqbal Academy, Pkaistain and Institute of Islamic Culture, 1986, P33 and 154

ونجد في الموضوع الأول فقط (٣٣) مناقشة حول علوم الحياة، أما الموضوع الثاني (ص ١٥٤) فهو مجرد إشارة عابرة جاء ذكرها في معرض النقد الموجه إلى نيتشه لفشله في فهم النواحي الروحية للحقيقة الواقعة كما صورها.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣.

ويقول إقبال: إنه على الرغم من أن العلم الطبيعي يستطيع التوصل إلى معطيات عن المادة والحياة والعقل يمكن التحقق من صحتها، إلا أن كل ما يفعله هو مجرد توليد "رؤية مقطعية للحقيقة الواقعة". وعن أوجه القصور في العلوم الطبيعية يقول إقبال "... ما أن توجه سؤالاً عن العلاقة التبادلية بين المادة والحياة والعقل حتى تدرك على الفور أن العلوم الطبيعية المختلفة تفتقر إلى نظرة كلية إلى هذه العناصر الثلاثة وأن أيّاً من هذه العلوم بمفرده يعجز عن أن يوافيك بإجابة شاملة عن سؤالك".<sup>(١)</sup>

وفاة مارس سنة ١٩٨٠<sup>(٢)</sup>، قام الدكتور محمد حميد الله بإلقاء سلسلة من اثنتي عشرة محاضرة في جامعة [باهوالبور] الإسلامية في باكستان. وربما يكون الدكتور حميد الله أفضل من كتب بالفرنسية في القرن العشرين من العلماء الإسلاميين.

وفي هذه المحاضرات التي ألقاها دون الاستعانة بأية مُدَوّنات تحدث الدكتور حميد الله عن عدد كبير من المجالات تراوحت ما بين تاريخ القرآن إلى نظام التعليم في الإسلام، وتعكس هذه المحاضرات بحق موسوعية هذا العالم الإسلامي الفريد الذي وهب حياته كلها في سبيل تحصيل العلم والمعرفة.

وفي نهاية كل محاضرة كانت هناك فترة مخصصة للإجابة عن أسئلة الحاضرين. وعقب محاضرة عن "الدين" سأله أحد الحاضرين قائلاً: "إذا كانت نظرية داروين في التطور صحيحة من الناحية العلمية فلا بد أن يكون هناك تعارض بين العلم والإسلام، برجاء التوضيح." فأجاب الدكتور المحاضر قائلاً:

(١) المرجع السابق ص ٣٣-٣٤

(٢) ظهرت هذه المحاضرات في أول نشر لها باللغة الأردية ثم ترجمها أفضل إقبال إلى الإنجليزية.

"يفترض الكثيرون أن الإسلام يرفض نظرية داروين، التي تبدو وكأنها تخلق لنا عقيدات كثيرة لأننا نفترض أن داروين كان ملحدًا، ولكنه في واقع الأمر كان يؤمن بالله، فعندما أكمل تعليمه الطبي وأصبح طبيباً مثل باقي أعضاء أسرته، دخل مرحلة تحول كبرى، إذ بدأ يهتم بكل شيء يتعلق بالله نظراً لما أصابه من ملل وسأم بأمور الدنيا. فدرس الديانة المسيحية في كلية الدين بجامعة [كيمبريدج]. وكان أحد الموضوعات التي توفرها الكلية مقرراً في الأديان المقارنة، كما درس داروين أيضاً اللغة العربية لأنه كان يريد أن يفهم الإسلام، ومن بين مجموعة رسائله التي تم نشرها كان عدد منها موجهاً إلى أستاذه في اللغة العربية وقد كتبت بأسلوب غاية في التوقير والاحترام".<sup>(١)</sup>

ويعجب المرء لهذا القول أشد العجب لأنه يناقض كل ما هو معروف عن داروين. ويعجب أكثر لنبرة الثقة المطلقة التي قيلت بها هذه العبارات.

ويواصل د. حميدالله حديثه فيطلق نظرية مدهشة أخرى إذ يقول:

"من بين الكتب الدراسية المقررة للدراسات العربية في ذلك الوقت كانت هناك مختارات إما من "رسائل إخوان الصفا" أو من كتاب "الفوز الأصغر" لابن ماسكاويه، وقد جاء ذكر نظرية التطور في كلا الكتابين. . ولم يحدث أن تسبب ذلك في توجيه أى نقد لمؤلفي الكتابين وهما من المسلمين كما لم يتهمهم أحد بالإلحاد، والكتب التي نتحدث عنها الآن كانت متداولة في القرن الثالث أو الرابع الهجري.<sup>(٢)</sup>

ولا يملك المرء إلا أن يقول: إن الرغبة الملحة في إفساح مكان لداروين في المنظور الإسلامي للعالم هي التي أفرزت هذه العبارات؛

(١) ظهور الإسلام، مرجع سابق: ص ١٤٣ - ٤٤

(٢) المرجع السابق ص ١٤٤

لأنه من غير المعقول أن د. حميد الله لم يكن يعرف الطبيعة الحقيقية لهذه النظرية أو مئات الانتقادات التي كانت تُوجّه إلى رسائل إخوان الصفا بما في ذلك الهجوم الشهير الذي شنّه الغزالي حيث يقول في "المنقذ من الضلال": "وكان من بينهم واحد يدعي أنه يعرف بعضاً من معارفهم وتقاليدهم، ولكن مضمون ما ذكره كان شيئاً من فلسفة فيثاغورث الضعيفة، ويعتبر فيثاغورث واحداً من قدماء فلاسفة اليونان. وكان مذهبه من أضعف المذاهب الفلسفية كلها، وكان أرسطو قد فند آراءه، بل كان يعتبر مذهبه ضعيفاً يستحق الإزدراء، ومع ذلك كان هو المذهب الذي تبناه كتاب إخوان الصفا وهو مذهب يمكن وصفه بأنه نفاية الفلسفات، وإن المرء ليعجب لرجل ينفق عمره المنهك في طلب المعرفة ثم يقنع بمثل هذه الفلسفة الهزيلة، ويتصور مع ذلك أنه قد تمكن من تحصيل أقصى ما يمكن التوصل إليه من معرفة وعلم!"<sup>(١)</sup> ثم يمضي الدكتور حميد الله في توضيح النظرية التي جاء ذكرها في "هذين الكتابين" (المقررین في الدراسات العربية) فيقول:

"تقول هذه النظرية إن الله خلق المادة أولاً ثم أمدّها بالطاقة لكي تنمو؛ لذلك اتخذت المادة شكل البخار الذي تحول بعد ذلك إلى هيئة ماء عندما حان الوقت لهذا، وكانت مرحلة النمو التالية هي عالم الجماد. وتطورت أنواع مختلفة من الأحجار بمرور الوقت كان أعلاها مرتبة المرجان، وهو نوع من الأحجار تخرج منه أفرع كأفرع الشجر. وتطورت هذه المرحلة بعد ذلك إلى عالم النبات، وتصل هذه المرحلة إلى ذروتها عندما تنشأ شجرة تحمل صفات الكائن الحيواني، وهي النخلة: منها الذكر والأنثى، وإذا قطعت جميع أفرعها فإنها لا تذوي،

(١) الغزالي، المنقذ من الضلال، ترجمه إلى الإنجليزية ريتشارد جوزيف مكارثي بعنوان:

ولكنها تموت إذا قطعت رأسها؛ لذلك تعتبر النخلة أعلى مراتب الشجر وتشبه أدنى مراتب الكائنات الحيوانية. ثم أتى زمن ولد فيه أدنى أنواع الكائنات الحيوانية، وتطور هذا إلى القرد، وهذه ليست عبارة [داروين]، بل هذا ما يقوله [ابن ما سكاويه] وهذا هو بالتحديد ما كُتب في رسائل إخوان الصفا، ثم يقول هؤلاء المفكرون المسلمون إن القرد تطور بعد ذلك إلى إنسان همجي بدائي من نوع متدنٍّ، وتطور هذا عبر الزمن إلى إنسان أعلى وأرقى. ويصل هذا الإنسان في علوه ورقيه إلى أن يصبح قديسا ونبيًا، ثم يتطور إلى مرحلة أعلى ويصير ملاكا، وليس هناك من هو أعلى من هذه الدرجة إلا الله؛ فكل شيء يبدأ من عنده وينتهي إليه. <sup>(١)</sup>

إلى هنا والكلام يعتبر كاشفا إلى حد بعيد رغم أنه لا يأتي على ذكر النظرية التي يطرحها إخوان الصفا كما سوف يتضح بعد قليل، وهو كاشف لأنه يبين كيف أن بعض المفكرين المسلمين يستطيعون "أسلمة الداروينية". ولكن فيما يلي كشف أوضح لهذا الاتجاه.

يقول د. حميد الله: "عندما يرد كل ذلك على لسان مفكرين مسلمين دون إدانة من أي عالم إسلامي أو معارض من أية جهة فكرية، ينبغي أن يتوقف المرء عند هذا الموقف ويتأمله جيدا، فقد جاء في القرآن أن الله خلق الإنسان من طين، إذن مفهومنا عن خلق الإنسان أن الله شكل الطين وصنع منه هذه الهيئة ثم نفخ فيها من روحه وهكذا خلق آدم، وربما كانت هذه هي عملية الخلق، ولكن ماذا عن الآيات القرآنية ١٨: ٣٧، ٢٢: ٥، ٣٥: ١١، ٤٠: ٦٧ التي يتكرر فيها قول الله (أنه خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة؟) فمن الواضح أن التراب لا يفرز نطفة. فهذه تأتي إما من حيوان أو من كائن بشري، ولا يعني

ذلك سوى أن كل مراحل التطور الوسطي قد تم حذفها، وأن الانتباه موجه فقط إلى المصدر الأصلي وهو التراب، وهذه هي أولى المراحل، أما آخرها فهي نطفة الرجل التي تمكث في رحم المرأة." (١)

ولكن أسوأ مثال على هذا الاتجاه هو تعريف التطور الذي استخرجه من القرآن، فهو يقول: خذ مثلا الآية ١٤ من سورة نوح حيث يقول الله: "وقد خلقكم أطوارا" فكلمة طُور هي أصل المُشْتَقَّ "تطور" (٢)، ثم تمضى الرسالة في الدفاع عن هذه النقطة: "وهذا يعنى أيضا أن الله خلق الإنسان أولا كجماد، ثم تطور الجماد إلى نبات وتطور النبات إلى كائن حيواني، إذن ليس هناك تعارض" (٣).

لقد استطرنا كثيرا في مناقشة استجابة المفكرين المسلمين لنظرية التطور؛ لأنه من خلالها أو من خلال نُسخها المعدلة ينظر العلم الآن إلى جسم الإنسان باعتباره جسما ضمن بقية الأجسام الأخرى دون أن تكون له مكانة خاصة يُضفيها الله عليه، لذلك يرى العلم: (أن كل ما يخص الجسم البشري ينبغي تناوله حسب مقتضيات العلم وليس حسب مقتضيات الدين)، وهناك بالطبع أصوات مناوئة داخل المجتمع العلمي تعارض مثل هذا التناول للجسم البشري. وهناك جماعات ضغط عديدة في الغرب تدعو إلى الاعتراف بمكانة خاصة للجنين البشري، ولكن النظرة العلمية الغالبة تعتبر أن الجسم البشري - بما في ذلك جسم الجنين - لا يعدو أن يكون مادة عضوية تحت تصرف العلم.

ومن وجهة النظر الإسلامية يجب وضع النوايا والوسائل والأهداف موضع الاعتبار قبل الإجابة عن أية أسئلة تتعلق بتقنيات الوراثة

(١) المرجع السابق ص ١٤٤ - ٤٥

(٢) المرجع السابق ص ١٤٥

(٣) المرجع السابق ص ١٤٥

واستخداماتها، ومعنى ذلك أنه يجب أن تكون هناك استجابات محددة لقضايا بعينها على أن تُصاغ هذه الاستجابات في ضوء الأحكام الفقهية الراسخة التي يتفق عليها غالبية الفقهاء، ويتطلب تحقيق ذلك تعاون تام بين العلماء المسلمين والمتفقيين في الدين، وتوجد بعض الأمثلة على هذا التعاون في الماضي وقد أثمر فوائد جمة، وهناك قدر معين من الإجماع بين المسلمين حول جوانب مختلفة من هذا الجدل القائم. ويحظى واحد من هذه الجوانب بما يشبه الإجماع الكامل، وهو ضرورة أن يستهدف البحث العلمي فائدة البشر لا أن تستغرقه أمور لا طائل من ورائها، كما يكاد المسلمون أن يجمعوا على أن معظم هذه القضايا غريبة على واقع حياتهم ولا تنشأ إلا في سياق الممارسات العلمية الحديثة في الغرب، ولهذا السبب مهما تكن الآراء المطروحة على ساحة الجدل فهي لا تتصل من قريب بالوضع الفعلي للبحث العلمي داخل العالم الإسلامي حيث لا تمثل تقنيات نقل الأعضاء وغيرها من التقنيات المماثلة شيئا ذا بال بالنسبة لغالبية السكان في هذه المرحلة. ولكن ذلك لا يمنع بطبيعة الحال ضرورة أن يمارس المسلمون حقهم في الاجتهاد حول هذه الأمور مع الإدراك التام بأن بعض القضايا التي يدور حولها الجدل في إطار المنظومة الثقافية الغربية قد تكون مُنبئة الصلة بنظام الحياة في العالم الإسلامي.

## المناقشات





## الجلسة الثالثة

رئيس الجلسة: د. هيثم الخياط

المقرر: الدكتور ماهر عبد القادر

المتحدثون:

١ - الدكتور مظفر إقبال

٢ - الدكتور عبد الرحمن الرفاعي.

الرئيس: الدكتور عز الدين إبراهيم فليتنفضل!

د. عز الدين إبراهيم: لقد استشهد صديقي د.رفاعي بحديث شريف مفاده (أن الله خلق آدم على صورته). غير أن صديقي لم يكن لديه الوقت ليسهب في هذه النقطة ويفسرها. هذا الحديث الذي رواه مسلم والبخاري وابن حنبل تم تفسيره بشكل دقيق على الوجه التالي: أن الضمير في تعبير "على صورته" يرجع إلى آدم وليس إلى الله عز وجل؛ لذا يمكن لأصدقائنا المسيحيين ويمكن لليهود فهم هذا التعبير بالشكل الذي يرغبون فيه. يمكنهم أن يفهموا أن الله خلق الإنسان على صورته (الله) وهو مفهوم هام جداً في الديانة المسيحية، غير أن المفهوم في الإسلام هو أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم في الشكل المعروف عن آدم لا أكثر ولا أقل. أشكركم.

الرئيس: شكراً لك! هل لي في استجداء بعض التعليقات؟ هل

لي أن أسأل إن كان لدى د. تيد بيترز أي تعليق؟

د. تيد بيترز: ليست هذه المرة.

الرئيس: ماذا عن الدكتور الحاخام ديفيد؟

د. ديفيد بلويش: أود أن أوجه سؤالاً للمتحدث الأول، لقد أشار إلى موضوع ليس مدرجاً على جدول الأعمال الخاص بالمؤتمر وأقصد بهذا مفهوم [التطور عند داروين]. والسؤال الذي أطرحه هو: هل يوجد بالديانة الإسلامية تفسير للآيات القرآنية التي تقدم أحاديث عن التطور في هيئة التصميم الذكي أو في أي شكل آخر مقبول؟

الرئيس: أشكرك. أظن أنه سيجيب عن هذا التساؤل بعد أن يتم الاستماع إلى بقية الأسئلة.. د. وينسلو. تفضل!

د. جيرالد وينسلو: أشكرك! في الواقع سأطرح نفس التساؤل الذي تقدم به د. حاخام ديفيد للتو، وأود أن أسمع من أي من المتحدثين قليلاً عن وضع نظرية التطور وعلاقتها بالإسلام.

الرئيس: شكراً لك! الأسقف كاميلو!

الأسقف كاميلو بالين: إذا كان الضمير يعود إلى آدم وليس إلى الله فهل هناك حرية أكثر للتدخل في الجنين أو في حياة الإنسان.

الرئيس: سؤال وجيه. د. أسعد السحمراني.

د. أسعد السحمراني: أنا في الحقيقة عندي إشكال الذي أثاره (الدكتور مظفر إقبال) حول النفس والروح بكلمتين؛ فمما هو معروف عندنا في لسان العرب أن كلمة [روح] هي قوة إحياء وأمرها عند الله، و[النفس] هي قوة تدبير وأمرها للمربين ولصاحبها بدليل قوله تعالى ﴿ونفس وما سواها﴾، الإشكال الآخر حول مسألة [الفطرة] فالفطرة هي توحيد الربوبية والتي تتحول مع تكليف إلى توحيد الألوهية، النقطة الثانية: الاستعداد إلى الاكتساب الفكري والمعرفي وشكراً.

الرئيس: الدكتور عمر سليمان!

د. عمر سليمان: أود أن أتوجه إلى بعد آخر من أبعاد الكلمات الممتازة التي تم تقديمها فلست عالماً دينياً على أي حال، أستخلص من كل كلمات وتعليقات الحضور أنه وفقاً لكل الأديان يجب تدريب العالم بالدين أو الشخص المتدين أو التلميذ المتدين لا من حيث القضايا الدينية فحسب بل أيضاً فيما يتعلق بالعلم وأسلوب التفكير ومهاراته؛ لأنه بهذه الطريقة سيكون لائقاً تماماً ليحظى بالروحانية -التي يدركها جيداً- كما أنه سيضمن استخدام العلم بما يتماشى مع القوانين الأخلاقية، إضافة إلى ذلك فقد أثرت تساؤلات هامة للغاية على لسان د. عجيل ولم تتم الإجابة عنها. وعموماً، إن كان هناك علاج لأي شيء أرغب في أن أسأل إن كان آمناً أم لا؟ أقصد بذلك حتى الدواء العادي فحين نتقدم لتسجيله يستغرق الأمر طويلاً لإثبات صلاحيته للاستخدام الآدمي، فلم إذن تستعجلون هذا الأمر؟ وهل طبقنا أنواع العلاج التي وضعها الإسلام أو غيره من الأديان؟ لقد تكلم المتحدث الأخير بصفة أساسية عن قضيتين هامتين وهما: أسلوب الحياة الإسلام، والبيئة، ولقد تحدث الجميع عن هاتين القضيتين، وكلنا يعرف أن أشهر أسباب الأمراض والوفاة في جميع أنحاء العالم هو أسلوب الحياة غير الصحي وتدهور البيئة والفقر، ولكن هل قمنا بما يكفي في هذا الصدد وما الذي كان يتعين علينا فعله؟ فهذا سيقضي على المشكلات الصحية التي نتناولها فلماذا لا نتناول الأشياء الأسهل والأرخص والأكثر عملية؟

الرئيس: د. بيترز!

د. تيد بيترز: في الخطاب الثالث أعتقد أنني سمعت المتحدث يقول: إننا إن أزهقنا زوحاً فسبحنا على هذا يوم القيامة، وأود فقط أن أسأل: إن كان ممكناً من الناحية الدينية أن نزهق زوحاً؟ فالكثير من

المسلمين والكاثوليك الرومان يعتبرون أن الروح خالدة بطبيعتها، أما عن التفسيرات غير الميتافيزيقية للروح فستكون في الأبعاد التي تربط بينها وبين الله فيها وبذلك نتحدى مشيئة الله؛ لذا فهؤلاء - من بينكم - الذين يظنون أن الروح يمكن أن تزهق، هلا يخبروني كيف؟ وأعتقد أنه من الهام التحدث عن هذا في مؤتمر يدور حول التقنيات الإنجابية لأن الكثيرين - خاصة الفاتيكان - يفترضون أن هذا البعد هو الذي يضفي كرامة أخلاقية يمكن صونها لمنطق الربط بين الروح الخالدة والكرامة الزائلة.

الرئيس: د. عقيل. أي سؤال آخر؟ نعم، د. حامد تفضل!

د. حامد أحمد: أجد صعوبة في فهم فكرة الخلق أو الخالق. فلقد فهمت من الجلسة الأخيرة وهذه الجلسة أن المنظور الإسلامي للخلق يقول إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أفضل حال "في أحسن تقويم". ولقد أشارت الكثير من الأحاديث والآيات التي استشهد بها الأخ رفاعي إلى حقيقة أن الإنسان سواء الله سبحانه وتعالى في الأرحام في أحسن تقويم.

أما المفهوم المسيحي وحتى المفهوم اليهودي على ما أعتقد فيقول: إن الله سبحانه وتعالى جعل عملية خلق الإنسان نصف كاملة ومنح البشر صورة من صور قدرته لإكمال هذا الكائن البشري؛ إذن، فهل هناك أية مفارقة ينطوي عليها هذا المفهوم؟ إذ نقول - نحن المسلمين - : إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن صورة في آدم عليه السلام، وتقول المسيحية واليهودية: إن هذا الخلق لم ينته بعد ويجب السماح بتحسينه، هذا مفهوم أود من المشاركين في هذا المؤتمر أو أي من العلماء اليهود أو رجال الدين اليهودي أن يعقب عليه.

أما عن السؤال الثاني فأوجهه في الواقع إلى د. رفاعي الأخ عبد

الرحمن الرفاعي أثار كثيرا من القضايا أود أن يسمح الوقت ليوضحها لنا: إن فهمنا أن اختيار جنس الجنين لا يجوز هل إذا كان هناك علاقة للجنس بالمرض، فهل يجوز في الإسلام أولا بمعنى أنه إذا كان هناك أمراض موجودة في جنس الجنين هل يجوز أن نختار الجنس المقابل؟ الأمر الثاني: الحديث الذي ذكرته بخصوص [يجعله شقيا أو سعيدا وهو في رحم أمه] ألا يتناقض هذا مع العدل الإلهي أولا؟ وفي آية أخرى ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾ ألا يتعارض هذا مع الاختيار؟ أرجو أن توضح لنا هذا شكرا لكم.

الرئيس: د. طه عبد الرحمن.

د. طه عبد الرحمن: أولا هناك نقاط كثيرة ولكن ما كنت أريد أن أتدخل، إنما أرجع إلى مسألة [الفطرة] فأظن أننا إذا نظرنا في مفهوم الفطرة داخل النص القرآني فهي لا تخرج عن معنى القيم التي فطر عليها الإنسان، فالإنسان خلق من مجموعة من القيم وحتى علم آدم الأسماء كلها.. فأنا في رأيي - وهذا اجتهاد مني - أن الاسم في اللغة العربية مأخوذ من معنيين أحدهما من وسم يسم يعني علامة، إلا أن هذه العلامة قد تكون علامة تميز الأشياء وأيضا قد تكون علامة تُقوّم الأشياء، والدليل على ذلك أننا حينما ننادي في اللغة العربية مثلا عبد الله فإننا ننادي قيمة من القيم وهي العبودية لله، فمعنى علم آدم الأسماء كلها أي علمه القيم التي فطر عليها الإنسان والتي ستكون من سمات الدين الإسلامي.. هذا اجتهاد مني فأرجو أن أكون مصيبا.

أما في قضية الخلق فهناك نقطة للخلق التي أراها شخصا هناك فرق لا أقول بأنه شاسع ولكنه موجود بين التصور غير الإسلامي لمفهوم الخلق وبين التصور الإسلامي للخلق؛ وهو أن الإنسان لا يمكن أن يشارك الله في خلقه على الإطلاق، في حين أنه بالنسبة للمسيحيين أو لغير المسلمين أن الإنسان قد يشارك الله في الخلق، وإن كانت هذه المشاركة أدنى من الخلق الإلهي

فهذا أمر آخر، ولكن إن كانت المشاركة موجودة وهذه نقطة في غاية الخطورة، والسبب أننا في ثقافتنا حتى الإسلامية تأثرنا بالثقافة غير الإسلامية وأصبحنا نتكلم عن الفنانين والشعراء وعن غيرهم أنهم يخلقون وابدعون، لماذا؟ لأن السبب في ذلك راجع إلى أن الإنسان تصور أنه بمقدوره أن يخلق كما يخلق الإله، فلذلك حينما يعمل الإنسان عملاً في الأشياء هو لا يخلق بمعنى الإيجاد من العدم، وإنما يجمل شيئاً ما هو مخلوق، الأمر الثالث هناك مسألة لم تحل إلى الآن وهي العلاقة بين الإنسان والإله، الإرادة الإلهية نتصور دائماً على أنها إرادة معارضة للإرادة الإنسانية؛ بمعنى أن الإنسان إذا أراد أصبح الإله يعني أصبحت هذه الإرادة منازعة للإرادة الإلهية، وحينما يريد الله سبحانه وتعالى شيئاً يصبح الإنسان مسيراً لا مخيراً، هذه العلاقة غير مفهومة على الإطلاق في الكتابة العامة الإسلامية وغير الإسلامية، فقد يحصل في الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية ألا يتعارضا إطلاقاً بحيث يكون الله مريداً للشئ ويبقى للفرد الحرية الكاملة في أن يتصرف كما يريد، أظن إذا الإرادة الإلهية إرادة لا يمكن أن تقارن بالإرادة الإنسانية فلذلك لكل قياس، وهذا الذي يحصل منذ القديم إلى يومنا، وهذا [قياس الإرادة الإنسانية على الإرادة الإلهية] قياس فاسد تماماً، فلو كانت هناك كلمات أخرى - يعني في اللغة - لكان الأولى بنا أن نخصص مفهوم الإرادة لله ونقول شيئاً آخر بالنسبة للإنسان، وهذه هي الأمور لهذه الجلسة، وأنا أريد أن أشكر الذين ترأسوا الجلسات، وأريد أن يخرج الحاضرون من إخواننا اليهود والمسيحيين بتصور واضح عن مفهومنا لهذه الأمور فهي نفس الإشكالات المطروحة عندهم، وهذا الاختلاف في المفهوم لا يزيدنا إلا توسيعاً للمنظور في تناول الإشكال لتصبح عندنا منظورات متعددة لتناول نفس الإشكال، وهذا فيه إغناء للعقل وتوسيع له وتوسيع للسلام وتوسيع إمكانات التعامل... وشكراً.

الرئيس: د. بروس فولتز.

د. بروس فولتز: شكراً جزيلاً! هناك تفرقة قديمة في [المسيحية

البروتستانتية] وهي هامة جداً في [المسيحية الأورثوذكسية] وهي تفرقة أخرى بين الصورة وبين الشبه. لقد خلق الله البشر على صورته ولا يمكننا أن نفعل هذا أو نمحوه لأنفسنا فكل إنسان صورة من الله؛ غير أنه ليس كل إنسان يحمل الشبه من الله ومعظمنا لا يحمل هذا الشبه. في الأورثوذكسية والبروتستانتية، تتمثل مهمتنا - كمؤمنين - في أن نتحول إلى أشباه لله بشكل أكبر، لكن لا يمكننا أن نجعل أنفسنا صوراً لله فالله وحده هو الذي يفعل هذا، إن البشر ليسوا شركاء في الخلق لذا لا يمكننا إضافة هذا الأمر ولا محوه.

الرئيس: شكراً جزيلاً! د. مالك بدري.

د. مالك البدري: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه! أود أن أذكر بعض الأشياء. أعترض عن قدومي متأخراً ولا أعلم إن كان ما سأذكره قد قيل بالفعل في جلسات سابقة أم لا.

تعليقي يتصل بالدكتور إقبال. باديء ذي بدء، أتفق معه بالفعل وأؤيد وجهة نظره لأننا كعلماء مسلمين تختلف آراؤنا حول الروح والنفس، وأشعر أن التحدث عن ماهيتين منفصلتين- الروح والنفس- سيتفق بشكل جيد مع روح الإسلام والقرآن الكريم. فإن أخذنا "الروح" على سبيل المثال. لو قرأت القرآن كله لما وجدت كلمة "روح" في أي سياق سلبي، بيد أن كلمة "نفس" تذكر أحياناً ككيان سلبي مثل ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ونسمع أيضاً ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾. إذن أحياناً يتحدث عن "النفس" كشيء جيد يقبله الله



ويرضى عنه، وأحياناً أخرى تتبع النفس غرائزها السيئة التي تشدها إلى أسفل، وبالتالي سيتم عقابها على ما اقترفت. أما "الروح" فتقف على النقيض من "إبليس" أو الشيطان. فالإنسان في الوسط بين الشيطان الذي يمكنه أن يشده إلى أسفل بعيداً عن الفطرة وعلى الجانب الآخر تقف "الروح" التي نفخت في الإنسان لتعينه على الوقوف ضد "الروح" الأخرى أو "إبليس" الذي أقسم لله تعالى أنه سيأخذ بعباده إلى الكفر.

وهنا أود أن أضيف شيئاً من عندي... عند نفخ الروح وأقصد هنا الروح التي خلقها الله تعالى في آدم عليه السلام كان آدم عندئذ صلصالاً وبعد نفخ الروح فيه أصبح حياً وأصبح إنساناً من لحم ودم وعظام وأعصاب فهل هذا صحيح أم أنه كان كذلك قبل نفخ الروح فيه؟ "سواه ونفخ فيه من روحه" ما المقصود هنا؟ هل كان الإنسان حينها صلصالاً مشكلاً أم كان بالفعل إنساناً؟ وفي تعبير "على صورته" أي في خلقه كالإنسان؟ إن كان الرأي الأخير صحيحاً، تكون قصة آدم عليه السلام ونفخ الروح أمراً يتكرر مع مولد كل طفل لأنه حين يقول الحديث (إن الملائكة تذهب لنفخ الروح في الجنين يكون الجنين حياً بالفعل وربما يكون لديه نفس بالفعل لم تكتمل بعد ثم تأتي إليه الروح بعد ذلك).

أود أن أذكر في عجالة شيئاً قلته عن الفطرة. من المثير للاهتمام أن أحد العلماء العظام في وقتنا هذا [هربر بنسون]- مؤلف كتاب "شفاء أبدي" ومدير معهد العقل والجسد بجامعة [هارفارد]- يقول: إن دراساته أوضحت له جلياً أن الإيمان بالله أمر يسري في الجينات وأن الإيمان بالله أمر نافع، وأعطاه مفهوماً تطورياً غير أنه تحدث عنه كما لو كان يتحدث عن مفهوم "الفطرة" في الإسلام.

وأخيراً، أود أن أقول شيئاً عن "القلب" قد ذكرتموه من قبل. هناك كاتب عظيم اسمه [بيرز] كان قد تقدم في العمر حين ألف كتابه "عمليات التطور الداخلية". وقد قال: إن هناك روحاً خارج القلب،

وكان أحد أدلته أنك إن جئت بخلية من القلب ووضعتها في طبق تظل تتفاعل إلى أن تموت. وإن أتيت بخليتين من القلب ووضعتهما بالقرب من بعضهما البعض دون أن يتلامسا بيدآن في تكوين خلية واحدة، ويقول: كيف يمكن لهما أن يخفقا بهذه الطريقة؟ القلب ليس مضخة فحسب - على حد قوله - بل له علاقة بجوهر وجودنا، وفي كتاب "إحياء علوم الدين" يقول الإمام الغزالي: إن بوجود علاقة بين النفس والروح والقلب، بيد أن هذا أحد الأسرار التي منحها الله تعالى لي ولا يمكنني أن أضعها في كتابي. أشكركم.

الرئيس: شكراً لك. د. نصر فريد واصل!

د. نصر فريد واصل: لي تعليق... بسم الله الرحمن الرحيم بالنسبة لقضية القضاء والقدر أو اختيار الإنسان وجبره يجب أن نفهم أن من صفات الله سبحانه وتعالى صفة العلم، صفة العلم هي صفة انكشافية تتعلق بالواجب والجائز والمستحيل بمعنى أن الله يعلم أنه لا يوجد شريك له لا يمكن أن يكون لهذا الوجود إلا لله سبحانه وتعالى، والجائز ما يمكن أن يتغير في الحياة الدنيا هذه، والمستحيل عدم وجود شريك لله، أما الواجب وهو جود الله لذاته يعلم الله سبحانه وتعالى هذا الخلق الذي خلقه على الصورة التي عليها وكل ما يوجد عليه من إنسان ونبات وجماد إلى أن تقوم الساعة وكل التغييرات، فهذه المخلوقات في علم الله منكشفة له قبل الخلق؛ وبناء على ذلك - بتحقيق العدالة - علم الله ويعلم أنه سيخلق هذا الخلق على الصفة التي عليها الآن وأعطى له من العقل القدرة والإرادة والاختيار ويبن له قبل ذلك أن هذا فيه ضرر له وهذا فيه مصلحة، هذا جائز أن تفعله وهذا غير جائز فلا تفعله، وهذا الجائز لمصلحتك أنت، وهنا ترك الله من خلال العلم هذا الإنسان يفعل ما يفعله في الحياة بناء على علم الانكشاف وترك الإنسان يختار ما يشاء؛ فكل ما يختاره الإنسان بعد ميلاده يكتب عليه ويقيد وهذا في اللوح

المحفوظ، وهذا هو الذي نقول: الإيمان بالله والقدر، وهنا عندنا خلق الإنسان حتى لا يقع في ملك الله ما لا يريد كان من حيث القدرة والإرادة والتنفيذ لله في الخلق، لكن علمه سبحانه وتعالى يعلم أنه قبل الكتابة يفعل كذا وكذا فقدر عليه ذلك. ومن هنا يختار الله للإنسان في الكتابة ما اختار الإنسان لنفسه، بمعنى أن إرادة الله متعلقة بعد إرادة الإنسان نفسه، فلو افترضنا أنه لا وجود للوح المحفوظ ووجد الكتاب ولا قلم لأن أول ما خلق الله القلم ولا كتاب اللوح المحفوظ؛ وقال: (أكتب يا قلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة) فهنا الموجود في الحياة هو مسجل في اللوح المحفوظ لكن هذا التسجيل قائم على علم الله الذي يتعلق بكل ما يمكن أن يوجد أن تقوم الساعة كل هذا الخلق، فلذلك العدل قائم لأن الله خلق لنا العقل والإرادة والحرية والاختيار، بين لنا ما هو شر لنا وما هو خير، ومع ذلك خلق لنا العقل الذي يميز بين الخير والشر، وأيضا أرسل الرسل لتبين لنا ذلك مع هذا العقل حتى لا يكون للناس حجة على الله يوم القيامة، وهناك علم التوحيد الذي يبحث في صفات الله سبحانه وتعالى وصفات البشر وما هو من حق الإنسان وما هو من حق الله سبحانه وتعالى هذه ناحية.

أما من ناحية خلق الإنسان على صورته على صورة آدم نحن نعلم أن كل شريعة وكل رسول يأتي عليه وحي بلسان قومه، ونعلم أن القرآن الكريم هو مصدر الشريعة الإسلامية، ومصدر الإسلام باللغة العربية واللغة العربية، دائما الواقع فيها أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور (خلق الله آدم على صورته) هذا طبقا لقواعد اللغة التي نزل بها القرآن، ولا يمكن أن يعود إلى غير قريب إلا بقريئة معينة وليس هنا قريئة وهذا بالاتفاق بين العلماء فهنا اللبس غير موجود وهذا متفق عليه عند علماء الشرع والفقهاء شكرا.

الرئيس: الشيخ محمد مختار السلامي.

الشيخ محمد مختار السلامي: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وبارك على إمامنا وحبينا وشفيعنا سيدنا محمد ﷺ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أرجو أن تستمعوا إليّ وأن ألتمس منكم مقدما لأنني متعب فقد قضيت الليلة السابقة في السفر ووصلت إلى هنا الساعة ٣,٣٠ صباحا وحضرت هذه الجلسة العزيزة على نفسي والتي سعدت بالاستماع إلى الذين تفضلوا وأثروا ما أنتجته هذه المنظمة الكريمة، وفي هذه الجلسة في آخر الأمر أثبت ثلاث قضايا هي من أعظم القضايا التي شغلت الإنسانية (قضية الخلق) و(قضية الروح) و(قضية القضاء والقدر) وهي قضايا ليست من السهولة واليسر بل هي الأسئلة التي صاحبت الإنسان في حياته وهو يبحث عن الحقيقة منذ الأزل.

فإذا أخذنا الروح فأفضل جواب عندي ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨٥) فإذا نظرنا إلى الآية في بدايتها وخاتمتها لوجدنا أنها تشير إلى أمرين، الأمر الأول هو: أن معرفة الروح حقيقة لله سبحانه، الأمر الآخر: أنه إذا حاول الإنسان الوصول إلى معرفة الروح فإنه لا يصل إلى ذلك، فعدم بناء معلومات قبل ذلك يفقد الإنسان رتبة المعرفة، كما نقول: إن التفسير هو أمر ممكن في البداية ولكن لن يصل الإنسان إلى تفجير الذرة إلا بعد تقدم علمي في ميادين عديدة، فالعلم الإنساني مازال قاصرا، فلا يستطيع الإنسان بما عنده من المعلومات أن يصل إلى معرفة الروح وفهمها وإدراكها الإدراك الكامل.

أما قضية الخلق فالخلق له معنيان: الخلق بمعنى إيجاد من عدم وهذا ليس إلا لله سبحانه فلا يستطيع أي إنسان وأي كائن أن يوجد شيئا من عدمه، أما الموجود الذي أوجده الله فلإنسان أن يتدخل فيه ويعطيه من صفات الجمال ما هو أكثر، فالنحات يأخذ الحجارة أو يأخذ قطعة الحديد وإذا به يعمل بها في [الأزميل] إلى أن تصل إلى صورة جميلة جداً، فالحقيقة

هو ليس بخالق، فكل ما بين يديه: المادة التي عمل فيها والأزميل ونبأته هذه كلها ليست منه وإنما من الله، لكن عندما يعمل ويعطينا شيئاً جديداً تعبر عنه الثقافة الغربية [بالعقل الخلاق وخالق]، بالنسبة لنا - نحن المسلمين - فلا نفهم الخلق إلا بمعنى إيجاد من العدم وهذا هو الله سبحانه.

القضية الثالثة هي: قضية القضاء والقدر. . وقد تفضل سماحة المفتي فأشار إلى الفصل بين أمرين العلم والقضاء والقدر، وعلمنا أن نعلم ما هو مفهوم العلم؟ العلم ليس مؤثراً أي أنه علم وانكشاف؛ فإذا عرفت شيئاً فليس معنى ذلك أنني أثرت في هذا الشيء، ولكن الشيء الذي أمامي علمته فانكشف لي ملف العلم، والعلم هو انكشاف، ولذا فما أثاره الأخ عند نفخ الروح وكتابة (أسعيد أم شقي) هذا لا ينافي العلم الإلهي؛ لا يكتب حسب العلم الذي يؤثر فعلم الله تعالى لا يؤثر في الكون، ولكن المؤثر في الكون القدرة والإرادة. ولذلك لا نخلط بين القدرة والإرادة وبين العلم، وهي ثلاث مراتب كما قلت.

قواي ضعفت عن الإبانة كما ينبغي في هذا المقام وشكرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

الرئيس: د. محمد على البار.

د. محمد على البار: في حديث ورد في البخاري (أن رسول الله ﷺ وجد رجلاً يضرب آخر فقال أتضربه وقد خلق الله آدم على صورته) وعلق عليه ابن حجر العسقلاني وأضاف إلى الحديثين هذا، ويوضح الحديث بهذا المفهوم الذي شرحه أصحاب الفضيلة، فهذه قضية محلولة في هذا الباب، وأنا كنت استغرب عن عنوان المحاضرة (الوراثة البشرية والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان الثلاثة) وما سمعت في موضوع الوراثة والتكاثر البشري رأي الأديان الثلاثة، وكان المفروض أن يكون هناك عنوان آخر لهذه المحاضرة وعلى كل فهي محاضرة طيبة ولكن هي بعيدة كل البعد عن هذا العنوان.

الرئيس: د. عز الدين إبراهيم.

د. عز الدين إبراهيم: لولا أن سؤالاً قدم ولم يجب عنه ما طلبت الكلام مرة أخرى، والسؤال - كما وصفته أنت - سؤال جيد من المطران حيث قال: إذا كنتم قد نفيتم عود الضمير إلى المولى عز وجل وحصرتموه - كما هي أقوال المفسرين في آدم - فهل يجوز في نظر المسلمين - هكذا فهمت السؤال - هل يتدخلون في حياة الجنين لآخر ما ذكر، أو حياة الإنسان لآخر ما ذكر؟ والسبب في هذا أن اللاهوت المسيحي يشتق قدسية الجسد الإنساني من كونه شبيها للرب، والمسلمون يشتقون قدسية الجسد الإنساني من عدة أمور أخرى وهي أن الله خلقه في أحسن تقويم، وقد ذكر غير ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> مدح الله خلقه للإنسان في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَدْأَانُهُ خَلْقًا آآخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه في أحسن تقويم؛ ولأنه خلق الله أحسن الخالقين فإنه لا يجوز المساس به سواء كان جنينا أو كان بالغا، أما في حال البلوغ فهي واضحة، والمسلم الصالح يا دكتور [برويز] لا يقتل، وأما في حال كونه جنينا فالأصل ألا تتدخل بالإجهاض لا في اليوم الأول ولا بعد ١٢٠ يوما إنما جواز التدخل في حدود المائة والعشرين يوما هو وجود ضرورات بينها الفقهاء، وإلا فالأصل عدم التدخل إطلاقا، وهناك من علماء المسلمين ومنهم [حسان] أنه لا يجوز التدخل سواء أكان الجنين في البداية أو النهاية وشكرا.

الرئيس: من الإنصاف إن نعطي الحق للمتحدثين د. مظفر إقبال تفضل.

د. مظفر إقبال: أعتقد أنه لم يكن من الحكمة فتح مثل هذه القضايا الهامة في مثل هذا الوقت المتأخر من اليوم. إذ أشعر أننا نعاني من مشكلة

(١) سورة التين، الآية ٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

في المعاني الآن. فالناس يفكرون بلغة ما ويعبرون عن أفكارهم بلغة أخرى، وتختلط الكثير من المعاني. سأجيب عن التساؤلات التي طرحت بشأن كلمتي، ولكن اسمحوا لي أولاً أن أوضح أمراً ذكره الرئيس بعد انتهائي من كلمتي مباشرة حول مفهوم الهبوط. ولا أعرف إن كان الأمر يرجع إلى الترجمة أم إلى سوء الفهم. لقد ذكرت بالفعل أن مفهوم الهبوط كما هو مفهوم بالمسيحية غير موجود بالدين الإسلامي، ولقد استشهدت بآية قرآنية تقول "اهبطوا" من غير اصطحاب أي ذنب، فإنهم قبل هبوطهم إلى الأرض قد تضرع آدم عليه السلام إلى الله بقوله في الآية الكريمة رقم ٢٣ من سورة الأعراف ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١) قد أُجيبت دعوتهما مسبقاً، فمن الجديد بالنسبة لي القول بأن الجنة ربما كانت على الأرض، فهذا يتناقض مع ١٤٠٠ عام من التفسير والأحاديث التي لدينا حول خلق آدم في الجنة. ففي رأيي لم تكن الجنة على الأرض، ويظهر هذا في الجزء الثاني من الآية التي استشهدت بها: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرٌ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٢). فإن كانوا بالفعل على الأرض فليس هناك أي مغزى من قول ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرٌ وَمَتَّعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الجنة لا يمكن أن تكون على الأرض لذا فقد أوقعني تفسيركم هذا في حيرة شديدة، وربما كان هذا للسماح بدرجة ما من التطور أو شيء من هذا القبيل. لقد حيرني تفسيركم لمفهوم الهبوط.

ثانياً، كان هناك تفسير غريب للغاية ذو علاقة -ربما- بالترجمة ولست ألوكم - أيها المترجمون - إذ تبدلون قصارى جهدكم في ترجمة المصطلحات المتخصصة. الأمر يتعلق بكلمة "فطرة" التي ساويتموها بكلمة "قيمة" وإنه لتفسير غريب حقاً لأن كلمة "فطرة" كلمة عربية بينما "قيمة" كلمة إنجليزية. كلمة فطرة ترجع إلى الأصل

(١) سورة الأعراف، آية ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، آية ٢٤.

"فطر" ولا توجد أية علاقة في الأصل بين كلمة "فطرة" وترجمة كلمة "قيمة" باللغة الإنجليزية.

ولازلنا في نطاق المعاني إذ ترجم المترجمون - في حد اعتقادي - كلمة "نفس" في الحديث الشريف في محاضرتك مما قاد [تيد بيترز] إلى فهمه كالتالي "قتل النفس". ومرة أخرى لم تكن الترجمة صحيحة هنا ويرجع هذا إلى قولك إنه لا علاقة لي بقتل النفس. كلمة "نفس" في الحديث وفي هذا الموضع الخاص تعود على "الشخص" الإنسان لا النفس.

والآن فلنعد إلى التساؤلات الهامة التي أثرت بشأن كلمتي أعتقد أن اليوم هو اليوم المخصص. أهنئ منظمي المؤتمر على تخصيص اليوم الأول لوضع الإطار الذي يمكن من خلاله فهم المناحي الوراثة للإنسان ودراستها، وهذا ما ركزت عليه جميع جلسات اليوم. (ما هو مفهوم البشر) وفي هذا الصدد تلعب نظرية التطور دوراً غاية في الأهمية، ورغم أن الأمر ليس مدرجاً على جدول الأعمال إلا أن جلسة اليوم تتناول وضع هذا الإطار لفهم ما يمكن فعله مع البشر، وما لم يكن لدينا فهم بالإنسان، لا يمكننا الاستمرار أكثر من هذا، تقدم نظرية التطور أحد الآراء حول الإنسان، وللإجابة عن سؤالكم بشأن ردود الفعل الإسلامية بشأن التطور، فهناك استقصاء جيد جداً أجرته "زيادة عادل" في كتاب تم نشره عام ١٩٨٦. وعنوان الكتاب هو "العلم الغربي في العالم العربي - أثر. نظرية داروين"، وأنا على يقين أنه متوافر بالخارج وأن به عشر صفحات مخصصة للإسلام وردود فعل المسلمين على نظرية التطور منذ البداية وحتى وقتنا هذا، كما ذكرت أن هناك ٢٣ مصدراً آخر على الأقل؛ فهناك على الأقل كتاب ممتاز نشر في لندن للشيخ عبد المعبود تحت عنوان "آراء إسلامية حول نظرية التطور" كتاب قصير لكنه رائع. وهناك الكثير من المراجع الأخرى ستجدونها في ورقتي المقدمة والتي



أثق أنكم ستحصلون عليها في الخارج فهناك نسخ متوفرة منها، غير أن الأشياء التي قيلت كرد فعل على نظرية التطور تحمل ثقلاً سياسياً، الأمر الذي لم يبرزه كتاب "عادل"، وهناك بعض الأمور التي تظهر على شاشة [الإنترنت] أيضاً والتي تشير إلى أن الثقل السياسي لنظرية التطور وصل إلى العالم الإسلامي حين كان معظمه تحت الحكم الاستعماري، وحين أتى العلم تمت ترجمته من اللغة الإنجليزية؛ لذا يجب تفهم العامل السياسي المؤثر على فهم نظرية التطور في العالم الإسلامي.

الرئيس: أعتقد أن التعب قد بلغ ولكن من حق الدكتور الرفاعي أن يعلق في دقيقتين... «د» رفاعي تفضل

... د. رفاعي: إن في الحديث [أن الله خلق آدم على صورته] هذا حديث صحيح الإسناد وصحيح ورد عن النبي ﷺ وثابت في الكتب الصحيحة، وقد فسره علماء أهل الحديث على وجهين قالوا: إن الله خلق آدم على صورته كما قال سيادة المفتي أي على صورة آدم، وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى بهذا النص على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ينفي فكرة أن يكون الإنسان تطور من خلية وحيدة كخلية فطرية أو بكتيرية أو خلية وحيدة الخلية ثم تطور فصار إنساناً، فهذه نظرية الدروانية التي تقول [إن أصل الإنسان كان خلية أو كان طحلباً وتغير شكله إلى ذلك] ويبدو أن هذه الفكرة الدروانية فكرة قديمة، ولذلك علماء الحديث قالوا: إن الحديث ينفي أن الإنسان تطور من خلية حتى صار إنساناً مرحلة إلى مرحلة، بل خلقه الله كاملاً من أوله ولذلك سجد له الملائكة وعلمه الأسماء، وقالوا أيضاً ممكن أن يجرى على ظاهره كما جرت بعض النصوص على ظاهرها كقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلْدِ

(١) سورة الفتح، آية ١٠.

وَالْإِكْرَامِ<sup>(١)</sup>، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾<sup>(٢)</sup> قالوا:  
إن الإنسان خلق على صفة الرحمن فعلا حيث إن الإنسان له صفات  
القدرة والمحبة وصفات الرحمة بل له صفات الخلق (يخلق من الطين  
كهية الطير) تصور وتفعل وتريد وتتحرك وتختار وكل هذه الصفات  
صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى درسها الفلاسفة وأهل التوحيد في  
علومهم، ولكن هناك فرق بين صفة الله سبحانه وتعالى وبين صفات  
الإنسان، فكل صفات الله وأسمائه التي هي مطلقة وليست مقيدة  
صفات كل الحرية وكل الإطلاق لكن قدرة الإنسان وإرادة الإنسان  
ومشيئة الإنسان وكل ما ينسب للإنسان من صفات إنما هي في حدود  
طاقته، حتى علمه أيضا في حدود طاقته، فهناك فرق بين إثبات الصفة  
للمخلوق وإثبات الصفة للخالق، الله سبحانه وتعالى له الأسماء  
الحسنى وشكرا.

الرئيس: أعتذر عن هذه الإطالة، المفروض أن تنتهي الجلسة قبل  
نصف ساعة، ولكن بدأنا متأخرين نصف ساعة، شكرا لكم...  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) سورة الرحمن، آية ٢٧ .

(٢) سورة الزخرف، آية ٨٤ .



## الجلسة العلمية الرابعة (فلسفة الوراثة والتكاثر البشري من وجهة نظر الإسلام والمسيحية والعلمانية)

الرئيس: الدكتور عبدالرحمن العوضي  
المقرر: الدكتور على يوسف السيف  
المتحدثون:

١ - الشيخ منير فرج

٢ - الشيخ محمد المختار السلامي



**المشاكل الأخلاقية المتعلقة  
بالتشخيص الوراثي قبل الولادة  
وقبل الزرع في الرحم**

الدكتور منير أ. م. س. فرج



## المشاكل الأخلاقية المتعلقة بالتشخيص الوراثي قبل الولادة وقبل الزرع في الرحم

منير أ. م. س. فرج

عضو الأكاديمية البابوية من أجل الحياة  
المقر البابوي - الفاتيكان

### مقدمة البحث:

إن اتساع نطاق المعرفة بما يدور داخل الرحم من حياة والتطور الكبير في وسائل الوصول إلى هذا الداخل يهيئان لأطباء الإنجاب في أيامنا هذه إمكانية تشخيص الجنين قبل ولادته. ويسمح ذلك بالتدخل العلاجي الفعّال في الوقت المناسب إذا لاحت هناك مشكلة تتعلق بهذا الجنين.

ويعكس التشخيص قبل الولادة الجانب الخير الذي يميز كل أنواع التدخل الطبي، ولكنه يواجهنا بمشاكله الأخلاقية الخاصة به، وهي مشاكل يرتبط بعضها بما ينطوي عليه هذا التشخيص من مخاطر وبعضها الآخر بالغرض الذي يُستخدم من أجله بناء على طلب الأزواج.

وتضع وجهة النظر الأخلاقية التشخيص قبل الولادة والتشخيص قبل زرع البويضة المخصبة في الرحم على طرفي نقيض ويحتدم حوله جدل كثير ويجد أصحاب الرأي بينهما تعارضاً كبيراً.



ودائما ما يتنازع التشخيص الوراثي قبل الولادة أمران: احترام كرامة الإنسان (المعيب وراثيا) والخضوع لطغيان المعايير الطبيعية .

وفي دنيا الواقع لامفر من الربط أخلاقيا بين التشخيص قبل الولادة والتشخيص قبل الزرع من جهة، وبين قبول ضحايا الأمراض الوراثية أو التخلص منهم من جهة أخرى. لذلك فإن التشخيص الوراثي قبل الولادة يرتبط في الأذهان بشئ يسئ إليه وهو ما يعرف [بالوجينيا] أو (تحسين النسل) التي تتخفى تحت قناع الثقة الإنجابية، أى أنك تعرف تماما ماذا تنجب .

### ١ - أدوات التشخيص قبل الولادة وقبل الزرع في الرحم:

إن التشخيص قبل الولادة قديم قدم طب الولادة وإنجاب الأطفال، وقد كان له دور خاص في التقييم المستمر لحالة الحمل وصحة الجنين أثناء برنامج الإشراف والمتابعة الذى يقوم بتنفيذه طبيب الولادة .

وخلال ما يتراوح بين العشرين والخمسة والعشرين عاما الماضية حدث انفجار معرفي في التكنولوجيا جعل من الممكن الآن إجراء العديد من الاختبارات على الجنين لرصد أي خلل في تكوينه الوراثي ينذر بإصابته بواحد من الأمراض الوراثية المختلفة، وأصبح في الإمكان الآن التعرف على عشرين نوعا من أنواع الخلل في الكروموزومات كما يمكن الآن تقييم من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ حالة من حالات الكيمياء الحيوية أو التكوينات الجزيئية التي تستند إلى أساس وراثي .

إذن، فعملية التشخيص قبل الولادة طوال تاريخها المديد تركز على تلمس الأوضاع والأحوال التي تساعد الطبيب على تهيئة حياة طبيعية وصحية للجنين، ويحمل مثل هذا الهدف في طياته نوعا من الالتزام الأدبي النبيل يستجيب له الطبيب الذى يتحلى بالأخلاق الكريمة

بأن يعتبر هذا التشخيص مسؤوليته بصفة خاصة وليس مجرد واجب عليه أن يؤديه .

ولسوء الحظ، فإن الهدف المعلن من وراء التشخيص قبل الولادة خلال التسعينات من القرن العشرين هو إتاحة أكبر قدر من فرص الاختيار أمام الأزواج المعرّضين لاحتمال إنجاب أطفال مصابين بأمراض وراثية أو تشوهات خلقية ومساعدتهم على تحقيق هدفهم في تكوين أسرة سليمة صحيا وذلك بالموافقة على خيار الإجهاض لتجنب ولادة أطفال مصابين. (١)

ويتضمن الإعلان عن هدف التشخيص قبل الولادة أنه يقتصر على توفير معلومات دقيقة عن حالة الجنين الصحية من الناحية الوراثية ولكنه لا يُملَى على الزوجين أن يتصرفا بشكل معين (٢)؛ أي أن هذا التشخيص هو نوع من الإرشاد المحايد الذي لا يرمي إلى توجيه الزوجين أو إصدار أحكام على جنينهما، وينبغي على الطبيب أن يحاول توفير ما يلزم من المعلومات وبعد ذلك عليه أن يساند ما يتخذه الزوجان من قرارات (٣)، على الرغم من صعوبة الالتزام الكامل بالموضوعية في مثل هذه الحالات. ولا بد أن نوضح هنا أمرا هاما وهو أن هذا الإرشاد المحايد هو نوع من الخروج عن المألوف في الممارسات الطبية؛ إذ إن المريض يذهب إلى طبيبه ليس من أجل الحصول على تقييم موضوعي للموقف وتشخيص للمشكلة الصحية

Penkethr., " The Scope of Preimplantation diagnosis ", in Edwards R.G., (١) Preconception and Preimplantation diagnosis of human genetic disease, combridge: university press, 1993: 82

Sinpson; J. I., " Genetic Counselling and prenatal diagnosis, in Gabbe, S. (٢) G. Niebyl J. R., Sinpson; J. I., Obstetrics: Normal and Problem Pregnancies, New York: Churchill Livingstone, 1991: 277

Sinpson, Genetic Counselling ..... P. 277

(٣)

فحسب، بل أيضا من أجل الاستعانة بعلم الطبيب وخبرته في الوقوف على العلاج الأمثل لهذه المشكلة.

وسوف أعرض هنا بإيجاز الأدوات المستخدمة في الوقت الراهن في مجال التشخيص قبل الولادة وقبل الزرع في الرحم لرصد أية مشاكل وراثية.

وتستخدم قضية التشخيص قبل الزرع في الرحم أدوات مثل الموجات الصوتية عالية التردد (السونار) وفحص عينات من سائل السلى والخمَل المشيمي وتقييم العلاقات والمؤشرات التي تتصل بالأمصال مثل: البروتين الجنيني الألفي والاختبار الثلاثي وأخذ عينات من دم الحبل السري عن طريق الجلد وفحص عينة حيّة من بشرة الجنين.

#### أ - الموجات الصوتية عالية التردد

يمكن استخدامها لرصد أية تشوهات في تكوين الجنين وتخطيط صدى قلبه والتعرف على تدفق الدم في الرحم وفي المشيمة.

#### ب - فحص عينات من سائل السلى

يمكن استخدامه لتشخيص التثلث الكروموزومي ١٣، ١٨، ٢١ ومؤشرات متلازمة تيرنر على تثلث الكروموزومات.

قائمة المؤشرات الطبية المقبولة لعمل تشخيص وراثي: (١)

- ١ - تقدم الأم في العمر.
- ٢ - سابقة ولادة طفل به تشوّه في الكروموزومات.
- ٣ - إعادة ترتيب الكروموزومات عند الوالدين.

- ٤ - احتمال متزايد لعدم تساوي الكروموزومات .
- ٥ - تشخيص مشاكل مندلية في الجنين قبل ولادته .
- ٦ - أخطاء خلقية في عمليات الأيض .
- ٧ - مؤشرات أخرى .

### ج - الاختبار الثلاثي

يمكن استخدامه لمتلازمة داون مع الجمع بينها وبين الفئة العمرية . ويزداد كل من MSAFP و HCG في متلازمة داون بينما ينخفض الإستريول . وتتراوح المعدلات الإيجابية الخادعة ما بين ٣,٨٪ إلى ٧,٢٪<sup>(١)</sup> .

### جدول رقم ١

#### نتائج تحليل دراسات عن الاختبار الثلاثي لرصد متلازمة داون

النسبة المئوية	العدد	
١٠٠	٥٧,٦٧٦	حالات الحمل
٠,١٨	١٠٣ (١ : ٥٥٥)	عدد حالات متلازمة داون
٦٥,٠	٦٧ (١ : ٨٦٢)	متلازمة داون التي تم رصدها
٦,٣	٣,٦٣٨	مؤشرات إيجابية خاطئة في بداية الاختبار
٤,١	٢,٣٤٧	مؤشرات إيجابية خاطئة بعد السونار
٩٨,٢	١ : ٥٤,٣	نسبة المؤشرات الإيجابية الخاطئة إلى الصحيحة
٩٧,٢	١ : ٣٥	نسبة الإيجابية بعد السونار

Chard, T., Macintosh, M.C.M., 5- Screening for Down Syndrome. (١) Perinate. Med 1995, 23: d, after ultrasound assessment, 2.8%

## ملحوظة :

تكشف هذه البيانات أن نتائج التحليل لكل ٥٥ جنينا جاءت إيجابية بوجود متلازمة داون، ولكن الواقع أسفر عن جنين واحد مصاب فعليا بهذه المتلازمة، أما الباقي (٥٤ جنينا) فكانوا طبيعيين رغم النتائج الإيجابية للتحليل بنسبة ٩٨,٢٪، فإذا أدخلنا تعديلا على هذه الأرقام عند الأخذ في الاعتبار نتائج السونار فسوف نجد حالة واحدة فعلية للإصابة بهذه المتلازمة من بين ٣٥ جنينا جاءت نتائج التحليل بالنسبة لهم إيجابية ثم اتضح خطأها، وتعدل النسبة بذلك إلى ٩٧,٢٪. معنى ذلك أن كل نتيجة إيجابية لا تسفر عن إصابة فعلية بمتلازمة داون إلا بنسبة ١,٨٪ فقط، تتعدل بعد إدخال نتائج السونار إلى ٢,٨٪.

## ملحوظة :

تبين دراسة أجريت على ٦٩ حالة حمل نتيجة التخصيب الأنبوبي في المختبر أن نتائج التحليل أسفرت عن أن ٢١ منها (٣٠,٤) جاءت إيجابية بالنسبة للإصابة بمتلازمة داون. وأن أربعة منها (٥,٨٪) جاءت إيجابية بالنسبة للإصابة بعيوب في الأنبوب العصبي الجنيني، وأن ثلاثة منها (بنسبة ٤,٣٪) جاءت إيجابية بالنسبة للإصابة بكلا الحالتين، ومع ذلك اتضح بعد الولادة عدم إصابة أي طفل من هذه الحالات الواحد والعشرين بمتلازمة داون أو بعيوب في الأنبوب العصبي الجنيني. (Frishman et. al., serum triple marker screening, 1997, 90: 98 - 101)

## د - فحص عينة من الخَمَل المشيمي :

يسمح هذا الفحص بالتشخيص الوراثي قبل الولادة، وهو يستخدم لتحديد حالة الكروموزومات ومستويات الأنزيمات وأنماط الـ DNA، إلخ، ولكن نتائجه لا تتسم بالدقة والمصدقية التي يتميز بها فحص عينة من سائل السلى (انظر الجدول رقم ٢).

## جدول رقم (٢)

### عدد مخاطر الإجهاض التلقائي المنشورة حديثاً نتيجة فحص عينات من الحَمَل المشيمي

النسبة المئوية	الإجهاض التلقائي	عدد الفحوص	السنة	المؤلف
٣,٢٨	١١	٣٣٥	١٩٩٦	بوريل أ. وآخرون
٤,٦٦	٢٧	٥٧٩	١٩٩٦	صنبرج ك. وآخرون
٢,٤	١٨	٧٥٠	١٩٩٦	يانج ي. هـ. وآخرون
١,٧٢	٣	١٧٤	١٩٩٧	سيديرهوم م. وآخرون
٢,٨٥	٢٥٨	١٠٠٠٠	١٩٩٨	براماتي ب. وآخرون
٢,٦٨	٣١٧	١١٨٣٨		المجموع

#### هـ - فحص عينة حية من بشرة الجنين:

هذه التقنية بالذات نادرة جداً؛ لذلك فإن معدل الخسارة التي تُعزى إليها ليس معروفاً ولو أنه يبدو مقارباً لمعدلات فحص الجنين بالمنظار (٢,٥٪ إلى ٦٪).

(Edwards R.G. preconception and preimplantation diagnosis of Human Genetic Diseases, Cambridge press 1993).

#### و - الفحص قبل الزرع في الرحم

في هذه التقنية يتم إجراء الفحص الوراثي على البويضات المخصبة قبل زرعها في الرحم. والفئات التالية بيّنها هي التي تستفيد من هذه التقنية:

- النساء اللاتي أصبحن عاقرات بالفعل.
- النساء اللاتي يعارضن إنهاء الحمل بدوافع أخلاقية.
- النساء العاقرات وأولئك اللاتي يتعرضن لمخاطر الإصابة بالعقم.

- العائلات التي توجد بين أفرادها أمراض وراثية.
- وتشمل الوسائل المتاحة لتطبيق تقنية الفحص قبل الزرع ما يأتي:
- الطرق المتعلقة بعلم الأجنة
- تقنيات الـ DNA
- تحليل الكرموزومات.

## ٢ - الاعتبارات الأخلاقية والأدبية:

حدث خلال الخمسة والثلاثين عاما الماضية أن التشخيص قبل الولادة تحول من تشخيص يقصد به مساعدة المريض (وهو الجنين في هذه الحالة) إلى تشخيص يهدف إلى التخلص من هذا المريض، لقد حدث هذا التحول بالفعل وأصبح يسيطر على الممارسات الطبية إلى حد بعيد؛ لذلك لا بد أن نسلط الضوء على القضايا التالية:

١ - ينبغي أن نوضح أولا أن المعلومات التي يتوصل إليها الطبيب نتيجة ما يقوم به من فحوص واختبارات لا يعيها في حد ذاتها أي شيء أخلاقي، ولو أن الوسائل التي يحصل بها الطبيب على هذه المعلومات يجب أن تخضع للفحص والتقويم من المنظور الطبي. فأى تقنية تنطوي على تدخل مباشر في حياة الجنين لا يمكن أن نعتبرها مقبولة من الناحية الأخلاقية.

٢ - وحتى تلك التقنيات التي تنطوي على المخاطرة بحياة الجنين يجب أن تخضع لتقويم دقيق من وجهة النظر الطبية لتحديد المدى الذي يمكن الذهاب إليه في تبرير استخدامها.

٣ - إن إجراءات الفحص التي تقتضي سحب عينات من داخل جسم الحامل وتعرض حياة البويضة المخصبة أو الجنين المخلق لأي خطر

لا تعتبر ضرورية من الناحية الطبية إذا كانت تتم في سياق لا يرغب فيه الطبيب والمريضة أن ينتهي الأمر بالإجهاض .

٤ - هناك حالات معينة قليلة من هذا النوع من الفحوص يفيد فيها أن يكون الطبيب على دراية مسبقة بوضع معين حيث يرشده ذلك إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة عندما تحين لحظة الولادة، وفي هذه الظروف يمكن تبرير هذا التدخل مع استخدام التقنية بكل عناية وحرص وتطبيق إجراءات استخدامها بكل دقة مما يعمل على النزول باحتمالات الخطر إلى أدنى حد ممكن .

٥ - إن معدل الخسارة في الأجنة ينخفض إلى ١٪ فقط في تقنية فحص عينات سائل السلى . ومع ذلك لا يمكن تبرير هذه التقنية طبيا أو أخلاقيا حيث يتضح من الاختبار الثلاثي الذي يجري على العينة أن ٥٤ إلى ٥٥ تحليلا يعطي نتائج إيجابية كاذبة .

٦ - كما تجدر ملاحظة أن تقنية التشخيص قبل الولادة قد تستخدم لمساعدة الجنين، وفي هذه الحالة يمكن القبول بها بدرجة تتوقف على مدى فعاليتها ونوعية عوامل المخاطرة المرتبطة بها .

٧ - يندر استخدام هذه التقنيات من أجل التشخيص الذي يعقبه علاج الجنين مما يكون قد أصابه من مشاكل وراثية أو صحية (وهذا هو الواجب الأدبي بطبيعة الحال) . إلا أن ما يحدث في أغلب الأحيان هو استخدام هذه التقنيات من أجل تدمير الأجنة عندما يوصي التشخيص بذلك، ولقد كان لهذا الأسلوب في تناول المشكله أثر عميق ومدمر على أداء المهنة الطبية، فهو يقلل من شأن الاحترام والقداسة التي ينبغي إضفاؤهما على حياة الإنسان، ولقد كانت هذه القداسة وذلك الاحترام هما أساس الممارسات الطبية لسنوات طويلة . والأمل ينعقد على المؤسسات الكاثوليكية وبرامجها الناشطة في تغيير مسار هذا الاتجاه وإعادته إلى الوجهة الصحيحة .



## المغزى الطبي والأخلاقي للتشخيص الوراثي قبل الولادة:

عندما ينضم الأطباء إلى عضوية المهن الطبية يؤدون القسم الذي يتضمنه إعلان جنيف لنقابة الأطباء العالمية، وهم بهذا القسم يتعهدون بأن اعتبارات مثل: السن أو المرض أو العجز لن تقف حائلا بين الطبيب وبين أدائه لواجباته نحو مرضاه<sup>(١)</sup>، ويلخص ميثاق المجلس البابوي لرعاية العاملين في المجال الصحي<sup>(٢)</sup> بكل دقة واهتمام الأهداف التي يسعى طالبو التشخيص قبل الولادة وممارسوه إلى تحقيقها بأنها ينبغي أن تنوحي دائما مصلحة الطفل والأم، وينبغي أن يكون من بين هذه الأهداف تمكن الطب من التدخل العلاجي في الوقت المناسب وجلب الطمأنينة والسكينة إلى قلوب النساء الحوامل اللاتي يتعذبن بما يساورهن من شكوك حول تشوهات الجنين ويسهل لذلك إغراؤهن بإنهاء الحمل.

وإذا جاءت تكهنات التشخيص قبل الولادة بما لا تشتهي السفن بالنسبة للجنين المرتقب فينبغي أن يكون الهدف إعداد الأم نفسيا للترحيب بطفل مُعاق.

إن باستطاعة التشخيص الوراثي قبل الولادة أن يبعث للآباء والأمهات برسالة طمأنينة وأن يساعدهم على العناية بالضعفاء من بين ذريتهم أو التسليم والرضى بفقدهم قبل الأوان، كما أن باستطاعته أن يحث الأطباء على الوفاء بالتزاماتهم المهنية والإنسانية نحو علاج المشاكل الوراثية أو التخفيف من حدتها والبحث عن طرق جديدة وإنسانية لمنع مثل هذه المشاكل ودراسة أسباب نشأتها والآليات التي

WORLD MEDICAL ASSOCIATION, Declaration of Geneva, Hand (١) book of Declaration S.I: the Association 1995 (promanuscripto).

PONTIFICAL COUNCIL FOR PASTORAL ASSISTANCE TO (٢) HEALTH CARE WORKERS, charter for health care workers, Vatican city: pontifical council for pastoral assistance to health care workers, 19

تعمل بها، إن على التشخيص الوراثي قبل الولادة أن يسهم في خلق مجتمع عادل متراحم لا يخلو من التمييز ضد الضعفاء فحسب ولكنه يهتم أيضا بعلاجهم والعناية بهم والتعاطف معهم.

وكثيرا ما يُستخدم التشخيص الوراثي قبل الولادة في تصيد الأجنة المصابة والتخلص منها باعتبارهم سوف يولدون كأشخاص لا يرغب فيهم أحد لارتفاع تكلفة العناية بهم. والواقع أن عقلية [اليوجينيا] أصبحت تسيطر على سلوكيات ومعتقدات علماء الوراثة البشرية. وأصبحت معارضة الكثير من المسيحيين للإجهاض القائم على هذه العقيدة اليوجينية تلقى إدانة شديدة في الدوائر العلمية باعتبارها تتناقض وتتنافر مع الفكر السائد<sup>(١)</sup>. ويمكن للإعلان الصادر من الأمم المتحدة بحقوق المتخلفين عقليا<sup>(٢)</sup> أن يكون مرجعا عند إنشاء وإصدار إعلان موازٍ له بحقوق المعيين وراثيا.

### حق إنساني جديد:

حق المعيب وراثيا في نيل احترام الآخرين، وحقه في أن يكون به عيب أو خلل وراثي معين، وحقه في أن يكون شائها بإعاقه جسمانية أو عقلية وأن يتوفر له الاحترام والتقدير بالرغم من ذلك وبسبب ذلك<sup>(٣)</sup>.

المواجهة الأخلاقية حول التشخيص الوراثي قبل الولادة وقبل  
الزرع في الرحم:

Handyside A. H. Delhanty J. D. A.:Preimplantation genetic diagnosis (١) strategies and surprises, Trends Genet 1997, 13: 270-275

United Nations, General Assembly, "Declaration on the rights of mentally (٢) Retarded Persons (1971) in: Reich W. T. (Ed.) Encyclopedia of Bioethics, New York: Simon X Schuster Macmillan, 1995: 2619

CF. Herranz G., "Enque' consiste el respeto al patrimonio gene'tico", (٣) in:Association Mondiale Des Amis De L'Enfance, L'enfant au risqué de la science, Monaco: Amade, 1989

نود أن نقدم الآن عرضاً موجزاً عن بعض الأبعاد الرئيسية للجدل المهني والأخلاقي الدائر حول التشخيص الوراثي قبل الولادة وقبل الزرع في الرحم، والمؤشرات الطبية للتشخيص الوراثي واستخداماته في مجال العلاجات السريرية تحددها الاعتبارات التي نوليها لبعض القضايا الأخلاقية وقبل كل شيء للقيمة التي نضيفها على حياة المعاق وراثياً.

والموضوعات التي سوف نتناولها هي المواجهة بين:

- ١ - كيف مقابل قدسية الحياة.
- ٢ - قبول حياة المعاق مقابل إنهاء هذه الحياة (العبء الاقتصادي).
- ٣ - سعادة مع اهتمام مقابل سعادة مع عدم مبالاة (الإطار الأسرى والطبي).
- ٤ - التشخيص الوراثي: (خدمة طبية مقابل استهلاكية يوجينية).

### الجوانب الأخلاقية الخاصة للاختبارات الوراثية:

العوامل المتأصلة في العلوم الوراثية والتي من شأنها أن ترفع درجة القلق الذي يتناوبنا تجاه حياة من تشملهم استخداماته. ويذكر موري وبوركين<sup>(١)</sup> سبعة عوامل:

- ١ - العامل الأول: يُنتظر أن تجعلنا علوم الوراثة قادرين على التنبؤ بالأمراض قبل أن تسمح لنا بالوقاية منها أو علاجها أو الشفاء منها بسنوات طويلة. أي أن التنبؤ يسبق الشفاء.
- ٢ - العامل الثاني: ما يشوب مفهوم المرض الوراثي من غموض والتباس.
- ٣ - العامل الثالث: المخاطرة في الاختبارات الوراثية هي ما تنطوي عليه هذه الاختبارات من مؤشرات إيجابية كاذبة بأمراض وراثية.

- ٤ - العامل الرابع : إن الاهتمام الزائد بمسألة الفروق الوراثية يُشكل الأساس في اعتبار الإعاقة وصمة عار تلحق بصاحبها.
- ٥ - العامل الخامس : تأثير العوامل الوراثية على الهوية الشخصية.
- ٦ - العامل السادس : المعلومات الوراثية هي أيضا معلومات عن الآخرين.
- ٧ - العامل السابع: ينبغي التسليم بأن العبء الأكبر لعملية الغربلة الوراثية إنما تقع على النساء.
- ٨ - بالإضافة إلى هذه العوامل السبعة، لا بد من النظر في حق جديد: الحق في أن أعرف والحق في ألا أعرف.<sup>(١)</sup> لذلك ينبغي أن يكون الإرشاد الوراثي جزءا لا يتجزأ من الاختبار الوراثي.

#### الخبرات الفعلية:

من الواضح أن الاتجاه السائد في المحافل الطبية قد تطور في ظل جو عام يبيح الإجهاض إلى الدرجة التي يفترض فيها الطبيب أن هذه المعلومات الوراثية سوف تدفع بالمرأة الحامل إلى اتخاذ قرار بإجهاض حملها إذا اتضح أن الطفل سوف يولد مُعَوِّقا أو مصابا بمشكلة وراثية.

ولقد واجهت كثيرات من النساء أطباءهن بعدم موافقتهن على إنهاء حملهن لمثل تلك الأسباب؛ وما حدث بعد ذلك هو أنهن قوبلن بعاصفة هوجاء من غضب أولئك الأطباء.

وما يفوت القارئ على الرعاية الصحية ملاحظته هو تلك الراحة النفسية والسعادة الروحانية التي تغمر أماً وأبا يتجاوزان رغباتهما الشخصية

---

(١) لقد تناول المرجع الذي جاء تحت رقم (١١) عليه هذه المسألة. فهو ينظر في النواحي المختلفة (الفلسفية والتشريعية والاجتماعية) التي تشكل أساس هذه الحقوق. ونحن نشير إلى هذا المرجع لبعض الاعتبارات التي ستأتي لاحقا. انظر المرجع التالي أيضا: madwick, shickle (eds.) the right to know and the right not to know

ويمدان يد الحب والرحمة إلى طفلهما المعاق وراثيا، وقد أتاحت لنا أثناء عملنا الإرشادي كأطباء أن نتعامل مع عدد من مثل هؤلاء الآباء والأمهات . وفي كل مرة كانوا يؤكدون من تلقاء أنفسهم أن التجربة قد أثرتهم كثيرا على الصعيد العاطفي والنفسي والروحاني، وغالبا ما كانت هذه التجربة تعمل على تقوية الرابطة بين الزوج وزوجته خاصة إذا كان قرارهما يجد دعما من الطبيب ثم من الأصدقاء والمجتمع .

وفي تجربتنا الإرشادية بمعهد [سانت جوزيف] تعلمنا أن الطفل تحمله به أمه لحكمة معينة وغرض محدد، فإذا تم الحمل وصاحبه خلل في الكرموزومات قد يؤدي إلى وفاة الطفل عند ولادته أو قبل ذلك يكون الدور الذي جاء من أجله هذا الطفل هو أن يُخرج ما في قلوب والديه والمحيطين بهما من الحب والعطف والصلوات التي لا يستطيع استئثارها إلا إنسان يقع ضحية لمثل هذا الحدث المؤسف . أما الآباء والأمهات الذين لا يتقبلون هذه الحياة الغالية فإنهم يعرضون أنفسهم لعذاب الندم ويقعون فريسة للقلق العاطفي والروحاني .

## ختام البحث

### بداية الحياة والميلاد: إنسان جديد:

إن اللحظة التي يتم فيها تلقيح البويضة هي إيدان ببداية حياة جديدة؛ لا هي حياة الأب ولا حياة الأم . إنما حياة إنسان جديد لها كيانها الخاص ونموها الفريد، وما كان بالإمكان جعل هذه الحياة إنسانية لو لم تكن كذلك بالفعل، ومنذ لحظة التلقيح تبدأ المغامرة: حياة جديدة تحتاج كل قدرة من قدراتها إلى وقت طويل حتى تشق لها طريقا في هذه الدنيا وتأخذ لنفسها وضعا يسمح لها بأن تبدأ في العمل.<sup>(١)</sup>

(١) Cong Doct Faith, Declaration on procured abortion, June 18, 1974, in (١) ASS66 (1974) 738

## التشخيص قبل الولادة: تقويم عوامل المخاطرة

عندما نتحدث عن المخاطر الكامنة في كل تقنية من تقنيات التشخيص قبل الولادة فإن ما يعنينا بالدرجة الأولى هي حياة الجنين وسلامته الجسمانية؛ ذلك أن الأم لا تتعرض لهذه المخاطر بنفس الدرجة، ومن هنا يلزم أن "نقوم بكل عناية ودقة النتائج السلبية المحتملة لكل تقنية من تقنيات الفحص الواجب استخدامها" و "تجنب اللجوء إلى إجراءات تشخيصية لا تتوفر لها عوامل السلامة ونبل المقصد"، وإذا كان لا بد من قبول قدر معين من المجازفة فإن الاستعانة بالتشخيص لا بد أن تكون لها مبررات معقولة يمكن التأكد منها في مركز من مراكز التشخيص" (١)

## التشخيص المشروع: المجازفة المتناسبة

ونتيجة لذلك "فإن مثل هذا التشخيص يصبح مشروعاً إذا وافق الزوجان على الطرق المستخدمة فيه بعد توعيتهما بالقدر الذي يسمح لهما أن يكونا على دراية تامة بما هما مقبلان عليه، وإذا كانت هذه الطرق المستخدمة تضمن حياة الجنين وسلامة بدنه وكذلك حياة الأم وسلامة بدنها ولا تعرضهما لأية أخطار لا تتناسب مع مدى الحاجة لهذا التشخيص". (٢)

Cf. John Pual 11, to the participants at a Congress of Movimento per la (١) vita, Dec 4, 1982, in Insegna menti.v/3 p.1512,n.4

Cong Doct Faith, Instruct. Donum Vitae, feb. 22, 1987, in ASS 80 (1988) (٢) 79-80.

بالنسبة لتقنيات التشخيص السائدة، يمكن القول بأن تخطيط الصدى آمن تماماً بينما ينطوي سحب عينات من سائل السلى على عنصر المجازفة ولكن بقدر مقبول ومتناسب. ولكن هذا الكلام لا ينطبق على تقنيات أخرى مثل بزل المشيمة وفحص الجنين بالمنظار وأخذ عينات من الحمل المشيمي وكلها تحمل في طياتها أخطاراً على الجنين وأمه.

## التشخيص الذي يتناقض مع القانون الأخلاقي:

ينبغي أن يستهدف التشخيص قبل الولادة مصلحة الطفل وأمه وتحقيق أكبر قدر من الفائدة لهما، ولا بد أن يكون من أهداف مثل هذا التشخيص إمكانية التدخل العلاجي في الوقت المناسب، وبعث الطمأنينة والسكينة في قلوب النساء الحوامل اللاتي يتعذبن بما يساورهن من شكوك حول احتمال تشوّه الجنين ويقعن ضحايا هواجس كثيرة قد تدفعهن لإنهاء حملهن، إن واجب القائمين على التشخيص قبل الولادة يقتضي أنه إذا كانت تكهنات هذا التشخيص غير سارة فعليهم إعداد الأم نفسياً لاستقبال طفل معاق والترحيب به وإفساح مكان له في الأسرة.

## الربط بين التشخيص قبل الولادة والإجهاض:

يعتبر التشخيص قبل الولادة "مناقضاً للقانون الأخلاقي إذا كان يأخذ في حسابه إمكانية النصح بالإجهاض بناء على ما قد يُسفر عنه هذا التشخيص، وإن التشخيص الذي يُسفر عن وجود تشوّه في الجنين أو إصابته بمرض وراثي لا يجب أن يكون بمثابة حكم بالإعدام على هذا الجنين".<sup>(١)</sup> ولا يقل عن ذلك جسامه وخطورة أي برنامج لسلطات مدنية أو صحية أو هيئات علمية يشمل توجيهها مؤيداً لربط مباشر بين التشخيص قبل الولادة والإجهاض، إن الإخصائي الذي يسهم طوعاً في تدعيم هذا الربط من خلال قيامه بإجراء التشخيص

(١) المرجع السابق: "إن التشخيص قبل الولادة الذي لا يمثل أي تعارض مع المبادئ الأخلاقية طالماً أنه يستهدف تبين العلاج الذي قد يحتاجه الطفل وهو مازال في رحم أمه سرعان ما يصبح وسيلة للنصح بالإجهاض وإتمامه. وهذا هو الإجهاض اليوجيني الذي يتم تبريره أمام الرأي العام على أسس عقلية تقبل الحياة بشروط معينة وترفضها عندما يشوبها أي قصور أو إعاقة أو مرض. (EV14)"

وإبلاغ نتائجه إلى الزوجين المعنيين يصبح متهما بالتواطؤ غير المشروع.<sup>(١)</sup>

### التجريب على البويضات المخصبة والأجنة البشرية:

بما أن الكائن البشري في مرحلة ما قبل ولادته ينبغي أن ينال ما هو أهل له من كرامة لكونه شخصاً بشرياً، فإن الأبحاث والتجارب التي تُجرى على الأجنة - مُخلقة كانت أو غير مخلقة - لا بد أن تخضع لنفس المعايير الأخلاقية التي تنطبق على الطفل الذي تمت ولادته أو على أي فرد بشري آخر.

ويجوز القيام بإجراء البحث بصفة خاصة، أي وضع ظاهرة معينة من ظواهر الحمل تحت الملاحظة الدقيقة "عندما يتيقن الباحثون وهم مرتاحو الضمير بأن ذلك لن يلحق أي أذى بحياة الجنين وسلامته أو بحياة الأم وسلامتها، وبشرط حصولهم على موافقة الوالدين"<sup>(٢)</sup>.

### الاقتصار على المعايير العلاجية:

ومن جهة أخرى، يجوز التجريب إذا كان الغرض علاجياً صريحاً، وذلك عندما لا تتاح أي وسيلة علاجية أخرى. " إن إجراء

(١) راجع المرجع السابق: "بما أنه ينبغي معاملة الجنين باعتباره شخصاً إنسانياً منذ لحظة الحمل به، فلا بد من حمايته ومعالجته والعمل على شفائه بقدر المستطاع مثل غيره من أبناء البشر. (CCC2274)"

(٢) Cong Doct Faith, Instruct., Donum vitae, in ASS 80 (1988) 81 - 83

"هذا التقييم لمدى أخلاقية الأجهاض ينبغي أن ينطبق أيضاً على ما يتم حديثاً من أشكال التدخل الطبي فيما يخص بالأجنة، وهو تدخل قد يتم لأغراض مشروعة في حد ذاتها، ولكنه لا يلبث أن يتضمن قتل تلك الأجنة، إن استخدام الأجنة البشرية كأشياء نجري عليها تجاربنا يعتبر جريمة في حق هذه الأجنة إذ يمثل استهانة بكرامتها. بحسبانها كائنات بشرية لها نفس الحقوق في الاحترام والتقدير التي للطفل بمجرد ولادته والتي ينالها كل شخص آخر. (EV,63)"



التجارب على الأجنة البشرية الحية - المخلقة وغير المخلقة - سواء داخل الأرحام أو خارجها لا يمكن أن تبرره أية غاية حتى لو كانت تبدو نبيلة في حد ذاتها؛ كأن يكون ذلك من أجل فائدة مستقبلية للعلم أو لأجيال لاحقة أو للمجتمع، وإن استخدام الأجنة البشرية كأدوات للتجارب هو جريمة تنتهك كرامة هذه الأجنة باعتبارها كائنات بشرية. كما أن الاحتفاظ بهذه الأجنة البشرية حية سواء خارج المختبر أو داخل أنابيب الاختبار لأسباب علمية أو تجارية هو على وجه الخصوص إجراء ينافي الكرامة الإنسانية<sup>(١)</sup>.

### المشاكل الطبية - الأخلاقية للتشخيص الوراثي قبل الولادة أو قبل الزرع في الرحم:

إن التحكم الوراثي في المواليد يمكن أن يتم من خلال الجمع بين التشخيص الوراثي قبل الولادة وبين الإجهاض اليوغيني، ويصوّر هذا التحكم لقطاعات عريضة في المجتمع على أنه الحل المفيد الذي يرحم الأسر من آلامها والطب من مشاكله والمجتمع من التكاليف التي يتكبدها في الاتفاق على رعاية المصابين بأمراض أو تشوهات وراثية.

والواقع أن مثل هذا التحكم يلحق بالأسرة ضررا بليغا لأنه يغيّر من طبيعة العلاقة بين الآباء وأولادهم ويقضى على أهم مصدر من

(١) المرجع السابق: "إنني أدين بشكل رسمي وبأوضح العبارات أي استخدام للجنين البشري في مجال التجريب العلمي لأنه إنسان. فمنذ لحظة الحمل به إلى لحظة مماته لا يجب أن يستخدم الإنسان كأداة من الأدوات لأي سبب من الأسباب على وجه الإطلاق".

(٢) جون بول الثاني في خطابه إلى المشاركين في إجتماع الأكاديمية البابوية للعلوم في الخامس والعشرين من أكتوبر عام ١٩٨٢، (37(1983) ASS75 "إن الاحترام الواجب للإنسان يستبعد كافة أنواع استخدامات الجنين أو استغلاله في إجراء التجارب العلمية" (المقر

البابوي ميثاق حقوق الأسرة: ٦/٤، (IN Oss Rom, Oct. 25.'B3)

مصادر التعاطف والتراحم بين البشر، ألا وهو اهتمام أعضاء الأسرة الواحدة بأشد أفرادها ضعفا وأكثرهم حاجة للرعاية.

وعملية الانتقاء الوراثي التي تقتضي التخلص من ضحايا الأمراض الوراثية تعني أن الطب سوف يفقد مصدرا هاما من المصادر التي تثرى البحث العلمي وتشجع عليه، وهو تلك الحالات من المعاناة بين أبناء البشر.

وتماشيا مع الانحياز اليوجيني السائد في هذه الأيام فإن معظم الجهود البحثية في مجال علوم الوراثة البشرية تتركز على التوسع في تطبيقات الوقاية الثانوية على حساب الوقاية الأولية التي تهتم بعلاج الضحية وليس التخلص منها، ويؤدي ذلك إلى تطورات متلاحقة لتقنيات التشخيص قبل الولادة والتشخيص قبل الزرع في الرحم. وهكذا تتعمق هذه التقنيات وتسبق تقنيات العلاج وإعادة التأهيل بمراحل عديدة.

إن مجتمعا يسمح بالتخلص من غير الأسوياء وراثيا ويشجع على الحط من قيمة من يفلت منهم من مذبحه الإجهاض لهو مجتمع لا يقيم أي وزن لحقوق الإنسان ويخلق عامدا معتمدا بين أفراده أقلية تعاني من الظلم والاضطهاد.

#### لمحة إنجيلية:

يصف [جون بول] الثاني التشخيص قبل الولادة بأنه موقف معقد يتطلب الاحتكام إلى رأي أخلاقي دقيق ومنهجي، ويقر البابا الراحل بكل صراحة ووضوح أن التشخيص الوراثي قبل الولادة يقع وسط توترات أخلاقية واجتماعية شديدة حيث تنقسم مشاعر البشر حول الموقف الواجب اتخاذه حيال ما يصيب الطفل الذي لم يولد بعد من أحوال تشذ عن المألوف، ويقول المنشور البابوي في كلمات تتسم

بالحكمة والرحمة: (لا ضير هناك من تطبيقات التشخيص قبل الولادة عندما لا تنطوي على مجازفة غير محسوبة بحياة الجنين أو الأم، وعندما يقصد من وراثتها التمكين من العلاج أو حتى التشجيع على تقبل هادئ وواع للطفل الذي لم يولد بعد). وبالتالي يدين المنشور بشدة ذلك الاتجاه السائد برفض المعاقين وراثيا لأن ذلك يعني أننا لا نطبق معاناة الآخرين ونستبد في فرض المعايير السوية:

(وحيث إن احتمالات علاج الجنين وهو في بطن أمه ما زالت محدودة فإن ما يحدث غالبا هو أن هذه التقنيات تستخدم من أجل ضمان نسل جيد وذلك بالانحياز إلى خيار الإجهاض لمنع ولادة أطفال مصابين بأنواع مختلفة من الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية، وهذا اتجاه مخزٍ لا نملك إلا أن نشجبه بشدة لأنه يفترض أن الإنسان لا قيمة له إلا إذا كان سويا صحيح البدن، إن مثل هذا الاتجاه يفتح الباب على مصراعيه لإضفاء الشرعية على قتل الأطفال وكذلك على القتل الرحيم).

الوراثة البشرية والتكاثر  
البشري وانعكاساتها  
رؤية الأديان الكتابية الثلاثة  
والتصور العلماني

الشيخ محمد المختار السلامي



## الوراثة البشرية والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان الكتابية الثلاثة والتصور العلماني

الشيخ: محمد مختار السلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم على إمامنا وحبينا وشفيعنا وقدوتنا ونبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً فيه .

يسعدني تلبية الدعوة الكريمة من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية للإسهام في الندوة الهادفة، إلى تجلية الجوانب الخلقية في المحاور الأربعة التي أعلم بها المشاركون فيها، وإلى تمكين أهل الاختصاص في الأديان الثلاثة من بيان وجهة النظر الدينية في الإشكالات المطروحة في حوار علمي رصين بعيد عن العواطف المشبوبة يبغي الوصول إلى الحق، والحق واحد، وكذلك إلى إتاحة الفرصة للعلمانيين لإبداء تصوراتهم ومدخلها، وأقوم بهذا تحت راية التوجيه القرآني العام في الحوار، راجياً أن تتمحض عناية المحاور المؤمن إلى نقط التلاقي بينه وبين من يحاوره تحقيقاً لتركيز مفهوم الأخوة الإنسانية التي يتوقف عليها تطور العالم نحو الكمال في جميع جوانب الحياة البشرية. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ

إِلَّا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ﴿ (سورة آل عمران آية ٦٤)، ويقول الرازي: أَقْبَلْ عَلَى مَنْهَجٍ يَشْهَدُ كُلُّ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَطَبَعَ مُسْتَقِيمٌ أَنَّهُ كَلَامُ مَنْبِيٍّ عَلَى الْإِنصَافِ وَتَرَكَ الْجَدَلَ) أَي هَلَمُوا إِلَى كَلِمَةٍ فِيهَا إِنصَافٌ مِنْ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ. (التفسير الكبير ج ٧ ص ٩١).

### الحقيقة الأولى: تحديد مهمة الإنسان في هذا الكون.

ما خلق الإنسان في هذا العالم ليتصرف فيه تصرف المالك المستبد في نظر الإسلام، ولكنه خلق ليقوم بدوره في عمارته وتطوير ما أودع فيه من خيرات لتكون حياة الإنسان فيه متقلة من حال إلى حال أفضل ساعيا نحو بلوغ الكمال الممكن.

وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه على الوجه الأكمل إلا بالتعاون بين البشر، وبالبحث العلمي للتعرف على كوامن القوى فيه، واكتشاف أسرارها، وقوانين الخلق الذي لا يخرج عن قاعدة النظام المحكم، والذي تنتفي فيه المصادفة انتفاء الفوضى. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة آية ٣٠) يقول الشيخ ابن عاشور شارحا للآية: فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما أوجد الله في خلقته أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي، خلاف غيره من الحيوان. (التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٩٩) ويقول سيد قطب: وكل لهذا الكائن إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب، والتحوير والتبديل، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله (بإذن الله) في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه، وإذن فقد وهب الإنسان من الطاقات الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية.

وإذن فهناك وحدة وتناسق بين النواميس التي تحكم الأرض - وتحكم الكون كله - والנוاميس التي تحكم الإنسان وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (سورة السجدة آية ٧) لفت للحواس وللعقل وللقلب للتأمل في هذا الصنع البديع في أشكال الأشياء ووظائفها، وفي طبيعة كل منها منفردة و في تناسقها مجتمعة وفي هيئاتها وأحوالها ونشاطها وحركتها، في الخلية الأولى وفي الكوكب السيار وفي المجرة الضخمة، ليرى الإحسان والدقة والثبات البالغ درجة الحسن والجمال.

ليس الإنسان سيد الكون يتصرف فيه كما يشاء بالإصلاح والتنمية أو بالتخريب والإفساد لما أودع الله فيه أو لتشويهه جماله، وليس بينه وبين قوى هذا الكون عدا، ولا هو قاهر لها ولا هي قاهرة له، بل إن كل القوى مسخرة له إذا أحسن معرفة قوانينها التي لا تتخلف أبدا. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ سورة إبراهيم آية ٣٢/٣٤.

إن قوانين الخلق في الكون المادي الجماد والنبات والحيوان، وقوانينه في الإنسان في جوانبه الروحية والعقلية والحسية والغريزية، وقوانينه في الاجتماع، هي قوانين ثابتة ومعقولة وتتصف بالانسجام فيما بينها. قال تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ (سورة الملك آية ٣)



## الحقيقة الثانية

أن استخلاف الإنسان في الكون هو استخلاف مستمر ممتد، مرتبط بما أودعه الله فيه من قوى تطور الموجود وترث من الماضي وتُعد لما يأتي، في سلسلة حلقاتها مترابطة، فلا يتوقف المجهود البشري، ولا يستطيع أي جيل أن يحقق استكمال المهمة في لحظة من لحظات الزمن، باعتبار أنه قد استنفد كل الإمكانيات المودعة في نطاق استخلافه.

وبناء على ذلك أودع الله في البشر غريزة تمكنهم من الاستمرار في الحياة بالنوع لبالذات، وأقدرهم على مغالبة الفناء الذي لا بد أن يلحق كل واحد منهم؛ فكانت غريزة حب البقاء مقترنة بغريزة الجنس قد ائتلفتا، فكان التكاثر البشري مختلفا عن التكاثر في الحيوان أو النبات.

الإنسان يمتد نظره إلى المستقبل البعيد، فيعد له ما يضمن له حاجاته وأكثر من ذلك ما يحقق له الرفاه والطمأنينة، ويسعى ليملك أكثر مما يستهلك، ويتجاوز هذا الإحساس بالإعداد للمستقبل إلى إعداد ما يمكن لينعم نسله بحياة رخية سواء في ذلك ما يقوم عليه من تربيته وتعليمه ومساعدته في مراحل حياته التي يحتاج فيها للمساعدة، أو في انتقال ما يفضل من مجهوده وما يدخره لنسله الذي من المعقول أن يرث عن أبويه ما تركاه بعد الموت، كما ورث عنهما كثيرا من الخصائص الجسمية والفكرية.

ولما كان النظام هو القانون الثابت، وأن الخروج عليه إلى الفوضى فساد يتبعه اختلال الحياة الفردية والاجتماعية، نظم الله التكاثر البشري من ناحيتين: الناحية الأولى: أن الإسلام يعتبر استمرار الوجود البشري في هذا الكون واحدا من ضروريات هذا الدين، على معنى أن

قاعدة بقاء النوع هي إحدى الثوابت التي ليست محل اجتهاد، والعمل على تحقيقها يحكم في الاختيار البشري فتقدم على غيره من التشريعات عند التصادم، والناحية الثانية: أنه جعل لبقاء النوع طريقا واحدا هو الزواج، أي أن كل واحد من الزوجين الذي يعطي للنسل نصف مكوناته لا بد أن يكون مرتبطا بعقد لا يستطيع التنصل من آثاره، ويفرض عليه هذا العقد - فيما يفرضه - أن يتحمل تبعات الإنجاب ومسؤولياته.

ويؤكد الإسلام على أنه دين الفطرة، أي أنه في تشريعه منسجم مع الطبيعة البشرية لا يعكسها، ولا يوهن من أمرها، و يعتبر المسلم إذا استجاب لدواعي الفطرة شخصا سويا، بل هو يرتفع في إنسانيته وفي مقامه الإيماني ودرجته من الصلاح إذا سما في قصده عند إشباعه لغرائزه، فاستحضر في تفكيره ما يؤدي إليه عمله من خير في هذا الكون، ولذا فإن هذا الإشباع يجب أن يكون حسب ضوابط التنظيم العام الذي يضمن للفرد انسجامه مع الجماعة في الرابطة الاجتماعية التي تسمو أو تهترى وتتحلل بمقدار ما يكون أعضاؤها أوفياء لها أو معرضين عنها.

إن الإنسان حسب الطبيعة التي خلقه الله عليها هو مرتبط بمقومات الكون، يشير إلى ذلك ما أكدته القرآن في أكثر من آية أن الجانب المادي من خلق الإنسان هو من هذه الأرض قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (٧١) سورة (ص آية ٧١) فهو مرتبط بعناصر الأرض، وقد أحكمت القدرة الإلهية مراحل التحول والتطور لتلك العناصر بما يتناسب مع الكائن البشري قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (١٢) ثمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ (سورة المؤمنون آية ١٢/١٣)، وتتحوّل الأغذية في رحلة كَشَفَ العلم عن كثير من أسرارها، تلكم الأغذية التي هي تطور

لعناصر التراب والماء (الطين) في النبات ثم في الحيوانات ثم في جسم الإنسان، الذي أطلق عليه القرآن سلالة من طين.

وليس الإنسان هذا المجموع من العناصر الكيميائية المختلفة على مقادير مضبوطة فقط، إذ لو كانت حقيقته ذلك فقط لكان شيئاً تافهاً لا قيمة له. بل بجانب العناصر المادية الأرضية كمل خلق الإنسان ببروز الجانب الآخر المميز له عن بقية الكائنات أعني الجانب الروحي، بما يشمله من تصرف غريزي، ومن أعمال للحواس للاتصال بالعالم الخارجي، ومن عرض كل المستويين السابقين على العقل ليعطي حكمين متميزين: (١) صدق التوجه الغريزي أو زيفه، وأحقية ما أدركته الحواس أو خطؤها من ناحية (٢) والقيمة المعيارية بربط كل ذلك بالخير أو الشر، والصلاح أو الفساد.

ويؤكد الإسلام على حرية الإنسان في جميع المراحل السابقة، وأنه مختار مسؤول عن اختياراته، ويدخل البعد السامي في توضيح أبعاد المسؤولية، بأنها مسؤولية لا تقتصر على الحياة الدنيا ولكنها تتجاوزها إلى الحياة الأخرى أو الجانب الغيبي الماورائي الذي تقتصر المواهب البشرية من: (غريزة وحواس وعقل) عن تصوره التصور التفصيلي، مع التنبيه إلى أنه ليس في الجانب الغيبي ما يناقض العقل أو يصادم أحكامه، وبهذا تكون رحلة الإنسان في التأثير والمعرفة متواصلة في انسجام ابتداء مما تدعو إليه الغريزة التي من أشدها أثراً في حياته غريزة حب الاطلاع إلى القوة الإيمانية التي تجعله لا يقف أمام عالم الغيب بين الحيرة والشك أو الإنكار تبعاً للعجز عن وجود الحل، والإنكار لا يكون حجة على نفي ما تشترك البشرية كلها بمقتضى فطرتها في الإحساس به.

تعتبر ما تشير إليه هذه المقدمة أساساً لفهم المحور الثاني واقتراح حلول لمشاكله (الجينات وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة)

إن ما يعبر عنه بالتكاثر - حسب ما أفهمه - هو العمل على بقاء النوع الإنساني الذي عبر عنه علماء الأصول (بحفظ النسل). والذي هو أحد الضروريات الخمس في الدين الإسلامي، بل نص كثير من علماء الإسلام على أن حفظ النسل كغيره من الضروريات قدر متفق عليه بين جميع الشرائع.

إن حفظ النسل يتم بتحقيق ما يحفظه من جانب الوجود، وب حمايته مما يقضي عليه؛ فالجانب الوجودي بدعوة الإنسان إلى الزواج، واعتباره عنصراً لاكتمال الناحية الإنسانية فيه، وأن ذلك لا يتناقض مع المهام الصعبة والمعقدة التي قد يختص بها بعض المتميزين من البشر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (سورة الرعد آية ٣٨).

وروى مسلم بسنده إلى أبي ذر قال: قال صلى الله عليه وسلم: وفي بضع أحدكم (يعني جماع الرجل زوجته) صدقة. قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيه أجر؟ قال: أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر (إكمال الإكمال ج ٣ ص ١٤٥).

وحفظ النسل يتم أيضاً بإلزام الأبوين القيام على مصالح النسل حتى يبلغ أشده وتنمو مواهبه البدنية والذهنية فيستطيع أن يعتمد على نفسه ويشق طريقه في الحياة.

وأوجب على الأبوين العناية بتربية نسلهما. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (سورة الإسراء آية ٢٤) فالتجارب والمخزون الحضاري يأخذه النسل عن الأصول، وهذا المخزون الحضاري ونتائج التجارب هي الركائز الضرورية التي تبني عليها البشرية انطلاقاً إلى صور أتم وأكمل في الحياة، الأمر الذي يحقق خلافة

الإنسان في الأرض وعمارة الكون، وهو من أهم ما يختلف فيه الإنسان عن الحيوانات في نوع الحياة؛ فبقية الحيوانات حياتها تكرر لخصائص النوع، بينما الإنسان يعدل ويطور باستمرار، فتلاحق الأجيال، وكل جيل يطبع الحضارة الإنسانية ببصمته ويضيف إضافاته التي يرثها من بعده لينميها ويضيف إليها وهكذا دواليك.

والناحية الثانية الهامة هو ما يستمده النسل من العواطف النبيلة ركيزة الحياة الاجتماعية التي تربي عليها العائلة النسل تربية عملية متكررة متعددة المظاهر والأشكال كالحب والإيثار والرحمة والتعاون.

إن حفظ النسل لا يتم في نظر الإسلام إلا في نطاق الأسرة التي هي قاعدة البناء الاجتماعي الضروري لبقاء النوع البشري.

وبناء على ذلك فإن التكاثر البشري (بقاء النوع) لا يكون بقاء محققا لقدرة البشر على الخلافة في الأرض وإعمارها إلا إذا كانت الأسرة محتضنة للنسل احتضانا صادقا غير كاذب وغير مغاير للحقيقة والواقع، جاريا على سنن الطبيعة التي خلق عليها الإنسان.

إن معنى الصدق هذا قد حفظه التشريع الإسلامي بأن يكون النسل ناشئا من أبوين معلومين، تربطهما وثيقة الزواج، وتخلق الجنين في حال قيام الزوجية.

والإنجاب أثر التخصيب الذي يتم بقبول بيضة الزوجة لقاح الزوج في قناة فالوب ثم العلق بجدار الرحم، وهذا هو الوضع الطبيعي والشرعي إذ تتكون الخلية الأولى من ٢٣ من الكروموزومات من الأم ومثلها من الأب فتتعاون عليه غريزتان طبيعيتان في البشر: (١) غريزة حفظ الحياة الخاصة باستمرارها في النسل المنحدر من الأبوين (٢) غريزة الجنس بما تتميز به من عواطف ومتمعة، وتحمل هذه الخلية التي تأخذ في الانقسام العام ثم الانقسام المتخصص، تحمل خارطة

الإنسان في كل خلية من خلاياه التي تختلف باختلاف الوظائف فقط، أما الجينوم فواحد في جميعها هو ما انحدر من الأبوين .

أوجه الخروج عن هذا الطريق الطبيعي الذي يجري عليه أمر الخليقة في جميع العصور كثيرة منها .

(١) الانفصال بين الغريزتين اللتين يشير لهما قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا صَلِّحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ (سورة الأعراف آية ١٨٩)

(أ) تستبد الغريزة الجنسية، وتدفع الجنسين لإشباع الشهوة، وتحمل الأنثى في بطنها [الزيجوت] المركب منها ومن الرجل الذي يتخلى عن ولده المخلوق من مائه في معظم الأحوال، وتعاني الأنثى وحدها القيام على ما حملته وهو في بطنها وبعد انفصاله، الأمر الذي ينعكس على الطفل سلبا من الناحية النفسية والمادية، وقد تكون الأنثى ذات زوج فتخون رابطة الزوجية وتعلق من خليلها وينتسب الطفل إلى غير والده الحقيقي، ويصبح عنصرا في الأسرة التي ليس بين جينومه وبين جينوم بقية الأسرة أي صلة. وصور الزنا كثيرة ومتعددة، وكلها مرفوضة في جميع الأديان، وينكرها الطبع المستقيم والفطرة السوية. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (سورة الإسراء آية ٣٢) يعلق سيد قطب على الآية فيقول: إن في الزنا قتلا من نواح شتى؛ إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالبا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق، قبل مولده أو بعد مولده، فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة، أو حياة مهينة، فهي حياة مضیعة

في المجتمع على نحو من الأنحاء. وهو قتل في صورة أخرى، قتل للجماعة التي يفسو فيها، فتضيع الأنساب وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها، فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات.

(ب) التبني الذي هو عبارة عن انفصال أيضا بين الغريزتين، فعندما يكون الزوجان في وضع لا يمكن معه الإنجاب، وتقوى في باطنهما غريزة حب البقاء في نسل يدخل عليهما بهجة الحياة ويخرجهما من الرتبة المملة ويرث بعدهما ما يتوصلان لجمعه وادخاره، يعمدان إلى طفل ينسبانه إليهما كذبا، والطفل الصغير العاجز تنفذ فيه إرادتهما، إذ هو في سن باكر لا يقدر على الاختيار ولا التصريح بالموافقة أو الرفض ليكون منتسبا لهما، وتكون حياته معهما حياة مصطنعة كاذبة. وقد حرم الإسلام التبني قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (سورة الأحزاب آية ٤).

إن الزنا والتبني كل واحد منهما مخرب للنظام الاجتماعي، هادم للأسرة، فيه جوانب مظلمة من الظلم والتجني والتسلط على الطفل الصغير.

إن فهم البناء الاجتماعي - قائما على الأسرة - قد اهتز اهتزازا كبيرا بما ساد مجتمعاتنا من طغيان نزعة الاستقلال الذي دعمه دخول المرأة سوق الشغل بدرجة مساوية للرجل، وما نشر من دراسات مضللة تبرز الجوانب المظلمة من الحياة الأسرية، يقول [أنطوني جيندز] في كتابه بعيدا عن اليسار واليمين: إن حياة الأسرة في الأزمنة الباكورة انطوت على جانب مظلم شديد الرسوخ، وتجلى هذا في مظاهر عديدة، من بينها: سوء المعاملة البدنية والجنسية للأطفال، وعنف الأزواج ضد الزوجات. (تعريب شوقي جلال عالم المعرفة ص ٢٣).

ويستشعر الإشكالية الكبيرة بين مقوم التضامن الذي تقوم عليه الحياة المدنية الذي يتجلى في الأسرة، وبين الاستقلال الذي جعل الإحساس بالترابط ضعيفا جدا، لما تبع الحداثة من صياغة للفكر والمجتمع، ويقدم تصورا حاصله يقول: وضع لنا إلى حد كبير بعض سبل إنجاز مثل هذا الهدف (التوازن بين الاستقلال الذاتي والتضامن) إن تحقيق تضامن راسخ الأركان في مجتمع تحلل من التقاليد يعتمد على ما يمكن أن نسميه (الثقة النشطة) مع اقتران ذلك بتجدد الشعور بالمسؤولية الشخصية والاجتماعية إزاء الآخرين، والجدير ذكره أن الثقة الشخصية هي ثقة يجري اكتسابها وغرسها وليست وليدة هيمنة لأوضاع قائمة مسبقا أو وليدة الجنوسة. وتفترض هذه الثقة مقدما توافر الاستقلال الذاتي وليس مناهضته، ثم إنها تمثل مصدرا قويا للتضامن الاجتماعي نظرا لأن الامتثال يأتي طوعية وإرادة واحدة وليس قسرا تفرضه قيود تقليدية.

ويمثل لذلك في أثناء عرضه فيقول: مثال ذلك أن الاعتراف بالأهمية القصوى لحقوق الأطفال علاوة على المسؤوليات الاجتماعية نحوهم يمكن أن يهيئ سبلا لدعم روابط صلة الرحم الجديدة التي نشاهدها حولنا بين فئات من الوالدين يتحملون معا مسؤولية أطفال ليسوا من صلتهما معا وإنما يشتركان في تربيتهن. (نفس المصدر)

إن تقديم الأسس التي تقوم عليها الأسرة على أنها أسس تقليدية لا معقولة ولا مبررة، وإنما فرضت بالسلطة والتعسف، وأنه يمكن الاستعاضة عنها بإقناع البشر بالتضامن وتحمل المسؤولية وتقنين الحقوق التي تضمن استقلالية الإنسان وكرامته في جميع أدوار حياته. وأن المؤسسة الأسرية قد انتهت دورها فيما جاءت به الحداثة من خير للبشرية، إن كل ذلك يمثل قصورا من الأوهام التي يقيمها الخيال، هي أضعف مما يقيمه الأطفال على الشاطئ من أبراج رماله التي يأخذها



الموج من قواعدها وأعاليتها فلا تكون حتى أثرا بعد عين وإنما يذهب العين والأثر.

إن الطبيعة التي ترشد الإنسان بتأمله في سننها تهدي إلى التفرقة بين ما هو حقيقي وبين ما هو خيالي، انظر إلى الدجاجة وهي ترعى فراخها كيف تطرد كل فرخ خارج لم تحتضنه، ولا تقبل البقرة إرضاع ما لم تحمله إلا بحيل يقوم بها الرعاة لتضليلها وهكذا، فليست الوحدة الأسرية قائمة على الهيمنة والتسلط وإنما هي نتيجة إحساس فطري يقوى بقوة المستوى الذي عليه الحيوان حتى يصل إلى قمته في الإنسان الذي يشعر بالضيق والبؤس إذا انفرد عن الأسرة ووهنت صلواته بها.

وإن إبراز بعض التجاوزات التي حصلت لانحراف الشخص المتجاوز وتعميم هذه الشذوذات وإغماض العين عن رفض الدين والمجتمعات لها، يعد تحريفا للحقيقة ومغالطة غير مقبولة.

إن تقديم العلاج على أنه يتم بالتقنين وإقناع الأفراد والمجتمعات به هو نفس الخطأ الذي وقعت فيه الشيوعية لما ظنت أنها تستطيع أن تحول فطرة الناس عن التملك والدين والفردية إلى ما يناقض ذلك كله بما تنشره وتعمم غزو الأفكار به.

إن العلاج المقدم هو علاج يكون أقوى فاعلية وتأثيرا مع قيام الأسرة؛ إذ يتألف التبصير والإقناع إلى حد الاقتناع مع الفطرة السوية للإنسان، فيكون وضع العالم من حيث التضامن أرسخ قاعدة وأشد تلاحما.

إن فكرة الهجوم على الأسرة التي تنشأ من وحدة الدم (النسب) بين أعضائها ووحدة المصاهرة، والعمل على استبدالها بالثقة الشخصية، هو رشح الليبرالية المتوحشة، التي ضخمت من استقلالية الفرد كما تتضخم الخلايا السرطانية لتدمر الجسم.

إن تهميش الدور الذي كان للأسرة والذي أعطى نتائجه واستبداله بتصورات لم تقم التجربة على صدقها هو خطير جدا على مستقبل البشرية، إن ضعف التلاحم الأسري كان الخميرة التي نما فيها التفسخ والرذيلة والعنف، وهو كمن رمى بشخص في متاهة شديدة الالتباس محولا له عن الطريق المعبد المعلوم إبلاغه للهدف.

إنه على أساس أن الوحدة الأسرية هي حصن التضامن الاجتماعي والمدرسة الأولى للحقيقة المتفق عليها قديما وحديثا الإنسان مدني بالطبع، يكون البناء الفكري الذي أعتمده وأخلص إليه في كل ما أعرضه فيما يلي:

(٢) نتائج التقدم العلمي.

(أ) التخصيب خارج الرحم ثم في داخله.

تقدم العلم فتمكن من التغلب على صور من العقم، ففي عام ١٩٧٨ أجريت تجربة بنجاح بتخصيب البيضة خارج رحم المرأة المصابة بخلل في قناة فالوب، ثم زرعت في الرحم وولدت في النهاية لويز براون أول إنسان ابتداء حياته خارج الرحم وأتمها حسب القانون الطبيعي، وتلت هذه التجربة تجارب أخرى، وملك تلكم التقنية مخابر في أنحاء عديدة من العالم تختلف فيما بينها بنسبة النجاح، يُنشَط المبيض ثم تجمع البيضات وتوضع في سائل خاص ويضاف إليها مني الرجل المعد من قبل، ويراقب بعد أربعين ساعة، فإذا كانت البيضات التي قد تم تخصيبها تتطور تطورا طبيعيا سليما فإنه تزرع النطفة في الرحم واحدة أو أكثر.

وقد لحقت بهذه التقنية تقنية أخرى موازية يتم الزرع مباشرة داخل قناة فالوب للبيضة والمني ويتم التخصيب داخل الرحم لا خارجه.

إن هذه التقنيات التي يتم بها التكاثر البشري لا بد من أن تضبط بضوابط تكون بواسطتها مقبولة، وتتمثل هذه الضوابط في الأمور التالية:

أ= أن يكون عنصرا الزيجوت (البيضة المخصبة قبل الانقسام) من الزوجين. ب) أن يتم الزرع في حال قيام العلاقة الزوجية. ج) أن تكون الزوجة هي التي يزرع في رحمها الزيجوت.

هذه الضوابط الثلاثة تجعل بعض الممارسات الطيبة في هذا المجال مما لا يقبل حسب وجهة النظر الإسلامية، فإذا كانت المرأة لسبب من الأسباب عقيما لا تنتج بيضة صالحة للتخصيب فإن استعارة بيضة من امرأة أخرى لا يعتبر مشروعا وبالتالي غير مقبول؛ لأن البيضة تحمل ٢٣ كروموزوما من صاحبها، وكذلك إذا كان الزوج عقيما فلا يحل أن تخصب زوجته بحيوان منوي من غيره، وفي هاتين الصورتين تختلط الأنساب كاختلاطها بالزنا.

وكذلك لا يقبل أن يبحث عن استئجار رحم ليحمل العلقة لأي سبب من الأسباب، لأن الرابطة التي تنشأ بين المرأة وبين الجنين الذي ينمو في بطنها يترتب عنها مشاكل نفسية لهذه الحامل إذا أجبرت على الفصل بينها وبين هذا الجنين الذي احتضنته وغذته من دمها وتفاعل معها في كثير من الأحوال النفسية والصحية التي مرت بها أثناء الحمل، وإن تمسكت به فهو ابن غير متكون منها ولا رابطة بينها وبين خريطته الجينية، وكذلك يجب أن يتم الزرع في حال قيام العلاقة الزوجية، لأنه إذا انتهت العلاقة الزوجية فقد انفصلا عن بعضهما بما يترتب على ذلك من انتهاء الصلات التي كانت تجمع بينهما، والتي منها أن تكون حاملا لجنين نصفه من الكرموزومات التي خصبت بيضة المرأة. زيادة عما يترتب على ذلك من مشاكل في حال وفاة الزوج وقسمة تركته.

ومن المشاكل التي تترتب على هذه التقنية تنشيط المبيض لإفراز أكبر قدر ممكن من البيضات وتخصيها، ثم توجيه العناية ببعض منها

لتنمو بالانشطار الطبيعي الموحد ثم المخصص، والاحتفاظ بالبعض الآخر بطريقة تجميدها في ظروف تبقي على إمكان الانتفاع بها في المستقبل دون حاجة إلى القيام بإعداد الخطوات التي سبق أن بذلت في المرة الأولى.

إن خزن الفائض عن الاستخدام يعرض للقائح إلى الاختلاط رغم ما يبذل من جهود للتغلب على هذه المشكلة؛ ذلك أن تضاعف عدد اللقائح المجمدة مع الزمن، واختلاف الأيدي التي تمارس تحويلها والأخذ منها، لاشك أن ذلك يعرض للخطأ، وقد ذكرت جريدة [الفيغارو] الفرنسية أن نسبة الخطأ في إنجلترا تبلغ عشرة في المائة، مع أن التحوط ومستوى القائمين على هذه التقنية في إنجلترا محقق ولا جدال فيه؛ لذا فإني أجزم بأن الاحتفاظ بالفائض لا يجوز حسب وجهة النظر الإسلامية؛ لأن صفاء الانتساب إلى الأسرة والوثوق من صحته أمر ضروري كما بيناه في الإسلام، وأن هذا الضروري لا يصادمه يسر إعادة غرس الجيزوت في الرحم بأقل تكلفة وأسرع وقت.

## ب - الاستنساخ

تعود طلائع هذه التقنية إلى سنة ١٨٩١ عندما لاحظ العالم والفيلسوف الألماني [هانس دريش] Hans Driesch أثناء تجاربه على الأجنوس Oursin (sea urchin) اكتشف أنه إذا فصل بين الخليتين إثر انفصال الخلية الأولى المخصبة أننا نحصل على جنينين قابلين للحياة ولكنهما أصغر من أصلهما، ثم إن مواطنه من بعد [هانس سبيمان] Hans Spiemen فصل بين خلية مخصبة للضفدعة وحصل على توأمين متماثلين قابلين للحياة، وتطورت الأبحاث من اللافقرات إلى الفقريات إلى الحيوانات الثديية، وطبق العالمان الأميركيان سنة ١٩٩٣ تقنية الاستنساخ على الإنسان Jerry Hall وStell Man. وتحصلا على ٤٨

خلية متماثلة في حضان خارج الرحم ثم جمدت وتم بعد ذلك تدميرها . وفي شهر يوليو من سنة ١٩٩٦ ولدت النعجة [دوللي] المستنسخة في مختبر بسكوتلاندا . ثم تتابع الاستنساخ في أنواع أخرى من الحيوانات . وفي سنة ٢٠٠٢ أعلنت طائفة الرايليين Raeliens عن ولادة إنسان بتقنية الاستنساخ ، وقد أدين هذا من الأوساط العلمية والدينية والسياسية ، وشكك كثير في صحة ما أعلن عنه ، ورجحوا أنه خبر كاذب يقصد من ورائه إعداد الفكر العام بالتعود على سماعه حتى يتم قبوله لو يحدث في المستقبل ، واستبعد كثير من العلماء حدوث هذا في المستقبل ورأوا أنه من قبيل الخيال العلمي ، وحققوا أنه لا يكون التماثل بين شخصين بناء على اتفاقهما في الجينوم ، ذلك أن عوامل تكوين الشخصية لا ترتبط بالجينوم فقط بل للمحيط والتربية وطريقة الحياة أثرها في شخصية الإنسان كما يدل على ذلك ملاحظة التوأمين الحقيقيين ، وكذلك ما نتج من استنساخ الحيوانات لم يكن التماثل بين البيضة المستنسخة والأصل كاملا ، وإن كان التشابه كبيرا جدا .

هذه هي التقنيات التي جربت حتى الآن في التكاثر للتغلب على العقم أو التصورات لمحاولة استمرار الفرد بجميع خصائصه الخلقية ووحدة الجينوم بينه وبين البيضة المفرغة ثم المعبأة بخلية من الرجل أو المرأة ليكون المحمول صنوا لصاحب الخلية التي عبئت .

إن التخصيب خارج الرحم أو في داخله للتغلب على بعض الاختلالات التي توجد عند الرجل أو عند المرأة بالضوابط التي بينها أعلاه لا مانع منه شرعا ، بل هو محقق لاستمرار النسل ، ومدخل لإضفاء السعادة على الزوجين وإعائتهما على القيام بدورهما في استمرار الحياة ، وهذه من مقاصد الشريعة ، والتدخل بهذه التقنية لا يؤثر سلبا على علاقة المولود بوالديه الحقيقيين .

أما النوع الثاني أعني [الاستنساخ] فاعتقادي أنه حسب النظرة

الإسلامية إثم وحرام لا يجوز الإقدام عليه، ففيه تجنُّ على طبيعة الخلق التي قررها الله من تعاون الزوجين على ما تولد منهما في تربيته والإنفاق عليه وتواصل الثقافة والحضارة وتطورهما تبعاً لعنايتهما بالمولود وتنشئته كما أشارت إليه الآية السابقة في سورة الأعراف؛ وفيه تجنُّ على الأبوين إذ أن واجبات الأسرة الطبيعية تفرض على النسل القيام بواجب الرعاية للوالدين عند الحاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (سورة العنكبوت آية ٨) وتكرر هذا المعنى بطرق مختلفة في القرآن بلغت أربع عشرة مرة، والاستسناخ يحرم الأبوين من هذه الطمأنينة إذا بلغا حد الوهن أو الضعف، وفيه تجنُّ على المولود إذ أن الصورة التي سيكون عليها المستنسخ صورة تحكّم فيها الكبير كما يتحكّم في الأشياء التي يريد اقتناءها كشكل صياغة الحلّي واللباس والمنزل . . . . وفي ذلك دوس لكرامة الإنسان، فإذا ما أضفنا ما كشفته تجربة [دوللي] من أن خلاياها كانت أسن منها، فالاستسناخ سوف ينشأ عنه أطفال عند الولادة كهول في الوظائف التي تقوم بها خلاياهم وهي تعاسة للطفل الذي لا يستمتع بطفولته التي عليها الخلق.

**التأثير في بعض الجينات للتحصيل على نسل يحمل المواصفات التي يرغب فيها الأصل إن التقدم العلمي مكن الأطباء من تقنيات يستطيعون بها التأثير في الجينات التي قرأوها تأثيراً مكنهم من تحويلها حتى تعطي صفات جديدة للإنسان المحور جيناته، فهل يعتبر هذا التدخل سائغاً مقبولاً أو هو من باب تسلط القوي على الضعيف، ونوع من الاستبداد؟**

إن طبيعة الخلق أعطت للسنن - التي نعلم بعضها - المواصفات التي تعطي للإنسان صفاته الخلقية، وأنه بناء على ذلك فإن الطفل لا يعترض على ما عليه خلقه لا في حال صباه ولا عندما يبلغ سن الرشد. ولا يقدر أحد أن يعلم ما هي الصفات التي يحب أن يكون

عليها، والصفات التي لا يرغب في أن يكون عليها، وإن أنانية بعض الناس هي التي تخيل إليهم أن صفات خاصة هي أكمل وأفضل، خذ لذلك مثلاً أن الجنس الأبيض يعتقد أن سواد البشرة عيب وأن الأسود أدنى منه، وهذا غير صحيح؛ ذلك أنه تم الزواج بين مختلفي اللون ويجد كل من الزوجين تمام سعادته في قرينه، وكان كل منهما يستطيع أن يقترن بمثيله في اللون، وكذلك وجدت أن بعض طوائف السود في أميركا يعتقدون أن الله أسود، لأنه في نظرهم أن الأسود أكمل وأرفع من الأبيض ولا يكون الله إلا على الوجه الأكمل.

وأخرج البخاري في صحيحه تشبيه الطفل الأبيض البشرة المُشْرَب بحمرة أو الأشقر كأنه وَحَرَّة (نوع من الوزغ) (فتح الباري ج ١١ ص ٣٧٦/٧٧)، وفي الأدب العربي أكثر ما نجد التشبيب والتنويه بالجمال في العين مع الحور الذي هو شدة بياض العين وشدة سواد سوادها، وبعض الناس يتطير من العين الزرقاء والبعض يحلم بالعيون الزرق أو الخضراء، فالجمال يختلف باختلاف أذواق الناس ومقاييسهم وبيئاتهم، فتسلط الأصول على النسل بتغيير شكل خلقتهم هنك لحقوق الطفل، ومناف للأخلاق والعدالة.

### التأثير في بعض الجينات لإزالة الشوه أو النقص

الخلقة السوية هي الأصل قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين آية ٤)، وقد علق سيد قطب على الآية بقوله: وإن عناية الله بهذا المخلوق - على ما به من ضعف وما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد - لتشير إلى أن له شأنًا عند الله ووزنًا في نظام هذا الوجود، وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق، سواء في تركيبه الجثماني البالغ الدقة والتعقيد، أم

في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب (في ظلال القرآن ج ٣٠ ص ١٩٤)

إنه إذا حدث تشوه أو أمكن أن يحصل نتيجة قصور أو عطب في بعض الجينات وأمکن للعلم أن يسعف الإنسان بإصلاح موجب القصور أو الاختلال فالقواعد المرعية في الشريعة الإسلامية لا تأباه بل تحض عليه في نظري، ولكن مع التحذير من أن يصبح ذلك هاجسا وشبها مخيفا، ويعم السعي للتأكد من السلامة بإجراء الاختبارات الجينية على جميع الأجنة، فإن هذا ينقلب إلى موجب إزعاج وخوف، وتأصل الخوف من المرض هو أقسى من المرض، مخرب لسعادة الإنسان، فكما أن الأمراض التي يمكن أن تنتاب الإنسان لا يقبل أن يكون الحذر من الإصابة بها هاجسا يجعل الصحيح يسعى دوما للكشف عن إمكان تعرضه للإصابة قبل أن يظهر أي عرض من الأعراض أو موجب من موجبات اليقظة والتحوط، فكذلك الأمر بالنسبة للاختبارات الجينية.

وتعرض بعض الفقهاء لقضية يصح التنظير بها: هي أن المولود الذي له ستة أصابع أيحل قطع الإصبع الزائد؟ ذهب بعضهم إلى المنع، وعلل بأن ذلك تغيير لخلق الله إلا أن تسبب له ألما فيحل قطعها (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٥ ص ٣٩٣)، والذي يترجح عندي أن المانع إنما منع لأن الخبرة الجراحية كانت ضعيفة فهو يخشى أن يتعرض الإنسان للخطر لتحقيق جانب جمالي فيه، فإذا غلبت السلامة فلا مانع؛ بدليل أن الإسلام قد حرض على الختان وجعله سنة مع أنه تغيير للوضع الذي خلق عليه الذكور، وجعل من سنة الفطرة تقليد الأظافر، وكل ذلك مما يؤكد أنه إذا قامت قرائن على أن جينا اختلت قدراته على القيام بوظائفه لعطب فيه، وأمکن إصلاح عطبه ليعود إلى الحالة السوية أو تعويضه وتذهب الأعراض التابعة لذلك الاختلال فإنه لا مانع من الكشف، ولا من قيام الطبيب المختص الماهر في إصلاح



الجينات بإصلاح الجين المعطوب أو تعويضه لينتفي التشوه أو الإعاقة. وما جاء في الورقة من احتجاج بعض منظمات المعوقين بأن انتقاء ما قبل الولادة صورة من صور التمييز الخاص بتحسين النسل ضدهم تعتمد على افتراض أن حياتهم أقل قيمة، هذه حجة ليس لها أساس معقول ولا وجه مقبول، ذلك أن المعوق من الكبار يسعى لإزالة إعاقته فإذا نجح الطب في إعادته للحياة السوية فلا يمكن أن يقال في هذا: إنه تمييز أو حط من قيمة حياة المعوقين الآخرين، والأمر قبل الولادة لا يختلف عنه بعد الولادة، وانتشار بعض الأجنة التي يمكن أن تعرض للإعاقة عمل صالح لا مانع منه وليس فيه ضرر يلحق الغير سواء أكان معوقاً أو سليماً، بل إن الخلق القويم يدعو الإنسان إلى أن ينشرح إذا حصلت المعافاة لغيره.

**التأثير في الجينات ليولد الجنين ذكراً أو أنثى، أو ليكون على سمات يرغب الأصل فيها**

إن نوع الجنين من كونه ذكراً أو أنثى ليس حقا لأحد الأصليين، لأن تحويل شخصية المولود هو اعتداء عليه؛ فإن الكرامة الإنسانية تمنع الكبار من أن يؤثروا في خلق النسل. والقرآن قد جعل هذا التصرف قاصراً على الله الخالق لا مدخل للإنسان فيه قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (سورة الشورى آية ٤٩/٥٠).

إن ما تشير إليه الآية في خاتمتها من التذكير بصفة العلم الدالة على أن التصرف ليس تصرفاً فوضوياً ولا تصرف من يجهل ويحدث الأشياء كيفما اتفق، ولكنه يحدثها حسب العلم الدقيق، ولا تتصرف القدرة إلا تبعاً لذلك العلم، ولقد لاحظ المتتبعون لأحوال البشر أنه

بعد الحروب الكبرى تكثر ولادة الذكور، لأن الحرب أكلت الرجال ولم يذهب من النساء إلا القليل، فيحدث العليم بأوضاع الكون وحاجاته ما يعيد التوازن النوعي، والإناث والذكور كل منهما هبة راحمة من الله، وبقاء الحياة تتوقف على وجود الجنسين، والإرادة الإلهية هي التي ترعى الخلق فتهب من الفضل الإلهي إناثا فقط للبعض، وذكورا فقط للبعض، وتجمع بين الذكور والإناث للبعض. وتحرم البعض وتجعله عقيما، والإنسان - أمام هذه الحكم التي سيرت العالم من بدايته إلى اليوم، وما تهدد الجنس البشري بالتوقف يوما من الأيام - ممنوع تبعا لذلك من إدخال الاختلال على نظام الكون، فليس للشخص الفرد الذي يجهل مصير الإنسانية - وهو عاجز اعترف أو أنكر عما يضمن بقاء النوع البشري - أن يتداخل في جنس المولود فيختل التوازن، ومن ناحية أخرى فإن الإنسان لا يملك أن يكون ذكرا أو أنثى فكيف يتسلط على غيره ويخضعه لرغباته وهواه؟

وكما لا يقبل من الأصول أن يتحكموا ويفرضوا إرادتهم على النسل القادم من الناحية الجنسية، فكذلك لا يحل لهم أن يضبطوا نموذجا مقدا لنسلهم من اللون والسمات الخاصة، ويقسرون نسلهم على سمات ارتضوها هم تبعا لشهواتهم، إنهم إذا كانوا يرغبون في شكل معين من الأشكال فإرادتهم ورغباتهم لا يقبل أن تسلط على نسلهم دون أخذ رأيه؛ إن ذلك ظلم وتعد على حقوق الطفل وبالتالي على حقوق الإنسان.

وقد جاء في الورقة المقدمة من الأمانة العامة أن الأبوين يؤثران بتربيتهما وسلوكهما وعنايتهما في شخصية الطفل وتكوينه وبالتالي في ملامح حياته المستقبلية، فلماذا لا يكون لهما الحق في التأثير على بعض الجينات؟

الفرق كبير جدا بين القضيتين. إن تربية الطفل بتوفير الغذاء

وإكسابه العادات الضرورية لتستقيم حياته الفردية، وإعداده ليحصل له ما يستطيع به أن يندمج به في المجموعة. هذه مسؤولية الوالدين، ومن تخلى عنها أو لم يقم بها كما يجب اعتبر مخلا بمسؤولياته؛ فميدان التربية هو ميدانه، واجب عليه أن يقوم به، وحق له في آن واحد، فله أن يمنع غيره من التدخل في تربية نسله إذا قام هو بذلك ولم يفرض. قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ سورة الإسراء آية ٢٤.

أما خلق الإنسان الذي هو أثر الصفات الوجودية والمؤثرة للجين فليس هو مسؤولا عنها ولا هي داخلة في حدود قدراته قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ (سورة النحل آية ١٧). وإذا ذهب للمختص في الميدان فيعتبر أنه استعان بالغير لتحقيق أغراضه في بشر لم يطلب منه ذلك وليس هو مسلطا عليه؛ فيكون هذا من التعدي الواضح الفاضح، من المتدخل (الاختصاصي) ومن أحد الأبوين أو من كليهما على حقوق الإنسان والطفل في الوقت الذي كان الطفل عاجزا عن الدفاع عن نفسه.

والله أعلم وأحكم، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... كتبه فقير ربه راجي عفوه وفضله.

## المناقشات



## الجلسة الرابعة

رئيس الجلسة: د. عبد الرحمن العوضي

المقرر: الدكتور علي السيف

المتحدثون:

١ - الدكتورة ليزا ليحمان

٢ - الدكتور منير فرج

٣ - الشيخ محمد المختار السلامي

د. جيرالد وينسلو: صباح الخير. أود توجيه سؤالي إلى أي من المتحدثين وربما على وجه التحديد لبروفيسور [ليحمان]. منذ ثلاثين عاماً رأي البروفيسور [بول رامزي] - وهو أحد علماء الأديان في الإلحاد - رأى أننا نتجه إلى وقت لن ينظر فيه إلى العيوب الخلقية كمأساة. ستستدر تلك العيوب الخلقية تعاطفنا غير أنها ستعتبر فشلاً تكنولوجياً يجلب خيبة الأمل وربما الكوارث، فعلى سبيل المثال: تخيل زوجين يقومان باختيار جنس الجنين بمنتهى الحرص غير أن هذا الأمر يفشل. قد يحدث هذا بل في الواقع من الحتمي أن يحدث هذا رغم كل الجهود والتكاليف الضخمة المبذولة، هل يمكنك أن ترى أية حكمة في مخاوف رامزي؟

الرئيس: شكراً لك. أظن أننا سنستمر في تلقي الأسئلة وبعدها سنحاول الحصول على إجابات لها. لذا يتعين علينا تغطية أكبر مساحة ممكنة من الموضوع. د. حامد، تفضل!

د. حامد أحمد: بالنسبة [ليلزا ليحمان]، حين ذكرت طريقة اختيار جنس الجنين أشير إلى أن [ليزا ليحمان] تحدثت عن طرق اختيار جنس الجنين، وأشارت إلى أن هذه الطرق موجودة في تراثنا الإسلامي، فسابقا كنا نختار نوع الطعام وقت الجماع أو وضع الجماع لاختيار جنس الجنين من حيث المبدأ، [العنوان الأولي نستطيع اختيار جنس الجنين] لكن هذه التقنيات قديمة، العلم قدم لنا تقنيات اختيار جنس الجنين، فهل هذا جائز عندنا في الإسلام؟ ليس على أساس اختيار مرضى.

الرئيس: د. إبراهيم بدران.

د. إبراهيم بدران: بسم الله الرحمن الرحيم.. الحقيقة مجرى الحديث في جلسة اليوم أكد في تصوري النمو المستمر في الفكر لأصحاب الديانات الإبراهيمية اليهودية ثم المسيحية ثم الإسلام، فكر متسلسل أعتقد أنه مسمى جديد في نوعية التجمعات التي تحصل على مستوى البشر، والشكر لكم أنكم تجمعون أناسا من الممكن أن يلتقوا على حاجات تحدد مستقبل التعامل بين الناس في هذه الكرة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، الثلاثة مؤمنون بالله درجة اتصالاتهم بهذا الخالق تقريبا إيمان متدرج ومتزايد، أعتقد أنها سمة جديدة في التعاملات، من هنا هل ربنا أخطأ في خلق؟ - أستغفر الله العظيم - في خلق المشوه، أو خلقه ليكون عظة لمن ليس مشوها؟! إذ إن الأسود لا يظهر إلا إذا كان بجانبه أبيض أو العكس، والحرام لا يظهر إلا عندما يشاهد الحلال، والصحة والضعف قيمتهما التبادلية بين الاثنين، النقطة هذه هذا المشوه مخلوق موجود ولن يمنع أي شيء حدوثه، إذا فرض أن ربنا سبحانه وتعالى يخلق هذه التبادليات لماذا؟ لكي نتعلم فيها الرحمة ونتعلم فيها العطف ونتعلم فيها الحمد ونتعلم فيها أن هذا المشوه قد يكون خبرة لفعل الخير وقد يكون منه عائد كبير.

أنا حضرت في الأكاديمية البابوية التي يذكر فيها أستاذنا ٣ سنوات

متتالية لما كنت رئيس أكاديمية البحث العلمي في مصر، وكنت أدعى من البابا السابق رحمه الله، وشاهدت هناك [استيف كرولكس] مشلولاً حتى رقبته مركب له حساسيات على الأحبال الصوتية، هذا الرجل هو أكبر عالم في الطبيعة النظرية والرياضة التطبيقية في القرن العشرين، وتسعون في المائة من النظريات التي صدرت من هذا [الاستيف كرولكس] وهو مشوه وليس هناك تشويه أكثر من ذلك، أليس هذا يؤكد قدرة الله على أن هذا الضعيف قد يكون مفيداً؟ إنني عشت هذه الهواجس سنوات كثيرة، [طه حسين] ضير صدر عنه ما لم يصدر ممن يديرون ويتحركون ويتعلمون، فيلسوف مصر [توفيق الحكيم] ألف كتاباً صغيراً قبل موته اسمه [التعادلية في الإسلام] المساحة بين العقل والقلب، فلو طغى العقل هناك الخراب ولو طغى القلب هناك الفقر والضعف العقل قوة واستنتاج وتطور، والقلب ميزان، فنحن نتصرف في قضية الجنين المشوه بالعقل والعلم الطاغى، إنما لو وضعنا القلب كيف تقتل الروح؟! قضية أنا لا أتصور أن هذه الكرة الأرضية سيخلص منها المشوهون قضية التكافل والترابط البشري بين القوى والضعيف لو قضينا على المشوه فلا بد أن نقضي على كل ضعيف وكل محتاج حتى القوي يظل قويا والضعيف يذهب إلى الجحيم، لا بد أن نفكر بالوصول إلى قرار في تصورنا أن هذا المخلوق لا بد من انعدام وجوده على الكرة الأرضية.

النقطة الأخيرة هي تأكيد لكلام مولانا الشيخ السلامي بأن ربنا حينما خلق الناس - والعالم في المرحلة القادمة سوف يزيد ملياراتاً ما بين ١٠- ١٣ سنة لغاية آخر القرن ٢١ الزيادة السكانية مستمرة قبلنا أم لم نقبل - خلق الهندسة الوراثية للنبات والحيوان حتى لا يجوع فيها ولا يعرى. وشكراً.

الرئيس: أشكر الدكتور إبراهيم، فقط أريد أن أعلق على قضية المشوه أو المعاق أنا شخصياً ربنا رزقني بطفل معوق - وأعتبر أن هذا



الطفل حينما رزقت به الأسرة أصبحت كلها تحبه، فقد علمنا أشياء جديدة، علمنا الرحمة، حتى أن والدته تخصصت في هذا التخصص بسببه، وهذا يبين لنا مدى عظمة الله في إعطاء هذا الإنسان هذا النوع من البشر حتى نتعلم الدرس، إني من أسعد الناس لوجود هذا الطفل المعوق .. بيننا .. كلامك صحيح حكمة ربك في الطفل المشوه أو المعوق ... الشيخ محمد مختار السلامي تفضل.

**الشيخ السلامي:** بسم الله الرحمن الرحيم .. في بداية تدخلني في المحاضرة الجيدة الثرية التي استمعت إليها من الدكتورة [ليزا ليحمان] ولكن النقاط التي أريد أن أثيرها، النقطة الأولى: أنها ذكرت أن الإسلام يتفق مع اليهودية بأن اللقيحة في الأربعين يوما الأولى هي مجرد ماء وأقول: إن اللقيحة هذه إذا غرست في جدار الرحم حسب فهمي للإسلام - ولا أقول إنه الرأي المتفق عليه من المسلمين جميعا - هذا ما فهمت أنه بمجرد أن تتعلق اللقيحة بالرحم فهي إنسان؛ وأن أحكام البشر تطبق عليه، على هذه اللقيحة تسرى بصفة المنقوصة للإنسان بعد ولادته من يوم تعلقه بالرحم إلى يوم الولادة على نسبة واحدة بين اليوم الأول وبين نهاية الشهر التاسع، ولذا يترتب على إسقاط هذا الجنين أو التعدي عليه وأن الذي فعل ذلك عمدا فعل حراما، وأن عليه أن يعطي تعويضا للأسرة على ما خسرت، لكن عندنا أمر آخر هو اللقيحة خارج الرحم أعتقد أنه بعد الاتصال بين الجنسين فقد تفرز المرأة بويضة وتلقح من الزوج ولكنها لا تذهب إلى قناة فالوب ولا تنغرس في الرحم وتذهب مع الفضلات الخارجة فالقيمة للخلية الملقحة هي عندما تنغرس، وقبل انغراسها عندما تكون في المحضن المعد لذلك لا أعطيها نفس القيمة التي عندما تنغرس، هذا من وجهة النظر الإسلامية، وإذا يترتب عليها عدة أمور، لأن هذه اللقيحة قبل أن تنغرس في الرحم الانتقاء بالنسبة إليها ليس عيبا؛

ويمكن للطب أن يتدخل في هذه اللقيحة ما دامت لم تغرس ويعطي أو يمنع أو يُحسِّن ما دامت لم تنغرس، فإذا غرست أصبح لها حكم آخر.

ثانيا: النتائج التي ترتبت على الانتقاء هي نتائج أكثر من المقدمات، ولست أدري هل أنها تريد الانتقاء في جميع الخلايا الملقحة سواء كانت تلقيحا طبيعيا حسب الخلق الإنساني أو ألقى ذلك داخل الرحم وخارج الرحم؟ فإذا كانت تعني تدخلا مطلقا فالأمر أمر آخر وإذا كانت تعني تلقيحا خارج الرحم فالنتائج هي تحسين الجنس البشري، لأن مرة التلقيح خارج الرحم جزء بسيط مجرد تكاثر بشري للإنسان فالنتيجة كانت أكبر كثيرا، القضية التي استوقفتني أيضا إنجاب طفل لعلاج أخيه هل هو يقع في التلقيح خارج الرحم؟ أو يقع في إعداد الطفل بعد أن ينغرس في الرحم ليصلح أن يقوم بهذا الدور؟ قبل كل شيء هل يتأثر هذا الجنين سواء كان داخل الرحم أو خارج الرحم؟ هل يتأثر بهذا التدخل ليصبح مساعدا لأخيه على الحياة؟ هذه نقطة لم أتبينها وهي دقيقة جدا لبيان الحكم عليها شكرا.

الرئيس: آخر سؤال لك يجب كي يساعد أخاه في الحياة أن يكون كاملا... د. على مشعل تفضل.

د. علي مشعل: سأحدث باللغتين العربية والإنجليزية لتحقيق النفع الأكبر لعلمائنا، موضوع تشخيص الأمراض الجينية قبل العلق تشخص أمراضا ابتليت بها البشرية لقرون عديدة ولم تجد لها حلا، وهي أمراض بالغة الخطورة ولا علاج لها، فلا بد أن ننظر لها بقلب مفتوح وبعيون مفتوحة أيضا وبعقل مفتوح، فهناك أمراض متفق على أنها أمراض بالغة الخطورة ولا يمكن علاجها وتنطبق عليها قاعدة (الوقاية خير من العلاج) هذه أنواع من الأمراض ينظر إليها لوحدها، وهناك أنواع من الأمراض تظهر في المستقبل بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة من العمر أيضا هذه طائفة مختلفة، وهناك طائفة أخرى من الحالات التي

ليست مرضية تحدثت عنها الدكتورة [ليزا ليحمان] أيضا ينظر لها نظرة مختلفة وأعتقد أنه نظرا لأن هذه الأمراض، وهذه الاكتشافات معقدة ومكلفة فلا بد أن كل مجتمع يضع لها أولويات، ولا بد أن العلماء الشرعيين الدينيين يضعون لها قواعد بالتعاون مع الأطباء والعلماء.

موضوع التشخيص أثناء الحمل مختلف اختلافا كاملا عن التشخيص قبل العلوق لأن التشخيص أثناء الحمل مهما كان المرض خطيرا وهنا ندخل في قضايا الإجهاض وهذا له وضع أخلاقي وديني مختلف، أما التشخيص قبل العلوق في المختبر على الخلايا في اليوم الأول أو الثاني أو الثالث فموضوعه مختلف تماما وهو يكشف الكثير جدا جدا من الأمراض في إنجلترا. أما عن [د. ليحمان] فأود أن أسألها عن مفهوم النفوذية: عندما تتحدثين عن السرطان الوراثي كيف يمكن لهذا أن ينطبق في PGD؟ وأود السؤال أيضا عن استخدام دم الحبل السري الذي يتم التخلص منه عادة في علاج الأخ الأكبر المريض؟ شكراً.

الرئيس: شكراً لك يا دكتور... د. ممدوح جبر تفضل.

د. ممدوح جبر: شكرا سيادة الرئيس... بسم الله الرحمن الرحيم... أنا لي تعليق بسيط، استفسار من ناحية الواقعية والعملية مع التقدم العلمي المذهل في هذا المجال مهما تكلمنا عن اعتبارات أو سلوكيات سيصعب على أرض الواقع منع بعض الأمور، قد أتفق مع الأستاذ الدكتور بدران، والأستاذ الدكتور العوضي بالنسبة لقدرة الخالق واختياراته لخلق الشخص السوي والشخص غير السوي لأغراض عديدة ولكن هناك بعض التساؤلات مثلا: إذا أمكن التشخيص المبكر لجنين مصاب بتشوهات خلقية ومع العلم الحديث فإنه من الممكن علاج هذه التشوهات جراحيا أو حتى بدون جراحة متى تم تشخيصها وهو جنين - أصيب بإصابات في القلب أو إصابات في المخ أو نقص في إفرازات

الغدة الدرقية أو نقص في إفرازات الأحماض الإيضية - هنا التشخيص المبكر لا شك سيؤدي إلى شفاء قد يكون ١٠٠٪. تماما لمثل هذه التشوهات؛ ففي ظل هذا التخطيط أعتقد أن كل التداخلات والمناقشات التي استمعنا إليها الآن تدعو الأستاذ الدكتور العوضي والدكتور الجندي إلى عقد مجموعة عمل متخصصة للبحث المتعمق في هذه الأمور حتى تستفيد جموع الأمة من هذا التقدم العلمي دون أن ندخل في المضاربات الشديدة التي أشارت لها الدكتورة ليزا من الأيوجينكس وأيام العصر النازي والتخلص ممن هو غير قادر أو غير مرغوب فيه سواء على مستوى النوع أو على مستوى العرق أو على مستوى آخر، الأضرار الأخرى من الإجهاض بعد سن غير مسموح به، مثل هذه الأمور نحن في حاجة إلى معايير سلوكية للأطباء وقانونية للدولة والمجتمع المدني، أيضا يراقب تطبيق ذلك حتى يمكن الاستفادة من العلم دون الدخول إلى المخاطر التي أشير إليها، كلمة أخيرة أنا استمعت إلى التشخيص للجنين ولكن هناك أيضا التشخيص لما قبل الزواج، صحيح هذا ليس حديثنا اليوم ولكن مثل ما ذكرني الدكتور بدران والدكتور رجائي بأن هذا ممكن في قبرص وفي إسرائيل وغيرها حيث يزيد زواج الأقارب، وزواج الأقارب غير مرغوب فيه في ديننا الإسلامي الحنيف، كيف يمكن التعرف على بعض الجينات قبل الزواج ونصح الطرفين قبل الزواج بإمكانية تفادي ذلك؟ مثل هذه الأمور تحتاج إلى الفحص وشكرا جزيلا يا سيادة الرئيس.

الرئيس: شكرا د. ممدوح فعلا الفحص قبل الزواج أصبح الآن في السعودية إجباريا... د. تقي العثماني تفضل:

د. تقي العثماني: بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين، القضية التي ندرسها في هذه الندوة المباركة إن شاء الله هي

قضية حساسة وشائكة وأنها نتجت من خلال تقدم علم الطب، ولذلك يمكن أن نجد لها حكما صريحا إما في كتاب الله أو السنة أو في كتب الفقهاء، وإنما نحتاج في ذلك إلى المبادئ العامة التي ذكرت في القرآن والسنة أو الفقهاء المسلمين، وإني في تدخلي هذا لا أبين فتوى من قبلي وإنما أريد أن أفكر في المبادئ التي ربما تعيننا إن شاء الله في الوصول إلى فتوى أو اجتهاد جماعي، إن هذه التقنية التي تسمى [تقنية جينية] هي ربما يمنعها بعض المعاصرين من أجل تدخل في خلق الله سبحانه أو تدخل في قضاء الله سبحانه وتعالى وقدرته، والواقع أن هذه التقنية أو هذه العمليات التي تجرى من وراء هذه التقنية كلها أسباب وما دام الإنسان يستخدم أي عملية اعتقاداً منه بأنها ليست علة تامة لتكوين نتيجة، وإنما العلة الحقيقية مشيئة الله وإرادته، فإن ذلك لا يصادم قضية القضاء والقدر، فإن الاعتقاد بأنها قضاء محض، وهذا السبب قد ينجح وقد لا ينجح، فإن نجح فهو بأمر الله سبحانه وإن لم ينجح فإنه بأمر الله، وهذا يجري في جميع المحاولات الطبية والعلاجية فلا ينبغي أن نمنع هذه التقنية من هذه الجهة.

الجهة الثانية التي ذكرت في عدد من المحاضرات التي ألقى اليوم وبالأمر على أنه يؤدي إلى تغيير خلق الله، وقد جاء نص في القرآن الكريم بتحريم ذلك وجعله من عمل الشيطان، ولكن في نظري تغيير خلق الله ليس أي تغيير داخل في هذا التغيير المحظور، والذي فهمت من خلال تفسير القرآن الكريم عبر السنة النبوية أن التغيير الممنوع والمحظور هو لا بد أن يكون مشتتاً على أحد المحاور الثلاثة:

الأول: أن يكون التغيير تشويهاً للصورة التي خلقها الله سبحانه وتعالى، أو للتغيير أن يكون تغيير خلق الله لغير الناس فهذا إذا محظور وحرام.

والثاني: أن يكون هذا التغيير باعتقاد خاطئ كما كان أهل الجاهلية يشقون آذان الأنعام ويسمونها بحيرة باعتقاد فاسد.

وثالثا: أن يكون التصرف في الصورة لمجرد التجميل وليس لأي غرض آخر وهذا ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: " لعن الله الواشمات والنامصات والمتوشمات المغيرات خلق الله " أما التصرف في جسم الإنسان أو جنس الجنين بحيث لا يؤدي إلى المحظورات الثلاث فإنها لا تقع في نظري في تغيير خلق الله الذي نهى عنه القرآن الكريم هذه نقطة واحدة.

النقطة الثانية ينبغي أن تكون مسائل العلاج التي تتخذ في هذه العمليات موافقة وتنطبق عليها جميع الأحكام التي تتعلق بالحجاب مثل [كشف العورة وما إلى ذلك] وهذا من الناحية المبدئية، وهناك قواعد أخرى لا بد من رعايتها في الوصول إلى أي نتيجة في هذا الموضوع، ومن هذه القواعد التي ذكرها الفقهاء [لا يُزال ضرر بضرر مثله أو بأشد منه] فينبغي إن كانت هذه العملية تؤدي إلى ضرر أكبر من الضرر الذي نريد أن نتفاداه أن تمتنع، وأما قاعدة [أن درء المفسد أولى من جلب المنافع] فهذا أيضا يحتاج إلى تأمل، كذلك الصدق والشفافية فينبغي أن يكون الأمر والنتيجة واضحة، لذا نأتي إلى الأطباء الذين يمارسون مثل هذه العمليات ونقول: ينبغي أن يكونوا شفافين ويوضحوا نسبة نجاح هذه العملية وعمّا إذا كانت نسبة النجاح قليلة أو كثيرة.

والنقطة الثالثة هي موضوع الإجهاض التي أثارتها السيدة ليزا في محاضرتها القيمة الطيبة جدا، وهي: هل يجوز الإجهاض في هذه المقاصد؟ فإن موقف الشريعة الإسلامية في هذا واضح وهو أن الجنين إذا كان قبل أربعة أشهر فإن إجهاضه لا يجوز، ولكن يجوز للحاجة، فإن كانت هناك حاجة للإجهاض فإنه يجوز عند جميع الفقهاء، أما بعد هذه المدة فلا يجوز إطلاقا، فإذا كان للحاجة المعتبرة شرعا فلا مانع

من هذا الإجهاض؛ فإذا اكتشف بيقين - وليس بظن - أن الجنين يحمل التشوهات أو العيوب التي تؤدي إلى العجز الواضح فلا مانع من الإجهاض قبل أربعة أشهر، وكذلك لجنس الجنين هذا في الواقع في نظري لا يصادم نصاً وإنما يرجع إلى القواعد التي تقول [درء المفسد أولى من جلب المنافع] فهذه العملية في الواقع نحن نرى أنه في أوان الرضاعة والطفولة لم تظهر نتائجها ولم تُجَرَّ على نطاق أوسع؛ فإذا ظهر أن هناك مفسد ينبغي أن تمتنع، وإلا فأنا أرى أنه لا يوجد نص مانع من ذلك، أما القول بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يميز بين الذكر والأنثى فإن كل ما يتحقق نتيجة هذه التقنية سيقع بمشيئة الله وليس من عمل الإنسان ويؤول هذا أيضاً إلى نفس الشيء وهو [درء المفسد أولى من جلب المنافع] وشكراً.

الرئيس: شكراً، د. ديفيد بلويش.

د. ديفيد بلويش: أود أن أتوجه بالشكر للدكتورة [ليحمان] للإشارة إلى التشابه بين اليهودية والإسلام في الفترة المبكرة للحمل فيما يتعلق بتكوين الجنين، غير أنني أود التقدم بنقطة إيضاحية واحدة فيما يتعلق بطبيعة هذا الاتفاق والتشابه، أود أن أقرأ فقرة من مقال أعطاني إياه د. شاهد أظهر - الرئيس السابق للجمعية الطبية الإسلامية لأمريكا الشمالية.

"إن العيوب الخلقية الجنينية التي يمكن في وجودها السعي للإجهاض ويكون حلالاً هي العيوب القاتلة التي لا تتوافق مع الحياة خارج الرحم مثل: ضمور كلتا الكليتين وما إلى ذلك". الفقرة التالية لهذا تقول: "أما عن حالات العيوب الخلقية غير القاتلة مثل: الاستسقاء الدماغي الحاد والتهاب فقرات العنق أو الالتهاب السحائي، وعرض البله المنغولي، أو الخلل الموضعي غير المتوازن، فيمكن أن

يكون الإجهاض حلالاً قبل أن يتم الحمل ١٢٠ يوماً بعد استشارة العلماء المسلمين والخبراء في الطب في هذا الصدد. "

ومن الواضح أن هناك بعض الخلط فيما يتعلق بنظرة الإسلام إلى حال هذا الجنين في هذه المرحلة المبكرة. ويمكنني القول: إن مثل هذا الخلط موجود بالديانة اليهودية.

أود أيضاً أن أتوجه بالشكر للدكتور السلامي لتعبيره الصريح عن رأيه في أن العبث بحياة الجنين حتى في المراحل الأولى من الحمل محرم في رأيه بالشريعة الإسلامية. وسأضيف أنني أتفق تماماً معه من المنظور اليهودي، وسأقدم نفس التعليق بشأن تطور الجنين فيما بعد خارج الرحم، غير أن هناك نقطة واحدة أود الإشارة إليها، إن كنت طبيباً يكون هذا التدخل الطبي حلالاً فقط لأغراض العلاج، وللإنسان حق التدخل في أية عملية طبيعية من أي نوع فقط للقضاء على المرض وما إلى ذلك وليس بغرض تقوية الأمراض، ثم إن هناك قدسية في حياة الجنين في مرحلة معينة من الحمل؛ فمن الصعب بمكان تحديد سبب تحليل التدخل للقضاء على هذه الحياة وليس معالجة الوضع، ومن المؤكد أن هذا يتطلب نوعاً من التقدير للوضع، لا القضاء على هذه الحياة لمجرد أن المولود الجديد سيعاني من مشكلة ما، إلا أنه من غير المقبول التدخل من أجل تحسين النسل أو لأغراض تحسين نوعية الحياة التي سيكتب لها الولادة في النهاية، هنا نتعامل مع القضية الأساسية: قضية قدسية الحياة عند التدخل المقبول عندما تكون الحياة التي لا يمكن استمرارها تستحق نفس القدر من الاحترام وهذا التدخل غير الأخلاقي من حيث طبيعة الحالة الإنسانية غير مقبول، ومرة أخرى، ما أقوله هو أن الجنين حياة بشرية وأنه لا يمكن تدمير هذه الحياة؛ ومن ثم فإن هذه القدسية قضية أساسية في ذهني وأمر أساسي وغريزية في كل طبيب.



الرئيس: أشكرك يا د. ديفيد!... الدكتور طه عبدالرحمن،  
فليتفضل!

د. طه عبد الرحمن: بسم الله الرحمن الرحيم... العروض التي سمعناها هذا الصباح في غاية الأهمية حول موضوعين، التشخيص قبل الولادة والتشخيص قبل الحقن قبل الولادة وقبل الحقن كان تناولا أخلاقيا دينيا لهذين الإشكاليين، وهذا يشعرنا بأن العلمانيين ليس لهم أخلاق في الموقف؛ بمعنى آخر كل من خالف هذه الأخلاق المنبثقة من الدين فلا بد أن يكون لا أخلاقيا، واعتقادي أن العلمانيين أيضا يقولون بأنهم يستندون إلى الأخلاق في موقفهم من التشخيص، فإذاً الغاية من هذا الجمع هو أن نخرج جميعا بنقط التقاء، فأنا شخصا أظن أنه إن وجد أولا التقاء بين ديانات فيما يتعلق بهاتين القضيتين ثم التقاء بين ديانات من جهة والعلمانية من جهة أخرى فأنا سأقترح بعض المعايير، فما هو الخلاف بين التناول الأخلاقي الديني لهاتين القضيتين وبين التناول الأخلاقي العلماني لهما الاختلاف هو في القدسية فالاختلاف الديني يقول: بأن هناك قدسية وإنما الأخلاق العلمانية تقول: ليس هناك قدسية، فإذاً الأمور تقول يبت فيها بمقتضى المصالح وإن كانت المصالح موجودة في السياق الديني إلا أنها محدودة بأمور الدين، في حين أنها محدودة في إطار العلمانية بأمور الدنيا، فإذاً المسألة كيف نستطيع أن نخرج بأخلاق مشتركة بيننا وبين العلمانيين فيما يتعلق بهذه القضايا؟ أنا أعتقد وأقترح لو أن الأمر هكذا فإن هناك قيمة كونية تلزم العلماني كما تلزم الديني وأظن أننا كنا نتمنى أن يكون هناك عرض يستند إلى مجموعة قيم كونية ملزمة للطرفين، ونتناول بها هاتين القضيتين، هذه النقطة الأولى فيما يتعلق بالأديان.

نأتي أيضا إلى الأديان، ما الفرق بين المسيحية في تناول الأخلاق المسيحية لهاتين القضيتين وبين التناول الأخلاقي الإسلامي لهذا

الموضوع وكذلك تناول الأخلاق اليهودية؟ أنا أعتقد أن الأمر يتوقف على محل القدسية فإن محل القدسية يختلف في هذه الأديان ما دام العلماني غير قدسي، إذاً المحلات تختلف؛ فمحل القدسية - أظن أنا لست متخصصاً في الديانات ولكن فقط من زاوية فلسفية أتعرض لهذا الأمر -؛ فمحل القدسية عند اليهود مثلاً الروح بينما عند المسيحيين الحياة في حين عند المسلمين هو الخلق، محل القدسية أي لوجود أننا نلتزم من تحريم وتحليل في كل محل من هذه المحلات يختلف من محل إلى آخر. التحريم والتحليل يكون أضيق إطاراً؛ فما لا تجيزه الأخلاق الروحية تجيزه الأخلاق الحياتية وما لا تجيزه الأخلاق الحياتية تجيزه الأخلاق الوجودية، بمعنى آخر أن الإطار يتسع كلما انتقلنا من الروح إلى الحياة ومن الحياة إلى الوجود هذا الذي أراه هو كروية فلسفية للوقوف عند بعض فنحن جميعاً سنتفق على القيم الروحية [يهوداً ومسلمين ومسيحيين] سنتفق على أن القيم الروحية قد تحدد لنا، ولكن يبقى الاختلاف فيما يتعلق بين اليهود وبين المسيحيين فبالنسبة للأخلاق الحياتية فإنها تجيز ما لا تجيزه الأخلاق الروحية، وهكذا بالاستمرار إلى نهاية السلم وهذا ما أريد أن أقوله وشكراً.

الرئيس: شكراً لك يا دكتور!... د. عبدالله باسلامة.. تفضل.

د. عبدالله باسلامة: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد، حيث إن طبيعة الندوة إيمانية فلسفية تقنية - كما فهمنا - أكثر منها قواعد علمية لأشياء، ومثل ما تفضل معالي رئيس الجلسة اليوم في كلمته وأمس بأن القضية الطبية أصبحت طاغية وربما أن تكون في أيدي مجنونة، ولكنها راغبة في الوصول إلى ما تريد بغض النظر عن الموانع التي تقف، وبما أننا هنا يبدو أننا أعطينا أنفسنا حقوق حماية ما يأتي بعدنا: حماية الأجنة وحماية الأطفال والمستقبل، وأعطينا أنفسنا أيضاً حق حماية: الضعيف المرأة التي تريد أن تنجب

وليس لها مبيض، والجنين الذي في بطنها، أعطينا لأنفسنا حقوقا في هذه الندوة ولكن قدرتنا على إعطاء الحقوق أصبح في جزئية اليوم. . .  
 التساؤل عن الشخيص قبل [البلايشتن] فهذه الجزئية أصبحت أكثر تساؤلا وأكثر منها إقرار مبادئ ووضع خطوط حمراء، فهل في استطاعتنا أن نضع الخطوط الحمراء؟ وأين هي معاييرنا عن الخطوط الحمراء لنضعها ونجعل الغير يتبناها؟! هل هي القدسية؟ هل هي الأخلاق؟ هل الخطوط التي يمكن أن نضعها تحتاج إلى قوة علمية أو قوة إيمانية؟ - ونحن عندنا قوة إيمانية قوة المسؤولية - أو شيء من القوة العلمية؟ إذ كيف سنصلح؟ كيف سنصل ونضع بعض الخطوط التي يمكن أن نتبناها اليوم وتتفق مع الأديان السماوية ومسؤوليتنا الشرعية ورجبتنا الإنسانية في ذلك؟ إضافة أخيرة الدكتور جبر كان يقول (إن زواج الأقارب غير مرغوب في الإسلام) أحب أن أضيف إضافة أنه مرغوب بدليل أنه في القرآن، الله سبحانه وتعالى أحل الزواج للنبي صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وبنات خالاته، والنبي تزوج من قرياته، وانتشار زواج الأقارب في الخليج حوالي ٥٧٪ وهل المشكلة مشكلة الاختيار للزوجة هي من الأقارب أو من غير الأقارب؟! وشكرا.

الرئيس: د. عزالدين إبراهيم، فليفضل!

د. عزالدين إبراهيم: السيد الرئيس لأن الجلسة غنية جدا ونافعة جدا فإن تدخلني هو تلخيصي وتوفيقي وذلك لأننا سمعنا وقرأنا آراء إسلامية ومسيحية ويهودية وعلمانية وهناك قدر مشترك بيننا جميعا، نحن جميعا فيما عدا العلمانيين نشترك في ثلاثة اعتبارات. الاعتبار الأول: اعتبار ديني لاهوتي وهو عدم مشاركة الله تعالى في صفة الخلق. الاعتبار الثاني: اعتبار اجتماعي وهو عدم الإضرار بمؤسسة الزواج ومؤسسة الأسرة. الاعتبار الثالث: اعتبار إنساني وهو مدى الثقة في عدم الضرر من هذه الإجراءات التكنولوجية، نحن إذاً جميعا نتفق

على هذه الاعتبارات الرئيسية، أما العلمانيون فقد يختلفون في الاعتبار الديني واللاهوتي لكنهم يتفقون في الاعتبارين الآخرين والخلاصة هي:

- ١- لا تلعب دور الرب، ٢- لا تدمر مؤسسة الزواج والأسرة، ٣- لا تتسبب في أذى.

ولأننا نتفق على هذه الاعتبارات الثلاثة فإننا نستطيع أن نتوصل إلى أحكام نافعة للعباد، ويكاد المفتي الشيخ السلامي في محاضراته الرائعة يكون قد توصل إلى معظم الأمور الجائزة في الدين الإسلامي والمسيحي واليهودي والتي تجوز أيضاً عقلاً، وحذر من بعض المجالات، والتحذير يكون في ميدانين. الميدان الأول: ميدان التدخل في صنع إنجاب الجنين المظنون أن فيه عيباً أو أن فيه إعاقة، والميدان الآخر: هو اختيار الجنس، وهنا يلعب الاعتبار الثالث أكبر دور وهو: تجنب الضرر، فهل نحن واثقون فعلاً أننا لن نسبب ضرراً بتدخلنا في اختبار الجنين؟ وفي الشريعة الإسلامية قاعدة كبيرة تعتبر عند الفقهاء قاعدة ولودة لأنها تأتي في ثلاث كلمات (لا ضرر ولا ضرار) وهذه القاعدة - كما يعرف الفقهاء - تلد عشر قواعد أخرى مثل [الضرر يزال]، [الضرر لا يزال بضرر مثله] إلى آخره مما أورده حسان حتوت في محاضراته.

والخلاصة سيدي الرئيس: أننا مختلفون على الاعتبارات الرئيسية للتوفيق فيما بيننا فالإجازات والإباحات والموافقات كثيرة، والحذر في مجالين: مجال تجنب الطفل المشكوك في سلامته، وتجنب التدخل في نوع الجنين.. شكراً سيدي الرئيس.

الرئيس: الشيخ محمد على التسخيري:

الشيخ التسخيري: فقط أردت أن أشير إلى نقطة بشكل سريع، نحن نرى مجرد احتمال الحمل يمنع من إسقاط ما يحكم أن يكون علقه الجنين، وهناك رواية عن الإمام الكاظم تقول [إن راويا سأله: أخاف

على زوجتي الحبل فهل تشرب الدواء فمنعه الإمام من ذلك وقال له: لا، وقال السائل: إنما هي نطفة، فأجابه الإمام: وهل الإنسان إلا نطفة؟! [!] إذاً لو احتملت المرأة أنها ستفقد حملها ليس لها أن تشرب الدواء لتسقط، نحن نحترم الإنسان حتى مع احتمال الوقف.

النقطة الثانية أردت أن أؤيد الشيخ السلامي إذ لا يمكننا أن نسقط أحكام اللقيحة أو البويضة الملقحة في الرحم، لا نستطيع أن نحمل أحكام هذه على أحكام اللقيحة التي تمت صناعياً فهذه أقل حرمة أو ربما لا يمكن أن نطلق عليها صفة مشروع إنسان، ومن هنا يمكن الانتظار، وإذا رُوي أن فيها شيئاً من الخلل يمكن إعدامها، أو إذا لم نحتج إليها يمكن أن نتخلص منها وشكراً جزيلاً.

الرئيس: د. عصام غنام.

د. عصام غنام: أتوجه بجزيل الشكر للسيد رئيس الجلسة! السلام عليكم ورحمة الله. بسم الله الرحمن الرحيم. أود أن أتحدث بصورة أساسية إلى [د. ليزا ليحمان]. فالكثير من البحوث تظهر أمامي من فرنسا وألمانيا وواحد من هولندا. ويعد هذا الكثير من الاستقصاء والعمل المبذول مؤخراً في أعقاب اختبار البويضة الملقحة. وهناك الكثير من الكتب التي تظهر في هذا الصدد وأستشهد بها هنا. فالإجهاض يتم من أجل تشوهات طفيفة للغاية ويتم إتلاف الكثير من البويضات الملقحة، لأن الناس أصبحوا مغالين في مطالبهم؛ نجهض الطفل الآسيوي الذي لا نجهه، وبالفعل لا نقوم بزرع البويضة الملقحة التي تتسم بالسلوك الخاطيء، وتتطلب عواقب الإجهاض القيام بعمل أكثر؛ ففي بريطانيا، تمت ١٧٥ ألف حالة إجهاض خلال العام الماضي وكان لها الكثير من العواقب. ومن ثم فإننا نفتح الباب أمام كارثة أخرى لم تحدث بعد في العالم؛ ففي المرة الأولى أدى استخدام الدراسات النووية إلى قتل ٢٠٠ ألف شخص في هيروشيما ونجازاكي.

أما عن الأمر الآخر فهو أننا نفيد الصفوة من البشر، نفيد المتقدمين في العمر وهؤلاء الذين يتحملون نفقات كل هذه الأبحاث ويمكنهم الاستفادة منها ونستنزف موارد العالم الثالث، وفي الواقع نحن لا نعين العالم بهذه الطريقة بل نعين المتقدمين في السن الذين يملكون الإمكانيات المطلوبة.

أما عن الشيء الآخر الذي قد لا يتقبله العلمانيون فهو أن الأديان تأتي من عند الله سبحانه وتعالى، وكلمة "النبي" جاءت من الإنباء؛ إذن يطلعنا الأنبياء على الحرام الذي سيتسبب في مشكلات لن تقدر على اكتشافها إلا بعد فوات الأوان حين تكون أمضيت ١٠، أو ١٥ أو ٢٠ سنة في طريق ما، ثم ما الذي سيؤول إليه الإجهاض؟ لذا فنحن في أمس الحاجة إلى أن يُقَيّ تابَعوا الأديان من لا دين لهم تحت السيطرة. فمهما كان ما يقولونه نافعاً أم لا فلدينا أبناء من الله عز وجل [أن هذا الأمر سيكون ضاراً]. أعتقد أننا بحاجة إلى إعادة تفكير في هذا الأمر والسلام عليكم!

الرئيس: شكراً.. د. محمد على البار تفضل.

د. محمد على البار: بسم الله الرحمن الرحيم. سأحدث باللغة الإنجليزية. كانت هناك ثلاث محاضرات رائعة هذا الصباح خاصة محاضرة [د. ليزا ليحمان]. فلقد كانت محاضرة رائعة وأشكرك لذلك بشدة. غير أنني أود أن أكون عملياً أكثر بقليل من كوني نظرياً. بادئ ذي بدء، يقتصر تشخيص ما قبل زرع البويضة على بلاد قليلة جداً في الوقت الحالي. ثانياً: هذا التشخيص باهظ التكاليف. ثالثاً: لا يمكن لمثل هذا التشخيص الكشف عن الأمراض الوراثية، فليس لديك سوى القليل من الاختبارات: إما للكروموسومات أو للقيل من الأمراض الوراثية المشتبه بها. غير أن هناك آلاف الأمراض الوراثية ولا يمكننا اختبار وجود كل هذه الأمراض؛ فهذا ضرب من المستحيل؛ فهناك

تشخيص افتراضي بتوقعك لبعض الأمراض، أو قائمة من الأمراض، وهذا هو أقصى حد يمكنك الذهاب إليه إذ لا يمكنك فحص جميع الأمراض الوراثية، ناهيك عن خصائص وسلوك الناس. إذ هو هراء، فمن المستحيل دراسة سلوك الإنسان الذي هو بغاية التعقيد والتركيبي؛ فلا يوجد هناك اختبار جيني للسلوك وإنما هو خيال علمي لم يتحقق إلى هذه اللحظة؛ لذا يجب علينا أن نتخلى عن النقاش التخيلي النظري غير العملي، فهذا كله محض خيال.

والآن أود سؤال د. ليزا ليحمان عن الأعراض الجانبية. نعرف الآن أن هناك أعراضاً جانبية للتخصيب الصناعي (أطفال الأنابيب). وبطبيعة الحال، هناك فرط الحساسية للمبايض بأعراض عدة وهذا العرض خطير ويمكن أن يكون مميتاً. والآن تم تسجيل زيادة في معدلات التشوهات الخلقية. والآن أعتقد أن المشكلة التي أثرت أثناء التشخيص الوراثي لما قبل زراعة البويضة تشابك مع قضية الإجهاض. لأنه للآن - وللأسف - تحدث حوالي ٤٠ مليون حالة إجهاض سنوياً في العالم دون مبررات طبية. هذه كارثة كبيرة ولا زالت مستمرة. ويسمح معظم دول العالم بالإجهاض الانتقائي وليس الإجهاض الطبي فحسب. ففي الوقت الحالي يسمح ما يزيد على ثلثي حكومات الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة بالإجهاض الانتقائي. أما عن التشخيص الوراثي لما قبل زراعة البويضة فهو أمر يتسم بالصعوبة ويجب علينا - إن كنا سنخوضه - أن نعرف أوجه قصوره في البداية، وأي من الأعراض الجانبية التي يمكن أن تحدث سيكون في نطاق محدود لا يمكنه تغيير ديموجرافية السكان، غير أنه من الممكن أن يساعد الكثير من الأسر على تفادي الإجهاض، إذ الإجهاض هو إخراج محتويات الرحم خارجه. ولا يوجد إجهاض في مرحلة ما قبل زراعة البويضة على الإطلاق. ولدينا فتاوى سأعرضها في محاضرتي التي

سألقيها فيما بعد، غير أن هناك فتاوى تحلل الإجهاض لأمراض خلقية خطيرة. والسؤال هو: ما مدى خطورة هذه الأمراض؟ هل تعد تريزومي ٢١ مرضاً خلقياً خطيراً أم أن تريزومي ١٨ و١٣ فقط هما اللتان يمكن اعتبارهما كذلك؟ وما هو نوع الأمراض الخلقية أو حتى الوراثة التي تضمها مثل هذه الفتوى؟ والآن تبرز مشكلة التحكم في عملية الزرع. فأنت تحضرتُ قليلاً - أثناء تسجيل بيانات الخلية التي تصنعها - ثم يمكنك بعدئذ بطبيعة الحال المساعدة في تصنيع نخاع العظمي. ولا يسمح بزراعة الأعضاء في الدين الإسلامي. فبالنسبة لطفلي - حتى وإن كان قد تمت ولادته بالفعل - فهذا حرام لأنه قاصر، ويجب أن يكون راشداً كي يمنح موافقته الحرة. غير أن هذه لا تعد موافقة حرة الآن باستثناء نخاع العظام الذي سيتم قبوله.

الرئيس: أشكرك. الكلمة الآن للدكتور. عبد الغفار الشريف.

د. عبد الغفار الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم.. هناك قضايا كثيرة أثيرت في هذه المحاضرات القيمة وفي التعقيبات. القضية الأولى الخطيرة التي أحب أن أكمل ما بدأه الدكتور تقي الدين العثماني: أنه لا يوجد من يفكر في أن يأخذ دور الخالق في التخليق هذه، فقضية الدخول في الجينات والعمليات لا تدخل في قضية القضاء والقدر ومعارضة قدرة الله؛ لأن الله عز وجل قد كتب هذا القدر وقضاه منذ الأزل كما في الرزق وفي طلب العلاج، فأنا لا أريد أن أقول كل شيء يعارض القضاء والقدر، يجب أن نبدأ الأمور من أولها إنما القضاء أن الله عز وجل قد قضى في بعض الأمور بهذه الطريقة ولأسباب.

القضية الثانية: أنا أعتقد أن الكل عنده أخلاقيات حتى العلمانيين، لكن المنطلق النظرة الخلقية تختلف بين المتدين الذي يستمد أخلاقياته من تعاليم الدين وبين غير المتدين الذي قد يكون السقف الأعلى له المصلحة أعني مصلحة البشرية، الكل سواء المتدينون أو العلمانيون في



قرارة أنفسهم يسعون إلى تحقيق السعادة البشرية، لكن يختلف الطريق، والمتدينون لهم شرع ولهم أخلاق يستمدونها من السماء يتحاكمون إليها، القضية الخطيرة نحن هنا في القضايا العلمية منذ قرون عندما نبحث في القضايا أصبحنا لا نحسب أثرا لتأثير هذا على العلوم الإنسانية، اليوم الذي يحرك الكون ليس العلماء الماديون وإنما من يحرك الكون ويتصرف في قضايا مصير الناس هم علماء العلوم الإنسانية: الاجتماع، وعلم النفس، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، ومع الأسف فإن هذا التقدم العلمي أثر سلبا حتى على العلوم الإنسانية بعد أن رأى علماء الاجتماع - وهذه النظرية حديثة خرجت في أواخر القرن العشرين أوائل الثمانينات - رأوا [أن التقدم العلمي أدى إلى القضاء على الكثير من الأمراض، وإلى تطويل عمر الإنسان، وإلى زيادة عدد الناس في الكون، ووجدوا أن الموارد في الأرض محدودة، ومحدودية الموارد تعني أن الكون سينتهي إلى هلاك أقرب مما كان مقدرا له أو متوقعا سابقا، وحتى نكتشف موارد أخرى في الكواكب الأخرى قمنا بغزو الكواكب واكتشافها، وإذاً فيجب أن نحدد عدد المستهلكين] وطبعا قسموا الناس إلى بشر متقدمين منتجين وبشر مستهلكين وهو العالم الثالث؛ ولذلك من أخطر النظريات في علم الاجتماع والسياسة اليوم هي (نظرية الكوارث المصطنعة) هذه النظرية تقول: [يجب على الأمم المتقدمة أن توجد مشاكل وكوارث سواء كانت حروبا أو أمراضا في الأمم المتخلفة حتى تقلل من الزيادة البشرية فيها لأنها أصبحت تستهلك ولا تعطي فرصة للمنتجين للبحث عن موارد أخرى]، والقضية المشكلة أن الكل يدعي الأخلاق، والكل يتكلم نظريا، وعندما نتكلم، نتكلم عن الرجوع عن أخلاقيات المهنة، بل في كثير من جامعاتنا والجامعات العالمية تدرس أخلاقيات المهنة، وأصبحت موجودة لكن القضية هل هناك دافع عملي؟ المشكلة أن العلم

مهتم بالماديات فعلماء علوم الإنسانية اهتموا بأشياء كالفكر وبقيت الروح خاوية وما أصبح هناك تدريب روحاني، بينما في الأمم السابقة - سواء كانوا يهودا أو مسيحيين أو مسلمين - كان عندهم تدريب روحاني إيماني، اليوم هذا التدريب الروحاني الذي تمثل في التدريب الإيماني غالباً غير موجود حتى في الديانات الفلسفية التي كانت تعمل على إحياء الإنسان داخلياً مثل: البوذية، والحركات الصوفية، أعتقد أننا نفكر في الاستفادة من فوائد هذه الأمور حتى ينعكس أثرها على العلم وعلى التقدم العلمي وشكراً.

الرئيس: والآن سأمنح كل متحدث ١٠ دقائق للرد على التساؤلات الموجهة إليه.

د. ليزا ليحمان: أشكركم على كل الأسئلة الممتازة وإن كنت لا أعلم إن كان بمقدوري الإجابة عنها في عشر دقائق. يمكنني أن أعلق على كل منها في عجلة وأتمنى أن تتاح لنا فرصة لمناقشة تلك القضايا الهامة بشكل أوسع في الجلسات المقبلة للمؤتمر.

أولاً، رداً على الشيخ السلامي، أشكرك بشدة على تعليقك بشأن الشريعة الإسلامية. وأود أن أوضح أنني لم أقصد بأي حال من الأحوال استنباط أية نتائج بشأن المقبول في أي من الأديان فيما يتعلق بالإجهاض. وإنما أردت فقط التعليق على فهمي لحالة الجنين؛ لأنني ظننت أن هناك مبدأً وأساساً هاما للفهم الأعمق لمثل هذه القضايا. وأود أن أوضح أن جميع تعليقاتي دارت حول استخدام الجنين قبل زراعته في الرحم. وفكرة التشخيص الوراثي قبل زراعة الجنين لا تشير بأي حال إلى استغلال الجنين، أو دعونا نقول: (الحيوان المنوي والبويضة المندمجان خارج الرحم). عفواً لكنني أود أن أكون بغاية الوضوح فيما يتعلق بسياق الحديث.

أظن أن هناك تعليقات كثيرة حول التداخل بين الأديان المتنوعة: بين الإسلام والمسيحية واليهودية. وأود أن أشير في الواقع إلى بعض الاختلافات المثيرة من المنظور الكاثوليكي عنها في ما أفهمه من الديانتين اليهودية و الإسلامية ومنظورهما المختلف للجنين حين يكون خارج الرحم. أختلف معك في التعليق على هذا بالقول (إن الجنين خارج الرحم من المنظور الكاثوليكي يمكن مقارنته بالجنين داخل الرحم). وتكون بذلك إحدى النتائج المترتبة على ذلك هي إمكانية استغلال الجنين لإعادة تخليق خلايا أو للقيام ببعض الاختبارات. أما عن السماح بإجراء تشخيص جيني قبل زراعة الجنين، فيختلف في المنظور الكاثوليكي والمسيحي عنه في كل من المنظورين اليهودي والإسلامي اختلافاً شديداً.

أما عن النقطة الثانية وهي: المناطق المشتركة بين الأديان المختلفة لأن من مهامنا معرفة حيثما تكون هناك مناطق اتفاق وحيثما ينشب الخلاف من أجل فهم أفضل للأديان المختلفة. أعتقد أن الديانة اليهودية - وأود أن أكون بغاية الوضوح - تتشدد كثيراً على قدسية الحياة البشرية. لا أعلم من قام بالتعليق قائلاً: (إن الإسلام يقول بقدسية الحياة بينما في اليهودية القدسية تناط بالروح). لا أظن أن هذا التعليق دقيق. فمن منظور الديانة اليهودية فإنها تؤكد بشدة على قدسية الحياة، كما أود أن أشير إلى أنه ليس هناك باحث يهودي واحد في القضايا الأخلاقية للطب لا يقول بغير ذلك غير أن هناك العديد من المناظر اليهودية في هذا الصدد. ومن الهام بمكان أن يكون أصحاب الديانات الأخرى على دراية - حين نتحدث عن الديانة اليهودية - بأنه ليس هناك منظور يهودي واحد، بل هناك مناظر متعددة في إطار اليهودية المتحفظة، وأوسع من هذا في إطار اليهودية في فروعها المتباينة وتختلف هذه المناظر في العديد من المناحي. وحيث إننا

ذكرنا هذا، فحتى بين أكثر العناصر المتحفظة في الديانة اليهودية - حتى في الأورثوذكسية اليهودية - قدسية الحياة الإنسانية ليست غير محدودة. فهناك أيضاً إقرار بالمعاناة الفردية والاحتياج البشري. ومن ثم، كان هناك أيضاً تعليق عليه من حيث المصالح. إن الأديان ركزت على الشريعة الدينية بينما يتمركز المنهج العلماني بشكل أكبر حول المصلحة. أظنه من المثير أن نلاحظ أنه من المنظور اليهودي تعد المعاناة والاحتياجات الإنسانية عاملاً هاماً في اتخاذ القرارات بشأن تلك القضايا. لذا- وبهذا المعنى- ليس المنظور العلماني وحده هو الذي يشدد على المصالح البشرية وأنواع المعاناة خاصة بالطريقة التي تم التوصل بها إلى هذه القرارات من المنظور اليهودي.

أما المنطقة الأخرى فأعتقد أنها مثيرة من حيث البحث عن مناطق الاتفاق؛ فقد كان هناك تعليق حول كون الله وحده هو الخالق ولا أحد غيره يقدر على ذلك. وطُرح تساؤل حول ما إذا كان ينبغي علينا أن نلوم الله على الأطفال المولودين بعيوب وتشوهات وراثية؟ لا أظن أنه يجب علينا الذهاب إلى هذا المدى للدعاء بأننا نحاول الوقاية من المرض. من المثير أيضاً أن نلاحظ من المنظور اليهودي - رغم أننا لا نؤمن بالضرورة - أن على الناس أن يلعبوا دور الرب. فمن منطلق فهمنا، أن من مهام الإنسان في العالم تحسينه. فالإنسان خلق في صورة الرب والرب هو الخالق. وهناك شريحة في اليهودية تؤكد على القدرة الخلاقة للإنسان. من ثم، فإن هذا يعطينا التصريح باستخدام التقنية للشفاء في محاولة لشفاء الأمراض. أشكركم بشدة.

الرئيس: شكراً لك. كان هذا هو المطلوب غير أنه ما زال أمامك الكثير من الأسئلة لتجيب عنها. غير أنه من الممكن أن تتحاور مع من أثاروا هذه الأسئلة. نعم، الدكتور منير فرج.

د. منير فرج: أشكرك يا د. عوضي. للرد على د. ليحمان فإني

أعتقد أن الموقف الكاثوليكي تجاه التخصيب الصناعي أو الجنين خارج الرحم هو موقف غير مقبول من الناحية الأخلاقية، لأن هذا الجنين يعد أيضاً إنساناً. كما أن الأسلوب أو طريقة إجراء هذا الأمر في حد ذاتها هي طريقة مرفوضة أخلاقياً؛ لأنه حيث إنه يعد إنساناً منذ تلقيح البويضة التي من المفترض أن يتم زراعتها لاحقاً في الرحم، فإن الحياة تبدأ من هذه المرحلة وهنا أيضاً لا تعد العملية مقبولة من الناحية الأخلاقية.

لأنك تقوم باختيار شخص ما فقد منحنا أنفسنا حق الاختيار وهذا غير مقبول أخلاقياً من جانب الكنيسة الكاثوليكية.

وهناك قضية أخلاقية أخرى وهي المفهوم الكاثوليكي للزواج كوحدة بين الزوج وزوجته في إطار الزواج، إذن الزواج وحدة وتكاثر إن أراد الله تعالى. ولهذا السبب فعندما نقوم بذلك خارج الرحم الطبيعي، يمكننا القول من الناحية الأخلاقية: إن هناك طرفاً ثالثاً في هذه العملية. لذا وكإجابة على سؤالك فإن هذا غير مقبول أخلاقياً في المفهوم الكاثوليكي.

الرئيس: الشيخ السلامي، على الرحب والسعة... الشيخ السلامي تفضل.

الشيخ محمد مختار السلامي: بسم الله الرحمن الرحيم أريد أن أبدأ حديثي بما قرأته في كتاب أن (مسكويين) ألقى على أستاذه من المشاكل التي لم يفهمها رغم تعمقه في الفلسفة فكان من بين هذه الأسئلة أنه قال: (لماذا يكون الشخص ذكياً لامعا يرجع إليه الناس فيستتيرون برأيه ويكون رأيه عند من يعرفه هو الصواب والمنهج الحي، فلماذا يكون هذا الشخص ذاته إذا فكر في أمر نفسه يكون كبقية البشر يصيب ويخطئ؟) فكان جواب أستاذه إليه [أنه إذا نظر في أمر نفسه نظر بعقله وعاطفته وإذا نظر في أمر غيره نظر بعقله، والعقل بصير والعاطفة

عمياء تقع في الخير والشر] ومن هذا الخير والشر إذا أعطى للإنسان أن يحكم به وأن يعطي هذه المعايير لأفعال البشر فإنه يخطئ سواء كان فردا أو جماعة وأعطي أمثلة لهذا، فنحن نجد الشيء الواحد يعتبر شرا في بلد ويكون ممنوعاً ويعاقب عليه ويكون جائزا ومباحا ولا ضير فيه في بلد آخر. مثلا المخدرات.. فالمخدرات في أوروبا ذاتها في بلد ممنوعة تماما وفي بلد آخر غير ممنوعة، وأعتقد أن هناك بعض البرلمانات وافقت على استعمال القنبلة الذرية وغيرها، وإذا نظرنا إلى هذا الاستعمال لوجدناه شرا لا شك فيه، ولكنهم نظروا فيه بعواطفهم، إذن فالأصل هنا في الفرق بين المؤمن وغير المؤمن الخير والشر، بالنسبة للمؤمن لا يقف عند الدنيا ولكن يتعدى ذلك إلى الآخرة، النظرة لا تقف عند الحدود الواقعية ولكن تتجاوزها إلى ما وراء ذلك إلى يوم القيامة إلى الحساب الكامل عند العدالة الكاملة، وهذا ما يفتقده العلماني فهو محدود النظر محدود البصر محدود البصيرة، فالواقع تؤثر فيه عواطفه... هذه واحدة. الأمر الثاني أظن أنني استشهدت في هذه المداخلة بقول بعض من كتب في العلوم شعرا يقول (لا تطوير كله هم فصار فيه الالتزام ملتزم)، لكن الاختصار جنى عليه فقد اختصرت.



## الجلسة العلمية الخامسة رؤية إسلامية ومهنية حول القضايا الأخلاقية للتقنيات الحديثة للإنجاب

الرئيس: المستشار عبد العيسى

المقرر: الدكتورة حبيبة الشعبوني

المتحدثون:

١ - الدكتور جمال أبو السرور

٢ - الشيخ محمد علي التسخيري

٣ - الدكتورة صديقة العوضي





# وجهات النظر الإسلامية في القضايا الأخلاقية المتعلقة بتقنيات الإنجاب

الدكتور جمال أبو السرور



## وجهات النظر الإسلامية في القضايا الأخلاقية المتعلقة بتقنيات الإنجاب

د. جمال أبو السرور

أستاذ التوليد و أمراض النساء

مدير المركز الإسلامي الدولي للدراسات والأبحاث السكانية

بجامعة الأزهر

قبل ظهور التقنيات المساعدة على الإنجاب لم تكن الوسائل المستخدمة لعلاج العقم تثير أية قضايا أخلاقية أو مشاكل تتعلق بجنس الجنين، وكان العلاج - سواء بالطرق الطبية أو عن طريق الهرمونات أو بالتدخل الجراحي - ينحصر في الطرف المسبب لعدم الإنجاب، وكان التكاثر يتم نتيجة لجماع جنسي بين الزوج وزوجته في أغلب الأحيان دون إشراك أي طرف ثالث.

وقد جلب استخدام التقنيات المساعدة على الإنجاب العديد من المشاكل وأثار العديد من القضايا، إن التعامل مع الأمشاج في المختبر أصبح مجالاً يسمح لطرف ثالث بالمشاركة في عملية التكاثر، كما أنه يسمح بإسهام أطراف أخرى قد يتبرعون بالبويضة أو بالخلايا المنوية أو بجنين مضغي (بويضة ملقحة) أو حتى بالرحم الذي سوف يحمل الجنين، وأصبح بالإمكان أن يتكاثر زوجان ويحصلان على أطفال دون

أن يتم بينهما جماع جنسي، وأكثر من ذلك أصبح في مقدور الأطباء أن يحددوا نوع الوليد من حيث الذكورة أو الأنوثة وأن يجروا أبحاثاً ويتحكموا في البنية الوراثية للأجنة قبل حقنها في رحم الأم؛ ولذلك أصبح من الضروري إصدار ضوابط وتشريعات في الدول المختلفة لتنظيم أبحاث تقنيات الإنجاب وتطبيقاتها.

ويناقش هذا البحث بإيجاز خلفيات الفلسفة الأخلاقية لعلوم الحياة والضوابط والتشريعات في مجال تقنيات الإنجاب مع التركيز على وجهات النظر الإسلامية فيما يختص بذلك. كما يتناول البحث أخيراً موضوع جنس الجنين في الإنجاب الذي يتم بالوسائل التقنية الحديثة من المنظور الإسلامي.

### أخلاقيات علوم الحياة، والضوابط، والتشريعات:

أخلاقيات علوم الحياة هي دراسة للقضايا الأخلاقية والاجتماعية والقانونية والفلسفية وغيرها من القضايا ذات الصلة التي تنشأ عن ممارسات الرعاية الصحية وعلوم الحياة (البيولوجيا).

وتنطوي المبادئ الأخلاقية على ما هو معروف من مبادئ العدل واحترام ذاتية الأفراد وضرورة جلب المنفعة ودرء الأذى والحفاظ على سرية المعلومات، أما مبدأ العدالة فيشمل كلاً من: عدالة التوزيع (أي موازنة الأعباء بالفوائد)، وعدالة التصحيح وتعني التعويض عما يقع من أعمال خاطئة.

وتقوم الأخلاقيات الطبية على المثل العليا الأدبية والدينية والفلسفية وعلى مبادئ المجتمع الذي تتم فيه هذه الممارسات الطبية. لذلك، فليس من الغريب أن نجد أن ما يعتبر أخلاقياً في مجتمع ما قد

لا يكون كذلك في مجتمع آخر؛ لذلك يلزم الأطباء ومن ينتقدون تصرفاتهم أن يكونوا على دراية بخلفيات كل مجتمع قبل إصدار أحكامهم على ما يتخذه الأطباء من قرارات في مزاولتهم لأعمالهم. ويتلون الموقف الأخلاقي للفرد بلون مواقف مجتمعه التي تعكس بدورها ما يهتم علماء الدين وعلماء الدراسات السكانية والقائمين على شؤون تنظيم الأسرة والأطباء وصانعي السياسة وعلماء الاجتماع وخبراء الاقتصاد ورجال القانون، وعلى المسؤولين من صانعي سياسة المهن الطبية في كل دولة أن يقرروا ما يمكن اعتباره مقبولا أخلاقيا في بلدهم. مسترشدين بالضوابط الدولية التي ينبغي مواءمتها مع أوضاع مجتمعهم. ويتمثل السلوك الأخلاقي الحقيقي في أن يبحث كل فرد عن القيم ذات الصلة حتى يتمكن من اتخاذ القرار الذي توحى به هذه القيم ويحتاج الذين يقيمون وزنا للدين - والمسلمون يفعلون ذلك - إلى التمييز بين الأخلاقيات الطبية من جهة والتعاليم الدينية والقوانين القومية من جهة أخرى، وما يشغل بال الطبيب دائما هو الأساس القانوني لما يتولى القيام به من أعمال يراعى فيها السلوك الأخلاقي.

### الضوابط الأخلاقية :

تصدر هذه الضوابط بشكل غير رسمي نسبيا عن هيئات تتمتع بسلطات تخولها بذلك مثل النقابات الطبية ومراكز الأبحاث الجامعية الذين يستطيعون القيام بإرشاد حقيقي، ويمكن لهذه الضوابط أن تحدد المبادئ الأخلاقية الأساسية وتوضح التفاعل بينهما وسلم أولوياتها. ويسترشد بها الباحثون والأطباء في مجابهة المعضلات الأخلاقية عندما يضعون خططهم ودراساتهم وعندما يقومون بعلاج مرضاهم، وتهم هذه

الضوابط الطيب الذي يشغله الأساس القانوني للعمل الذي يؤديه بناء على ما يؤمن به من مبادئ أخلاقية إذ ليس من المستبعد أن يكون هناك تعارض أحيانا بين القانون والأخلاق.

### التشريعات القانونية :

ليست هذه التشريعات بالمرونة التي نجد عليها الضوابط؛ فهي لم توضع لكي ترشد بل لكي تحكم السلوك المستقبلي، وتأتي نتيجة لاقتناع المشرعين بأنهم استطاعوا تحديد السلوك الصحيح وتمييزه عن السلوك الخاطئ، ويستخدم المشرعون سلطاتهم القضائية لتقرير ما يجب فعله وتحديد العقاب لمن يفعل ما لا يجب فعله. وعادة ما تحاول القوانين مراعاة الاختيارات الأخلاقية في السلوك بحيث لا ترغم أحدا على القيام بشيء يعتبره منافيا للأخلاق.

وعلى المسؤولين من واضعي السياسات في كل دولة أن يسترشدوا بالضوابط الدولية عندما يقررون ما يمكن القبول به أخلاقيا في بلدهم ومن شأن ذلك أن يقلل كثيرا من التعارض بين الأخلاق والقانون حينئذ، سوف يطمئن الأطباء أن قراراتهم التي يستوحونها من مبادئهم الأخلاقية تتوافق وتتواءم مع قوانين بلادهم.

### وجهات النظر الإسلامية بشأن تقنيات الإنجاب :

تتناول التعاليم الإسلامية جميع أوجه النشاط الإنساني: الروحاني والمادي، الفردي والاجتماعي، التعليمي والثقافي، الاقتصادي والسياسي، القومي والعالمية. والتعليمات التي تنظم نشاطات الحياة اليومية وينبغي على كل مسلم أن يلتزم بها وتسمى الشريعة، وهناك مصدران للشريعة في الإسلام: مصادر أولية، ومصادر ثانوية، والمصادر الأولية وفق الترتيب الزمني هي:

- القرآن، وهو كلمة الله للإنسان.
- السنة والحديث، وهي أفعال الرسول وأقواله الحقيقية كما جمعها المتخصصون في علم الأحاديث النبوية.
- الإجماع، وهو ما يجمع عليه علماء المسلمين وأئمتهم.
- القياس، وهو الاستخدام الذكي للمنطق للحكم على أحداث لم يرد ذكرها في القرآن أو السنة قياساً على أحداث مشابهة صدرت بشأنها أحكام مؤكدة.
- والمسلم الصالح يلجأ إلى المصادر الثانوية للشريعة في الأمور التي لم تتناولها المصادر الأولية. والمصادر الثانوية هي:
  - الاستحسان، وهو الاستقرار على أحد الخيارات القانونية المتاحة.
  - ما كان يراه أصحاب النبي (ﷺ).
  - العادات والأعراف المحلية، إذا كانت قانونية.
  - الصالح العالم وأحكام أديان سماوية سابقة ما لم تتعارض مع المصادر الأولية للشريعة.
- وتصنف الشريعة جميع أفعال الإنسان بدون استثناء إلى الفئات الخمس التالية:
  - واجبة الأداء، كالصيام والصلاة.
  - يوصى بأدائها، كالزواج وتكوين الأسرة.
  - مرخص بها، كالإفطار في رمضان إذا كان مريضاً أو على سفر.
  - مكروهة وليست محرمة، كالطلاق.
  - محرمة تماماً كالقتل.



وتباح بعض المحظورات إذا كان البديل عنها يسبب الأذى. فالشريعة ليست جامدة، وهي من المرونة بمكان بحيث تتكيف مع المواقف الطارئة في الأزمان والأماكن المختلفة، ويمكنها أن تستوعب مختلف الآراء الصادقة طالما أنها لا تخالف روح مصادرها الأولية ويكون الهدف منها نفع الإنسانية.

ليس هناك ذكر للتقنيات المساعدة على الإنجاب في المصادر الأولية للشريعة إلا أن هذه المصادر نفسها تؤكد على أهمية الزواج وتكوين الأسرة والتكاثر. كما أن الإسلام يرفض التبنى واعتباره حلاً لمشكلة العقم. ومع ذلك يستطيع المرء أن يتبنى طفلاً بكل ما يتضمنه ذلك من التزامات فيما عدا إعطاء الطفل اسم العائلة.

ويبيح الإسلام علاج العقم بل ويشجع ذلك شريطة ألا يكون العلاج بالمحرمات، بل إن هذا العلاج يصبح ضرورياً إذا كان يؤدي إلى الحفاظ على عملية التكاثر ويصلح حالة العقم عند أحد الزوجين. وينطبق ذلك أيضاً على التقنيات المساعدة على الإنجاب فهي أحد وسائل علاج العقم، ولا يستثني من ذلك التقنيات الحديثة التي تشتمل على المعالجة الباردة لأشياء صغيرة جداً كالبيضات التي لم يكتمل نموها بعد وذلك للتمكين من تلقيحها، إن الأخذ بأسباب الوقاية من ضعف الخصوبة أو العقم الكامل بعلاجهما يكتسبان أهمية خاصة في العالم الإسلامي؛ إذ ترتبط المكانة الاجتماعية للمرأة المسلمة ويرتبط شعورها بالكرامة واحترام الذات بقدرتها على الإنجاب وتربية الأولاد، فهذه الأمور تعتبر من صميم الالتزامات الأسرية وليست مجرد وظائف بيولوجية.

وينظر إلى نقاء الأنساب باعتباره من الأسس الراسخة في هوية المسلم وفي بنية أسرته، ويفصح اسم العائلة عن نسب الفرد، لذلك لا يسمح بإعطاء هذا الاسم لطفل تتبناه الأسرة، وبنفس هذا المنطق

يُحدث التبرع بخلايا منوية أو بويضات شرحاً في حلقات سلسلة العائلة الوراثية، وهو لذلك عمل مدان كأنه خيانة زوجية.

## وجهات النظر الإسلامية بشأن حق اختيار أسلوب التناسل

### في التقنيات المساعدة على الإنجاب:

إن اختيار وسيلة الإنجاب هو حق الفرد في أن يختار بمحض إرادته أداءه الإنجابي بما في ذلك إمكانياته الإنجابية، وعلى الرغم من أن اختيار أسلوب الإنجاب في الأساس مسألة شخصية، إلا أن ذلك يمثل جزءاً من الحقيقة وليس الحقيقة كلها؛ ذلك أن الإنجاب عملية لا تقتصر على الشخص الذي يقوم بهذا الاختيار وإنما تشمل كذلك الطرف الآخر، والأسرة، والمجتمع بل والعالم بأسره، ولذلك ليس من المستغرب أن يتأثر الاختيار الإنجابي بالعديد من السياقات المختلفة، وبالثقافة والدين كما يتأثر بالموقف الرسمي الذي تتخذه المجتمعات المختلفة.

ولم يكن الاختيار الإنجابي بهذه الأهمية قبل استخدام الوسائل التقنية المساعدة على الإنجاب؛ إذ كان قاصراً - في أغلب الأحيان - على الأمور المتعلقة بتنظيم الأسرة والتعقيم. ولم يكن في إمكان الزوجين إنجاب أطفال إلا عن طريق الجماع الجنسي، كما لم يكن في مقدورهما التحكم في جنس الجنين أو توقيت الحمل، أما تقنيات الإنجاب فقد أفسحت المجال لإشراك طرف ثالث وإسهامه في عملية التكاثر، كما صار ممكناً الحصول على ذرية دون الحاجة إلى جماع جنسي، ويحدث ذلك أحياناً في أعمار متقدمه جداً. كما صار ممكناً من خلال هذه التقنيات الحصول على الجنس المرغوب للطفل القادم.

وقد أصدرت العديد من الدول تشريعات تنظم أبحاث هذه التقنيات وممارساتها. كما صدر عن كثير من الهيئات المخولة لذلك ضوابط وتعليمات لإرشاد الأطباء في تعاملهم مع مرضاهم.

وقد يتصادم اختيار الفرد لأسلوب الإنجاب مع مصالح مجتمعه. ففي الأمور المتعلقة بالإنجاب لا يملك الفرد دائما أن يكون له ما يريد متجاهلا ما يريده مجتمعه أو بلده، ولذلك قد يلجأ بعض الناس إلى السفر بعيدا عن مجتمعاتهم للحصول على ما يريدونه في هذا المجال ولا يكون مسموحا به في مجتمعاتهم أو بلدانهم، وليس هذا السلوك قاصرا على بلد واحد أو أتباع دين معين، فالأطباء الذين يشتغلون بتقنيات الإنجاب يعلمون جيدا أن بعض المسلمين يطيرون إلى أوروبا أو إلى الولايات المتحدة لتحقيق رغبات إنجابية تنكرها عليهم مجتمعاتهم وبلادهم، ويوجد مثل هذا السلوك أيضا بين سكان بعض الدول الأوروبية التي تختلف لوائحها التنظيمية لعملية الإنجاب ومع عولمة الطب ينبغي على الأطباء من غير المسلمين سواء كانوا يعملون في دول إسلامية أو غير إسلامية أن يكونوا على دراية بما هو مقبول أخلاقيا من وسائل وطرق العلاج في تقنيات الإنجاب عندما يقومون بإرشاد مرضاهم من المسلمين في الأمور الخاصة بعلاج عقمهم، كذلك ينبغي على الأطباء المسلمين الذين يعملون في دول غير إسلامية أن يكونوا على دراية بالاختلافات في المعايير الأخلاقية عندما يقومون بإرشاد مرضاهم من غير المسلمين. فإذا لم يستطع الطبيب توفير الوسيلة المطلوبة من تقنيات الإنجاب يصبح لزاما عليه أن يحيلهم إلى العيادات والمراكز التي توفر لهم هذه الوسيلة، وبذلك يكون تصرفا غير أخلاقي لو أن الطبيب رفض تقديم مثل هذه الوسيلة العلاجية لمجرد أنها لا تتفق مع معتقداته ومبادئه الأخلاقية.

## قضايا جنس الجنين في تقنيات الإنجاب من المنظور الإسلامي:

### ١. تقنيات الإنجاب في مرحلة ما بعد توقف الطمث:

إذا كان يقال: إن الرجل يستطيع الإنجاب وهو في أي مرحلة عمرية، فلماذا نحرم المرأة من أن تحمل وتلد باستخدام تقنيات الإنجاب في مرحلة ما بعد توقف الطمث إذا كانت ترغب في ذلك؟ وفي الماضي كان الحمل بعد توقف الطمث ممكنا عن طريق التبرع بالبويضة فقط، ولكن هذا الإجراء محرم في البلاد الإسلامية لأنه يؤدي إلى خلط الأنساب نتيجة لخلط الجينات، ولكن التوسع في استخدام البويضات المخصبة والمحفوظة بالتبريد أعاد إحياء موضوع الحمل بعد توقف الطمث. إن إمكانية نمو البويضة ووصولها إلى مرحلة النضج في أنبوب الاختبار يجعل من الممكن عمليا إنشاء بنك لحفظ هذه البويضات الناضجة وبالتالي يصبح الحمل بعد توقف الطمث أمرا ممكنا، وسوف تتفق غالبية الآراء على إجازة الحمل بعد توقف الطمث باستخدام البويضات المخصبة والمحفوظة بالتبريد والمأخوذة من الزوجة أثناء سريان عقد زواجها. إلا أن الحمل بعد توقف الطمث محفوظ بالمخاوف الأخلاقية. وأولها يتعلق بارتفاع معدل خطورة بدء الحمل وإكماله مع امرأة يزيد سنها عن السن الطبيعية للحمل والولادة. وثاني هذه المخاوف هو أن الأطفال يظلون في حاجة إلى رعاية الوالدين إلى أن يصلوا إلى منتصف مرحلة المراهقة، أما آخر هذه المخاوف فيدور حول القلق على عدالة توزيع الخدمات والانتفاع بالموارد الصحية.

وهناك اتفاق عام على السماح بالحمل بعد توقف الطمث في حالات استثنائية يبررها ما يأتي:

- الحفاظ على نسب الطفل.

- الظروف القاهرة.

- قدرة الأم على تحمل مسؤوليات الإنجاب وتوفير الأمومة للطفل.

## ٢. الوسائل المساعدة على الإنجاب في حالة عقم الذكر:

عندما ظهرت الوسائل التقنية المساعدة على الإنجاب على يد [ستيتو وإدواردز] كان الهدف منها علاج حالات العقم عند الأنثى التي لم تعد مبايضها تعمل لحدوث تلف تام بها، أما اليوم فإن تقنيات الإنجاب تنطبق على علاج أي سبب تقريبا من أسباب عدم الخصوبة. وعندما نجح باليرمو وآخرون في حقن السيتوبلازما بالخلايا المنوية أصبح في الإمكان علاج العقم عند الذكور باستخدام الوسائل التقنية المساعدة على الإنجاب، وأصبح من الأمور المألوفة أن تتناول الزوجة كثيرا من الأدوية وأن تتعرض لإجراءات علاجية مختلفة لا تخلو من المخاطر لعلاج عقم يرجع السبب فيه إلى الزوج، وفي كثير من مراكز علاج العقم بالوسائل التقنية لا يشرح أحد للزوجة أسباب تلقيها للعلاج، ولا أحد يصارحها بأن إجراءات العلاج مقصود بها علاج حالة من العقم سببها الزوج نفسه، ومن المعتاد خاصة في الدول النامية أن يذهب الزوجان إلى عيادات التخصيب الاصطناعي دون أن تعرف الزوجة أنها هناك لأن زوجها يعاني من قلة عدد الحيوانات المنوية في السائل المنوي أو ضعف هذه الحيوانات؛ لذلك ينبغي على الطبيب المعالج أن يشرح للزوجين بكل وضوح أسباب تلقي الزوجة لوسائل علاجية مثل: حقن السيتوبلازما بالخلايا المنوية بالرغم من أنها شخصيا تخلو من أي سبب يمنع الحمل.

## ٣. اختيار جنس الجنين:

أصبح في إمكان الزوجين بفضل التطور في التقنيات الطبية أن

يقررنا بكل حرية وتحمل للمسؤولية جنس الوليد القادم وفق مبدأ الاختيار الإنجابي، ويمكن تحقيق ذلك بتقنية دقيقة لفصل الحيات المنوية الحاملة لعامل X عن تلك الحاملة لعامل Y، ويتبع ذلك التلقيح داخل الرحم أو التلقيح الأنبوبي أو حقن السيتوبلازما بالحيات المنوية. كما يمكن تحقيق هذا الاختيار عن طريق التشخيص قبل زرع البويضة الملقحة في الرحم بناء على إزالة قسيمة جذعية عند مرحلة الانقسام إلى ٨ ١٢ خلية ورصد سلسلة ردود فعل البلمرة أو باستخدام تقنية التهجين الموضوعي الفلورسنتي.

### دلالات اختيار جنس الجنين:

تنقسم هذه الدلالات بشكل عام إلى دلالات طبية وأخرى اجتماعية، فمن الناحية الطبية هناك ما يربو على ٣٥٠ مرضاً ترتبط بعامل X، منها: الهيموفيليا، وضمور العضلات والاستسقاء الدماغية. وفي معظم الحالات توجد هذه الأمراض في الذرية من الذكور للأم الحاملة لجينات هذه الأمراض، واستخدام الوسائل المختلفة لتحديد جنس الجنين يسمح بأن تحمل الأم في أنثى غير مصابة بأحد هذه الأمراض ومنع ولادة طفل ذكر تثبت إصابته، على أن هذه الوسائل لن تمنع ولادة أنثى حاملة لجينات هذه الأمراض، وفضلاً عن هذه الضرورات الطبية التي تبرر تحديد جنس الجنين، يرغب الزوجان أحياناً في مولود ذكر أو مولودة أنثى لإعادة التوازن بين الجنسين في ذريتهما. وقد يرغب الزوجان في اختيار جنس معين لطفلهما لمجرد تفضيلهما لهذا الجنس بصرف النظر عن الحاجة لإعادة التوازن بين أطفال الأسرة، ومن هنا يلزم إصدار قواعد محكمة لتنظيم هذه الممارسات لتجنب التمييز خاصة ضد الإناث من الأطفال.

## الاعتبارات الأخلاقية:

إن الاهتمام بجنس الجنين له تاريخ طويل يعود إلى الثقافات القديمة، وكانت طرق تحديده تتراوح ما بين اختيار أوقات وأساليب معينة للجماع والإجراء القاسي بقتل الوليد، وفي كثير من المجتمعات الآن تحرم المولودة الأنثى من حقها في الحياة، ولم يتم حتى الآن القضاء على ظاهرة قتل المولودة الأنثى التي كانت سائدة في مجتمعات الماضي، إلا أنها أخذت أشكالاً جديدة. فقد تم استغلال التقنيات الجديدة في إجهاض الحمل إذا تبين أن الجنين أنثى، ثم تغير ذلك إلى منع الحمل أصلاً باستخدام تقنية التشخيص قبل زرع البويضة الملقحة في الرحم، وكذلك عن طريق فصل الحيات المنوية الحاملة للعامل X عن تلك الحاملة للعامل Y. والأرقام الواردة من الصين وكوريا الجنوبية عن اتجاهات النسبة بين الذكور والإناث عند الولادة تبين كيف يؤثر استخدام وسيلة الإجهاض الانتقائي على هذه النسبة. وتبين أن إحصاءً تم لجميع المواليد أظهر أن هناك ١١٣ من الذكور لكل ١٠٠ من الإناث، ولكن استخدام نفس هذه التقنيات لرصد الأجنة التي تحمل أمراضاً وراثية ترتبط بالعامل X سمح للوالدين باختيار جنس الجنين قبل الحمل أو قبل الولادة، وعلى قدر ما نرحب باستخدام التقنيات الجديدة لمنع الأمراض ونشجعه، إلا أن اختيار جنس الجنين لمجرد تفضيل جنس على آخر قد أثار جدلاً واسع النطاق حول أخلاقيات هذا الاختيار.

في عام ١٩٩٩ انتهت لجنة الأخلاقيات بالجمعية الأمريكية للطب الإنجابي إلى أنه لا يجب تشجيع استخدام تقنية التشخيص قبل الحقن في الرحم من أجل تحديد جنس الوليد لأسباب غير طبية لما يمثله ذلك من انحياز غير مبرر لأحد الجنسين وإضرار بالمجتمع، كما أنه يؤدي إلى الانحراف بالموارد الطبية عن مسارها الصحيح الذي يستهدف الاحتياجات الطبية الحقيقية. ويقول [سافوليسكو] وآخرون: إن حق

اختيار جنس الجنين ينبغي أن يكون متاحاً على الأقل في المراكز الخاصة للرعاية الصحية. وقد اعترفت لجنة FIGO للأخلاقيات بأن الإجهاض الانتقائي سواء كان الجنين ذكراً أم أنثى، كإجراء لاختيار جنس المولود ينتهك مبادئ أخلاقيين على جانب كبير من الأهمية:

### مبدأ حماية الضعيف، ومبدأ العدالة:

أما تحديد جنس الجنين قبل زرع البويضة الملقحة في الرحم بهدف تجنب الأمراض الوراثية المرتبطة بجنس الجنين فهو إجراء له مبرره الطبي القوي، كما يمكن تبريره من الناحية الاجتماعية عندما يكون الهدف هو السماح للأطفال من الجنسين بالتمتع بحب الوالدين ورعايتهم، ولكن ذلك لا ينبغي أن يتعارض مع القيم الأخرى للمجتمع الذي تطبق فيه هذه التقنية، ولا يجب مطلقاً أن تستخدم هذه التقنية كوسيلة للتمييز ضد أي من الجنسين، خاصة الإناث، إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يمثل الأساس لوحدة كافة أعضاء الأسرة الإنسانية واعترافاً بما لهم من كرامة متأصلة وحق في التنوع، وهذا هو ميراث البشرية، بمعناه الرمزي.

وينص البند السادس من الإعلان العالمي للجنينوم البشري وحقوق الإنسان على أنه لن يخضع أحد للتمييز القائم على الصفات الوراثية التي يقصد بها التعدي على حقوق الإنسان أو يكون لها من الآثار ما ينتهك هذه الحقوق أو ينتهك الحريات الأساسية للإنسان أو يمس كرامته. ولا شك أن التسبب في الإجهاض بدافع اختيار جنس الجنين يعتبر انتهاكاً لحقوق الإنسان وتعدياً على الكرامة الإنسانية للطفل الذي كان ينتظر الحياة.

ولا ينطبق هذا القول على تقنيات تحديد جنس الجنين الذي سوف تحمله الأم وذلك قبل بدء الحمل؛ فالأمر هذا يعتمد على



اللحظة التي يكون فيها للجنين المكانة الكاملة للإنسان، وهي الشيء الذي يكتسبه الجنين تدريجياً، وقد يكون غير موجود في المرحلة الأولى من تشكيله.

وتختلف الآراء بشدة حول هذا الموضوع في المذهب البروتستانتي ويصعب أن نجد مصدراً واحداً بعينه يمكن الرجوع إليه، إلا أن الاتجاه العام في هذا المذهب يوحي بأن المسائل الأخلاقية تتحدد في ضمير الفرد، ومن هنا تتنوع المواقف من هذه القضية، ويقبل الفكر البروتستانتي لذلك أن تختلف رؤى المسيحيين حول هذه القضية وأن ذلك لا يتعارض في حال من الأحوال مع العقائد المسيحية، وأما الروم الكاثوليك فهم يؤمنون بأن الجنين يكتسب صفة الإنسان عند لحظة تخصيب البويضة وبدء انقسامها؛ لذلك فالجنين المضغي يعتبر شخصاً إنسانياً له حق الحياة، وبناء عليه يجب إعطاء هذا الجنين الفرصة ليتشكل ويتطور وينمو إلى كائن بشري مكتمل التكوين، وحياته لذلك مقدسة ولا يمكن إنهاؤها بكلمة من أي جهة بشرية، وفي المنظور الكاثوليكي تعتبر جميع وسائل اختيار جنس الجنين محرمة سواء لمبررات طبية أو اجتماعية، والاستثناء الوحيد من هذا التحريم قد ينحصر في تقنية فصل الحيات المنوية الحاملة للعامل X عن تلك الحاملة للعامل Y.

أما بالنسبة للمسلمين واليهود، فالحياة تبدأ في مرحلة لاحقة من تطور الجنين. ونتيجة لهذه الرؤية، يسمح باختيار جنس الجنين قبل بدء الحمل. ولكن ما أن يبدأ هذا الحمل حتى يصبح أمراً واقعاً لا ينبغي إجهاضه بدعوى أن الطفل سيكون من غير الجنس المرغوب، ويكشف هذا العرض الموجز - لمواقف الأديان المختلفة من وضع الجنين - مدى التناقض الصارخ بين هذه المواقف، والتعارض بين هذه المواقف يرجع إلى تحديد وضع الجنين من المنظور الأخلاقي، وأما إذا اتسع نطاق هذا المنظور فقد يكون هناك مجال لشيء من الاتفاق.

وإذا كنا نقر بحرية الفرد فيما يتعلق بالتكاثر، وأنه لا ينبغي فرض أية قيود على هذه الحرية إلا لأسباب قوية تبررها فإنه من الصعب أن نعتبر اختيار جنس الجنين لأسباب غير طبية أمراً منافياً للأخلاق ينبغي عدم تشجيع أحد عليه، وهناك في واقع الأمر تحفظات متعددة ضد اختيار جنس الجنين لأسباب غير طبية؛ منها على سبيل المثال: الافتراض بأن ذلك سوف يؤدي إلى خلل جسيم في النسبة بين الجنسين واعتماد جنس الفرد أساساً للحكم على قيمته، وأن ذلك قد يسهم في إيجاد مجتمعات تعاني من التمييز على أساس النوع ومن النظرة النمطية للذكر والأنثى، ويسود الاعتقاد بأنه من غير المعقول أن يتحمل الأفراد أعباء تقنيات الإنجاب (مثل التلقيح الأنبوبي وحقن الحيات المنوية في الرحم مباشرة). وتكاليها الباهظة لمجرد الحصول على جنين من جنس معين يرغبون فيه، هذا إلى جانب أن الإنفاق على هذه التقنيات يمثل سوء استخدام لهذه الموارد الطبية المحدودة.

وتقول الشواهد الميدانية المتاحة: إن المواطنين في المجتمعات الغربية لا يفضلون جنساً معيناً لمواليدهم، وما زال أغلب الأزواج هناك يرغبون في ترك مسألة جنس ما يرزقون به من أطفال للقدر يحددها كيفما يشاء، أما القلة التي تريد مزاوله شيء من التحكم في هذا الموضوع، فإنهم يهدفون في أغلب الأحيان إلى إحداث توازن بين الجنسين في أسرهم، أي أن يكون لهم أبناء وبنات، وإذا كان من غير المحتمل أن يؤدي اختيار جنس الجنين في الغرب إلى أي خلل في النسبة بين الجنسين فإن توفر هذا الاختيار بشكل منفتح في آسيا سوف يؤدي إلى زيادة في هذا الخلل؛ إذ أن النسبة الحالية للذكور إلى الإناث تبلغ ١,٢ في الصين وبعض أجزاء الهند. وفي عام ١٩٩٠م بلغ النقص في عدد النساء مائة مليون نتيجة لأشكال متنوعة من التمييز ضد الإناث، ولا نعرف على وجه التحديد ما إذا كان لهذا الخلل في

التوازن بين الجنسين أية مزايا، وقد افترض [سوروه] في عام ١٩٩٩م أن هذا الخلل قد يؤدي إلى زيادة نفوذ أفراد الجنس الأقل عددا باعتبار أنه سيكون الجنس النادر، ومن افتراضاته أيضا أن هذا الخلل سوف يحد من النمو السكاني ويشجع على التزاوج بين الشعوب المختلفة، ويجب التمييز بين اختيار جنس الجنين واختيار صفات وراثية للجنين: كالطول والذكاء ولون العيون إلى آخر هذه المواصفات. وهذا هو الاختيار الخطير الذي يعتبر أول خطوة على طريق شديد الانحدار يؤدي في النهاية إلى تفصيل أطفال حسب الطلب أو ما يمكن أن يطلق عليه مرحلة جديدة من علوم تحسين النسل، إن اللجوء إلى التقنيات الطبية المساعدة على اختيار جنس الجنين ليس بالأمر الشائع في استراليا؛ فإن ما تلقاه عيادة للتلقيح الاصطناعي من طلبات هذا الاختيار يبلغ على سبيل المثال ما بين ١٥ إلى ٢٠ طلبا في كل عام. أما الاختيار لأسباب غير طبيعية فهو محظور في المملكة المتحدة وكندا، وفي استراليا يحظر استخدام تقنيات التلقيح الاصطناعي لأغراض اختيار جنس الجنين في مقاطعة [فيكتوريا] بموجب البند الخمسين من قانون علاج العقم لسنة ١٩٩٥م، وفي جنوب استراليا يقضي البند ١٣ من قانون تقنيات الإنجاب لعام ١٩٨٨م أن يقتصر استخدام التلقيح الاصطناعي على علاج العقم.

وتوجد في كلا القانونين استثناءات لتجنب مخاطر نقل الأمراض الوراثية، وتوفر بعض مراكز التلقيح الاصطناعي في استراليا خدمات تحديد جنس الجنين للمتزوجين عليها بصفه شخصية، وفي مقاطعة فيكتوريا وجنوب استراليا حيث يحظر القانون استخدام تقنية التشخيص قبل الحقن في الرحم بهدف تحديد جنس الجنين، وكثيراً ما يؤدي هذا التشخيص - عندما يستهدف رصد واستبعاد الجنين ذي الصبغيات غير المتساوية - إلى الكشف الضمني عن جنس الجنين، وهكذا قد يطلب

الأزواج في المستقبل أجنة أصحاب من جنس يرغبون فيه وهو ما يمكن أن يطلق عليه "الاختيار العرضي لجنس الجنين"، وليس من الواضح مدى قانونية نقل الأجنة من الجنس المرغوب فيه فقط إلى رحم الأم في مثل هذه الظروف.

وفي معرض مراجعتها لقضية اختيار جنس الجنين لأسباب غير طبية، أقرت اللجنة الأخلاقية للجمعية الأمريكية للطب الإنجابي بالمخاوف الأخلاقية الحقيقية التي تثيرها هذه القضية ونصحت بعدم التوسع في ممارسة هذا الاختيار، إلا أنها خلصت إلى القول بأن تحديد جنس الجنين الذي يستهدف إحداث تنوع في الأسرة بين الجنسين لا يضر بالأطفال أو النساء أو المجتمع إلى الحد الذي يبرر تحريمه أو إدانته كعمل منافٍ للأخلاق في جميع الحالات.

وفي عام ٢٠٠٠م تناولت ورشة عمل دولية موضوع اختيار جنس الجنين من بين عدة موضوعات أخرى تتصل بتقنيات الإنجاب للتعرف على نتائجه الأخلاقية من وجهة نظر التقاليد الإسلامية، وقد أقرت الورشة بأهمية التشخيص قبل الحقن في الرحم ولكنها تحفظت على استخدامه لأسباب غير طبية كاختيار جنس الجنين أو عمل توازن بين الجنسين في الأسرة، ورأت أنه ينبغي دراسة كل حالة على حدة. واعتبرت الورشة أن تطبيق تقنية التشخيص قبل الحقن في الرحم يحرز تقدماً في مجال تقنيات الإنجاب ويعتبر بديلاً مرغوباً عن التشخيص قبل الولادة الذي يلجئ إلى الإجهاض عند التحقق من إصابة الجنين بمرض وراثي، أما في حالة التشخيص قبل زرع البويضة المخصبة في الرحم فإنه يسمح بالامتناع عن عملية الزرع هذه إذا ثبتت الإصابة بمشاكل في الكروموزومات أو الجينات مثل عدم تساوي هذه الكروموزومات، أو التليف الحوصلي أو ضمور العضلات أو الهيموفيليا، ويعتبر قرار الامتناع في هذه الحالة قراراً مقبولاً؛ وعلى ذلك رأت ورشة العمل أن

تشجع استخدام هذه التقنية حيثما أمكن ذلك لتجنب عملية الإجهاض التي تعرض الأم لمخاطر شديدة، إلا أن استخدام هذه التقنية لغير الأغراض الطبية كان مثار جدل وخلاف في الرأي، خصوصاً فيما يتصل باختيار جنس الجنين، وقد اتفقت الآراء على إدانة التمييز ضد الإناث والتقليل من شأن جنس الطفل القادم، ولكن ورشة العمل اعتبرت أن تحريماً عالمياً لمسألة اختيار الجنس هذه قد يمثل في حد ذاته انحيازاً ضد المرأة في كثير من المجتمعات خاصة أن الولادة ما زالت من الأمور البالغة الأهمية بالنسبة لسعادة المرأة؛ لذلك قبلت الورشة مبدأ إحداث التوازن بين الجنسين في الأسرة، فعلى سبيل المثال قد تكون هناك زوجة حملت ثلاث أو أربع مرات أنجبت في كل مرة منها ابنة، وقد يكون في صالح الأسرة أن يكون حملها القادم هو الأخير؛ ففي هذه الحالة يمكن الموافقة على استخدام التشخيص قبل الحقن في الرحم للتأكد من أن المولود سوف يكون ابناً؛ وبذلك تكون هذه الأسرة قد أوفت بالتزام ديني أو أسري وتكون قد أنقذنا الأم من التعرض لإجهاض محفوف بالمخاطر المتزايدة، وقررت ورشة العمل رفض الطلبات المقدمة لاستخدام هذه التقنية في اختيار جنس الجنين من حيث المبدأ، على أن تدرس كل حالة على حدة ويتم اتخاذ القرار المناسب حسب وقائعها الفعلية.

وكانت الحجة الأخيرة في صالح اختيار جنس الجنين هي أن خمسين بالمائة من الأزواج في العالم يستخدمون موانع الحمل لتجنب إنجاب الأبناء والبنات، فلماذا لا تستخدم تقنيات الإنجاب لكي تتمكن الأسرة من الحصول على طفل من هذا الجنس أو ذاك.

ختاماً، يحق للمرء اليوم أن يرتاب في حكمة البيان الصادر عن مؤتمر "حقوق الإنسان والطب الحيوي" الذي عقده المجلس الأوروبي حيث يقول: "لن يسمح باستخدام تقنيات الإنجاب في اختيار جنس

المولود القادم إلا إذا كان ذلك يستهدف تجنب الإصابة بمرض وراثي يرتبط بجنس الجنين".

إننا في واقع الأمر نحتاج إلى فريق مكون من عدة أخصائيين من مختلف فروع العلم بما في ذلك المتخصصين في التلقيح الاصطناعي والإرشاد النفسي في مجال الوراثة وعلماء الجينات وبيولوجيا الجزيئات، ومنتظر من مثل هذا الفريق الشامل أن يقدم لنا نظرة شاملة للموضوعات التي تناولها هذا البحث ويخرج لنا برأي صائب وفعال حتى يطمئن كل مستخدم لهذه التقنيات بأنها لن تستخدم لتفصيل الأطفال حسب الطلب وسوف يتوقف كل ذلك على دوافع الأفراد والحكومات والأخصائيين في مراكز استخدام هذه التقنيات.

#### ٤. التشريع في مجال تقنيات الإنجاب:

أصدرت بعض الدول تشريعات خاصة بالتبرع بالبويضات والخلايا المنوية في مجال تقنيات الإنجاب. وتختلف الدول في هذا الصدد، إذ يبيح بعضها تطبيقات معينة ويحظر تطبيقات أخرى؛ ويؤدي هذا إلى نشأة قضية الجنس من حيث الذكورة والأنوثة في مجال تقنيات الإنجاب إلا أن هذه القضية لا وجود لها في العالم الإسلامي؛ حيث لا يسمح بأي تبرع في هذا المجال، لا بالبويضات ولا بالخلايا المنوية.

#### ختام البحث:

لا شك أن استخدام تقنيات الإنجاب في علاج العقم قد أثار عدداً من القضايا المتعلقة بجنس الجنين لم تكن قائمة في الماضي.

وعندما تقوم الهيئات المسؤولة بإصدار ضوابط وتشريعات لتنظيم تطبيقات هذه التقنيات في مختلف الدول ينبغي أن تكون على وعي بهذه القضايا وعلى دراية بالتعامل معها، كذلك ينبغي أن يقوم الأطباء

الذين يعملون في هذا المجال بتقديم النصح اللازم لمرضاهم ويشرحون لهم بكل وضوح جوانب المشكلات المتعلقة بجنس الجنين قبل تسجيلهم في برامج تقنيات الإنجاب.

# التكاثر البشري عبر الاستعانة بالتقنية الحديثة

الشيخ محمد علي التسخيري





## التكاثر البشري عبر الاستعانة بالتقنية الحديثة

الشيخ محمد علي التسخيري

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

قبل كل شيء يجب أن نفرق بين حالات مختلفة.

فهناك حالة الاستنساخ البشري التي تعني الحصول على نسخ طبق الأصل من إنسان دون حاجة إلى تلاقح خلايا جنسية ذكرية أو أنثوية وهناك حالة الاستنساخ الحيواني والاستنساخ النباتي.

وهناك حالة الاستعانة بالتكنولوجيا لإيجاد تلقيح صناعي بين الزوجين لتكبر اللقيحة في رحم الزوجة أو الضرة أو المرأة المستأجرة، وهناك حالة التلقيح الصناعي بين أجنبيين.

وهناك مسألة الهندسة الوراثية التي تتدخل فيها التكنولوجيا في تحديد جنس الجنين أو في إعطائه صفات متميزة ويمكن أن نفترضها في الإنسان أو الحيوان أو النبات.

ويختلف الموقف الأخلاقي والديني باختلاف الحالات فلا بد من توضيح النقاط التالية:

الأولى: أن الحال يختلف كثيرا في مورد الإنسان عنه في مورد غيره لما يمتاز به الإنسان من ميزات تجعله محور المخلوقات ويسخر له ما في السماوات والأرض.

وفيما عدا الإنسان أيضا تلاحظ اعتبارات، المصلحة الإنسانية والطبيعة التي يعيش فيها وحاجاته الحياتية.

ومن هنا فإن التركيز في بحثنا ينصب على التكاثر الإنساني بالسبل التكنولوجية دون التعرض إلى الحالات الأخرى.

الثانية: أن عمليات التلقيح الصناعي تستفيد من التكنولوجيا العلمية ولكنها لا تدخل في بحثنا لأن التكنولوجيا تقوم برفع الموانع أو تهيء الشروط اللازمة لجريان العملية الطبيعية، ومن هنا فهناك حالات مسلمة الجواز: كالتلقيح الصناعي بين الزوجين وهناك حالات مختلف في جوازها كبعض الحالات الأخرى.

ومن هنا نقول: إن عدم الخصوبة مرض بلاريب لأنه نقص في الحالة الطبيعية، وعدم استجابة للرجبة في الإنجاب، وأي استفادة من القدرة التكنولوجية مطلوبة في هذا السبيل.

أما حدود هذا الاستخدام فهو اجتناب المحرمات في الشريعة الإسلامية والتي قد تصاحب عملية الاستخدام، فإذا بلغت الحالة حد الضرورة أبيحت المحظورات بقدرها.

ويبدو أن أي استخدام من هذا القبيل بين الزوجين لن يترك آثاراً سلبية تذكر على العلاقات الأصلية بينهما وبين الأولاد.

أما استخدام الاختبارات الجينية قبل الإنجاب والتأثير على نوعية الصفات التي سيتحلى بها الأولاد فلا نرى أي مبرر شرعي لمنعه، بعد أن كان يستهدف تقوية بنيتهم وتحصينهم ضد الأمراض، وإشباع رغبة مشروعة لدى الوالدين في ذلك، شريطة ألا يصحب ذلك احتمال أضرار لها تأثيراتها السلبية على حياتهم.

ولا نرى حجة القائلين (بأن عملية الانتقاء تشكل تمييزاً) حجة مقبولة ومبررة.

بل قد يجب الانتقاء إذا ثبت أن الجنين يعاني من أمراض خطيرة حفاظاً على سلامته، وإن لم يمكن الإصلاح وجاء الخوف القوي على حياته أو حياة الأم أمكن تجويز الإجهاض، خصوصاً في المراحل الأولى من حياة الجنين، وعلى أي حال فإن قانون (التزاحم) بين الأهم والمهم هو الذي يحدد الموقف في مثل هذه الحالات.

هذا ونحن نعتقد أن استخدام التعليم والتأديب لتنمية قدرات الطفل تبقى ضرورية مهما كانت التكنولوجيا الجينية مؤثرة في تكميل قدراته؛ لأن هناك الكثير من الاستعدادات المعنوية تبقى بحاجة إلى التربية.

الثالثة: وهل يؤدي التكاثر التكنولوجي إلى حدوث انشقاق بين النشاط الجنسي والتكاثر الطبيعي؟ وما هي آثاره على الأسرة والطفل؟

نقول بهذا الصدد: إننا إذا بقينا في حدود الزوجين فليست هناك أية مشكلة مهما اختلفت الوسائل وأنماط الاستخدام وحتى أوعية تنمية اللقيحة، فإن هذا النمط لن يقلل من دور النشاط الجنسي بينهما ولن يترك آثاره على العلاقة الأسرية بعد أن كان قد تم برضاً تام من الزوجين.

أما إذا عبرنا هذه العلاقة فإن الأمر يختلف تماماً.

وهنا نشير إلى أن الإسلام بأحكامه المتنوعة يسعى لتوجيه النشاط الجنسي لصالح تشكيل الأسرة الصالحة، ويحارب كل منحى لتصريفه في مسارب أخرى، ويعاقب عليه بعقوبات شديدة.

الرابعة: أن الانتقاء المفروض لن يكون إلا لصالح تكميل قدرات الطفل وبالتالي فهو منسجم مع الكرامة الإنسانية الطبيعية ومع حقوق الإنسان انسجاماً كاملاً.

ويبقى للتربية والتعليم الدور الأكبر لتفجير الطاقات المعنوية،

وتوجيه السلوك السوي الذي يقترن مع الإرادة الخيرة فيصنع شخصية إنسانية متعالية تستحق أن تحظى بكرامة مكتسبة تسمو على الكرامة الطبيعية .

فليست هناك قاعدة فلسفية تدعو إلى القلق بشأن حصول تمييز اجتماعي بعد أن كان الاستخدام التكنولوجي يؤدي إلى تنامي الطاقات وتكثير العطاء .

ولا يقاس هذا على تناول المخدرات المنشطة الممنوعة لما لها من آثار خطيرة على حياة الإنسان .

الخامسة: والحقيقة أن أي تصرف في هندسة الجينات - تصرفاً طبيعياً لصالح تقويتها - لن يستطيع أن يؤثر على الصبغة الفطرية التي تحدد شخصية الإنسان وتحقق له دوافعه وقدرته الإرادية وتحليله العقلي واتجاهه نحو الكمال .

نعم يجب أن نحذر بشدة من التصرفات السلبية الخطيرة التي تحرك فيه حس السبعية والتوحش وتفقدته قدراته العقلية أو الإرادية .

السادسة: يعتبر الإسلام الأسرة لبنة البناء الاجتماعي، وبينه نظريته الاجتماعية وأحكامه المتنوعة بهذا الصدد على هذا الغرض، ويقف بشدة بوجه أي تخريب للأسرة .

فتجب ملاحظة هذه الحقيقة عند بيان أي موقف اجتماعي .

السابعة: أن الشريعة تقرر أصالة الإباحة وهي قاعدة تبقى كل تصرف إنساني مباحاً حتى تثبت حرمة والمنع منه، فلا يمكن تحريم شيء بلا دليل تماماً كما لا يمكن تجويز شيء قام على حرمة الدليل .

الثامنة: أننا نعتقد أن كل تقدم وكل حقيقة تكتشف تبقى في إطار العظمة الإلهية واستخدامها يعني استخداماً للقوانين الإلهية لاخرقا لها ولا تغييراً لخلق الله، وما جاء في الشريعة من نهي عنه يركز على منع

أي تلاعب في الطاقات الفطرية وهو ما أشرنا إليه، أو منع أي تحايل على الخلق لتحقيق شعوذة أو سحر كاذب وإغراء الآخرين، أو إهدار لثروة طبيعية وهبها الله للإنسان.

التاسعة: أن كل حدث جديد - وخصوصاً إذا كان يتصل بمسألة حياتية كهذه مما يغير مجرى الحياة البشرية - لابد أن يثير أجواء عاطفية ويغرق الأفكار في افتراضات وتخمينات بعضها رائع وبعضها مرعب، ولكل بعض يتكون أنصار ومؤيدون، وفي هذه الأجواء ربما لا يستطيع الباحث ان يدرس الموضوع في حيده وتجرد وإنما يجنح مع هذا الفريق أو ذاك دون أن يشعر؛ ولذا فمن البعيد التوصل إلى رأي اجتماعي أو علمي أو فقهي موضوعي في هذه المرحلة.

العاشرة: أن الأبحاث العلمية لا يمكن منعها والوقوف بوجهها، خصوصاً إذا كانت بهذا المستوى من التأثير الواسع، وإذا كانت تطل على عالم مجهول لتفتح مغاليقه ومجاهيله، فيجب التأمل كثيرا قبل إصدار الأحكام المطلقة، ويجب أن نضع في الحسبان تلك الحالات التي سنواجهها شئنا أم أبينا.

الحادية عشرة: قد نجد بعض الافتراضات نتاجا للخيال القصصي المجنح مما يؤثر سلبياً على سلامة الدراسة، كما أن بعض الافتراضات تحذر من أنماط الاستغلال السيء، الأمر الذي يدفع الفقهاء والشرعيين للتحريم المطلق سداً للذرائع، وقد مررنا من قبل بموضوع التلقيح الصناعي والافتراضات التي طرحت حوله ثم استسلم الفقهاء للأمر الواقع، وراحوا يدرسون كل حالة على حدة بمنأى عن الضجيج والافتراضات، وما زال البحث فيه غير ناضج كما نعتقد.

الثانية عشرة: أن المنهج الصحيح هو دراسة نفس الحالة أولاً ومدى انطباق العناوين المحللة أو المحرمة عليها، ثم محاولة معرفة

النتائج المتوقعة والعوارض الناتجة لمعرفة من خلال أحكامها المعروفة، وقد تشابك النتائج الحسنة والسيئة منها، مما يدعو إلى التأمل وملاحظة الأغلبية الساحقة في البين.

الثالثة عشرة: يجب أن نعترف بأن الأخصائيين الطبيعيين لهم الحق وحدهم في تقرير الآثار العلمية المخربة أو الإيجابية لهذا الأسلوب، ولانستطيع نحن أن نقرر شيئاً إلا بعد انتهائهم من بحوثهم، نعم إذا انتهى هؤلاء إلى نتائج ولو كانت شبه قطعية أمكننا أن نلاحظ مدى انسجام هذه الآثار مع معتقداتنا وقيمنا و مبادئنا الإسلامية ونظيرتنا السياسية والاجتماعية وتخطيطنا للحياة.

ومن هنا فلا ينبغي التسرع في الحكم مادامت النتائج العملية غير قطعية.

أما إذا عبرنا نطاق الزوجين فإن قضية الاستنساخ تتخذ أبعاداً أخرى؛ فهناك مؤيدون وآخرون معارضون ولكل فريق أدلته وأنصاره فلندخل للموضوع بشيء من التفصيل:

## نظرة في الاستنساخ وحكمه الشرعي

ما هو الاستنساخ؟

يقسم العلماء<sup>(١)</sup> الاستنساخ إلى أنواع، منها التقليدي ومنها الجديد، أما التقليدي منه فيعني الحصول على عدد من النسخ طبق الأصل من نبات أو حيوان بدون حاجة إلى تلاقح خلايا جنسية ذكرية أو أنثوية.

وتتم من خلال إدخال نواة من أي خلية من خلايا الجسم كالخلية

(١) راجع مقال الأستاذ الدكتور حسان حتوت حول الموضوع.

الجلدية مثلا إلى داخل بيضة ناضجة بعد أن يتم إخلاؤها من نواتها، فإن النواة الجديدة تشرع في الانقسام ليس في اتجاه تكوين خلايا جلدية ولكن (بتأثير من السائل الخلوي السيتوبلازم) تشرع في تكوين جنين سيكون نسخة طبق الأصل ممن أخذنا منه الخلية.

وأما الجديد فإنه يعتمد على المنع من تمزق الجدار الخلوي السميك للمنح من الانقسام المعهود في الخلايا الجنسية، ذلك أن الحالة الطبيعية المعهودة هي أن يخترق المنوي الذكري [الذي يحمل نصف عدد كروموسومات الخلية الإنسانية] البيضة الناضجة (التي تحمل النصف الآخر) لتكتمل في الخلية الناتجة الكروموسومات الست والأربعين (وهي كروموسومات الإنسان)، وهذه الخلية الناتجة من الالتحام تتكاثر إلى خليتين ثم ثمان ثم ست عشرة ثم اثنتين وثلاثين وهكذا، ولكن العلماء يركزون على الخلية الناتجة من الالتحام فيمنعون من تمزق جدارها الخلوي فإن النواة تنقسم إلى قسمين وكل قسم يتصور نفسه النواة الأم وتبدأ في النمو إلى جنين وتتطابق الأجنة تماما في الصفات.

**والملاحظ:** هنا أن هذا الأمر - بشكليه: التقليدي، والجديد - لا يستغني عن تلاقح المنوي الذكري والبيضة الأنثوية ولو في المراحل السابقة، أما في الشكل الجديد فواضح، وأما في الشكل القديم فلأن النواة المجلوبة من الجلد مثلا إنما نتجت بعد تكاثر خلية ملقحة سابقا، وما سمعناه هنا من أن البيضة قد تنشط فتستمر حتى حصول الحيوان فهي بنفسها محصول تزاوج، ولكن هذا الحيوان سيبقى عقيما كما سمعنا ومشوها أيضا.

وقد ثارت ضجة عالمية حول هذا الموضوع، وانقسم العلماء الطبيعيون والاجتماعيون والفقهاء إلى مؤيدين ومعارضين ونسجت



خيالات القصاص الكثير من الأوهام وراح (الارأيتيون) - كما يسميهم الدكتور حتحوت - يفترضون ويفترضون.

### آراء المؤيدين :

وهم يركزون على نقطتين أساسيتين :

أولاً: عدم توفر ما يمنع من القيام بهذه العملية .

وثانياً: الآثار الإيجابية الكبرى التي يتوقع حصولها والآفاق العلمية التي ستفتح أمام الإنسان . وهم بهذا الصدد يذكرون أموراً كثيرة، منها:

أ - المعلومات الضخمة التي سيكسبها العلماء في مجال تمايز الخلايا، ومعرفة جذور أمراض السرطان، والآثار السلبية الوراثية، وعوامل المناعة، وأسباب الإجهاض، ووسائل منع الحمل، وأمثال ذلك .

ب - الآثار التي ستركها هذا الموضوع في مجال منح الأطفال للأزواج المبتلين بالعقم .

ج - أنه سيساعد بشكل كبير في التحكم بسلامة الجيل الآتي وتحسين حياته .

د - أنه سيساهم في مسألة الاستفادة من الخصائص المتميزة للأفراد وتكثيرها .

هـ - أنه سيساعد في إنجاح الدراسات بعد إجرائها على أناس متطابقين وذلك للتأكد من سلامة النتائج .

ويضيف هؤلاء المؤيدون أن الاستنساخ عملية طبيعية قد تحدث بشكل طبيعي عند بعض الحيوانات .

كما يؤكدون أن العلم ملئ للجميع ولا يمكن إيقاف بحوثه وحرمان البشرية من نتائجه .

وهنا نجد الإغراق أحياناً في الخيال بتصور مجتمع خالٍ من

الأمراض متحكم في عناصره، يحوي سلالات معرفية واسعة وما إلى ذلك.

### آراء المعارضين:

وهؤلاء أيضا يستفيدون من الخيال المجنح لبيان الأضرار المتوقعة من هذه العملية، بل يفوقون المؤيدين في هذا المجال، ومن الأمور المطروحة، ما يلي:

- أ - أنه يستلزم اختلاط الأنساب.
- ب - يعني تغيير خلق الله.
- ج - يعني التقاء المياها المنوية الأجنبية.
- د - أنه التدخل في خلق الله.
- هـ - أنه يؤدي إلى الاستغناء عن الزواج.
- و - استلزامه لإماتة اللقاح وهي مشروعات إنسانية جاهزة.
- ز - احتمال تهديم المجتمعات و تجريد الإنسان من إنسانيته.
- ح - أن استمرار البشرية يعتمد على التنوع الجيني وهذا التنوع يفنى من خلال هذا الأسلوب.
- ط - أنه يشجع عمليات الإجهاض.
- ي - تحويل الرغبة الطبيعية في الأولاد إلى الرغبة في الصفات المعينة.
- ك - أنه يؤدي إلى أن يعرف التوأم الصغير مستقبله من خلال حياة التوأم الكبير.
- ل - مشكلات الإرث هنا معقدة وأسئلتها محرجة وقد ورد النهي عن فساد المواريث<sup>(١)</sup>

(١) وسائل الشيعة، ج ١٤ ص ٢٣٤.

- م - مشكلات حمل العذراء وخصوصاً من إحدى خلاياها .  
 ن - احتمال استفادة المجرمين المحترفين من هذا الأسلوب .  
 إلى ما هناك من أضرار يتصورها المعارضون ولا نستطيع استيعاب كل افتراضاتهم .

### التقييم الأولي لهذه الاتهامات

وإذا تم تقييم هذه الاتهامات فإن الأمر سيتضح بالنسبة لآراء المؤيدين، وإذا ألقينا نظرة سريعة على هذه الاتهامات رأينا أنها لا تستطيع أن تصمد للنقد، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر من جديد فيها وعدم تكوين موقف سلبي قاطع منها .

فمسألة اختلاط الأنساب مسألة تشير لها بعض الروايات وتحذر منها، بل إننا نجد أن البناء الاجتماعي في التصور الإسلامي يُبنتى على هذه المسألة، وعلى ضوء هذه الأنساب تبنتى أنظمة اجتماعية مهمة كالنظام العائلي، ونظام الإرث وبعض النظم الاجتماعية الأخرى .

ففي الرواية عن محمد بن سنان عن الإمام الرضا (عليه السلام) فيما كتب إليه من جواب مسأله «وحرّم الله الزنا لما فيه من الفساد من قتل النفس وذهاب الأنساب»<sup>(١)</sup>

وفي كتاب الاحتجاج للمرحوم الطبرسي: أن زنديقا قال لأبي عبدالله الصادق(ع): «لم حرم الله الزنا؟ قال: لما فيه من الفساد وذهاب الموارث وانقطاع الأنساب لا تعلم المرأة في الزنا من أحبلها ولا المولود يعلم من أبوه»<sup>(٢)</sup> .

ومن الواضح أن الحديثين لاحظا هذه النقطة (اختلاط الأنساب

(١) ج ١، كتاب وسائل الشيعة، ج ١٤ ص ٢٣٤ .

(٢) الاحتجاج للطبرسي .

وذهابها) وكأنها من الأمور المفروض حرمتها ورفضها شرعا فلا تقتصر على مورد الزنا منها، وإنما نعمم الأمر لكل ما ينتج منه هذه الحالة. إلا أن الذي يمكن أن يطرحه المؤيدون هنا يمكن تلخيصه في أمور:

الأول: أن النسب يمكن ضمانه هنا؛ فإذا كانت النواة (الضيقة) مأخوذة من جلد الزوج مثلا والبيضة مأخوذة من الزوجة فلا ريب في أن المولود ولد لهذين، ومن الواضح أن الكثير من النتائج الإيجابية يمكن أن يتم الحصول عليها مع توفر هذه الشروط.

الثاني: أن هذه الحالة لا يمكن أن تشكل ظاهرة اجتماعية واسعة، بل هي حالات قليلة (على الأقل في الإمكان الحاضر)، ولا مانع حيثئذ من وجود أفراد لا يعلم نسبهم أو ينتسبون إلى الأم فقط كما ينتسب ولد الشبهة إلى أمه فلا يلزم منه اختلاط الأنساب - كما يقال - وإنما قد يلزم مجهولية النسب مما يخرج موضوعاً عن أحكام النسب.

الثالث: أن احتمال إساءة الاستفادة موجود بنفس النسبة في موضوع التلقيح الصناعي وقد أجازته كل الفقهاء تقريباً.

ولا نريد أن نؤيد هذه الإشكالات بقدر تأكيدنا على لزوم التأكد من المحذور.

وأما موضوع تغيير خلق الله تعالى: فقد ذكر أن الآية الشريفة تقول عن الشيطان: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَضِلُّهُمْ وَلَا أُضِلُّهُمْ وَلَا أُمْنِنُهُمْ وَلَا أَمْنِنُهُمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ ءَأَذَانُ الْأَنْعَمِ وَلَا أَمْرَهُمْ فَلْيُعَبِّرْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن الشيطان الرجيم يهدد بالتركيز على مجموعة من عباد الله ليسخرهم لأعماله الشيطانية، ومنها تبتيك أذان الأنعام وتغيير خلق الله، وهي أمور مبعوضة للمولى جل وعلا بلاريب، ولذا يعدها سبحانه من الخسران المبين.

فهل هذا العمل الذي نحن بصدده من مصاديق تغيير خلق الله المنهي عنه؟ وهنا يقال بأن التبتيك والتغيير لا يمكن أن يكون المراد به مطلق المفهوم اللغوي لهما، حتى ولو كان بدواع مشروعة عقلانية لاشيطانية، وإلا لكان كل تغيير يحدث في البدن كحلق الشعر أو الختان أو تعليم أذان الإبل أو التجميل من المحرمات، وهو أمر واضح البطلان.

بل إن التعميم يعني كل تغيير في خلق الله وهذا يشمل أي تغيير في الطبيعة، فهل نمنع ذلك؟ كلا، فليس المراد هو العموم وإنما المراد - وكما يقول بعض العلماء - عمليات شيطانية خرافية تقوم على أساس من تصورات شيطانية جاهلية يتم بموجبها إهدار للثروات الطبيعية، من قبيل ما جاء في قوله تعالى:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾<sup>(١)</sup>

حيث تبتك أذان البحائر وترك، ويقول العلامة الطباطبائي في الميزان «إن عرب الجاهلية كانت تشق أذان البحائر والسوايب لتحريم لحومها»<sup>(٢)</sup> كما يؤكد أنه ليس من البعيد أن يكون المراد بتغيير خلق الله الخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف، مستشهدا بقوله تعالى ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾<sup>(٣)</sup> ولعل سياق الآيات

(١) المائدة. الآية ١٠٣.

(٢) الميزان ج ٥، ص ٨٤.

(٣) الروم، آية ٣٠.

يساعد على ذلك، وقد أيدته روايته عن الإمام الصادق (ع) كما جاء في مجمع البيان في ذيل تفسير هذه الآية، وحينئذ لا يمكن أن يُستند لهذه الآية الشريفة في رد أي تغيير طبيعي، ومنه موردنا هذا، إذ المراد هو قسم خاص يتم بتسويل الشيطان وتسويغته.

على أنه في الواقع استفادة من قوانين طبيعية فرضها الله في الطبيعة ولا يمكن أن يعد تدخلا في خلق الله - كما جاء في اتهامات المعارضين - أو يعد تحديا لله تعالى في خلقه كما يأتي على ألسنة بعض المخالفين للاستنساخ وإلا كان علينا أن نسد باب أي إبداع علمي في علم الوراثة في جميع حقول الخلق.

أما حكاية التقاء المياه الأجنبية هنا فهي مرفوضة كبرى وصغرى (أي مبدأً وتطبيقاً): أما كبرى: فلا دليل على حرمة التقاء المياه الأجنبية وإنما الأدلة كلها تنظر إلى عملية الزنا، إلا ما يتوهم استفادته من روايات تتحدث عن حرمة وضع المنى في الرحم المحرم وذلك من قبيل ما جاء في الكافي بإسناد معتبر إلى علي بن سالم عن أبي عبد الله الصادق (ع)، قال: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أقر نطفته في رحم يحرم عليه<sup>(١)</sup> ورواه الصدوق في عقاب الأعمال<sup>(٢)</sup> و عن البرقي في المحاسن مثله.

وما جاء عن الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) قال النبي (ص): "لن يعمل ابن آدم عملاً أعظم عند الله تبارك وتعالى من رجل قتل نبياً أو إماماً أو هدم الكعبة التي جعلها الله عز وجل قبلة لعباده أو أفرغ ماءه في امرأة حراماً".

(١) الكافي باب الزاني من كتاب النكاح، ج ٥، ص ٥٤١، الوسائل باب ٤، ج ١٤، ص ٢٣٩.

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ص ٣١٠.

إلا أن أمثال هذه الروايات - بالإضافة لضعف سندها - ناظرة بلا ريب إلى عمليات الزنا، خصوصاً إذا لاحظنا العذاب الشديد المذكور فيها فلايحتمل أن العذاب إنما هو لمجرد إيصال ماء الرجل إلى رحم يحرم عليه.

وشموله لموردنا من حيث الصغرى أيضاً غير صحيح فليس هنا التقاء مياه ولا انعقاد نطفة - كما هو واضح - إلا أن يقال: (إن المورد هو بحكم انعقاد النطفة فيقاس عليه)، وهنا يقتصر على المورد الذي يحل فيه هذا الانعقاد.

أما موضوع الاستغناء عن الزواج فإذا افترضنا أن الأمر فيه تيسير إلى هذا الحد - وهو بعيد - فإن دواعي الزواج لا تقتصر على الاستيلاء، على أن الاستيلاء من طريق الزواج هو المطلوب للإنسان قبل كل شيء، ولايلجأ لمثل هذه الطرق إلا استثناء.

أما مسألة اللقائح المتعددة وإعدامها فالذي يتصور في البين أن هذه اللقائح لا ينطبق عليها أنها أناس، وأن إعدامها غير مشمول لأدلة حرمة القتل، أو أدلة دية الجنين، وأمثال ذلك.

وأما مسألة احتمال تهديم المجتمعات أو تجريد الإنسان من إنسانيته، فهي مسألة لا دليل عليها، بل إن عملية إنقاذ بعض المجتمعات أو بعض العوائل من أمراضها الوراثية، وتقوية الصفات الجيدة مطروحة هنا، وكذلك مسألة التنوع الجيني فإنه أولاً لم يثبت التطابق التام إلى حد ينتفي معه أي تنوع، على أن اختلاف البيئات والعوامل الخارجية لا بد أن تؤدي إلى نوع من الاختلاف.

ونحن نتصور أن عمليات الإجهاض إنما يتحكم فيها القانون والشريعة تماماً كما هي الحال في وضعنا الحالي، ومسألة الرغبة الطبيعية في الأولاد سوف تبقى، لأنها نابعة من عمق الفطرة الإنسانية، ولسنا نتصور الإنسانية آلة صماء لا تحكم إلا ما خطط لها من قبل، دونما رحمة أو عواطف أو دواعي فطرية.

أما احتمال أن يعرف التوأم الصغير مستقبله من خلال حياة التوأم الكبير فهي قد تكون مشجعة على تلافي الوقوع في المرض من خلال الرصد المبكر لها.

وتبقى المسائل الشرعية للإرث والنظر والعلاقات الاجتماعية فهي أمور يجب أن يسعى الفقه الإسلامي لبيان موقفه فيها بدلا من التخلص من التبعة عبر إغلاق الباب من الأساس وحرمان العلم الإنساني من النتائج الباهرة لهذه البحوث.

وأخيراً تبقى مسألة التطبيق السيئ لهذا الكشف والاستغلال السيء له، فهذا أمر بيد الإنسان يستطيع أن يتجنبه ويتحاشاه عبر بناء الخلق الاجتماعي الرصين، والروح الإنسانية الزهية ولايمكننا أن نغلق بابا للخير لأن هناك من يستفيد منه للشر.

وهنا نعود لما ساقه المؤيدون من أدلة، فنراها أدلة قوية محكمة ينبغي التأمل فيها ودراستها، وخصوصاً ما ذكروه من أن العلم للجميع، ولايمكن حرمان البشرية من نتائجه لمجرد احتمالات وظنون وافتراضات تقابلها ظنون إيجابية واحتمالات إثباتية مقبولة.

نعم: يجب أن تخلو الأساليب المتبعة مما يخالف الشريعة من الملابس التي تقترن بشكل طبيعي بمثل هذه الأبحاث.

وأخيراً:

فلسنا نريد أن نصدر حكماً قاطعاً بهذا الشأن بقدر ما نريد أن نؤكد على ضرورة عدم التسرع في الحكم ونقله من صفحات الجرائد إلى معاهد البحث العلمي، وتخليصه من الأجواء الحماسية والعاطفية، والغوغائية ونقله إلى حيث البحث العلمي النزيه.

والله تعالى هو العالم بالصواب.





# الوراثة البشرية وتكنولوجيا التكاثر وانعكاس ذلك على الأسرة

الدكتورة صديقة العوضي



## الوراثة البشرية وتكنولوجيا التكاثر وانعكاس ذلك على الأسرة

الدكتورة صديقة العوضي

الوراثة البشرية والتقنيات الإنجابية: -

نظراً للتقدم الهائل في علم الوراثة البشرية بدءاً من محاولة أرسطو لتفسير التكوين الجنيني، إلى [وليام هارفي] الذي أثبت بالتجربة أن الجنين يمر بمراحل متعددة من التخليق ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَجْرٍ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ (سورة الحج ٥) وهذا ما جعله يقر ويعترف بصحة ما جاء في القرآن الكريم. ثم بعد ذلك كانت الطفرة العظيمة مع اكتشاف تركيب المادة الوراثية ((الحمض النووي DNA))، ثم إخضاع هذه المادة للبحث والتجربة من خلال الوراثة الجزيئية والتي فتحت الباب على مصراعيه لمعرفة العديد من الطفرات المسببة للأمراض الوراثية وكذلك الجينات المسؤولة عن الصفات الظاهرية والداخلية للكائنات الحية، وكذلك أمكن تشخيص العديد من الأمراض الوراثية.

إن هذا التطور يلفت الانتباه ويستدعي الاهتمام ويشير العديد من التساؤلات الدينية والخلقية عن الكثير من أنواع العلاج وفتح الأبواب واسعة أمام التقنيات الحديثة من وسائل التشخيص وسبل التغلب على

الصعاب الكثيرة، وكذلك حل العديد من المشاكل التي تواجه الآباء مثل العقم وفشل الإنجاب.

إن الوراثة الإنجابية تلمس بوضوح وبطريقة مباشرة مبدأ الوجود وهو (الكينونة)، بمعنى قدرة الإنسان على بقاء نوعه واستمرارية خلقه وتوالده، وإن من المتوقع مع التقدم الهائل في تكنولوجيا الوراثة والإنجاب أن يظهر العديد من المشاكل الخلقية والشرعية والقانونية.

كذلك مع التقدم في تكنولوجيا الوراثة والإنجاب، ظهر وتباين الكثير من الآراء، بين ما هو مؤيد وما هو معارض ورافض لذلك، ويفضل بقاء الأمور الطبيعية كأساس لهذه السلوكيات.

وبالرغم من آراء الرفض والقبول فإن تقنيات الإنجاب البشري والوراثي تجعل الأمل كبيراً في الوصول إلى وسائل علاج العديد من الأمراض الوراثية والعقم وتقليل المعاناة التي يشعر بها هؤلاء المرضى والآباء، مع الأخذ في الاعتبار أن التجاوز في هذه التقنيات قد ينعكس سلباً على هذه الوسائل، ويوجد مشاكل اجتماعية بل ربما يوجد أشياء وأمورا جديدة لا يستطيع المجتمع قبولها وملاءمتها؛ لذلك لا بد من وضع خطوط واضحة وفاصلة بين ما هو واجب وما هو غير ذلك و لا يجب الإقدام عليه.

ومن الوسائل التي تثير الكثير من الشك والتساؤل على أهمية هذه التقنيات على سبيل المثال: الاستنساخ البشري والذي بدوره يعمل على إيجاد طفل وراثي ينتمي لأحد الأبوين فقط.

كذلك التبرع بالحيوانات المنوية أو البويضات وأيضاً الحالات التي تستخدم فيها الأم كبديلة للأم الحقيقية، كل هذه الأمور تبعث على العديد من المشاكل الاجتماعية والأسرية، التي لا تتماشى بأي وسيلة مع

ديننا الحنيف الذي يعمل على التزاوج بين ذكر وأنثى كما حدث في بداية خلق سيدنا آدم وأمنا حواء .

إن البعض يتوقع من استخدام هذه التقنيات الحديثة للإنجاب والتكاثر أنها سوف لا تأتي بالسعادة على البشر بقدر ما هي وسيلة للتغلب على الصعاب التي تواجه العالم بأسره، والذي يعتمد في الأساس على طريقة تنمية تعتمد أساساً على الكثرة البشرية، مع زيادة الاستهلاك للبضائع وما ينتجه العالم المتقدم وبالتالي تكديس رؤوس الأموال وازدهار الرأسمالية، إن هذا العالم الجديد يجعل من المرأة طاقة خلاقة وكأمهات بديلة للتكاثر والتناسل وحل مشاكل العقم عند الكثير من العائلات التي تشكل نسبة كبيرة لدى العالم الغربي، مما يجعل همّ الاستمرار في هذا النهج الحفاظ على الكثرة البشرية بطريقة خلقية أو غير ذلك، المهم هو الاستغلال والتبعية.

إن تقنيات التكاثر والهندسة الوراثية تعتمد في الأساس على الكائنات الحية وتشريحها إلى جزيئات صغيرة ثم خلايا - نويات - جينات وحامض نووي وما تقوم به من عمل ارتباطات بين هذه المكونات على أساس ما رسمه المهندس والعامل في هذا المجال، ومن هنا سوف نرى نوعاً من الاختيار ونوعاً آخر من الأبعاد لجزيئات أو لأفراد معينة، مما يجعل هذه التقنيات الحديثة تتعد كثيراً عن دورها الحقيقي وتصبح عبئاً لاعوناً.

إن تطبيق هذه الأمور ربما يكون مقبولاً على الكائنات الأخرى مثل النباتات أو الحيوانات، ولكنه ليس مقبولاً بالنسبة للبشر، والمثال الصارخ على نظرية الاختيار والأبعاد -على الرغم من قدم هذه الفكرة- هو بروز ما هو معروف من نزعات العنصرية والهمجية والاستعمارية، كذلك تفضيل جنس على آخر كما كان معروفاً في أوروبا، والنظرة المهينة والمسيئة للزنوج كأنهم أناس أو خلق أولي لا بد من التخلص

منه، وأيضا النزعة التي تجعل الإنسان الأبيض أفضل من الأسود من غير هدى ونور. ولو علموا ما جاءت به السنة الغراء في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، وقوله: «لا فضل لعربي على أعجمي... إلا بالتقوى» لكانت هذه النزعات في طي النسيان.

### تقنيات التكاثر الحديثة ووسائل تحسين النسل:

#### ١ - تقنية طفل الأنابيب (IVF). IN Vitro Fertilization :-

إن هذه التقنية مسؤولة عن الإخصاب وتكوين أجنة من خلال أنابيب الاختبار "Test Tube babies"، هذه العملية بدأت في عام ١٩٧٨ مع ظهور ما يسمى الوراثة الجديدة (New Genetics)، أطلق هذا الاسم [دافيد كمنج] محرر مجلة (Am J. Hum Genetics) عندما استطاع Southern تكسير الحامض النووي (DNA) بواسطة الأنزيمات (Endonucleases) والموجودة أساساً في البكتريا لحمايتها من الفيروسات، أو ما يسمى (Phages)، وكان أول طفل نتج من هذه العملية يدعى Louise Brown، ومع البدء في تطبيق هذه التقنيات برزت بعض المشاكل والنقد لهذه العمليات من جانب بعض السياسيين ورجال الدين على حد سواء، وكان مصدر خوفهم هو الحصول على أطفال مشوهين خلقياً وروحياً.

والآن الملايين على مستوى العالم من الأزواج تم نجاح هذه العملية بالنسبة لهم والحصول على أطفال من أصلابهم، وبالرغم من أن العملية ناجحة فإنها عسيرة بالنسبة للزوجات اللاتي يطلبن إجراء هذه العملية، فإن المرأة قبل مجيء الدورة بأسبوع تذهب إلى الطبيب للفحص السريري ثم بعد ذلك لا بد عليها من تناول بعض العقاقير التي تمنع خروج البويضات قبل النضوج، ثم بعد ذلك يتم إعطاؤها

هرمونات بطريق الحقن وذلك لتنشيط المبيض وإنتاج العديد من البويضات، ثم بعد ١٠ أيام تعود مرة ثانية للطبيب لعمل سونار، فإذا تبين أن هناك العديد من البويضات في (Graffian follicle) فإنها سوف تعطى جرعة ثانية من الهرمونات لجعل البويضات ناضجة، وبعد ثلاثة أيام يقوم الطبيب وبواسطة إبرة من خلال المهبل إلى المبيض لاسترجاع البويضات، ثم يتم بعد ذلك عملية التلقيح في طبق Petri بإضافة الحيوانات المنوية ثم بعد تكوين الأجنة، يتم حقنها بالرحم.

وكل ما يحدث في هذه العملية يؤدي إلى ألم وقلق ومضايقة نفسية وجسمانية، إن معدل نجاح هذه العملية متدنٍ وغالباً ما يؤدي ذلك إلى إعادة المحاولة مرة ثانية وثالثة رغبة في الإحساس والعيش بحق في أجواء الأبوة والأمومة، وإذا نجحت العملية فإن حدوث توائم غالباً ما يكون قائماً، وأيضاً من مشاكل هذه التقنية كثرة العقاقير والأدوية والهرمونات غالباً ما تؤثر على المزاج وتؤدي إلى عدم استقرار نفسي للمرأة.

وبالرغم من أن هذه العملية تجرى يومياً إلا أن هناك الكثير من المشاكل والعديد من التساؤلات الأخلاقية بين الممارسين والقائمين على هذه العملية

## ٢ - حقن الحيوان المنوي في البويضة: Intracytoplasmic Sperm Injection (ICSI)

يتم حقن الحيوان المنوي في البويضة، هذه العملية قريبة من عملية (IVF) خاصة إذا كان الزوج يعاني من العقم نتيجة قلة الحيوانات المنوية (Oligospermic) أو أنها غير قادرة على السباحة أو الحركة (Pre implantation Genetic Diagnosis (P G D) تؤخذ خلية من كل جنين من الأجنة الموجودة في طبق Petri بعد نجاح (IVF)، وخاصة إذا كان



الآباء حاملين لأمراض مثل Tay-Sachs أو Cystic fibrosis لضمان أن الأجنة التي سيتم زرعها في الرحم خالية من هذه الأمراض.

### ٣. الاستنساخ البشري (Human cloning)

#### (Intracytoplasmic nuclear transfere)

في هذه التقنية يتم نزع النواة من البويضة وهي في مراحل عمل IVF، وهذه النواة تحتوي على نصف المادة الوراثية. ثم بعد ذلك يتم استبدال نواة أخرى من خلية جسدية بهذه النواة (Regular Cell) وبعد عمل بعض التغييرات الكهربائية والكيميائية في الوسط المكون السيتوبلازم الخلية (البويضة)، بعد ذلك تنمو هذه البويضة إلى جنين وتبدأ في الانقسام، هذا الجنين يحمل كل الصفات الوراثية للخلية الأم (oner) ولهذا يسمى هنا (Clone) أى جنين مستنسخ، هذا داخل المعمل وعندما تستخدم الأم البديلة يسمى استنساخ إنجابي (Reproductive Cloning) والذي لا يحظى بقبول لدى الباحثين في مجال الوراثة وبيولوجيا البشر، وهناك - كما هو معروف - بما يسمى الاستنساخ العلاجي (Therapeutic Cloning)، ومعظم الناس ينكرون هذه التقنية وهي ليست مستحبة ولها مشاكل عديدة من الناحية الأخلاقية والدينية والاجتماعية.

#### ٤ - التقنية الخامسة هي (Germline Genetic, Engineering)

تستخدم مع تقنية طفل الأنابيب وهي باختصار عمل تغيير في التركيب الوراثي DNA عن طريق إدخال فيروس ضعيف أو التغيير بطرق حديثة، وهذه التقنية تثير العديد من التساؤلات والمشاكل الأخلاقية والإنسانية وربما يضعها البعض بموازاة ما يسمى بتحسين النسل أو Eugenics والتي لها العديد من السلبيات.

٥ - استخدام كروموسوم (Artificial chromosome) وإدخاله على الجينوم الموجود على العدد الأصلي، على سبيل المثال ٤٦ كروموسوم في الخلية الجسدية البشرية لتصبح ٤٧ كروموسوم، وقد تمت هذه العملية في الفئران. والنتائج ليست على قدر كبير من المصدقية، أضف إلى ذلك عدم المعرفة الدقيقة فمن الجينات ما سوف تعمل والأخرى سيتوقف عملها؛ ومن هنا تكون الطامة الكبرى.

### انعكاسات التقنيات الحديثة للإنجاب على الأسرة والمجتمع

١ - إن هذه التقنيات بدلاً من أن تأتي بالسعادة على البشر ربما تأتي بما هو أقسى وأمر على النفس البشرية من سيادة جنس على آخر مما يذكرنا بما حدث قديماً كالصراع على المستعمرات وسيادة الجنس الأبيض الأوروبي على الأجناس الأخرى.

٢ - الصراع الذي سوف يحدث بين العاملين في هذه المجالات واستنباط التقنيات واحتكارها وجعل الأم البديلة كأداة للاستثمار والحصول على المال سواء أكانت هذه الوسيلة شرعية أو غير شرعية كل ذلك مما سيزيد الهوة بين العالم المتقدم والعالم النامي، وكذلك سيادة الرأسمالية وزيادة معدلات الفقر المادي والعلمي.

٣ - النزعة الإنسانية البغيضة وهي جعل أناس استغلاليين وأناس تابعين، مرة أخرى كما حدث في الماضي مع ظهور الاستعمار وعدم الاعتراف بما كان فيه من تقدم في شبه القارة الهندية والصينية وكذلك ما أعطاه العرب من علم لهؤلاء.

٤ - إلى الآن البعض يعتبر هذه التقنيات لا هي جيدة ولا هي سيئة لأن البشر لم يلمسوا بطريقة بيئية - خاصة في العالم الإسلامي - مدى أهمية هذه التقنيات ربما فقط في تقنية طفل الأنابيب التي قد تعطي الأمل والسرور في نفوس الأزواج عندما يصبحون آباء وأمهات.

- ٥ - إن للوراثة وتقنيات الإنجاب الحميدة أهمية كبيرة حيث إنها تقوم بحفظ النسل وصيانة البشر؛ فإذا تدخلت أيدٍ شريرة - كالتي تقوم باللعب بالجينات (الهندسية الوراثية) أو القيام باختيار جزيئات ونويات وجينات بدلاً من الأخرى ليسود كائن على كائن - فإن ذلك يحدث اضطرابات اجتماعية وبشرية وما ينتج عن ذلك من انعكاسات قد تؤدي إلى مشاكل عديدة.
- ٦ - الوجه المشرق لهذه التقنيات هو التشخيص والعلاج بالجينات (Gene Therapy) كذلك الاستنساخ العلاجي (Therapeutic Cloning)، مما يفيد البشر ويؤدي إلى مجتمع يشعر الناس فيه بقيمتهم، وأن الله سبحانه وتعالى جعلهم خلفاء له في الأرض لعلمه المسبق بما سوف يقومون به من أعمال خيرة تفيد البشر.

## المناقشات



## الجلسة الخامسة

رئيس الجلسة: مستشار. عبد الله العيسى

المقرر: الدكتورة حبيبة الشعبوني

المتحدثون:

١ - الدكتور جمال أبو السرور

٢ - الشيخ محمد على التسخيري

٣ - الدكتورة صديقة العوضي.

الرئيس: الشيخ السلامي

الشيخ محمد مختار السلامي: بسم الله الرحمن الرحيم أريد أن أبدأ وأصحح خطأ تسرب إلى وأنا أتكلم عما حرمه الدين الإسلامي في الزواج من الأقارب، فأقول: إن المحرم هو أولاً: الأم وإن علت والجدة وإن علت، ثانياً: بنت وما نزل منها والإبن وما نزل منه، ثالثاً: الجوانح العممة والخالة، فإذا تجاوزنا هذا فأصبحت بنت الخالة أو بنت العممة فذلك جائز في الشريعة الإسلامية أن يتزوج بهما الإنسان، أعود إلى المحاضرات أريد أن أثير ثلاث قضايا من فضيلة الشيخ محمد على التسخيري والفتوى التي صدرت وأقول: إن الفتوى بعضها خطأ وبعضها صحيح؛ ولا وجود للفتوى على أنها رأي صحيح في الإسلام، فالرحم المستأجر لا يقبل شرعا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِلَيْهِمْ لِيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ (المجادلة: ٢) فهذا الاختراق الذي يحصل من أن صاحب الجنين شخص وأن الحامل شخص آخر وما ذكرته من مشاكل نفسية جعله يقبل

إسلامياً هذه الفتوى (التي تجيز استئجار الرحم الطئر) فضيلته تكلم عن اختلاط الأنساب و جعله رأي لبعض الفقهاء أو لبعض الأئمة فاختلاط الأنساب ممنوع ليس لأنه رأي بعضهم لكن لأنه من اليقينيّات في الإسلام، لأن هذه اليقينيّات لا تستند إلى دليل واحد ولكن لمجموعة من الأدلة، أولاً: عندنا بالنسبة للزوجة أو المرأة إذا مات عنها زوجها أو طلقت فإنه لا يجوز لأحد أن يتزوجها إلا بعد التيقن الكامل من أن رحمها قد برئ وأنها لا تحمل جنيناً من غيره، وذلك حتى يصح الانتساب للرجل الذي تلد وهي في عصمته، ثانياً: كذلك كان الوضع بالنسبة للإمام كان لا يتزوج منها إلا بعد أن يتبين من رحمها. ثالثاً: أن الزنا لم يحرمه الإسلام لأجل الاستمتاع البدني والجسمي، ذلك أنه في الحديث الصحيح (أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله: طهرني فإني قد اختليت بامرأة ونلت منها ماعدا الإيلاج، - بمعنى أنه قبلها ولاعبها- فقال له: صليت معنا؟ قال: نعم قال له صلى الله عليه وسلم: (إن الحسنات يذهبن السيئات)، وهذا حديث صحيح في البخاري، بينما الزنا الذي يحصل فيه الشك في حصول العلقه من شخص مجهول كذلك هو الفساد، فجعل اختلاط الأنساب قضية قابلة للرأي وهي ليست قضية قابلة للرأي لكنها قضية يقينية، فحيثما تتبعنا الشريعة وجدنا أن الشريعة تمنع كل حالة من الحالات التي يكون فيها اختلاط الأنساب، القضية بسيطة في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه الآيات في ذاكرتي هي الواردة في القرآن وشكراً.

(١) سورة البقرة، آية ١٥١.

(٢) سورة النساء، آية ١١٣.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٨٢.

الرئيس: الكلمة الآن للدكتورة فرحات معظم.

د. فرحات معظم: أتوجه إليكم بالشكر الجزيل لمنحي الفرصة لإبداء هذا التعليق. فقد أدركت أن بي عييين: فأنا أجلس في الصف الثاني هذا هو العيب الأول أما العيب الآخر فهو أنني امرأة. تعليقي مفاده هو: أن الملحوظة التي أبديتها كانت أن العلم الذي نتحدث عنه غاية في التعقيد، فلدينا هنا أطباء كما يتواجد بيننا علماء مسلمون، حتى عندما نتحدث عن الاستنساخ العلاجي فهذا الأمر يتضمن الكثير من الأوجه، أكثر مما أشرنا إليه هنا، وهذا يرجع إلى أن الاستنساخ العلاجي حين تبدأ في الحديث عن نقل نوى الخلايا الجسدية يتضمن أيضاً قضايا مثل: الخلط الجيني بين البشر والحيوانات وهو ما يحدث بالفعل، وسأتحدث عن هذا الأمر غداً.

لذا فإن تعليقي هنا هو أنني سمعت الكثير من علماء الدين وغيرهم يتحدثون عن العلم "كفرض كفاية" على المسلمين وهذا صحيح بالطبع، وبالتالي فإن كان العلم نافعاً للبشر فلا بأس؛ لذا فحين نتحدث عن الاستنساخ العلاجي، فكم من البشر سيستفيدون منه في مقابل القضايا الأخرى التي لا يهم فيها من أي جزء من العالم نحن بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية؟ لقد أدرجت قضية من سيستفيد من هذا النوع من الاستنساخ تحت فئة المنفعة العامة للبشر، ولا يمكنني أن أفهم لماذا لا ننظر إلى قضايا مغايرة؟!

أما عن التعليق الثاني الذي لدي فأبديته بصفتي امرأة مسلمة: ما يحزنني حقاً هو أننا لم نتحدث طوال النهار سوى عن قضية الإجهاض والحمل والجنين، ولم أسمع صوتاً نسائياً مسلماً واحداً باستثناء د. صديقة والتي أبدي لها إعجابي لذلك. ففي رأيي يجب تناول مثل هذه القضايا، وكيف يتسنى للرجال أن يتحدثوا عن قضايا معينة دون أن يسألوا عن شعور المرأة -بما في ذلك المرأة المسلمة- إزاءها؟ لذا فإن



خضنا في مناقشات نظرية -وهو الأمر الذي نفعه الآن- فنحن نناقش الأمر نفسه؛ ففي اليومين الأخيرين ظهرت الطبييات في المقدمة لرعاية السيدات اللاتي تأتين لهن طالبات إجراء عمليات إجهاض. فهل حاولنا الحصول على معلومات منهن؟ كلا، ومن هنا يأتي طلبي الذي أقدمه إلى هذا المؤتمر بدعم من منظمة الصحة العالمية والمنظمة الإسلامية للعلوم والثقافة وEMRO أن هناك أمورا يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تنظيم مثل هذه المؤتمرات. أشكركم.

الرئيس: الكلمة الآن للدكتورة. حنان.

د. حنان حمامي: أشكر سيدي الرئيس. أنا عالمة وراثة بشرية طبية، ولقد ظلت أعمل في هذا المجال طوال الثلاثين عاماً المنصرمة - كما قالت د. فرحات - فعلم الوراثة علم غاية في التعقيد، فكلما ازداد علمي في هذا المجال شعرت أنني أجهل الكثير والكثير؛ لذا لا يمكننا أن ننظر إلى هذه القضايا باعتبار أنها أمور واضحة وصرحة سواء في التشخيص أو العلاج، ففي كل يوم أتوجه إلى عيادتي وأقابل أسراً يأتون إلي طلباً للمساعدة، وتعاني تلك الأسر من مشاكل وراثية، وبعضهم يأتي لأنهم سمعوا عن تشخيص ما قبل الولادة، ويكون لديهم طفلان أو ثلاثة مصابين بإعاقات ذهنية أو جسدية شديدة. ولا يمكنهم تحمل ولادة طفل آخر بنفس الحالة، ويرغبون في إنجاب أطفال طبيعيين، أما من جانبي فأنا عالمة لذا فما أفعله هو منحهم استشارة علمية وافية عن حالتهم، وكيفية التعامل معها، ومخاطر تكرار الحالة المرضية، وما يمكن للعلم أن يقدمه لهم في مجال تشخيص ما قبل الولادة.

أما عن القرار: إما باستمرار الحمل في جنين مصاب أو التخلص منه فهو قرار أسري محض، وهذه هي حقيقة الاستشارة الوراثية؛ فالاستشارة الوراثية هي استشارة أخلاقية في المقام الأول، أو دعونا

نقول هي حجر زاوية في أنها لا توجه نحو وجهة بعينها ولا تتبنى حكماً معيناً، بل هي تعطي المعلومات للأسرة وأما القرار النهائي فهو قرار الأسرة.

أعمل بدولة الأردن حيث لا يوجد خطوط واضحة بشأن المناحي القانونية بشأن إجهاض الأجنة المريضة، غير أنه في المركز الذي أعمل به تخضع الكثير من الأسر لتشخيص ما قبل الولادة والذي بعده قد يهنون الحمل وقد لا يهنونه، فأنا لا أكون على أي اتصال بهم، بيد أنه في السنوات القليلة الماضية - على سبيل المثال - أجرينا أكثر من ٣٠٠ تشخيص ما قبل الولادة معظمها حول فقر الدم البحري، وهو اختبار نجريه في المركز، فإذن قرار إنهاء الحمل أو الإبقاء عليه يرجع إلى الأسرة فقط. أحياناً ألتقي ببعض الأسر التي تقوم بهذا التشخيص لأول مرة ولا تعرف عن هذه التقنية المتبعة، ووظيفتي هي أن أشرح لهم جميع الاحتمالات التي يمكن أن يتعرضوا لها من وجهة النظر العلمية، وهم الذين يواجهون مأزق ما إذا كان إجهاض هذا الطفل حلالاً أم حراماً؛ إذ لا يمكنني إبداء رأيي لهم.

ودعوتي في هذا المؤتمر هي أننا كعلماء وراثه نحتاج إلى رجال الدين المتميزين المسلمين والمسيحيين، نحتاج إلى تعاونهم ومساعدتهم في إعطاء بعض المعلومات إلى هذه الأسر حول رأي الدين، فالأمراض الوراثية متعددة وهناك أكثر من ١٠٠٠ جين معروف لنا الآن في خريطة الجينات البشرية، وقد يكون هناك ٣٠٠٠٠ جين، ومن ثم لا يمكننا إعطاء رأي عام شامل؛ فعلى سبيل المثال لا يمكننا القول: إنه من الحلال الإجهاض حين يكون المرض الوراثي حاداً وحرام الإجهاض إن لم يكن كذلك؛ فما هو مقياس الحدة؟ هل الحدة في الإعاقة الجسدية أم الذهنية؟! بعض هذه الأسر أيضاً تأتي ساعية وراء الانفصال أو لأن الزوج يريد الزواج من أخرى؛ لذا فالأمر مأساوي بالنسبة لبعض

الأسر، وما نحتاجه - كمستشارين وراثيين - هو تزويدنا بالخطوط العريضة الواضحة في هذا الصدد، بالنسبة لهذه الخطوط العريضة يمكننا على سبيل المثال تشكيل لجان تتضمن أعضاء من المجال الطبي لإعطاء فكرة كاملة أو صورة طبية كاملة عن تلك الأمراض وبخاصة نحن بحاجة إلى علماء دين وقانون وواضعي السياسات الصحية والحكومات، ونحن بحاجة أيضاً إلى استقصاء آراء الأسر والمرضى والذين يعانون بعضهم من أمراض وراثية لا أعتقد أنها حادة غير أنهم لا يريدون لأبنائهم وبناتهم المعاناة من تلك الأمراض؛ لذا أدعو هنا إلى إعطائنا بعض الخطوط العريضة حتى نتمكن من الاستمرار بشكل أيسر في منح الاستشارة لتلك الأسر، وأولاً وأخيراً تكون القرارات للأسر، أشكركم.

الرئيس: شكراً! الكلمة للدكتورة. حبيبة الشعبوني.

د. حبيبة الشعبوني: شكراً في البداية أشكر كل المتحدثين لأننا منذ يومين قد تعلمنا الكثير وبودي أن أعرض إلى نقطتين.

النقطة الأولى: علمياً تعتبر جنينا البويضة التي لقحت والتي انطلقت في الانقسام حتى تصل إلى مرحلة الجنين هذا الانقسام ممكن أن يقع في رحم الأم أو خارجه فكلتا الحالتين الانقسام داخل أو خارج الرحم سواء؛ فهو جنين وقد تقدم العلم اليوم وربما سيسمح في القريب أو البعيد أن يتمكن العلماء من جعل الجنين ينمو إلى مراحل متقدمة خارج رحم الأم، والتجارب الآن تجرى فيما يخص الحوامل، فما هو رأي رجال الدين من هذا الموقف في يوم يقع فيه نمو الجنين ربما لمدة أسابيع في خارج رحم الأم؟ النقطة الأخرى مثل ما قالت الدكتورة حنان يعتمد العلماء - وأخص الأطباء المختصين في الأمراض الوراثية - على الأخلاقيات في عملهم اليومي، فلذا يصعب عليّ أن أنصت هذا الصباح إلى أن بعض المجالس قد يسمح بانتقاء الجنين من أجل جنسه فقط لا غير، وهذا الانتقاء يقع لجعل العائلة متوازنة وتعيش في رفاهية، ومن

ناحية أخرى أستمع إلى بعض المجالس التي ترفض أن يقع انتقاء الجينين من أجل وجود خلايا أو جينات في تكوينه ستجعل منه بعد الولادة إنسانا مصابا بمرض لا يمكن علاجه ويتسبب في آلام جسدية وآلام نفسية له ولعائلته، وإذا كنا نسمح بالانتقاء من أجل الجنس فأظن أنه من الأهم أن نسمح بالانتقاء من أجل راحة العائلة وحياة الإنسان وشكرا.

الرئيس: شكراً! الكلمة الآن للدكتورة. عايدة العقيل.

د. عايدة العقيل: أود أن أتوجه بالشكر إلى جميع منظمي هذا المؤتمر لتنظيم هذه الندوة الرائعة. لدي نقطتان أود توضيحهما. أولاً، أود أن أشكر د. صديقة العوضي لحديثها الرائع المدعم بالإيضاحات حول علم الوراثة والتدخلات التي تنطوي عليها، وأود أن أضم صوتي إلى صوت د. حنان قائلة: إننا كعلماء الوراثة الإكلينيكين في الجبهة الأمامية التي تلتقي بتلك الأسر، ومن واجبنا - كعلماء وراثة مسلمين - أن نواجه تلك الأسر ونمنحهم الاستشارة بشأن المرض الذي يواجهونه وعلاجه أو الوقاية منه؛ لذا بالنسبة لي كعالمة وراثة أعرف الكثير من الاضطرابات التي لا علاج لها، أما المهمة الأكثر أهمية التي نقوم بها الآن فهي مهمة الوقاية من المرض؛ لذا أود التشديد على أهمية الوقاية من الاضطرابات الوراثية. ففي المملكة العربية السعودية لدينا الكثير من الإجراءات الوقائية؛ منها فحص حديثي الولادة بحثاً عن حوالي ١٥ من الاضطرابات الأيضية الجينية وهي سياسة قومية، كما أن لدينا فحصاً وراثياً للمقبلين على الزواج، وفحوصات لكشف أمراض الدم، كما أن لدينا منحة ضخمة مخصصة للتشخيص الوراثي ما قبل زراعة البويضة، هذه هي الإجراءات الهامة للوقاية من الاضطرابات الوراثية، والآن هناك إجراء وقائي هام آخر وهو النقل العلاجي لنوى الخلايا الجسدية: الأمر الذي سأحدث عنه غداً. أود أن أؤكد للحضور أهمية الوقاية من الأمراض الوراثية.

وهناك نقطة هامة أخرى وهي زواج الأقارب. أحترم رأي د. السلامي في هذا الصدد من وجهة النظر الإسلامية، بيد أنني أود توضيح أمر ما عن علم الوراثة، الأمراض الجينية ليست أمراضاً بسيطة فهناك الكثير منها ينتقل بسبب خلل في جين واحد أو خلل في [الكروموسومات] أو [الميتوكوندريا]. وبما أننا نتحدث عن زواج الأقارب، فإن اضطرابات autosemorosis تُعدُّ الأهم في هذا الصدد؛ لأننا لو فكرنا فيها من وجهة النظر الوراثة، فنحن نتقاسم حوالي نصف جيناتنا مع آبائنا وإخواننا وأخواتنا. ونسمي هذا في علم الوراثة (الأقارب من الدرجة الأولى). وهناك درجة أخرى من القرابة تسمى (أقارب من الدرجة الثانية) مثل الأخوة غير الأشقاء من نفس الأب وأُمَّين مختلفين. هؤلاء الإخوة يتقاسمون حوالي  $\frac{1}{4}$  جيناتهم. ثم تأتي (القرابة من الدرجة الثالثة) مثل ابن العم وابن الخال واللذان يتقاسمان حوالي  $\frac{1}{8}$  جيناتهم. وكلما توغلت أكثر في القرابة يكون هناك تقاسم لعدد أكبر من الجينات، وبذلك نفكر بطريقة إحصائية بسيطة. كلما توغلنا في القرابة ازداد معدل الإصابة بمرض autosemorosis لأننا - بطبيعة الحال - نتقاسم في حوالي ٧٨ جينا ليست جينات سليمة؛ فجميعنا لديه جينات غير سليمة، لذا حين يكون الوالدان أقرباء - أولاد عم أو أولاد خال مثلاً - يكون هناك احتمال أكبر للإصابة بمرض autosemorosis. ويمكنني أن أقول لكم: إن ٩٠٪ ممن يأتون إلى عيادتي الوراثة توجد قرابة بين والديهم؛ كأن يكونوا أولاد عم أو أولاد خال أو أولاد عم وخال في نفس الوقت؛ لذا فمن المنظور الوراثي يكون هؤلاء أكثر عرضة للمرض، ونود أن نعرف رأي علماء الدين في هذا الشأن. شكراً.

الرئيس: نعم، الدكتور تقي.

د. تقي عثمانى: في الواقع كنت أريد أن أعلق على موضوع استعارة الرحم الذي ذكره فضيلة الشيخ التسخيري، ولكن كفاني فضيلة

الشيخ السلامي حفظه الله، في الواقع إن المجامع الفقهية كلها منعت استتجار الرحم، لكنّ هناك سؤالاً لم يتعرض له الباحثون وهو: (لو تجاوز أحد هذا الحكم الشرعي واستعار الرحم ثم وُلِدَ وَوَلَدٌ فَمَنْ تَكُونُ الأم من الناحية الشرعية أهي المستعيرة أو المستعارة؟) الظاهر المُستَعَارَةُ هي الأم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّيْءَ وَوَلَدَهُنَّ﴾ (سورة المجادلة، آية ٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فهذا السؤال يحتاج إلى تأمل وإبداء الرأي من الفقهاء والسلام عليكم.

الرئيس: متحدث لم يذكر اسمه فليتنفضل:

متحدث لم يذكر اسمه: أنا طالب علم في مجال الوراثة البشرية ومسلم، أولاً مفهوم صفات الكائن أو نعبّر عن الجينوم بحقه المفهوم أنه كائن ثابت وساكن وأعتقد أن هذا ليس مفهوماً يتماشى مع الواقع الفعلي؛ لأن ربنا سبحانه وتعالى لما خلق الجينوم - أصل كل الجينات - خلقه مرة واحدة وترك الجينات تتفاعل مع الظروف البيئية، لأنه في معدل من التطفر الطبيعي محاولة تعديل الجينات تتمشى مع أن في معدل من التطفر الطبيعي الذي يحصل في الجينوم في تغيير في الجينوم يحصل طبيعياً في الكائنات وهذا يعطي حيوية ومرونة للشفرة الوراثية في أنها تتفاعل مع الظروف البيئية إلى يوم القيامة في حدود العلم الذي أتاحه لنا ربنا سبحانه وتعالى، فمسألة تعديل الخلق عند الدخول في تصحيح الجينات أعتقد أن هذا فيه قدر من المبالغة بعض الشيء.

النقطة الثانية: من الناحية البيولوجية من وجهة نظري فإن البويضة الملقحة حية من أول يوم إنما المشكلة كلها في الإجهاض. السؤال الأساسي: البكتريا حية فهل نستطيع تعريف الحياة الإنسانية؟ ربنا سبحانه وتعالى لم يجب: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، أتساءل الشيوخ والباحثات والقساوسة يتعاملون مع هذه الروح على أنها من أمر ربي

هل نعرف الحياة الإنسانية والله أعلم؟ فهو هنا سيذكر الحديث لأنه في آية قرآنية أن أحد الأنبياء يخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه الله سبحانه وتعالى، أوضح الفرق بين الخلق والحياة.

النقطة الثالثة هي الاستنساخ وهو تكاثر الجنس وهو الذي يدعوننا إلى تعريف الأب والأم في الآية: ﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ وفي سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَوْمَ يُولَدُ ﴿٣﴾﴾ هو هنا يقصد - والله أعلم - أن ربنا قال: إن الوضع مختلف، فهو هنا يتطرق إلى الاستنساخ تعريف الأم والأب، وينطلق إلى تعريف الولادة والتوليد والوضع وهناك فرق بين الاثنين؟.

الرئيس: الدكتور جمال أبو السرور ممكن يعلق على هذا.

د. جمال أبو السرور: إن تعريف الأم هنا هل هي أم حاضنة أو ظئر وهل تقارن بأم الرضاعة؟ نواة البويضة تؤخذ من امرأة وتحقن في بويضة امرأة أخرى لأجل أن تكمل الجنين ماذا نعتبرها؟ وما تعريف الأم بالنسبة للأمراض الجينية؟ لكل داء دواء القاعدة الشرعية تسمح بهذا، وزواج الأقارب هناك إثبات علمي أنه يزيد في الأمراض المتنحية والمثل الذي ضرب دينياً أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجمع الصفات الكريمة وشكراً.

الرئيس: شكراً، الكلمة للدكتور. تيد بيترز.

د. تيد بيترز: أعتقد أنه قد تردد كثيراً هذا الصباح أن تقدم العلم في جميع أنحاء العالم يسير بخطى حثيثة بشكل يجبرنا على طرح الكثير من الأسئلة، وعدد من الأسئلة التي أثرت هنا تتمحور حول [التخصيب الصناعي، والأم البديلة، والتخصيب الصناعي بواسطة مانح] وجميع الاحتمالات المتعلقة بذلك نحاول أن نجيب عن تساؤلات أخلاقية من خلال الأحياء التي بشكل ما- إن كان بوسعنا تحديدها- يمكن أن

تتواجد بين الوالدين والأبناء بشكل وراثي وبشكل ما بصورة أخلاقية .  
والآن يمكننا أن نفهم لماذا اعتمد كل من الإسلام واليهودية على وجه  
التحديد على معيار القرابة البيولوجية في المواريث؟ وأتساءل إن كان  
بوسعنا طرح الأسئلة بصورة مختلفة إلى حد ما، لقد تأثرت في الحقيقة  
بوصف د. العوضي لأسرته . وأتساءل إن كان بوسعنا تبني آراء متباينة  
في الثلاث ديانات ونسأل: ماذا عن معيار القانون في حالة المولود  
الذي يولد في نطاق الأسرة لكنه لا يعد أحد الورثة البيولوجيين؟ غالباً  
ما تتمتع أدياننا بالقوة فيما يتعلق بال detologies ولنقل إننا نتطلع إلى  
تغيير يحدثه الله عز وجل في حياتنا المستقبلية، وأحياناً أتساءل إن كان  
هذا المستقبل أهم من وطننا؟ الآن حدث أنني أصبحت أباً ولدي أسرة  
إذ تبنت عدة أطفال ولقد كبر أطفالي، لذا أتساءل إن كان هناك في  
المعرفة والتقاشات الأخلاقية ما يمنع تبني أو استخدام العون في حدوث  
حمل في التقنية الإنجابية الطبيعية؟

الرئيس: أشكرك!

الرئيس: الشيخ محمد على التسخيري فليتمنئ

الشيخ محمد على التسخيري : أود أن أوضح للشيخ السلامي أن  
آية: ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ ليس فيها عموم نتمسك به في  
الموارد المشكوكة، هذه الآية فيها حصر للظهار؛ لأن هناك ظهار رجل  
يقول لزوجته (أنت علي كظهر أمي) هذه الآية تقول: لا، الأم هي الأم  
التي ولدت؛ فهذه الآية ليس فيها عموم حتى نتمسك بها في المعنى،  
أرجو أن نلاحظ أن الأم هي صاحبة البيضة أما صاحبة الرحم المستأجرة  
فيمكن أن نسميها أم رضاعة، وأريد أن أوضح لو أن العلم - كما قالت  
الدكتورة الشعبوني - استطاع أن يتمم اللقيحة إلى أن يوصلها إلى  
الطفولة ألا تبقى صاحبة البويضة أمماً لهذا الجنين مع أنها لن تلد هذا  
الجنين؟ وإنما كما أشارت خرجت من الرحم الصناعي الأم صاحبة



البويضة الأم الرضاعية هي صاحبة الرحم، وشيء آخر أنا لم أنكر أن قضية اختلاط الأنساب ظاهرة سيئة هي ظاهرة سيئة جدا وكبيرة، الشيء الذي أنكره أن تكون هذه القاعدة منطبقة في هذا المورد وأن يكون هذا المورد في مسألة اختلاط الأنساب، فلقد قلت: إذا كان بين الزوجين فهو معلوم وإذا لم يكن هناك جهل بالأب فليس في ذلك اختلاط أنساب حتى يضرب ويقاس بالنسبة للمرأة التي لم تعتدّ وأمثال ذلك، فأنا مع حرمة اختلاط الأنساب ولكن هذا المورد مشكوك الانطباق على موردنا.

نقطة أخرى أقولها إلى شيخنا العثماني - هل هو موجود أم لا؟ - شيخنا العثماني أشار إلى أن كل المجامع أبطلت، بالعكس فإن مجمع الفقه بجدة أجاز قضية المرأة المستأجرة، ومن ثم فإن للمجامع آراءها ويبقى للاجتهاد مكانه وتبقى القضية مفتوحة للفقهاء.

شيء آخر شيخنا العثماني أشار (وللعاهر الحجر) أنا أقول: إن في هذا لا يوجد زنا ولا يوجد عهر، زوج وزوجة لقحت ونقلت إلى رحم برضاها لا يوجد عهر حتى نقول للعاهر الحجر لا ينطبق هذا أبدا على موردنا، ومن هنا أنا أبقى على رأي فاتح للمجال لهذا النقاش لكي نصل فيه إلى موقف محدد وشكرا جزيلًا.

الرئيس: نحن نأسف وسوف ننهي الجلسة بسبب ضيق الوقت والغداء، وليس هناك مجال لباقي المتحدثين وشكرا.

## تابع اليوم الثاني (الثلاثاء ٧/٢/٢٠٠٦م)

المحور الثاني  
الجينات، وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة

الجلسة العلمية السادسة  
(التكاثر البشري والوراثة وجهة  
نظر الإسلام والمسيحية والمهنية)

الرئيس: الدكتور حسين الجزائري

المقرر: الدكتور حامد أحمد

المتحدثون:

١ - الدكتور جيرالد وينسلو

٢ - الدكتور محمد علي البار

٣ - الدكتور عبد الستار أبو غدة



# المبادئ المسيحية المنظمة للإنجاب البشري المعان

الدكتور جيرالد ر. وينسلو



## المبادئ المسيحية المنظمة للإنجاب البشري المعان

الدكتور جيرالد ر. وينسلو

مقدمة: يسبب عجز الزوجين عن إنجاب ذرية إحساسا كبيرا بالألم النفسى. لهذا فمن قديم الزمن وحتى الآن يحاول الأزواج الذين يعانون من مشاكل العقم الحصول على مساعدات من أجل حل مشكلاتهم ولقد قدم الطب فى العقود الأخيرة مجموعة متزايدة من تقنيات الإنجاب لمساعدة الأزواج غير القادرين على الإنجاب. وفيما يلى عرض لحالتين قد تسهمان فى كشف مدى تعقد المسائل الأخلاقية المتعلقة بتقنيات الإنجاب.

الحالة الأولى: (كل الأسماء المستخدمة فى هذه الورقة غير حقيقية) (ماري) فتاة فى الثانية والعشرين من عمرها كانت تستعد للزواج عندما داهمها ورم نادر استلزم استئصال الرحم لديها. ولكن الجراح تمكن من الحفاظ على المبيضين. شعرت (ماري) بحزن عميق لأنها وخطيبها [توم وايت] كانا يأملان فى إنجاب أطفال. وقد اقترحت ماري إلغاء الزواج احتراما لخطيبها حيث إنه كان الابن الوحيد لأبويه وكان يرغب هو وماري فى إنجاب طفل يحمل اسم الأسرة. ومع ذلك فقد أكد توم لماري أنه يحبها ويرغب فى إتمام الزيجة حتى وإن كانا لن يتمكننا من إنجاب أطفال، وقال لها: إنهما يمكنهما أن يتبنيا أطفالا. وبعد مرور أربع سنوات على الزواج بدأ كل من ماري وتوم فى التفكير

الجددي في تبني طفل، ولكن (سوزان) الأخت الكبرى لماري ناقشت احتمالاً آخر مع ماري وهو أن تقوم بدور أم بديلة خلال فترة الحمل وذلك حتى يتسنى لماري وتوم أن يحققا أملهما في إنجاب طفل يكون ابناً لهما من الناحية الوراثية. وبما أن سوزان كانت بالفعل أما لثلاثة أطفال فقد فكرت هي وزوجها في أن تلعب دور الأم البديلة لماري على اعتبار أنها وسيلة مقبولة لمساعدة الأخت. وبعد مناقشات طويلة ودقيقة مع سوزان ومع الأطباء في عيادة الخصوبة استقر رأى توم وماري وابت على وسيلة التلقيح الأنبوبي باستخدام خلاياهما التناسلية ثم بعد ذلك نقل الجنين المضغى إلى رحم سوزان لاستكمال الحمل. وتم إطلاع والدي توم على الخطة وتبرعا بالمساهمة في التكاليف الكبيرة لتقنيات الإنجاب. وفعلاً أسفرت الخطوات عن ثمانية أجنة مضغية وضع ثلاثة منها داخل رحم سوزان أما الخمسة الباقية فقد تم تجميدهم حتى يتسنى استخدامهم في محاولات أخرى في المستقبل. وقد حملت سوزان في جنين واحد وأنجبت ذكراً سليماً سمي (وليم) وهو ابن لأختها وزوجها. والآن وبعد عامين تفكر ماري وتوم في إنجاب طفل ثانٍ وسوزان مستعدة للتطوع بالحمل. والأسرة كلها تعتبر وليم الصغير منحة من الله ومعجزة تحققت عن طريق التكنولوجيات التي يستخدمها الطب الحديث.

**الحالة الثانية:** فشل الزوجان (كارول وبوب ليتل) على مدار عدة سنوات في إنجاب طفل. وقد اتضح بعد إجراء فحوصات دقيقة أن بوب يفرز حيوانات منوية بعدد كافٍ وقدرة ملائمة على الحركة ولكن كارول لا تفرز بويضات. كما ظهر أيضاً أنها تعاني من حالة مرضية بالقلب تجعل عملية الحمل على قدر من الخطورة بالنسبة لها. كارول وبوب كلاهما في منتصف الثلاثينات ويعملان في وظائف مجزية وبالتالي فإن تكاليف التلقيح الأنبوبي محتملة بالنسبة إليهما. وبعد أخذ

كل الاختيارات في الاعتبار قرر الزوجان البحث عن متبرعة بالبويضات أو عن امرأة شابة تستخدم للعلاج لزيادة التبويض وتبرع بعدد من البويضات مقابل مبلغ مالي. كانت الخطة هي ما يلي: استخدام أسلوب التلقيح الأنبوبي على حيوان منوي من بوب وبويضة من المتبرعة وبعد ذلك توضع الأجنة المضغية الناتجة من التلقيح في رحم امرأة أخرى تتلقى مبلغا من المال نظير الحمل حيث إن كارول قررت عدم المخاطرة بخوض تجربة الحمل لأنها كانت تعتقد أنها يجب أن تواصل عملها للمساهمة في دفع تكاليف التلقيح الأنبوبي. وقد نجحت الخطة بالفعل ونتج عن التلقيح الأنبوبي سبعة أجنة مضغية تم زرع ثلاثة منها في الأم البديلة التي حملت في جنين واحد. أما الأجنة المضغية الأربعة الباقية فقد تم تجميدها لتستخدم في المستقبل. وبالفعل ولدت طفلة صغيرة أسعدت قلب الزوجين. ولكن طرأت على الزواج بعض المشكلات التي أدت إلى الطلاق بعد ميلاد الطفلة بأربع سنوات. وبعد سنتين من وقوع الطلاق قررت كارول أنها ترغب في طفل آخر يكون شقيقا أو شقيقة لابنتها التي تعيش الآن معها. وكان الاتفاق الذي وقّع عليه كل من بوب وكارول قبل إجراء التلقيح يشترط [موافقة الطرفين على أى استخدام لهذه الأجنة المضغية] وعليه فقد تم الاتصال ببوب الذي رفض لأنه يرى أن هذه الأجنة متصلة وراثيا به هو وليس بكارول وبالتالي فهو غير راغب في استخدامها في حمل جديد. عند ذلك لجأت كارول إلى المحكمة للفصل في هذه المسألة فرفعت قضية نيابة عن الابنة بدعوى أنها الشخص الوحيد المتصل ١٠٠٪ بالأجنة المجمدة وأن عدم السماح لهذه الأجنة بأن تصل إلى مراحل الحمل والولادة سيحرمها من أن يكون لها أشقاء. أصدرت المحكمة الأولى حكما لصالح بوب ليتل استنادا على الاتفاق الأول الذي وقع عليه كلا



الطرفين على اعتبار أنه اتفاق ملزم ولكن الزوجة استأنفت ولم يحسم الأمر حتى الآن.

لا نستطيع أن نقول إن هاتين الحاليتين عاديتان، بل إن البعض ربما يجدهما غريبتين على الرغم من أنهما حدثتا بالفعل. ولكني أرجو أن تكون لهما فائدة في توضيح نوعية ومدى تعقيد بعض القضايا الخلافية المتصلة بموضوع تقنيات الإنجاب.

والهدف من هذه الورقة هو إيضاح المبادئ الأساسية المأخوذة من الديانة المسيحية التي من الممكن أن يتم تطبيقها على الطرق الطبية المستخدمة حالياً للمساعدة في الإنجاب البشري. فلو كان الزوجان وابت أو ليتل قد لجأ إلى المسيحية ليسترشدا بها في اتخاذ قرار حول موضوع تقنيات الإنجاب فما هي النصائح التي كانت ستقدم لهما؟

من الواضح طبعاً - حتى لمن لا يعرف الفرق المسيحية المختلفة - أنه لا يوجد رأي أخلاقي مسيحي واحد بالنسبة لتقنيات الإنجاب<sup>(١)</sup>. فمع اتفاق جميع المسيحيين على قبول الإنجيل على أنه المصدر الأساسي للإرشاد الأخلاقي ولكنهم في بعض الأحيان يختلفون اختلافاً كبيراً في تفسيرهم للكتاب المقدس وتطبيقاته الأخلاقية. كما يختلفون أيضاً في درجة اعتبارهم للمصادر الأخرى للأخلاق مثل العقل. لهذا فأنا لا أدعي أنني أمثل كل الاتجاهات المسيحية أو حتى اتجاهاً أساسياً من بينها، ولا أراغب حتى في أن أقول: إنني مجرد لاهوتي مسيحي مهتم بالقضايا الأخلاقية تخصّص في مجال الطب الإحيائي. والآراء التي سأعرضها في هذه الورقة هي محاولتي الشخصية لفهم المسيحية.

(١) للاطلاع على استعراض لمواقف الديانات التي تؤمن بالوحدانية تجاه الإنجاب البشري، راجع - جيه. جي - شنكر ممارسات الإنجاب المعان. وجهة النظر الدينية. الطب الإنجابي الإحيائي على الانترنت، يناير ٢٠٠٥، مجلد ١٠ رقم ٣ ص ٣١٠ - ٣١٩.

## إمكانية رفض كل تقنيات الإنجاب

قبل أن نتقل إلى المبادئ المسيحية التي من الممكن أن توجه تقنيات الإنجاب لا بد أن نعترف بأن هذه المبادئ لن تكون ضرورية إذا ما اتضح أن تقنيات الإنجاب غير مقبولة كلية. وهذا الرأي هو ما يؤمن به عدد كبير من المسيحيين. فمثلا لقد رفضت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في تصريحاتها كل تقنيات الإنجاب على أساس أنها تمزق بشكل غير مقبول الدور الإنجابي والتوحيدي للجنس في الزواج<sup>(١)</sup>. في خاتمة [منحة الحياة] كلمات تذكرنا "أن كنيسة الرب عندما تحمي الإنسان من المبالغ التي تدفعه إليها قوته، فإنها تذكره بأسباب نبهه الحقيقي، لأن هذه هي الطريقة الوحيدة لضمان إمكانية الحياة والحب بحرية وكرامة للرجال والنساء في المستقبل"<sup>(٢)</sup>.

ويقر كتاب [منحة الحياة] بالقوة الهائلة التي صارت للطب في مجال الإنجاب في العقود الأخيرة وهي تحذرنا من المخاطر الأخلاقية لتلك القوة. أما المسألة التي يتعين علينا معالجتها وهي كيفية المحافظة على حقوق الإنسان وعلى الكرامة الإنسانية بما يتماشى مع حب المسيح، فإن الطب الذي يخدم الأشخاص الذين اختارهم الله هو وحده الذي يدخل في نطاق مشيئة الله. وخطر تقنيات الإنجاب يكمن في كون مثل هذه التدخلات غير طبيعية، بل إن تقييم هذه الوسائل يجب أن يستند على علاقتها بالكرامة الإنسانية كما خلقها الله. لقد منح

(١) الاحتشاد من أجل الحياة - منحة الحياة الصادرة في ٢٢ فبراير ١٩٨٧ وقد تمت ترجمتها تحت اسم "إرشادات عن احترام الحياة الإنسانية في بدايتها وكرامة الإنجاب"، وأعيد طبعها في كتاب منحة الحياة رد العلماء المسيحيين على إرشادات الفاتيكان، بالإنجليزية تحرير آدموند دي بلليجرينو وآخرون واشنطن دي سي مطبعة جامعة جورج تاون، ١٩٩٠ ص ١ - ٣٧.

(٢) نفس المرجع ص ٣٦ - ٣٧.

الله لكل فرد من الجنس البشري كرامة تخول له الحق في الحياة من لحظة الحمل فيه وحتى الممات. ونقل الحياة الإنسانية عن طريق الإنجاب لا بد من الحفاظ عليه وفقا لمشيئة الرب.

تقدم الكنيسة الكاثوليكية اعتراضين أساسيين على تقنيات الإنجاب. الأول: متصل بالوضع الأخلاقي للجنين المضغى، فمذ اللحظة التي تتحد فيها خليتان تناسليتان لتكوين لاقحة تصبح هناك روح بشرية جديدة يتعين حمايتها حماية كاملة. لهذا فإن أى نوع من تقنيات الإنجاب قد يعرض الجنين المضغى للخطر يصبح غير مقبول.

ونصّ كتاب *منحة الحياة* (على أن كل الأبحاث ومن بينها مجرد ملاحظة الجنين المضغى تصبح غير مقبولة إذا كانت ستعرض سلامة الجنين أو حياته للخطر نتيجة للأساليب المستخدمة أو النتائج المتمخضة عنها)<sup>(١)</sup>. ووفقا لوجهة النظر هذه إذا تم إنتاج أجنة مضغية عن طريق التلقيح الأنبوبي فلا بد أن تتم حمايتها وتوفير الفرصة لها لتصل إلى الميلاد. ولا يجب التخلص من أي مضغ زائدة كما أن تجميدها أيضا مرفوض حتى ولو كان الهدف هو الحفاظ على حياة الجنين المضغى نظرا لأن التجميد من الممكن أن يعرض الجنين إلى أخطار إضافية ومنها الموت.

الاعتراض الهام الآخر للكنيسة الكاثوليكية متعلق بطبيعة وغرض الإنجاب عن طريق الجنس داخل الزواج. الإنجاب المسؤول لا يمكن أن يحدث إلا في إطار الإخلاص بين الزوجين وهو ما يعني - ضمن أشياء أخرى - أن الزوج والزوجة لن يصبحا أبوين إلا من خلال حب كل طرف للآخر. ولا يجب أن يكون هناك أى طرف ثالث في شكل أم بديلة أو متبرعين بالبويضات أو الحيوانات المنوية. وحتى التخصيب الاصطناعي باستخدام حيوانات الزوج مرفوض لأنه يلغي الصلة التي

تنتج عن المعاشرة الجنسية والوظيفة الإنجابية لتلك المعاشرة، ومن وجهة النظر الكاثوليكية لا بد أن يكون أي إنجاب نتيجة للقاء جنسي بين الزوج والزوجة، ولا بد أن يشتمل دائما على ممارسة الحب وإمكانية الأنجاب. وتستتبع هذه التعاليم الحظر المعروف لكل أصناف وسائل منع الحمل غير الطبيعية. وبالتالي فالنتيجة العملية هي إلغاء كل أشكال تقنيات الإنجاب تقريبا. حتى ولو كانت البويضة والحيوان المنوي مملوكين للزوجين؛ فاستخدام تقنيات الإنجاب مرفوض لأنه يفصل عملية الإنجاب عن المعاشرة الجنسية. كما أنه مرفوض أيضا لأنه يكل حياة وهوية الجنين المضغى إلى الأطباء وعلماء الأحياء مما يرسخ سيطرة التكنولوجيا على أصل ومصير الإنسان<sup>(١)</sup>.

ولقد اعترض بعض اللاهوتيين الأخلاقيين الكاثوليك على إصرار الكنيسة الكاثوليكية الصارم على أن كل طفل لا بد وأن يكون نتاجا لممارسة الحب بين زوجين<sup>(٢)</sup>. فعلى سبيل المثال [ليزا سويل كاهيل] وهي لاهوتية أخلاقية هامة في الولايات المتحدة اكدت على أهمية أن يكون كل إنجاب ناجما عن علاقة محبة بين زوجين<sup>(٣)</sup>. وهي تعتبر علاقة الحب هذه بين الزوجين السمة الأخلاقية الأساسية للحياة الزوجية. وتقول: إن كل الأفعال التي يقصد بها تسهيل الحمل يجب أن تقوم من الناحية الأخلاقية على أساس علاقة الحب الزوجي هذه وتدعيمها للإخلاص الزوجي. وهذا الكلام يعنى بالنسبة لكاهيل أن دخول طرف ثالث في هيئة بديل يخلق مشكلة أخلاقية لأنه يدل على أن الرغبة في الإنجاب أهم من الرغبة في الحفاظ على هذه الشراكة

(١) ص ٢٧.

(٢) ص ٣٠

(٣) ليزا ساويل كاهيل، ما طبيعة الوحدة بين الجنس والحب والإنجاب؟ في منحة الحب،

تحرير ادموند يللجربنو ص ١٣٧ - ١٤٨.

الزوجية. وترى كاهيل أنه يجب تقييم قضايا التلقيح الإنبوبي باستخدام الخلايا التناسلية للزوجين في ضوء العلاقة الزوجية كلها<sup>(١)</sup>. وهي تذهب إلى أن هذه الوسيلة مقبولة أخلاقيا ويجب أن تتوفر للزوجين إذا ما استخدمت في إطار علاقة زواج يدعمها الحب.

وقد قدم [توماس شانون] وهو لاهوتي كاثوليكي آخر مهتم بالقضايا الأخلاقية نقدا مشابها لنقد كاهيل. وهو يقول: (إن الرأي الكاثوليكي التقليدي يركز كثيرا على الفعل الجنسي دون الأخذ في الاعتبار العلاقة الكلية للشخصين). ويرى شانون: (أن الزوجين اللذين يعانيان من عدم الإنجاب ويسعيان لاستخدام التلقيح الإنبوبي إنما يظهران استعدادهما للإنجاب في إطار الإخلاص الزوجي). وهو يرفض التفكير الأخلاقي الذي يشترط أن يكون كل إنجاب ناتج عن معاشرة جنسية ويقول "لماذا نعطي المعاشرة الجنسية أهمية أكبر من الناحية الأخلاقية عن أهمية رغبة الزوج والزوجة في أن يصبحا أبوين عن طريق استخدام المواد الوراثية المملوكة لهما؟ هذا شيء غير واضح وغير مفهوم"<sup>(٢)</sup>. ويدعو شانون - كما تفعل كاهيل أيضا - زملاءه من اللاهوتيين الكاثوليك المهتمين بالقضايا الأخلاقية إلى إعادة التفكير في الطريقة التقليدية التي تعطي الاعتبار الجسدية أهمية أكبر من الاعتبار الشخصية. وفي رأي شانون أن المبادئ المسيحية تقود إلى الاعتقاد بوجود إتاحة أساليب مثل التلقيح الأنبوبي للأزواج الذين يشعرون بالإحباط نتيجة لعدم القدرة على الإنجاب. فيقول: "إن الزوجين اللذين يستخدمان التلقيح الأنبوبي يفعلان ذات الشيء الذي يفعله زوجان آخران بدون التلقيح الإنبوبي ألا وهو التعاون من أجل إيجاد مخلوق جديد ينتج عن جبهما وجسديهما"<sup>(٣)</sup>.

(١) نفس المرجع ص ١٤٢.

(٢) توماس أ. شانون - تقنيات الإنجاب: القضايا الدينية والأخلاقية في تقنيات الإنجاب.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٥.

وأنا أشارك كاهيل وشانون وآخرين عدم الاقتناع بما تسوقه الكنيسة كأسباب لإصرارها على عدم الفصل بين الإنجاب والوظيفة التوحيدية لكل فعل جنسي داخل مؤسسة الزواج، وبالتالي لرفضها لكل أنواع تقنيات الإنجاب. وحتى التعاليم الكاثوليكية تعترف بأنه يجوز في بعض الحالات للزوجين تحاشي الإنجاب.<sup>(١)</sup> ولم يُذكر أي موضع في الكتاب المقدس بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أن استمتاع الزوجين بالجنس دون نية في الإنجاب يعد عملاً غير أخلاقي. وسوف أوضح فيما بعد أنه من المنظور المسيحي يجب ألا يكون خيار تقنيات الإنجاب مطروحا إلا في خلال إطار الحب الزوجي؛ وهو ما يؤكد ضرورة الربط بين نية الإنجاب والعلاقة الزوجية في مجملها وليس عن حالة أو مرة واحدة من المعاشرة الزوجية.

والموقف الكاثوليكي من عملية تقنيات الإنجاب حتى وإن كان مغاليا في التقييد، إلا أنه يذكر جميع المسيحيين بالقيم الأساسية الجديرة بالمحافظة. ومن بينها منحة الحياة التي توهب للإنسان وهي منحة ثمينة جدا ولا يجوز انتهاكها بأى حال، وأيضا كرامة الحياة الإنسانية التي يهبها الله وحده، وكذلك أهمية الحفاظ على المعنى الأخلاقي للإنجاب باعتباره فعل حب بين الزوجين. هذه القيم توجه المسيحيين إلى القيم الأساسية التي يجب الاسترشاد بها عند الاستعانة بتقنيات الإنجاب.

### ١. يجب تقدير الأطفال لكونهم منحة من الله

إن الإنجاب هو جزء من نعم الله على الأشخاص المتزوجين. والآن وبعد أن بلغ تعداد العالم عدة مليارات فربما يكون قد أصبح

(١) نفس المرجع، ص ٤٢، ويذكر شانون بعض الاستثناءات المعترف بها داخل التعاليم الكاثوليكية مثل الاحتياجات الصحية للأم.

حث الناس على التناسل والتكاثر - كما يأمر كتاب التكوين - أمرا غير ضروري.<sup>(١)</sup> ولكن التناسل هو ما أمرنا به الله وهو أمر نجح بنو البشر نجاحا واضحا في اتباعه. وقد وعد الله من اختارهم ليكونوا شعبه "لاباركك واكثرن ذريتك فتكون كنجوم السماء وكرمل شاطئ البحر" (التكوين ٢٢: ١٧)<sup>(٢)</sup>. ولقد اعتبرت كثرة عدد الأطفال نعمة كبرى. فكما يقول المزمور:

"البنون ميراث من عند الرب، والأولاد ثواب منه. أبناء الشبيبة مثل سهام في يد جبار متمرس طوبى للذى ملأ جعبته منهم."<sup>(٣)</sup>

فعدم الخصوبة أو العقم إذن كانا يعنيان الحزن وخيبة الأمل، وكثيرا ما تذكر القصص في الإنجيل أشخاصا يطلبون من الله معجزة تعاونهم في قهر العقم، وكثيرا ما كان الله يجيب دعواتهم (التكوين ٢٥: ٢١). ومرة أخرى تصف الكلمات الشعرية للمزمور سيد الكون على أنه نصير لعباده يعاونهم في الانتصار على عدم الخصوبة: "يرزق العاقر أولادا. يجعلها أمأ سعيدة."<sup>(٤)</sup>

قد يذهب البعض إلى أن المجتمعات الزراعية القديمة والمجتمعات القبلية كانت تعتبر الأبناء مصدرا للثراء والأمن. وعلى ذلك يجب علينا أن نفهم موقف الإنجيل في اعتبار الأطفال نعمة في ضوء ظروف ذلك العصر كما يجب علينا أن نعترف بالفروق الجوهرية بين تلك الظروف وحالتنا كمجتمعات حضرية تعاني من زيادة السكان. وعلى الرغم من أهمية هذه الظروف التي لا يمكننا تجاهلها إلا أن

(١) كل الاستشهادات المأخوذة من الإنجيل من النسخة الدولية الجديدة.

(٢) أنظر الخروج ٣٢: ١٣.

(٣) الزمور ١٢٧: ٣ - ٥

(٤) الزمور ١١٣: ٩

الأشخاص الذين يشكّل خيالهم الأخلاقي على أساس الإنجيل يغلب عليهم اعتبار كون الإنسان أبا وجدا إحدى النعم، ذلك أن الإنسان عندما يرمى أطفاله يكتسب معلومات فريدة عن حب الله الأبدي. إن القدرة على الوفاء بالالتزامات حتى إذا تضمنت تضحيات من أجل الأجيال القادمة هي خصيصة أودعها الله بني البشر.

وهذا الكلام يعني أننا نقلد الله عندما نعاون من يعانون من عدم الخصوبة في تحقيق أملهم في أن يكون لديهم أطفال. وهو لا يعني أننا نحاول أن نلعب دور الرب كما يقول البعض لأننا لو نظرنا إلى الأمر من هذه الواجهة لاعتبرنا كل أشكال التدخل الطبي نوعا من الاستيلاء على سلطة الله. ففي النهاية إذا أرادت مشيئة الله أن تحيي أحدا أو تميته فلماذا نتدخل نحن بمحاولات طبية لإطالة عمره. إن استخدام تقنيات الإنجاب أو التلقيح الأنبوبي أو التلقيح الصناعي (عن طريق الحيوانات المنوية للزوج) ينبغي أن يفهم على أنه نوع من التعاون مع الله الذي يملك وحده منح الحياة. وإذا كانت هذه الطرق المعينة على الإنجاب لا تلغى المبادئ المسيحية، فيجب علينا إذن الاحتراف بها على اعتبار أنها فرص لمعاونة من لديهم احتياجات طبية خاصة.

من الجائز أن عدم الخصوبة لا يعتبر حاجة طبية ولكن حقيقة الأمر هي أن القدرة على الإنجاب جزء من القدرات الإنسانية الطبيعية وبالتالي فعدم القدرة على الإنجاب هي نوع من الإعاقة خاصة عند من يرغبون في ذلك بشدة. وكما هو الحال مع أي إعاقة أخرى يترتب عليها انخفاض في جودة الحياة، فإن البحث عن سبل لتخفيف هذه الإعاقة أو التغلب عليها هو هدف مشروع للطب. إن الأسى الذي يشعر به من يعجزون عن الإنجاب يجب أن يحرك لدينا شعورا بالتعاطف واستعدادا للمعاونة طالما أنها معاونة في حدود الأخلاق.



## الإنجاب يجب أن يتم في إطار علاقة زوجية يسودها الحب

يزدهر الأطفال في كنف علاقات أسرية تتسم بالأمن يسهم فيها كل من الأب والأم بتنشئتهم. ووفقا للإنجيل يجب أن يتعلم الأطفال مسؤولياتهم الأخلاقية من أبويهما (التثنية ٦: ٦-٧)، وعليهم احترام وطاعة وإجلال الوالدين (الخروج ٢٠-١٢، الرسله إلى مؤمني أفسس). وكتاب الأمثال يقول "فخر الأبناء آبائهم" (٦: ٧١). كما يشبه الكتاب المقدس (الرب بالأب المخلص) (العبرانيين ١٢: ٧-١٠).

تُحوّل أسباب متعددة دون رعاية كلا الأبوين للأبناء وهو النموذج الذي يصفه الإنجيل. فأحيانا يكون ذلك نتيجة للوفاة أو الطلاق أو الهجر مما يضطر بعض الآباء أو الأمهات إلى رعاية الأطفال دون شريك. ولكن وجود هذا الواقع لا يعنى أبدا أن الأخلاق تسمح أن يعتمد أحد إلى خلق وضع يحرم الأبناء من مزايا أن يكون لهم أبوان. من وجهة النظر المسيحية، يجب أن تتاح تقنيات الإنجاب المتنوعة للأزواج الذين يرغبون في الإنجاب بكامل إرادتهم. نظرا لأهمية الحفاظ على سلامة وخصوصية العلاقة الزوجية، فهناك أسباب أخلاقية تثير الشكوك حول تدخل طرف ثالث في عملية الإنجاب ولهذا السبب فإن شراء واستخدام حيوانات منوية أو بويضات من متبرعين وكذلك اشتراك بدلاء كلها أمور تثير أسئلة صعبة حول حماية العلاقة الزوجية وتجريد عمليه الإنجاب من سماتها الإنسانية. تشمل هذه الوسائل تدخلا لطرف غريب في الزواج حتى ولو كان هذا الطرف موجودا فقط بشكل بيولوجي أى أنه موجود داخل الطفل الذي يتم إنتاجه بهذه الوسيلة. وربما يكون الفصل المتعمد للأبوة أو الأمومة البيولوجية عن الأبوة أو الأمومة الاجتماعية بمثابة تهديد لسلامة الزواج ولهوية الأطفال الذين يتم إيجادهم بهذه الطريقة. بالطبع هناك من يقومون بتبني طفل وإعطائه بيئة منزلية تتسم بالحب دون أن يكونا الأبوين البيولوجيين له.

ولكن التبني يقوم بتلبية احتياجات طفل موجود بالفعل ويستحق أن ينعم بالأمان ويشعر أن له بيتا. أنا لا أعتقد أن أحدا ينبغي طفلا ليركبه للتبني. وبالتالي يجب عدم استخدام تقنيات الإنجاب لإيجاد أطفال لن يعرفوا من هم أبائهم ولا أمهاتهم البيولوجيون.

وبنفس الطريقة يستبعد الرأي الذي يرى [أن تقنيات الإنجاب يجب أن تقتصر على الأزواج الذين يرغبون في الإنجاب] فكرة إنجاب أطفال عن طريق الاستنساخ ودون معاشرة جنسية. الآن يوجد ما يكاد أن يكون شبه إجماع لدى المسيحيين بأن استنساخ البشر أمر غير مقبول من الناحية الأخلاقية لأسباب كثيرة هامة؛ من ضمنها أنه يتضمن مخاطر ممكنة بالنسبة للصحة الجسدية والنفسية للأطفال الذين يتم إيجادهم بهذه الطريقة وأيضا لأن الاستنساخ يفصل الإنجاب عن العلاقة الزوجية للشخصين.

### يجب احترام حياة الإنسان في كل مراحلها

الإنسان هو المخلوق الوحيد بين كل المخلوقات الموجودة على الأرض الذي وصفه الله بأنه " خلق على صورة الله " (التكوين ٩: ٦). ومنذ أن نفخ الله الروح في آدم وحواء والحياة تنتقل من جيل إلى آخر كما تنتقل النار من شعلة إلى أخرى. ومن غير المجدي أن نتساءل: متى بدأت حياة الإنسان؟ فهي قد بدأت عن طريق الخلق الإلهي وتستمر عن طريق نعمة الإنجاب، والبحث عن توقيت يمكن فيه القضاء على حياة إنسانية دون أن نشعر بالندم هو بحث عن شيء خارج الترتيبات الإلهية.

القبول بعدم انتهاك الحياة الإنسانية يعني المحافظة على الحياة وهي تنمو وتتطور. ولكن هل يعني هذا أن تجميد الأجنة المضغية البشرية أمر غير مقبول من الناحية الأخلاقية؟ الإجابة على هذا السؤال هي النفي. وذلك لعدة أسباب. منها: أن الهدف من الحفاظ على هذه الأجنة المضغية بالتبريد هو الحفاظ على إمكانية الحمل والولادة فكل أشكال تقنيات الإنجاب تحمل في طياتها مخاطر أعلى للأجنة مقارنة

بالوسيلة المعهودة للإنجاب. ولكن علينا أن نلاحظ أن الأغلبية العظمى من الأجنة المضغية الناتجة عن الممارسة الجنسية الطبيعية لا تصل إلى مرحلة الولادة. (١)

وتطرح المحافظة على الأجنة عن طريق التجميد عدداً من الأسئلة مثل: ماذا سيحدث للأجنة إذا قرر الزوجان عدم نقلها إلى الرحم ربما لأن لديهما عدداً كافياً من الأطفال أو ربما لأسباب أخرى مثل تغير الحالة الصحية أو الزوجية؟ ما الذي سيحدث في ذلك الوقت لهذه الأجنة الاحتياطية؟

هناك ثلاث احتمالات: الاحتمال الأول: أنه يمكن الحفاظ على هذه الأجنة المضغية إلى أجل غير مسمى عن طريق التجميد والتكلفة لذلك منخفضة، كما أنه لا يوجد دليل علمي على أن الاحتفاظ بالأجنة لمدد طويلة يجعلها غير صالحة للحياة. والاحتفاظ بهذه الأجنة لمدة غير محددة يترك الباب مفتوحاً إذا تغيرت ظروف الزوجين مما قد يغير استعدادهما لنقل هذه الأجنة.

الاحتمال الثاني هو التخلص من هذه الأجنة؛ ففي الوقت الحالي معظم الأزواج يختارون التخلص من هذه الأجنة بعد التأكد من الحصول على عدد الأطفال الذين يرغبون فيه. (٢)

(١) مصادر معلوماتي من المتخصصين في التوليد يوضحون أن نسبة الأجنة المضغية التي لم يتم زرعها تتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ ووفقاً للمعلومات الحالية يعنى هذا أن كل الأجنة المضغية الناتجة عن المعاشرة الجنسية لا تصل إلى الميلاد. وبالرغم من أن هذه النسب تقل عن متوسط نسبة الفشل بالنسبة للتلقيح الأنبوي، إلا أن عيادات العقم تصرح بأن معدلات الزرع تتراوح بين ٣٠٪ و ٤٠٪.

(٢) توضح دراسة أجريت في استراليا أن حوالى ٩٠٪ من الأزواج الذين رفضوا نقل الأجنة المجمدة قرروا التخلص منها. جي - تى - كوفاكس وآخرون، التبوع بالأجنة في عيادة تلقيح أنبوي بجامعة استرالية، المجلة الطبية الاسترالية ٢٠٠٣، مجلد ١٧٨ رقم ١٣ ص ١٢٧ - ١٢٩.

أما الاحتمال الثالث فهو التخلي عن هذه الأجنة لكي يتبناها أزواج آخرون فشلت جهودهم في استخدام تقنيات الإنجاب الأخرى. ولكن هذه الوسيلة لا بد أن تدرس باهتمام، ولقد ذكرت أيضا أن أفضل طريقة لرؤية تقنيات الإنجاب هو اعتبارها خيارا أخلاقيا للأزواج الذين يسعون للحصول على مساعدة لإنجاب طفلهما. أما الإيجاد المتعمد لجنين مضغى بغرض التخلي عنه لأغراض التبني فينتوى على مخاطرة إهانة الحياة الإنسانية. ولكن ماذا عن الأجنة التي يتم تجميدها بغرض نقلها إلى رحم الأم الوراثية ثم يصبح هذا الأمر غير مرغوب فيه أو غير ممكن؛ في هذه الحالة إذا قرر الأبوان البيولوجيان لهذه الأجنة التخلي عنها لمن يرغب في التبني فإن هذا يكون أفضل خيار، حيث إنه يحافظ على أكبر عدد من القيم المهمة، حيث إن الأبوين بالوراثة لهذه الأجنة يوفران فرصة الحمل والإنجاب الرائعة لزوجين آخرين. على الرغم من أنه لا يجب فرض مثل هذا القرار على أى زوجين، إلا أنه يجب تشجيعهما عن طريق توفير المعلومات الدقيقة عن إمكانية مساعدة الآخرين.

يجب اتخاذ قرار باستخدام الوسائل المساعدة للإنجاب بكامل الحرية وبناء على معلومات حقيقية.

تفضّل الأخلاق المسيحية الصدق واحترام الاستقلالية الشخصية. لذلك يجب ضمان حصول كلا الزوجين الساعين إلى الإنجاب باستخدام تقنيات الإنجاب على المعلومات الصحيحة عن المخاطر والتكلفة وفرص النجاح ليتنسى لهما اتخاذ القرار. فمعدلات نجاح التلقيح الأنبوبي مثلا تختلف اختلافا بينا من عيادة إلى أخرى والتكلفة أيضا. وفي السنوات الماضية كان كثير من العيادات تُعلن عن تقنيات الإنجاب ولكنها كانت تخفى انخفاض نسبة نجاحها في استخدام هذه الوسائل. ولكن الأمور في الولايات المتحدة تغيرت بشكل كبير بعد

سن قانون فيدرالى يلزم كل البرامج التي تقدم تقنيات الإنجاب بتدوين معدلات نجاح حدوث حمل بمتهى الدقة وإخطار الحكومة الفيدرالية بهذه المعدلات.<sup>(١)</sup> إن الأزواج الذين يسعون إلى الاستعانة بتقنيات الإنجاب يجب أن يعلموا مدى نجاح العيادة التي وقع عليها اختيارهم في هذا المجال كما أنه من حقهم أيضا معرفة التكلفة ودرجة الخطورة.

لابد أن يكون واضحا أن استخدام تقنيات الإنجاب هو قرار شخصى للزوجين يقبلانه أو يرفضانه. ولا بد من الحيلولة دون وجود أى إكراه على استخدام هذه الوسائل. وبما أن أى علاقة حب تستلزم الحرية، لذلك فعندما يفكر الزوجان في مثل هذا القرار، لابد من التأكد من فهمهما لما يستتبعه القرار والتأكد أيضا من حريتهما في قبول أو رفض تقنيات الإنجاب. ولكن في بعض الثقافات تُصعَّب الضغوط الاجتماعية القوية من أجل الإنجاب ضمناً لاحترام الحرية الشخصية. ومع هذا فإن قرار الأبوة أو الأمومة له من الخطورة والأهمية مكان وله نتائج شخصية كثيرة جدا بحيث يجب بذل كل مجهود للسماح بالتفكير والقرار الأمين.

الخاتمة: إن المبادئ الأربعة التي تم توضيحها فيما سبق لا تمثل كل الاعتبارات التي يجب أن يفكر فيها المسيحيون عند تقييم تقنيات الإنجاب. بل إن هناك بالفعل اعتبارات كثيرة أخرى هامة. ومنها على سبيل المثال: الحفاظ على الموارد الشخصية خاصة في عالمنا الذي تكثر فيه الحاجات. لذلك لابد للزوجين المسيحيين من التفكير في عشرات الألوف من الدولارات التي تتكلفتها تقنيات الإنجاب وما إذا

(١) نسبة نجاح عيادة الخصوبة وقانون ١٩٩٢ (القانون العام للولايات المتحدة ١٠٢-٤٩٣ - حالياً أكثر من ٩٥ ٪ من عيادات تقنيات الإنجاب تتوافق مع متطلبات التسجيل التي يوجبها هذا القانون وتلك التي لا تتوافق تسجل على أنها من العيادات غير المسجلة في قائمة نشرها مركز مكافحة الأمراض، ديفيد آدمسون، تنظيم تقنيات الإنجاب المعان في الولايات المتحدة في تقنيات الإنجاب: تحرير توماس شانون. ص ١ - ٢٢.

كان مثل هذا الإنفاق رشيدا بالقياس إلى موارد ومسؤوليات الزوجين . ولا بد من التفكير من الناحية الأخلاقية فيما إذا كان من الأفضل في عالم يعاني من مشاكل الزيادة السكانية أن يقوم مثل هذين الزوجين بتبني أطفال بدلا من إنجاب المزيد من الأطفال . كما تثير تقنيات الإنجاب أيضا أسئلة عميقة عن العدالة الاجتماعية؛ فهل من العدالة أن يتمكن الأزواج الذين لديهم تأمين صحي أفضل أو الأزواج الأكثر ثراء من الحصول على التقنيات المتنوعة للإنجاب بينما تقل أو تنعدم فرصة الأزواج الأقل ثراءً في الاستفادة من مثل هذه التكنولوجيا؟ .

لم أتمكن نظرا لقصر هذه الورقة من تناول كل المسائل الأخلاقية المتصلة بتقنيات الإنجاب . ولكن المبادئ الأربعة الآنف ذكرها تسمح لنا بالوصول إلى قرارات بشأن الحالتين اللتين بدأتُ بهما الورقة .

الحالة الأولى وهي حالة الزوجين (وايت) والتي تكاد أن تنسجم مع المبادئ الأربعة؛ فالزوجان لديهما معلومات كافية واتخذا قرارهما بكامل الحرية باستخدام تقنيات الإنجاب من أجل إنجاب طفل يكون متصلا بهما وراثيا . وهدف الزوج من الاحتفاظ بالأجنة المضغية الإضافية بالتجميد هو أيضا لأجل الحياة الإنسانية . ولكن اشتراك الأخت الكبرى (لماري وايت) يُعقّد الموقف الأخلاقي حيث أصبح هناك طرف ثالث مشترك بصورة وثيقة في عملية الإنجاب . مع أن المبدأ الذي ذكرناه فيما سبق لايساند اشتراك طرف ثالث في العملية الإنجابية، إلا أن مثل هذه المبادئ لا بد أن تطبق بعد أخذ الموقف كاملا في الاعتبار . وأنا أرى أن تدخل الأجنة من الممكن أن يبرر على أنه نوع غير عادي من التعاطف المسيحي، فالأجنة لا تهدف إلى ربح مادي وليست لها أي اعتبارات أخرى متصلة بالمنفعة الشخصية . لذلك فعلى الرغم من أنه من الممكن تقديم اعتراضات من الجانب الآخر، إلا أنني أرى وجود أدلة كافية لتبرير قرار الزوجين (وايت) .

أما الحالة الثانية وهي حالة الزوجين (ليتل) فتثير بعض المشكلات

الإضافية. أولها: وجود امرأة متبرعة بالبويضات وأخرى متبرعة بالحمل وكلا المتبرعتين تلقت مبالغ كبيرةً مقابل مشاركتها وهذا بالطبع يعقد المسألة من ناحية الأخلاقيات المسيحية. وهناك مشكلة أخرى نتيجة أن الأجنة المضغية متصلة وراثيا بالسيد (ليتل) ولكنها غير متصلة بزوجته. وبدراسة الموقف الكلي لهذين الزوجين توصلت إلى أن حالتهما خارج حدود المبادئ المسيحية التي ذكرناها هنا. أما كونهما تعرضا فيما بعد إلى مشاكل إضافية نتيجة للطلاق والنزاع حول الأجنة المضغية المجمدة فهي غير متصلة بتقييم قرارهما الأول باستخدام تقنيات الإنجاب. ومع هذا، فقد ازدادت حدة المشكلات بالطبع نتيجة لتعقد العملية الأصلية التي أدت إلى الإنجاب.

وعلى أساس تاريخ تقنيات الإنجاب حتى الآن، يمكن أن نتوقع ارتفاع معدلات نجاح وسائله ومنها (التلقيح الأنبوبي). ونستطيع أن نتوقع أيضا انخفاض التكلفة مما يعنى أن من لديهم مشكلات عدم خصوبة سوف يلجأون للحصول على المساعدة عن طريق وسائل مثل: التلقيح الأنبوبي. وهناك بالفعل عشرات الآلاف من الأطفال الذين ولدوا نتيجة هذه المساعدات الطبية (أعلنت أول عيادة للصحة الإنجابية في الولايات المتحدة قدمت التلقيح الأنبوبي على أنها أوشتت على الوصول إلى المولود رقم ٣٠٠٠ في برنامجها)<sup>(١)</sup>. ولكن هذا النجاح له تكلفة أخلاقية كبرى؛ فعلى سبيل المثال يقدر أن هناك حاليا في الولايات المتحدة الأمريكية مخزوناً من الأجنة المضغية المجمدة يقدر بحوالى ٤٠٠٠٠٠٠.<sup>(٢)</sup> وأغلبهم محتفظ به لما يسمى (بناء الأسر). ولكن من المحتمل جدا أن يختلف مصيرهم مثل أن يُستخدموا في

(١) معلومات من معهد جونز لطب الإنجاب موجودة في WWW.Jonesinstitute.org

<http://WWW.Jonesinstitute.org> الخصوبة والعقم، مايو ٢٠٠٣، مجلد ٧٩،

رقم ٥، ص ١٠٦٣ - ١٠٦٩.

(٢) ب. سميتنا " ٤٠٠ ك والعهد: المسيحيون يخافون من زيادة عدد الأجنة المضغية المجمدة

" المسيحية اليوم. يونيو ٢٠٠٣، عدد ٤٧، رقم ٧، ص ١٧.

الأبحاث أو يتم التخلص منهم، وهناك بالفعل منظمات مسيحية قائمة من أجل تسهيل تبنى هذه الأجنة المجمدة غير المرغوب فيها. وتوضح هذه التطورات أنه بعد حوالي ثلاثة عقود من أول ولادة لطفل أنابيب لا يزال هناك احتياج للتفكير الجيد في الناحية الأخلاقية. بالنسبة لمن يؤمنون بوجود خالق قادر على كل شيء، ويعتبر العمل في مجال الأخلاق وسيلة لخدمة الله عن طريق البحث عن تطبيقات لا تتعارض مع مشيئته الموجودة في كتابه.





# بحث عن تقنيات الوراثة والتكاثر البشري من المنظور الإسلامي

مقدم من  
الدكتور محمد علي البار



## تقنيات الوراثة والتكاثر البشري من المنظور الإسلامي

الدكتور محمد علي البار

زميل الكلية الملكية للأطباء

مقدمة :

إن المشاكل الأخلاقية التي أثارها ما أحرزه الطب مؤخرا من تقدم كبير تتطلب مواجهة من الأخلاقيين وفلاسفة الطب والمحامين وأعضاء البرلمان والزعماء الدينيين وكذلك من الأطباء المنغمسين في المعضلات اليومية. إن الإسلام ليس دينا فحسب، ولكنه دستور حياة يجمع بين المادي والروحي، وبين الدنيوي والسماوي وذلك من خلال منهجه الشامل. إن رجال الدين المسلمين (والواقع أنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى برجال الدين) ليسوا زعماء روحيين فحسب، إنهم أيضا الفقهاء وفلاسفة الأخلاق.

وصحيح أن الأساليب والتقنيات الجديدة في مجال الطب ليست مسبقة ومن ثم تجعل من الصعب على فقهاء المسلمين إصدار أحكام بشأنها. إلا أن هؤلاء الفقهاء كانوا في حالة نشاط دائم خلال الأعوام الأخيرة وعقدوا العديد من المؤتمرات التي دعى إليها رجال الطب حيث تمت مناقشة قضايا هامة كموت الدماغ، علي سبيل المثال، وزرع الأعضاء البشرية والطرق الجديدة للتناسل، والإجهاض، والقتل

الرحيم. وقد تمخضت الأبحاث والممارسات الطبية في عالم تتسارع فيه الاكتشافات الطبية والتكنولوجية.

ولعلّه من الأهمية بمكان أن نعرف كيف يتوصل الفقهاء إلى أحكامهم بشأن هذه القضايا الشائكة التي يحتمل الجدل حولها.

من المعلوم أن الفقه الإسلامي يقوم على دعامتين:

١ - الأصول.

٢ - الفروع، وهي التي تتضمن الأحكام الفعلية الصادرة عن مدارس الفقه المختلفة في شتى جوانب الحياة والعبادات.

ويصل الفقيه إلي أحكامه عن طريق دراسة متأنية للقرآن الكريم والسنة الشريفة التي تشمل ما يأتي: -

- السنة القولية: وهي مجموع أقوال الرسول (ﷺ) وأحاديثه.

- السنة الفعلية: وهي مجموع أفعال الرسول (ﷺ).

- السنة التقديرية: وهي الأمور التي صادق عليها الرسول (ﷺ).

إن سلوكيات الرسول (ﷺ) هي النموذج والمثال الأعلى الذي يطمح كل مسلم أن يصل إليه.

فإذا لم يستطع الفقيه أن يتوصل إلي الحكم المراد من خلال دراسته وتمحيصه للقرآن والسنة، لجأ إلي القياس والاجتهاد. كما أن له أن يستخدم مصادر أخرى مثل "المصالح المرسلة"، وهي تعني ببساطة أن يأخذ الفقيه المصالح العامة للناس بعين الاعتبار على ألا تتعارض مع أي نص في القرآن أو السنة. ولأتباع المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي مصدر مشابه يسمونه (الاستحسان)، أي السعي إلي أفضل حل يتفق مع المصلحة العامة. والإجماع هو الرأي الذي يجمع عليه كافة فقهاء المسلمين في جميع أنحاء العالم بشأن قضية معينة. إلا أنه

من الصعب للغاية التوصل إلي هذا الإجماع . والأقرب منه اتفاق غالبية الفقهاء علي رأي ما . وهذا هو ما حدث بالفعل فيما يتعلق بجميع الأحكام التي اعتمدها مؤتمرات الفقهاء المشار إليها آنفا .

### أهداف التعاليم الإسلامية :

إن الهدف الأساسي من التعاليم الإسلامية هو الحفاظ علي خمس ضرورات<sup>(١)</sup> لاغنى عنها، وهي :-

- الدين: وهو عقيدة الإنسان التي يضحى من أجلها بأي شئ آخر .
- الحياة: إن الحفاظ على حياة الكائن البشري هو قدس الأقداس في هذه الدنيا . يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> (الأنعام: ١٥١)
- ونقرأ في سورة المائدة قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ أَجَلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(٣)</sup> (المائدة: ٣٢) .
- العقل: أي الحفاظ على سلامة العقل وصحته . لذلك من غير المباح للمسلم أن يتعاطى الخمر أو المخدرات لأنهن مذهبات للعقل .
- المال: لا ينبغي تبديد المال، فثروة المرء هي في واقع الأمر جزء لا يتجزأ من ثروة المجتمع . ومن ثم، لا يجب أن ينفق إلا في مصارفه الشرعية .

(١) أبو زهرة م . أصول الفقه، دار الفكر العربي القاهرة ص ٣٦٦ - ٣٧٠ .

(٢) القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية ١٥١ .

(٣) القرآن الكريم: سورة المائدة، الآية ٣٢ .

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا  
وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(١)</sup> (النساء: ٥).

٥ - النسل: يحرم الإتيان بأي فعل يسبب للنسل أي أذى. إن الأسرة هي حجر الزاوية للمجتمع. والزواج هو المؤسسة الوحيدة التي يعترف بها الإسلام طريقا للإنجاب. فالإنجاب خارج إطار الزواج غير مباح. والزنا والخيانة الزوجية واللواط كلها من الأمور المحرمة تحريما قاطعا ويتعرض مرتكبوها لأشد العقاب إذا افترض أمرهم.

وينبغي تجنب ما يعرض أي من هذه الضرورات إلي الخطر، ومن هنا جاء التحريم. وثلاث من هذه الضرورات تتصل اتصالا مباشرا بالمجال الطبي وهي: الحفاظ علي الحياة، والعقل، والنسل. وحتى الحفاظ علي الدين يتطلب صحة جيدة، لذلك فهو وثيق الصلة أيضا بالطب. كما أن اكتساب الثروة واقتناء الممتلكات يحتاج إلي عقل سليم في جسم سليم.

### هدف الطب:

يُعرّف ابن سينا الطب في قصيدته "الأرجوزة في الطب" بأنه "حفظ صحة براء مرض"<sup>(٢)</sup> وفي مجلده الضخم عن الطب المسمي "القانون" يقول ابن سينا أيضا عن الطب: "إن الطب علم يتعرف منه

(١) القرآن الكريم: سورة النساء، الآية ٥.

(٢) الأرجوزة في الطب قصيدة طويلة تتألف من ١٣٣٧ بيتا لخص فيها ابن سينا مجلده في الطب المسمي "القانون في الطب". وكان يطلب من طلاب الطب حفظه عن ظهر قلب، كما كان النطاسيون يقومون بشرحه والتعليق عليه. وقد تم نشر هذا المجلد مع غيره من الكتب التي ألفها ابن سينا وقام بتحقيقه والتعليق عليه الأستاذ الدكتور م. زهير البابا وقامت بالنشر جامعة حلب بسوريا ومعهد المخطوطات العربية في عام ١٩٨٤ والبيت الذي استشهدنا به هو البيت رقم ٢٥، ص ٩٢.

أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عنه الصحة ليحفظ الصحة  
حاصلة ويستردها زائلة" (١).

أما أبو بكر الرازي فإنه يعرف الطب بأنه: "الطب حفظ الصحة في  
الأجساد الصحيحة ودفع المرض عن الأجساد السقيمة وردها إلى  
صحتها ويتجزأ إلى جزأين وهما العلم والعمل" (٢).

ويقول العز ابن عبد السلام، الفقيه الإسلامي الشهير (في القرن  
السابع الهجري) في كتابه "قواعد الأحكام": "الطب كالشرع وضع  
لجلب مصالح السلامة والعافية ولدرء مفسد المعاطب والأسقام وغاية  
الطب حفظ الصحة موجودة واستعادتها مفقودة وإزالة العلة أو تقليلها  
بقدر الإمكان ولا بد من الوصول إلى ذلك في بعض الأحيان من تحمل  
أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما وتفويت أدنى المصلحتين لتحصيل  
أعظمهما" (٣). ويعكس ذلك موقفا عمليا بحتا، وهو موقف يلقي رضى  
من الفقه الإسلامي وكثيرا ما يُتبع في الممارسات اليومية للطب  
الحديث".

## السعي طلبا للعلاج:

يعتبر الإسلام أن المرض ظاهرة طبيعية يتلى به المرء تكفيرا عن  
ذنوبه. وليس المريض فقط هو الذي يُجزى في الآخرة (عن معاناته،

(١) بن سينا: القانون في الطب، حققه إدوارد القش، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٧  
مجلد ١: ١٣.

(٢) أبو بكر الرازي: المنصوري في الطب، تحقيق د. حازم البكري الصديقي، معهد  
المخطوطات العربية، الكويت، ١٩٨٧، ص ٢٩.

(٣) العز ابن عبد السلام: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق نزيه حامد وعثمان  
ضمريه، دار القلم، دمشق ٢٠٠٠ مجلد ١: ٨.



إنما يجزى أهله أيضا لأنهم يشاركونه محنته. بل إن من يعود مثل هذا المريض له جزاؤه عند الله. (١)

إن الذين يصبرون علي ما يتلون به لهم جزاؤهم في الدنيا والآخرة. يقول الله في كتابه العزيز: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥) وهناك بالفعل عشرات الآيات في القرآن الكريم ومئات الأحاديث النبوية الشريفة تحض المسلمين علي الصبر علي المكاره والمرض. علي أن الإنسان لا ينبغي أن يركن إلي ذلك فقط، بل عليه أن يتلمس للعلاج كل سبيل. ذلك ما كان يفعله الرسول (ﷺ) إذا ألم به مرض. وقد أمر أهله وأصحابه والمسلمين أجمعين أن يسعوا إلي طلب العلاج اللازم لما يصيبهم من أمراض وكان يشجعهم علي تلمس وسائل جديدة للعلاج عندما تصبح الوسائل القديمة غير ذات نفع. يقول الرسول الكريم: " ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ". رواه أبو هريرة في صحيح البخاري. (٣)

ويقول جابر بن عبد الله الأنصاري: قال رسول الله (ﷺ): " لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى " أخرجه مسلم. (٤)

وروى صحابي آخر هو عبد الله بن مسعود عن الرسول (ﷺ) قوله: " ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاؤه علمه من علمه، وجهله من جهله ". (٥)

(١) مسلم القشيري: صحيح مسلم بشاره النواوي، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢، كتاب البر، مجلد ١٦، ص ١٢٤ : ١٢٥.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة، آية ١٥٥.

(٣) البخاري م.أ.: صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت \* لا يوجد ذكر للتواريخ، كتاب الطب، مجلد ٤ ص ٨.

(٤) مسلم القشيري (المرجع في رقم ٩)، كتاب الطب، مجلد ١٤ ص ١٩١.

(٥) الحاكم م.أ.: المستدرک علي الصحيحين، تحقيق م. عطا، درا الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ كتاب الطب مجلد ٤ ص ٢١٨.

وروى أسامة بن شريك قال كنت عند النبي (ﷺ) وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد. قالوا ما هو؟ قال: "الهَرَم".<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: " أن رسول الله (ﷺ) دخل على سعد بن أبي وقاص وهو يشتكي قال سعد: فوضع رسول الله يده على صدري حتي وجدت بردها على فؤادي، فقال لي: أنت رجل مفسئود. أرسل إلى الحارث بن كلدة فإنه رجل تطيب.<sup>(٣)</sup>

وكان الحارث بن كلدة طبيبا عربيا مشهورا تعلم الطب في مدرسة الطب الشهيرة في جنديابور (في بلاد فارس). ولم يكن قد دخل في الإسلام في ذلك الوقت.

ولم يكن الرسول (ﷺ) يسعى طلبا للعلاج لنفسه ولأهل بيته ولصحابته فحسب، بل كان يتداوى ببعض الأعشاب وينصح بالتداوى بها، ومنها علي سبيل المثال الحبة السوداء، ونبات الصبر، ونبات السناء، والحنة كما كان يستخدم بعض الأساليب العلاجية مثل: البذل والحجامة، وكان ينصح باستخدام عسل النحل في مداواة أمراض كثيرة.

ويبحث الإسلام المسلمون علي البحث عن وسائل جديدة لعلاج أمراضهم واستخدامها إذا ثبتت فعاليتها. وقد أتيح استخدام الهندسة الوراثية وطرق الإنجاب الجديدة (وهي ما يطلق عليها الإنجاب

(١) الترمذي م. : سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣، مجلد ٣ ص ٢٥٨، حديث رقم ٢١٠٩

(٢) أبو داود س.أ. : سنن أبي داود ن دار الفكر، بيروت (لا يوجد تاريخ)، كتاب الطب، مجلد ٤، ص ٣، حديث رقم ٣٨٥٥.

(٣) أبو داود (مرجع رقم ١٥) مجلد رقم ٤ ص ٨٠٧، حديث رقم ٣٨٧٥.

باستخدام تقنيات الهندسة الوراثية أو "الإنجاب التقني" وزرع الأعضاء وذلك بشروط معينة تمت مناقشتها والموافقة عليها خلال ثلاثة العقود الماضية في الاجتماعات السنوية لفقهاء المسلمين. وفي هذا البحث، سوف نلقي الضوء علي كثير من هذه المناقشات والفتاوى.

### قيمة الإنسان:

الإنسان هو خليفة الله في الأرض قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup> (البقرة: ٣٠)

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> (الإسراء: ٧٠).

وينبغي على الإنسان أن يصون كرامته حتى إذا أصابه مرض أو مكروه. كما يجب احترام الجسد البشري سواء كان حيا أو ميتا. وقد وبخ الرسول (ﷺ) رجلا لأنه كسر إحدى عظام جثة وجدها في المقابر، وقال له: "كسر عظم الميت ككسره حيا"<sup>(٣)</sup>. ويعطينا رسول الله (ﷺ) المثل في احترام الميت عندما نهض واقفا عند مرور جنازة يهودي أمامه في وقت كان اليهود من ألد أعدائه. فقال أحد الصحابة: "إنها جنازة يهودي". فأجاب الرسول "أليست نفسا؟"<sup>(٤)</sup>

لقد جاء الإسلام بالمساواة بين بني البشر، والحكم لله وحده

(١) القرآن الكريم: سورة البقرة آية ٣٠.

(٢) القرآن الكريم: سورة الإسراء، آية ٧٠.

(٣) أبو داود (المرجع في رقم ١٥)، بيروت، دار الفكر (لا يوجد تاريخ)، كتاب الجنائز ٣، حديث رقم ٣٢٠٧.

(٤) البخاري م.أ.: صحيح البخاري، القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٥٨، كتاب الجنائز ٢: ١٠٧.

على ما يفعلونه أو ينوونه. فقد قال محمد (ﷺ): " لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ". وقد أكد القرآن هذا المعنى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ (١) (الحجرات: ١٣).

ويجب إعداد جثة الميت للدفن بأسرع ما يمكن حتى لا تتعفن وهو ما يحدث سريعاً في المناخ الحار. ولا يسمح في الإسلام بإحراق جثث الموتى. كما يُحرم التمثيل بجثث الموتى، إذ يعتبر شيئاً بغيضاً يناقض كل ما تؤمن به لأنه يتم عن شعور بالحقد ورغبة في الانتقام ولا يخدم أي غرض نافع. ولكن فحص الجثة بعد الوفاة (لتحديد سبب الوفاة، الخ) أو تشريحها بغرض الدراسة أو التبرع بأحد أعضائها لا يعتبر تمثيلاً بالجثة، لأن الفحص بعد الوفاة يلزم المحققين لاستجلاء سبب الوفاة، والتشريح لا غنى عنه لدراسة الطب وزيادة معرفتنا بالأمراض وتكوينات الجسم البشري.

يقول ابن رشد (فيلسوف قرطبة في القرن الثاني عشر الميلادي) مَنْ مَارَسَ التَّشْرِيحَ أَزْدَادَ إِيمَانًا بِاللَّهِ. ويقول الإمام الشافعي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي: "العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان". (٢) وبالمثل، لا يعتبر التبرع بأحد أعضاء الجسم تمثيلاً بالجثة، فهو عمل من أعمال الخير والإحسان لأنه يؤدي إلى إنقاذ روح بشرية. ويقول القرآن هنا ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٣) (المائدة: ٣٢).

(١) القرآن الكريم: سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) البرم. م.: علم التشريح عند المسلمين، جدة، الدار السعودية، ١٩٨٩، ص ٣٩.

(٣) القرآن الكريم: سورة المائدة، آية ٣٢.

وحياة الإنسان تبدأ عندما تنفخ الروح فيه . وهذا يحدث كما جاء في الحديث النبوي في اليوم العشرين بعد المائة من لحظة التخصيب<sup>(١)</sup> وهو ما يعادل اليوم الرابع والثلاثين بعد المائة منذ بداية أخصاب طمث حسب التوقيت الذي يستخدمه أطباء الولادة . والجنين قبل ذلك له حرمة، ولكنها لا ترقى إلى حرمة الكائن الإنساني الكامل .

وفي كتابه " التبيان في أحكام القرآن " يطرح ابن القيم الذي عاش في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) السؤال الآتي " هل الجنين قبل نفخ الروح فيه حياة؟ قال: فيه حياة النمو والاعتداء فلما نفخت فيه الروح انضمت إليه حركة حسيته وإرادته<sup>(٢)</sup> (وهو ما يشكل أساسا لحياة الإنسان) .

كما يقول ابن حجر العسقلاني في مجلده الكبير " فتح الباري في شرح صحيح البخاري " (إن الكبد هو أول عضو يتكون في الجنين لأهميته في التغذية والنمو . وفي رأيه أن تكون الدماغ (المخ) يأتي لاحقا عندما تحين لحظة نفخ الروح)<sup>(٣)</sup> ومن المثير للدهشة أن تجد أن القادة الدينيين في الإسلام يربطون نفخ الروح بتكون الجهاز العصبي واكتماله، حيث إن به مراكز الإدراك والإرادة . وقد ألقى مؤخرا البروفيسور (جوليوس كورين) بحثا في مؤتمر عقد في أوتاوا بكندا عن " أخلاقيات زرع الأعضاء " قال فيه: إنه بعد دراسة أجزاء متعددة من أجنة نتجت عن حالات إجهاض تبين أن تشابك الاتصالات (syna & sis) واقترانها في الدماغ لا يتم ولا توجد اتصالات كهربائية بينها إلا

(١) صحيح البخاري، القاهرة، مطابع الشعب (١٣٧٨ هـ) ١٩٥٨، ٤ : ١٣٥ (لا توجد له ترجمة)

(٢) ابن القيم: التبيان في أحكام القرآن، مكتبة القاهرة، بالقاهرة (سنة النشر غير مذكورة) ص: ٢٥٥ (باللغة العربية فقط).

(٣) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م). أشرف عليه الشيخ بن باز، كتاب القدر، مجلد، ص: ٤٨١ (باللغة العربية فقط).

عند بداية الأسبوع العشرين منذ آخر طمث (وهو ما يعادل فترة المائة والعشرين يوماً منذ بدء التخصيب)<sup>(١)</sup>.

وقد أصدر مجلس الفقه الإسلامي في مكة المكرمة (المجمع الإسلامي العلمي) فتوى رقم ٤ في جلسته الرابعة عشرة التي عقدت في الفترة من ١٥ إلى ٢٢ رجب عام ١٤١٠ هجرية (١٠ - ١٧ فبراير سنة ١٩٩٠) تبيح الإجهاض إذا تبين أن الجنين تشوهات بالغة لا سبيل إلي علاجها بناء على تحقيقات طبية وقرار من لجنة مشكلة من أطباء أكفاء موثوق بهم، وشريطة أن يتقدم الوالدان بطلب ذلك وأن يكون عمر الجنين أقل من مائة وعشرين يوماً يتم حسابها منذ بدء الإخصاب.<sup>(٢)</sup>

وهذا نص فتوى مجلس الفقه الإسلامي بالمجمع الإسلامي العالمي في جلسته الثانية عشرة لعام ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (١٥ - ٢٢ رجب ١٤١٠ هـ - ١٠ - ١٧ فبراير ١٩٩٠ م) القرار رقم ٤: بشأن إجهاض الأجنة المشوهة خلقياً، قرر المجلس بأغلبية الأصوات ما يلي:

- ١ - إذا كان الحمل قد بلغ مائة وعشرين يوماً لايجوز إسقاطه ولو كان التشخيص الطبي يفيد أنه مشوه الخلقة إلا إذا ثبت بتقرير لجنة طبية من الأطباء الثقات المختصين أن بقاء الحمل فيه خطر مؤكد على حياة الأم فعندئذ يجوز إسقاطه سواء كان مشوها أم لا دفعا لأعظم الضررين .
- ٢ - قبل مرور مائة وعشرين يوماً على الحمل إذا ثبت وتأكد بتقرير لجنة طبية من الأطباء المختصين الثقات، وبناء على الفحوص الفنية بالأجهزة والوسائل المخبرية أن الجنين مشوه تشويها خطيرا غير قابل

(١) كورين، جوليوس: مؤتمر أخلاقيات نقل الأعضاء البشرية، أوتاوا، كندا من ٢٠-٢٤ أغسطس سنة ١٩٨٩ كتاب موجز الأبحاث.

(٢) الفتوى رقم ٤ - الجلسة الثانية عشرة لمجلس الفقه الإسلامي - المجمع الإسلامي العالمي - مكة المكرمة - ١٠-١٧ فبراير سنة ١٩٩٠ - المقتبسة في كتاب م. البر: الجنين المشوه والأمراض الوراثية، دار القلم، دمشق، ودار المنارة جده، ١٩٩١ ص ٣٤٩ (باللغة العربية فقط).

للعلاج وأنه إذا بقى وولد في موعده ستكون حياته سيئة وآلاماً عليه وعلى أهله فعندئذ يجوز إسقاطه بناء على طلب الوالدين.

والإجهاض محرم قطعياً إذا كان يتم لأسباب اجتماعية باستثناء حالات الاغتصاب كما حدث لكثير من المسلمات في البوسنة والهرسك علي يد الصرب المتعصبين. وفي مثل هذه الحالات ينبغي أن يتم الإجهاض بأسرع ما يمكن. ويسمح فيها بتناول قرص الإجهاض بعد الجماع علي ألا تزيد فترة السماح بالإجهاض على الأربعين يوماً الأولى منذ بدء الحمل.

### الأمراض الوراثية:

ما يسمى بالأمراض الوراثية لا تقتصر علي الأمراض التي يسببها جين واحد بل تشمل عددا كبيرا من المتلازمات من بينها الكروموزميه، والمتلازمات متعددة العوامل والميتوكوندرية ومتلازمات الأمراض الجينية في الخلايا الجسدية. ويبين الجدول رقم (١) طريقة تشخيص هذه الأمراض، بينما يبين الجدول رقم (٢) معدل الإصابة بكل نوع منها في كل ١٠٠٠ وليد حي.

**Table 1: Diagnosis of Genetic Diseases**

Type	Diagnostic test
Chromosomal disorders	Chromosomal Analysis
Single gene disorders	Pedigree analysis Clinical examination Biochemical analysis DNA analysis
Multifactorial disorders	Clinical examination Biochemical analysis DNA analysis Other investigations (imaging, functional studies, etc.)
Mitochondrial disorder	Pedigree analysis Clinical examination, DNA analysis
Somatic cell genetic disorders	Histopathology DNA analysis Chromosomal analysis

**Table 2: Incidence of Genetic Diseases**

Type	Number of subtypes	In 1000 live births
Chromosomal	> 600	6
Single gene		
Autosomal dominant	4458	20
Autosomal recessive	1730	2
X-linked recessive	412	2
Multifactorial		
Major congenital malformations	> 50	6
Chronic adult	> 50	10+
Mitochondrial	59	Rare
Somatic cell genetic	> 100	250++
Total		386

وتركز تعاليم الإسلام علي أن الوقاية من الأمراض خير من العلاج. والإسلام يحث علي الزواج ويحرم الزنا والخيانة الزوجية. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>(١)</sup> (النساء: ١) وفي آية أخرى يأمر القرآن بتزويج من لم يتزوج من الرجال والنساء ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> (النور: ٣٢) وقال محمد (ﷺ): "النكاح سُنتي، فمن رغب عن سُنتي فليس مني"<sup>(٣)</sup> كما قال في حديث آخر: "تناكحوا تناسلوا فإنني مباه بكم الأمم يوم

(١) القرآن الكريم: سورة النساء، آية رقم ١.

(٢) القرآن الكريم: سورة النور، آية ٣٢.

(٣) البخاري م.: الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، مطابع الشعب، القاهرة ١٣٧٨ هـ، كتاب النكاح مجلد ٧: ٢، ٣ (باللغة العربية فقط ٩).



القيامة" (١) وقال صلي الله عليه وسلم: "إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم" (٢) وينصح الرسول (ﷺ) المسلمين بأن يتخذوا لبناتهم أزواجا صالحين ممن لا يعانون من أمراض جسمانية واجتماعية. وبالمقابل، يحذر من أن يتزوج المسلم امرأة لجمالها فحسب إذا كان يشوب شخصها ما يعيب. (٣) وقال صلي الله عليه وسلم: "تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس" (٤).

وكان النبيون والرسل يسألون الله أن يهب لهم ذرية طيبة (أي لا يعيبهم شيء في أشخاصهم أو أجسامهم): ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (٥) (آل عمران: ٣٨).

كما أن المؤمنين يقولون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (٦) (الفرقان: ٧٤).

فلا يمكن أن تكون هذه الذرية قرة للأعين ما لم تكن صحيحة

(١) أبو داود س. س. أ. : سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، تحقيق م. عبد الحميد، كتاب النكاح، مجلد ٢: ٢٠٠، حديث رقم ٢٥٥٠ (باللغة العربية فقط).

(٢) الترمذي م. : سنن الترمذي ن دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، الطبعة الثانية، أبواب النكاح، مجلد ٢: ٢٧٤ الأحاديث ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢ (باللغة العربية فقط).

(٣) الدارقطني أ. : سنن الدر قوتي، دار المحاسن للطباعة، القاهرة، ١٩٦٦، تحقيق عبد الله هاشم يمان، كتاب النكاح، مجلد ٣: ١٩٩ (الأحاديث ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨) وكجلد ٣: ٣٠ (الأحاديث ٢١٢، ٢١٣) (باللغة العربية فقط).

(٤) الديلمي س. س. : فردوس الحكمة، دار الكتاب العربي ن بيروت ١٩٨٧، تحقيق الزوميري ف. أ.، والبغداد م. م.، مجلد ٢: ٧٦، الحديث رقم ٢١١٠ (بالعربية فقط).

(٥) القرآن الكريم: سورة آل عمران، آية ٣٨.

(٦) القرآن الكريم: سورة الفرقان، آية ٧٤.

البدن والعقل وسليمة الشخصية. إن الفحص قبل الزواج والذي يقصد به تجنب الأمراض الوراثية إجراء إيجابي ينبغي تشجيعه، خاصة في مجتمع ترتفع فيه معدلات الزواج من الأقارب. ويبين الجدول رقم (٣) الخصائص التي يجب أن يشملها الفحص قبل الزواج. والوقاية من الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية تعني ضمناً العمل على تحاشي مسببات هذه التشوهات والتي قد تسبب في ولادة مخلوق عجيب الخلقة. والجدول رقم (٤) يعطي أمثلة من أشهر هذه المسببات التي يمكن تجنبها. أما الحصبة الألمانية فقد تم القضاء عليها تقريباً في بلاد كثيرة عن طريق تطعيم تلميذات المدارس في سن ما قبل الزواج. وبالنسبة للأمراض التناسلية: كالزهري وغيره من الأمراض التي تنتقل عدواها عن طريق الاتصال الجنسي فلا مجال لظهورها إذا كان الإشباع الجنسي يتم في إطار زواج شرعي كما تشير بذلك التعاليم الإسلامية. إن الفقه الإسلامي يتضمن عقوبات بالغة الشدة لخطايا الزنا والخيانات الزوجية واللواط، وهي تعتبر من الكبائر التي يلتزم كل مسلم بالابتعاد عنها.

**Table 3: Premarital Medical Examination**

Mandatory or optional
Infectious diseases and STDs
Genetic diseases common in the community e.g. Thalassaemia
If both are Carriers and decide on marriage, the situation should be explained thoroughly but decision is theirs.

**Table 4: Recognized Human Teratogens**

Teratogen	Critical Period	Malformations
Rubella	Most affected if infection in first 6 week, very low risk > 16 weeks.	Congenital heart disease (especially patent ductus arteriosus), cataracts, microcephaly, mental handicap, sensorineural deafness, retinopathy, later insulin dependent diabetes mellitus in 20%
Cytomegalovirus	1. Third or fourth month	Mental handicap or microcephaly occurs in 5-10% with congenital infection
Toxoplasmosis	12% risk at 6-17 weeks, 60% risk at 17-28 weeks	Mental handicap, microcephaly, chorioretinitis
Alcohol	? first trimester	Mental handicap, microcephaly, congenital heart disease, renal anomaly, growth retardation, cleft palate, characteristic facies
Phenytoin	First trimester, about 10% affected	Hypoplasia of distal phalanges, short nose broad flat nasal bridge, ptosis, cleft lip and palate, mental handicap, later increased risk of malignancy, particularly neuroblastoma.
Thalidomide	34-50 days from LMP	Phocomelia, congenital heart disease, anal stenosis, atresia of external auditory meatus.
Warfarin	Exposure at 6-9 weeks results in structural abnormalities in 30%, after 16 weeks mental handicap alone may be seen	Hypoplastic nose, upper airway difficulties, optic atrophy, stippled epiphyses, short distal phalanges, mental handicap
Chloroquine	Deafness, corneal opacities, chorioretinitis	Lithium
Congenital heart disease	Sodium valproate	Neural tube defect (1-2%), hypospadias, microstomia, small nose, long thin fingers, developmental delay.

إن المواد الكحولية هي من أكثر المواد الكيميائية تسببا في التخلف العقلي والتشوهات الخلقية، والإسلام يحرم معاقره الخمر تحريما تاما.

كذلك يسبب التدخين إجهاض الحمل والتشوهات الخلقية وصغر حجم المواليد من الأطفال بالنسبة لأعمارهم. والتدخين محرم في التعاليم الإسلامية وقد تكرر تحريمه في كثير من الفتاوى. إذ إن أي مادة تلحق الأذى بالجنين (أي مادة مولدة للتشوهات ومؤدية لها) ينبغي تجنبها حسبما جاء في قول الرسول (ﷺ): " لا ضرر ولا ضرار"<sup>(١)</sup> وهناك إجراءات بسيطة تقلل كثيرا من خطورة الأمراض الخلقية، فعلى سبيل المثال، إذا أضيف حامض الفوليك إلي الخبز مثلا تقل نسبة الإصابة بأمراض خلقية كفقدان المخ، وانشقاق العمود الفقري، والاستسقاء النخاعي الكهفي. كذلك إذا أضيف اليود إلي ملح الطعام فسوف يؤدي ذلك إلي الوقاية من القماءة (وهو مرض يتسم بالتشوه الجسدي وقصر القامة والبلاهة) ونقص إفراز الغدة الدرقية في الأطفال حديثي الولادة، وفي الجدول رقم (٥) بيان للمخاطر المتعلقة بالأمراض الوراثية بين السكان بصفة عامة، بينما يبين الجدول رقم (٦) مخاطر الزواج بين الأقارب بصفة خاصة. ويوجد أعلى معدل لهذه في زواج المحارم من الدرجة الأولى: الأب وابنته أو الأم وابنها، والأخ وأخته حيث يتقاسم الطرفان نصف مجموع المورثات. لذلك تعتبر كل الديانات والثقافات مثل هذه العلاقات من المحظورات المحرمات.

(١) العجلوني ١. م.: كاشف الخفايا ومزيل الإلباس، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣، مجلد ٢: ٤٩١، الحديث رقم ٣٠٧٥، (باللغة العربية فقط).

**Table 5: General Population Risks**

Condition	Risk
Spontaneous miscarriage	1 in 6
Perinatal death	1 in 30-100
Neonatal death	1 in 150
Cot death	1 in 500
Major congenital malformation	1 in 33
Serious mental or physical handicap	1 in 50
Adult cancer	1 in 4

**Table 6: Risk of Consanguinity Shared Genes in Relatives**

Parent-child, sib to sib	1/2 Risk 50%
Uncle-niece, aunt-nephew	1/4 Risk 5-10%
1st cousins	1/8 Risk 3-5%
2nd cousins	1/64 Risk low

ومع ذلك، فمن المعروف أن الفراعنة وقدماء الفرس كانوا يبيحون زواج الأخ من أخته. وفي العهد القديم (في سفر التكوين) هناك ادعاء بأن إبراهيم تزوج من أخته غير الشقيقة سارة، وأن لوطا مارس الجنس مع ابنتيه وحملت كلاهما من تلك العلاقة الآثمة وأنجبتا مؤاب وبن عمي. والإسلام يدحض هذه الإدعاءات معتبرا أن رُسل الله من أكثر الناس تُقى وصلاحا ولا يمكن تصور أن يأتي أيُّ منهم مثل هذه الأفعال الشنيعة.

إن الزواج بين أبناء العمومة والخوولة من الدرجة الأولى يحمل في طياته زيادة في نسبة الإصابة بالأمراض الوراثية تتراوح ما بين ٣ إلى ٥٪ حيث يتقاسمون ٨/١ المجموع الوراثي، بينما يتقاسم أبناء العمومة والخوولة من الدرجة الثانية ٦٤/١ من هذا المجموع وإذا بلغ معدل نسبة الزواج بين أبناء العمومة والخوولة من الدرجة الأولى ٣٠٪ من حالات الزواج في المجتمع، فسوف تزداد حالات الصبغيات العادية المتنحية بين المواليد ما بين ٥ إلى ١٠ أضعاف وهذا بدوره يضاعف

من التشوهات الخلقية التي يتم رصدها عند الميلاد من ٢,٥٪ إلى ٥٪ من بين كل المواليد.

وقد يتضاعف في المجتمع عدد الجينات المسببة للصبغيات المتنحية ما بين ١٥ إلى ٣٠ ضعفا عند زواج أبناء العمومة والخؤولة من الدرجة الأولى.

وترتفع في مدينة الرياض بشكل غير مسبوق نسبة الإصابة بحالات الخلل في عملية الأيض، وهو مرض وراثي يعود السبب في معظمه إلى تنحي الصبغيات المنتشر بين أطفال زواج الأقارب. فالأرقام الواردة من مستشفى الملك فيصل التخصصي تعكس ارتفاعا يبعث على الانزعاج. ويبدو أن ذلك يرتبط ارتباطا مباشرا بارتفاع نسبة زواج الأقارب في المملكة العربية السعودية حيث نجد أن ما بين ٢٠٪ إلى ٢٥٪ من الزيجات هي بين أبناء العمومة والخؤولة من الدرجة الأولى، وأن نسبة مماثلة هي زيجات بين الدرجة الثانية من هذه القرابة، ثم هناك ١٥٪ إلى ٢٠٪ زيجات تقع بين أطراف من نفس العائلة تربطهم درجات أخرى من القرابة. ويعني ذلك أن ما يتراوح بين ٦٠٪ و ٦٥٪ من الزيجات التي تقع في المملكة هي من نوع زواج الأقارب.

وعندما تشيع في المجتمع الجينة المسببة لتنحي الصبغيات في حالات مثل فقر الدم البحري (الثلاسيميا) والأنيميا ذات الخلية المنجلية وG6PD حيث تبلغ نسبة الإصابة في الهفوف والقطيف (المنطقة الشرقية للسعودية) وجيزان (الإقليم الجنوبي الغربي) ما بين ٢٠-٢٥٪ من مجموع سكان هذه الدولة، فإن ذلك يعني أن واحدا من كل أربعة أو خمسة من هؤلاء السكان يحمل هذه الخصيصة الوراثية، وأن أية حالة زواج تنطوي على احتمال كبير بأن يكون أحد طرفيها حاملا لهذه

الخصيصة (٤٥-٤٩) ويعرض الجدول رقم (٧) قائمة بأهم البنود التي يجب أن تشملها عمليات ضبط الأمراض الوراثية والوقاية منها. فقد يفيد الكشف على جميع الأطفال حديثي الولادة لرصد الأمراض الشائعة والنادرة في إرساء أساس مبكر لاكتشاف هذه الأمراض واتخاذ اللازم نحو التعامل معها. إن إجراء اختبارات بسيطة لرصد حالات الخلل الأيضي الوراثي، والبول السيستيني المتجانس (السيستين هو أحد الأحماض الأمينية التي يسبب ترسبه في الأنسجة هذه الحالة المرضية)، ووجود سكر اللبن في الدم وغير ذلك من الأمراض يجعل بالإمكان حماية المصابين بها من تفاقمها إلى درجة كارثية. كما أن اتباعنا لنظام غذائي مع الطفل حديث الولادة يخلو من الفينيل الأئين (حامض أميني) والميثايونين، والجالاكتوز (سكر اللبن) يؤدي إلى نمو الطفل بشكل طبيعي. ولن يحتاج الطفل للالتزام بهذا النظام سوى بضع سنوات ثم يعود إلى الغذاء العادي. وإذا كانت السيدة الحامل تعاني من خلل أيضي وراثي، ينبغي أن تتعد تماما عن أي أطعمة تحتوي على حامض الفينيل الأئين طوال فترة حملها حتى لا تتسبب في إيذاء طفلها. وتتعاظم أهمية الفحص قبل الزواج للكشف عن الأمراض الوراثية في المجتمعات التي ترتفع فيها نسبة الزواج بين الأقارب. وقد أصبح هذا الفحص إجباريا في السعودية (ودول خليجية كثيرة أخرى) بدءًا من يناير ٢٠٠٤. فإذا ثبت من الفحص أن طرفي الزواج يحملان جينات مسببة لأمراض وراثية مثل الأنيميا ذات الخلية المنجلية أو الثلاسيميا وكانا يصران على إتمام العقد تتم إحالتهما أولاً إلى عيادة الإرشاد الوراثي، يقران بعدها إن كانا سيمضيان قدما في إتمام العقد أم يفضل كل منهما أن يبحث عن قرين آخر. وتتحمل الحكومة كافة نفقات الاختبارات والإرشاد.

**Table 7: Control and Prevention of the Hereditary Disorders**

Screening: Population, family for carriers and affected persons

Premarital carrier detection (common in the community)

Genetic counseling

Newborn screening for common and treatable conditions

Education Programs for the community

Management strategies

Genetic Registries

Avoidance of teratogens and mutagens during pregnancy

Prenatal Diagnosis - Abortion

### الفحص الجيني قبل الانغراز في الرحم PGD

عندما يتم التلقيح للبويضة في المختبر، تُترك البويضة الملقحة لتنمو حتى تصل إلى المرحلة التوتية (تتكون من ثمانى خلايا) ثم تؤخذ من الأنبوب أو الطبق المخبري ليتم فحصها لرصد أي خلل في عدد الكروموزومات (الصبغيات) وتحليل ما بها من جزئيات DNA لاكتشاف أي جينات مسببة لأمراض وراثية أو تشوهات خلقية. فإذا ثبت أنها خالية من أية مؤشرات لمثل هذه الأمراض، يتم زرعها في الرحم. أما إذا ثبت عكس ذلك، يتم التخلص منها وإجراء الفحص على واحدة غيرها حتى نصل إلى واحدة خالية تماما من المرض أو الأمراض المشتبهة والتي تم الفحص من أجلها، ومن ثم تزرع في الرحم.

وسوف يناقش موضوع الفحص قبل الحقن لاختيار جنس الجنين في الجلسة القادمة لمجلس الفقهاء التابع لمجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. ويعتقد كثير من الفقهاء أن ذلك الأمر



ينبغي تحريمه، بينما يرى آخرون أنه يمكن إباحته في حالات معينة عندما يكون الوالدان يعانين من الحرمان الشديد من طفل ذكر أو طفلة أنثى.

### الإنجاب باستخدام وسائل التقنية الحديثة:

- يباح العلاج من العقم
- لا يسمح بالتناسل خارج الإطار الشرعي للزواج
- التلقيح الاصطناعي الأنبوبي IVF مباح شريطة أن تكون الخلية المنوية والبويضة من الزوج والزوجة أثناء حياتهما وكذلك أثناء سريان عقد الزواج بينهما.
- يحرم التبرع للغير بخلايا منوية أو بويضات أو رحم (الرحم المستؤجر) أو خلايا جسدية.
- لا يسمح بإجراء بحث علمي على ما يفيض من البويضات الملقحة من عملية التلقيح الأنبوبي.
- لا يسمح بتجميد أي عدد من البويضات الملقحة.

### اختزال عدد الأجنة:

- تنطوي عملية التلقيح الاصطناعي الأنبوبي على حقن أكثر من بويضة ملقحة في الرحم. والحمل في توائم قد يعرض حياة الأم وكذلك حياة الأجنة للخطر.
- وإذا فشلت البويضات المزروعة في الرحم، لا ينبغي للطبيب في الدورة التالية أن يعيد إلى الرحم أكثر من بويضتين.
- واختزال الأجنة يعني قتل الأجنة الزائدة عن الحاجة في الرحم قبل مرور ثمانية أسابيع على الحقن المجهري. ولا يسمح بهذا الإجراء

لأن التلقيح الاصطناعي عادة ما ينطوي على الحمل في أكثر من جنين .

لقد قامت [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] بالكويت بدراسة موضوع البصمة الوراثية بالتعاون مع المجمع الفقهي. وبناء على توصيات هذه الندوة قام المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بإصدار الفتوى التالية :-

### القرار السابع

#### بشأن البصمة الوراثية ومجالات الاستفادة منها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في المدة من ٢١ - ٢٦ / ١٠ / ١٤٢٢ هـ الذي يوافق من ٥ - ١٠ / ١ / ٢٠٠٢ م، وبعد النظر إلى التعريف الذي سبق للمجمع اعتماده في دورته الخامسة عشرة، ونصه: "البصمة الوراثية هي البنية الجينية (نسبة إلى الجينات، أي المورثات)، التي تدل على هوية كل إنسان بعينه. وأفادت البحوث والدراسات العلمية أنها من الناحية العلمية وسيلة تمتاز بالدقة، لتسهيل مهمة الطب الشرعي. ويمكن أخذها من أي خلية (بشرية) من الدم، أو اللعاب، أو المنى، أو البول، أو غيره"

وبعد الاطلاع على ما اشتمل عليه تقرير اللجنة التي كلفها المجمع في الدورة الخامسة عشرة بإعداده من خلال إجراء دراسة ميدانية مستفيضة للبصمة الوراثية، والاطلاع على البحوث التي قدمت في الموضوع من الفقهاء، والأطباء، والخبراء والاستماع إلى المناقشات التي دارت حوله، تبين من ذلك كله أن نتائج البصمة

الوراثية تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين، أو نفيهم عنهما، وفي إسناد العينة (من الدم أو المنى أو اللعاب) التي توجد في مسرح الحادث إلى صاحبها، فهي أقوى بكثير من القيافة العادية (التي هي إثبات النسب بوجود الشبه الجسماني بين الأصل والفرع)، وأن الخطأ في البصمة الوراثية ليس وارداً من حيث هي، وإنما الخطأ في الجهد البشري أو عوامل التلوث ونحو ذلك، وبناء على ما سبق قرر ما يأتي:

أولاً: لآمانع شرعاً من الاعتماد على البصمة الوراثية في التحقيق الجنائي، واعتبارها وسيلة إثبات في الجرائم التي ليس فيها حد شرعي ولا قصاص؛ لخبر (ادرؤوا الحدود بالشبهات)، وذلك يحقق العدالة والأمن للمجتمع، ويؤدي إلى نيل المجرم عقابه وتبرئة المتهم، وهذا مقصد مهم من مقاصد الشريعة.

ثانياً: إن استعمال البصمة الوراثية في مجال النسب لا بد أن يحاط بمتهمي الحذر والحيطه والسرية، ولذلك لا بد أن تقدم النصوص والقواعد الشرعية على البصمة الوراثية.

ثالثاً: لا يجوز شرعاً الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب، ولا يجوز تقديمها على اللعان.

رابعاً: لا يجوز استخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الأنساب الثابتة شرعاً، ويجب على الجهات المختصة منعه وفرض العقوبات الزاجرة؛ لأن في ذلك المنع حماية لأعراض الناس وصوناً لأنسابهم.

خامساً: يجوز الاعتماد على البصمة الوراثية في مجال إثبات النسب في الحالات الآتية:

أ - حالات التنازع على مجهول النسب بمختلف صور التنازع التي ذكرها

الفقهاء، سواء أكان التنازع على مجهول النسب بسبب انتفاء الأدلة أو تساويها، أم كان بسبب الاشتراك في وطء الشبهة ونحوه.

ب - حالات الاشتباه في المواليد في المستشفيات، ومراكز رعاية الأطفال ونحوها، وكذا الاشتباه في أطفال الأنابيب.

ج - حالات ضياع الأطفال واختلاطهم، بسبب الحوادث أو الكوارث أو الحروب، وتعذر معرفة أهلهم، أو وجود جثث لم يمكن التعرف على هويتها، أو بقصد التحقق من هويات أسرى الحروب والمفقودين.

سادساً: لا يجوز بيع الجينوم البشري لجنس، أو لشعب، أو لفرد، لأي غرض، كما لا تجوز هبتها لأي جهة، لما يترتب على بيعها أو هبتها من مفسد.

سابعاً: يوصي المجمع بما يأتي:

أ - أن تمنع الدولة إجراء الفحص الخاص بالبصمة الوراثية إلا بطلب من القضاء؛ وأن يكون في مختبرات للجهات المختصة، وأن تمنع القطاع الخاص الهادف للربح من مزاوله هذا الفحص، لما يترتب على ذلك من المخاطر الكبرى.

ب - تكوين لجنة خاصة بالبصمة الوراثية في كل دولة، يشترك فيها المتخصصون الشرعيون، والأطباء، والإداريون، وتكون مهمتها الإشراف على نتائج البصمة الوراثية، واعتماد نتائجها.

ج - أن توضع آلية دقيقة لمنع الانتحال والغش، ومنع التلوث وكل ما يتعلق بالجهد البشري في حقل مختبرات البصمة الوراثية، حتى تكون النتائج مطابقة للواقع، وأن يتم التأكد من دقة المختبرات، وأن يكون عدد المورثات (الجينات المستعملة للفحص) بالقدر الذي يراه المختصون ضرورياً دفعاً للشك.

والله ولي التوفيق، وصلي الله على نبينا محمد.

## الفتوى الخاصة بالاستنساخ:

قامت [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] بالكويت بدراسة موضوع الاستنساخ بالتعاون مع مجمع الفقه الإسلامي. وبناء على توصيات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت أصدر المجمع الفقهي الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر قراره التالي: -

أولاً: تحريم الاستنساخ البشري بطريقتيه المذكورتين أو بأي طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري.

ثانياً: إذا حصل تجاوز للحكم الشرعي المبين في الفقرة (أولاً) فإن آثار تلك الحالات تعرض لبيان أحكامها الشرعية.

ثالثاً: تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقة الزوجية سواء أكان رحماً أم بيضة أم حيواناً أم خلية جسدية للاستنساخ.

رابعاً: يجوز شرعاً الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان في حدود الضوابط الشرعية بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد.

خامساً: مناقشة الدول الإسلامية إصدار القوانين والأنظمة اللازمة لغلغ الأبواب المباشرة وغير المباشرة أمام الجهات المحلية أو الأجنبية والمؤسسات البحثية والخبراء الأجانب للحيلولة دون اتخاذ البلاد الإسلامية ميداناً لتجارب الاستنساخ البشري والترويج لها.

سادساً: المتابعة المشتركة من قبل كل من مجمع الفقه الإسلامي والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية لموضوع الاستنساخ ومستجداته العلمية، وضبط مصطلحاته، وعقد الندوات واللقاءات اللازمة لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة به.

سابعاً: الدعوة إلى تشكيل لجان متخصصة تضم الخبراء وعلماء الشريعة

لوضع الضوابط الخُلقية في مجال بحوث علوم الأحياء (البيولوجيا) لاعتمادها في الدول الإسلامية .

ثامنا: الدعوة إلى إنشاء ودعم المعاهد والمؤسسات العلمية التي تقوم بإجراء البحوث في مجال علوم الأحياء (البيولوجيا) والهندسة الوراثية في غير مجال الاستنساخ البشري، وفق الضوابط الشرعية، حتي لا يظل العالم الإسلامي عالمة على غيره، وتبعاً في هذا المجال .

تاسعا: تأصيل التعامل مع المستجدات العلمية بنظرة إسلامية، ودعوة أجهزة الإعلام لاعتماد النظرة الإيمانية في التعامل مع هذه القضايا، وتجنب توظيفها بما يناقض الإسلام، وتوعية الرأي العام للتثبت قبل اتخاذ أي موقف، استجابة لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِءً ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]

القرار الأول الصادر عن الدورة الخامسة عشرة المنعقدة عام ١٤١٩ هـ بشأن استفادة المسلمين من علم الهندسة الوراثية:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد صلي الله عليه وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة عشرة المنعقدة في مكة المكرمة التي بدأت يوم السبت ١١ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٩٨ م قد نظر في موضوع استفادة المسلمين من علم الهندسة الوراثية التي تحتل اليوم مكانة مهمة في مجال العلوم، وتثار عن استخدامها أسئلة كثيرة، وقد تبين للمجلس أن محور علم الهندسة الوراثية هو التعرف على الجينات (المورثات) وعلى تركيبها، والتحكم فيها في أثناء حذف بعضها - لمرض أو غيره

- أو إضافتها، أو دمجها بعضها مع بعض لتغيير الصفات الوراثية الخلقية.

وبعد النظر والتدارس والمناقشة فيما كتب عنها، وفي بعض القرارات والتوصيات التي تمخضت عنها المؤتمرات والندوات العلمية يقرر المجلس ما يلي: -

أولاً: تأكيد القرار الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن الاستنساخ برقم ١٠٠/٢/د/١٠ في الدورة العاشرة المنعقدة بجدة في الفترة من ٢٣ - ٢٨ صفر ١٤١٨ هـ.

ثانياً: الاستفادة من علم الهندسة الوراثية في الوقاية من المرض أو علاجه، أو تخفيف ضرره بشرط أن لا يترتب على ذلك ضرر أكبر.

ثالثاً: لا يجوز استخدام أي من أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله في الأغراض الشريية والعدوانية وفي كل ما يحرم شرعاً.

رابعاً: لا يجوز استخدام أي من أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله للعبث بشخصية الإنسان ومسؤوليته الفردية، أو التدخل في بنية المورثات (الجينات) بدعوى تحسين السلالة البشرية.

خامساً: لا يجوز إجراء أي بحث أو القيام بأية معالجة، أو تشخيص يتعلق بمورثات إنسان ما إلا بعد إجراء تقييم دقيق وسابق للأخطار والفوائد المحتملة المرتبطة بهذه الأنشطة، وبعد الحصول على الموافقة المقبولة شرعاً مع الحفاظ على السرية الكاملة للنتائج، ورعاية أحكام الشريعة الإسلامية الغراء القاضية باحترام حقوق الإنسان وكرامته.

سادساً: يجوز استخدام أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله في حقل الزراعة وتربية الحيوان شريطة الأخذ بكل الاحتياطات لمنع حدوث أي ضرر - ولو على المدى البعيد - بالإنسان أو الحيوان، أو البيئة.

سابعاً: يدعو المجلس الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية والطبية وغيرهما من المواد المستفيدة من علم الهندسة الوراثية إلى البيان عن تركيب هذه المواد ليتم التعامل والاستعمال عن بينة حذراً مما يضر أو يحرم شرعاً.

ثامناً: يوصي المجلس الأطباء وأصحاب المعامل والمختبرات بتقوى الله تعالي واستشعار رقابته والبعد عن الإضرار بالفرد والمجتمع والبيئة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

### وجهة النظر الإسلامية في أبحاث الخلايا الجذعية:

- فيما يتعلق بالخلايا الجذعية للبالغين: لا توجد أية مشكلة.
- فيما يتعلق بالخلايا الجذعية للأجنة: للجنين البشري حرمة منذ مراحل الأولى، وتزداد هذه الحرمة باضطراد نموه. ولا يعتبر الجنين البشري شخصاً إلا بعد نفخ الروح فيه، وهو ما يحدث حسب قول الرسول (ﷺ) في اليوم العشرين بعد المائة منذ بدء الحمل، أي الإخصاب. (ويعادل ذلك تسعة عشر أسبوعاً ويوماً واحداً منذ آخر طمث).
- يقول ابن القيم في كتابه: " التبيين في أحكام القرآن " إنه قبل نفخ الروح يكون الجنين في حالة نمو وتغذي كالنبات. ولكن ما أن تنفخ فيه الروح حتى يكتسب الإدراك والإرادة، أي يصبح شخصاً.
- ومن هنا كان تحريم الإجهاض بعد مرور المائة والعشرين يوماً إلا إذا كانت حياة الأم الحامل تتعرض للخطر (وهو ما يندر حدوثه).
- يباح الإجهاض لأغراض علاجية بشروط محددة (الجلسة الرابعة عن إجهاض الحمل في جنين مشوه خلقياً. مجلس الفقه للمجمع



الإسلامي العالمي، مكة المكرمة، في السابع عشر من فبراير  
(١٩٩٠).

فتوى الفقه الإسلامي في جلسته السابعة عشرة المنعقدة في مكة  
المكرمة في الفترة من ١٩ إلى ٢٣ شوال ١٤٢٤ هـ الموافق ١٣ - ١٧  
ديسمبر ٢٠٠٣م فيما يختص باستخدام الخلايا الجذعية للأغراض  
العلاجية:

### القرارات:

أولاً: يباح الحصول على الخلايا الجذعية لإنمائها واستخدامها بعد  
ذلك في أغراض علاجية أو بحثية غير محظورة إذا كان مصدرها شرعياً  
مثل الحالات الآتية:

- ١ - البالغين بعد الحصول على موافقتهم دون إلحاق الأذى بهم.
- ٢ - الأطفال، بشرط الحصول على موافقة أولياء أمورهم وأن يكون الهدف تحقيق منفعة، على أن لا يلحق ذلك بالأطفال أنفسهم أي أذى.
- ٣ - المشيمة أو الحبل السري، شرط الحصول على موافقة الوالدين.
- ٤ - الجنين الناتج عن عملية إجهاض تلقائية أو بأمر من الطبيب لأسباب صحية تقرها الشريعة، على أن يتم الحصول على موافقة الوالدين. (نرجو التذكير هنا بالقرار رقم ٧ الذي صدر عن جلسة المجلس رقم ١٢ حول موضوع الإجهاض).
- ٥ - البويضات الملقحة الفائضة عن الحاجة في عمليات التلقيح الأنبوبي إذا تبرع بها الوالدان بعد التأكد من أنها لن تستخدم في حمل غير شرعي (أي بحقنها في رحم غير رحم الأم الشرعية).

ثانياً: يحظر استخدام الخلايا الجذعية إذا كان مصدرها غير شرعي كما في الحالات الآتية:

- ١ - أجنة ناتجة عن عمليات إجهاض تتم بقصد الحصول على هذه الخلايا (أي إجهاض لا يبرره سبب طبي شرعي)
- ٢ - تلقيح يتم بقصد الحصول على هذه الخلايا بين بويضة وخليه منوية يتبرع بها أشخاص لهذا الغرض.
- ٣ - استنساخ بشري لأغراض علاجية.

### ختام البحث:

تقدم تعاليم الإسلام الكثير للمجتمعات الإسلامية للوقاية من الأمراض الوراثية والتحكم فيها. ويتضح للعيان ما يتخذه الفقه الإسلامي من مواقف عملية أساسها النفع العام حيث يتم تشجيع أية وسيلة علاجية تثبت فائدتها.

ويقوم الفقهاء في ندواتهم المشتركة مع العلماء بإجراء دراسة دقيقة لكل جديد من مستجدات الطب والعلم وتقويم ماله وما عليه. فإذا رجحت كفة مزاياه على مثالبه وآثاره الضارة، اعتبروه إنجازاً يستحق التقدير. أما إذا كان هذا الجديد يمثل تهديداً لاستقرار المجتمع وللكيان الأسري القائم على الأبوة والأمومة في زواج شرعي، رفضوه واعتبروه عملاً من أعمال الشيطان. وهم يستنكرون سياسة تحسين النسل ويرون أن ما يسمى بتعزيز الجينات يعرض الحياة الإنسانية لمخاطر غير محسوبة ويزعزع استقرار المجتمعات ويوسع الهوة بين الأثرياء والفقراء.

إن إساءة استخدام تقنيات الهندسة الوراثية في المجالات العسكرية لإنتاج أشياء بشعة تستخدم في الحروب هو خطر قائم ينبغي على كافة الدول والأديان مواجهته.

إن الهندسة الوراثية مجال واعد بكثير من المزايا، خاصة للمجتمعات المتقدمة الغنية وقد يتسرب بعضها للدول النامية الفقيرة. إلا أن هذا المجال يحمل في طياته أيضا الكثير من المخاطر تتمثل في سوء استخدام تقنياته وفي هيمنة الدول التي تمتلك بالفعل أسباب الثروة والمعرفة.

# بحث عن الوراثة البشرية (والجينات) وتكنولوجيا التكاثر وموقف الشريعة الإسلامية منها

مقدم من  
الدكتور . عبد الستار أبو غدة



## الوراثة البشرية (والجينات) وتكنولوجيا التكاثر وموقف الشريعة الإسلامية منها

إعداد الدكتور عبد الستار أبو غدة

الحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذي اصطفى ممن جعلهم هداة للبشرية بما زودهم به من الكتب السماوية لتكون مقولاتها منارات تعصم العقل البشري من الجموح أو الانسياق مع معطيات البيئة وموجهاً الظروف دون رعاية الثوابت التي تشكل معياراً وميزاناً للأفكار والتصرفات وأساساً لاستقرار المجتمعات.

وقد وردت تلك الثوابت في القرآن خاتم تلك الكتب المنزلة والمصدق لأصولها النقية، والمهيمن عليها، وكذلك في السنة التي هي بالنسبة للقرآن تأكيد لما فيه وتفسير لمجمله وتكميل لتشريعته، وقد اشتمل هذان الأعلان على لمحات علمية في شتى المجالات ومنها مجال الإنجاب والوراثة على سبيل العموم الذي تقتضيه المعطيات العلمية المجملة والمحدودة في العصور الأولى قبل الكشوفات العلمية المذهلة. وهذه اللمحات تحقق أمرين:

أحدهما: أنها مؤشرات على ما في القرآن من إعجاز علمي يضاف إلى البراهين الأخرى على سماويته وصدق الرسالة المحمدية.

الآخر: أنها حثٌ على التدبُّر والنظر في الآفاق العلمية والنفس والنظر فيما تحتويه في خلق الإنسان وما في أجهزة جسمه من نظم دقيقة.

وإن موضوع الوراثة البشرية وما يتعلق بها واسع الآفاق، وليس من أهداف هذا البحث الدخول في تفاصيله التي يتقن الخوض فيها المختصون بذلك المجال، لكن لا بد من التعرّيج على بعض مقولاته للاستناد إليها في الأحكام الشرعية؛ إذ - كما هو معلوم - لا بد من تصوّر الشيء للحكم الصحيح عليه.

ويأتي هذا البحث - وأمثاله - بعدما أصبح الإسهام ببيان الأحكام التكاليفية والآثار الشرعية للهندسة الوراثية ضرورة ملحة لمواكبة التطور المذهل في نتائج البحوث النظرية والكشوف الميدانية والخطط الدولية العالمية لرصد مكونات وخصائص الجينوم البشري، ولدرء الأخطار التي أصبحت البلاد والمجتمعات الإسلامية عرضة لها بعد الانفتاح العلمي والانفلات الإعلامي.

والله الموفق، ، ،

## قضايا الوراثة وعلاقتها بمقاصد الشريعة

### عناية الشريعة بحفظ النسل:

تستمد قضايا الوراثة أهميتها من اتصالها الوثيق بمقصد من مقاصد التشريع (وهو حفظ النسل وصيانة النسب) باعتباره أحد الكليات الخمس التي جاءت الشريعة لصيانتها، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال .. ولتوفير ما يناسبها من صون وكلاءة جاءت أنواع شتى من الأحكام الشرعية، بعضها لا مناص من مراعاته، لأنه يمثل (الضروريات) وبعض آخر يتلوه في سلم الأهمية وهو (الحاجيات) وإلى جانبها يقوم خط آخر للدفاع يمثل (الكماليات أو التحسينيات) وهذه الأحكام تحيط تلك المقاصد الخمس - وأحدها حفظ النسل - بسور منيع يتحقق به الإنذار المبكر ودفع الأذى لتحاشيه أو رفعه بعد وقوعه.

ولا يسع المقام لأكثر من هذا التنويه الدال على عناية الشريعة بما يصون ذات الإنسان ومقوماته ويعزز تكريم آدميته، وأنه مفضل على كثير من الخلق تفضيلاً، وينظر تفصيل ذلك في كتب أصول الفقه وكتب حكم التشريع.

### الوراثة البشرية في الطب والتراث الفقهي:

بالرغم من قلة الكتابات في الوراثة والهندسة الوراثية (وهي علم يزيد عمره على ثلاثين عاماً بقليل) فإن الوراثة لم يغفلها القدامى من الأطباء والفقهاء وغيرهم من العلماء ممن كتب في موضوعات ذات صلة بهذه الحقيقة. ولا سيما بعد أن أشار إليها الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: " لعل ابنك نَزَعَه عِرْقٌ " في شأن من استغرب أن يولد له من لم يشبهه تماماً بل أشبه أحد أجداده.



على أن جهودهم اقتصرت على (التعرف) إلى خصائص الوراثة ولم تبلغ آمالهم إمكانية (التصرف) والتحكم فيها، وهو مجال مضى الطب المعاصر فيه أشواطاً أمكن فيها الانتخاب والاستنجاب، والتعديل والتبديل. وقد أتى بعض ذلك كل ثماره المرجوة، وبعض آخر شارف على تحصيل نتائجه أو اعتبرت في حيز الإمكان، على ما وصف المختصون.

### الحاجة لبيان الحكم الشرعي لقضايا الوراثة:

ولا تخفى الحاجة إلى بيان الحكم الشرعي لما وقع من قضايا التحكم في الوراثة أو كاد يقع، بعدما قام الأطباء (أهل الذكر في هذا المجال) بالمهمة الضرورية التي لا بد أن تسبق إصدار الحكم، وهي بيان التصور العلمي لتلك القضايا.

### كما أن الحكم الشرعي يشمل جانبين:

الحكم التكليفي المتعلق بمشروعية وعدم مشروعية المزاولة للتصرفات المختلفة في مجال الهندسة الوراثية.

الحكم الوضعي، أو الأثر المترتب على العمل، وما يتعلق بذلك من حقوق وواجبات، بصرف النظر عن كون الفعل حلالاً أو حراماً.

فالشريعة كما ترسم السبل السوية للتصرفات، تعالج الانحرافات عن تلك السبل، وليس ذلك من قبيل الاعتراف بها بل هو من قبيل بقاء الإنسان في حيز التكليف لحفظ حقوق غيره وتخفيف الأثر الضار الناتج عن الفعل الحرام، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن (التعرف) على هذا العلم في بعض معطياته وسير أغوار الإنسان في كنه تكوينه، وملاحظة انطواء العالم الأكبر في جرمه الصغير، لهو مما يدخل في تلبية دعوة الله الخالدة إلى التأمل في النفس وإبصار ما استكن فيها من عجيب الخلقة،

ويستتبع ذلك الاعتبار والعظة ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات/ ٢١) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة العنكبوت/ ٢٠) ويتلوه الانتقال من التدبير في الخلق إلى الإيمان بالخالق وازدياد اليقين بقدرته وحكمته ووحدانيته.

هذا، وإن الوراثة إحدى الخصائص الكونية التي أودعها الله عز وجل في الأجناس المختلفة من مخلوقاته التي فيها الحياة ذات الحس والحركة والإرادة (الإنسان، والحيوان) أو ذات النمو (النبات).

وقد ربط بها أسراراً وحكماً يظهر منها كل يوم الجديد والمثير ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات/ ٢١)، مما يزيد الإيمان بعظمة الخالق ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الحجر/ ٨٦) ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (سورة طه/ ٥٠).

والكشوف التي حصلت أو ستحصل ما هي إلا مما تعلق به إرادة الله الكونية، فهو الذي أعطى الإنسان العقل والعلم والمقدرة فاستخدم القوانين والسنن التي أودعها في الكون المسخر للإنسان بسماواته وأراضيه، والمسلم يعتقد أنه لا يقع في ملك الله تعالى إلا ما يريد ولو كان على غير ما شرع لعباده.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن هناك جانبين للكلام عن الممارسات التي تصاحب الكشوف المتسارعة في مجال الهندسة الوراثية والعلاج الجيني:

جانب عقديّ بالنظر إلى ما تتعلق به الإرادة الإلهية الكونية من خلال اتضاح معالم كثيرة كانت خفية من خصائص الوراثة ومكونات الخلية الجينية، وأن إمكانية التحكم فيها لا تززع إيمان المسلم بل

تبصره بما في نفسه من أسرار في شتى الأطوار، إذ ما هي إلا باستخدام القوانين والسنن التي أودعها في مخلوقاته.

جانب تشريعي، بالتعرف إلى ما تتعلق به الإرادة الإلهية الشرعية من الأوامر والنواهي، وهذا يشمل النظر في الحكم التكليفي من المشروعية وعدمها، بما يؤدي إلى إحجام الملتزمين بالشرعية عن التصرفات الممنوعة بالمباشرة أو الإذن أو المعونة، سواء في مجال الاختبارات أم في مجال المعالجة التي لا بد من أن تراعى فيها الأحكام الشرعية، لأن الإقدام على ما هو نافع لا يعفى من التقيد بالحكم الشرعي، لئلا يزول الضرر المادي على حساب لحوق الضرر المعنوي بالتحلل من معيار الحلال والحرام.

ويستتبع ذلك النظر في الحكم الشرعي الوضعي (الآثار المترتبة على التصرفات) فيما لو وقعت ممن لا يلتزمون بالشرعية - وهو الأغلب في ظل التخلف عن موكب العلم - كأحكام النسب، والنفقات، والإرث، والزواج وبخاصة الفحص قبله، أو وقوعه بين الأقارب.

وهناك بعض الأحكام الشرعية للهندسة الوراثية تتصل بنظامي الإثبات والعقوبات وهي الإثبات بالبصمة الوراثية، أو النظر في أثر الخلل الوراثي في الإعفاء من العقاب وعلاقة ذلك بحقيقة الولادة على الفطرة.

هذا، وإن وجود مبادئ شرعية تحكم هذه الممارسات في مجال الأحياء (البيولوجيا) ليس فيه أي تحجير على العلم والكشوف المعرفية بل تنظيم وترشيد لمعطياتها لتوظيفها فيما فيه صلاح البشريه، فقد حث الإسلام على طلب العلم منذ فجر بزوغه، وآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الكريم في هذا المجال كثيرة، وعدد الآيات العلمية

في القرآن الكريم تبلغ حوالي ٧٥٠ آية تشمل مختلف العلوم، والإمام الغزالي يفتح كتابه "إحياء علوم الدين" بكتاب العلم، ويعقد مقارنة بين علم الفقه وعلم الطب، أيهما أفضل؟ ويبين فيه آداب العالم وآداب المتعلم.

وقد نشط المسلمون في القرنين: الأول والثاني من الهجرة، وهما اللذان وضعت فيهما العلوم، ونشطت فيهما الترجمة، كما وصلت العربية والترجمة إلى عصر النضج في القرنين: الثالث والرابع.

وقد وضع ابن النديم في القرن الرابع الهجري أول عمل ببلوغرافي من نوعه سجل في كتابه (الفهرست) وكذا المؤلفات والترجمات لكل العلوم وفيها طب، وتراجم الأطباء<sup>(١)</sup>.

كما أن هذه المعطيات العلمية ليس فيها خروج عن مشيئة الله أو إرادته الكونية، بالرغم من مخالفة بعضها للإرادة التشريعية، وفي هذا يقول ابن القيم عن العلاقة بين مشيئة الله تعالى والمعطيات العلمية المؤدية لذكورة المولود أو أنوثته:

"ومع هذا كله، فهذا جزء سبب وليس بموجب، والسبب الموجب مشيئة الله، فقد يسبب بعرضها السبب، وقد يرتب عليه ضد مقتضاه، ولا يكون في ذلك مخالفة لحكمته، كما لا يكون تعجزاً لقدرته، وقد أشار في الحديث إلى هذا بقوله: "أُدْكُرُ، وَأُنْثُ، بِإِذْنِ اللَّهِ. وقد قال الله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢٥﴾ سورة المائدة / ١٢٠ فأخبر سبحانه أن ذلك عائد إلى مشيئته، وأنه قد يهب الذكور فقط والإناث فقط، وقد يجمع

(١) ندوة الإنجاب ٣٣ (من مداخلة للدكتور عبد الله محمد عبد الله).

لوالدين النوعين معاً، وقد يخليهما عنهما معاً وأن ذلك راجع إلى مشيئة الله فهو متعلق بعلمه وقدرته" (١).

**تعريف الوراثة والهندسة الوراثية، ومعطياتها الإيجابية والسلبية:**

وإذا كان لا بد من تقديم تعريف للوراثة قبل الخوض في التصرفات المتصلة بها والمعالجة أو الإلمام بشرعيتها، فإن الوراثة هي: "انتقال الصفات من الأصول إلى الفروع، أو من السلف إلى الخلف، وهي تشمل إلى جانب الخصائص - الأمراض القابلة للتوريث" (٢).

أما الهندسة الوراثية فهي "التعامل مع المحتوى الوراثي للكائنات الحية (الجينات أو المورثات) المشتملة على الصفات الوراثية سواء كانت من قبيل الصفات المشتركة بين البشر كلهم أو السلالات المتقاربة أو من قبيل الخصائص المميزة لكل شخص عن غيره وذلك من خلال الإضافة أو الحذف أو التعديل لبعض جينات الكائن الحي لتحقيق غرض ما".

وقد أطلق على هذا التعامل (قراءة الجينوم البشري) ومن ثم الوصول إلى اكتشاف أمراض الجينات وعاهات الأجنة والقيام باستخدامات مرشدة بالمعالجة للأمراض الوراثية وتحسين الإنتاج في النبات والحيوان بتغيير الجينات لزراعة أعضائها في الإنسان (٣).

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطب، د. شوكت الشطي ص ١٠٩ طبع جامعة دمشق.

(٣) من يقرأ الأبحاث المختصة في الهندسة الوراثية والهندسة المشيحية يدرك أن التطور المذهل للعلوم (البيولوجيا بصفة عامة وعلم الأجنة والوراثة بصفة خاصة) قد يؤدي يوماً ما، إلى إحداث تغييرات جذرية في الطبيعة البيولوجية للإنسان، الأمر الذي يصيب إنسان هذا العصر بصدمات نفسية. وإذا قدر للإمكانيات الطبية والبيولوجية أن تنتقل من مستوى المعمل إلى مستوى التطبيق الفعلي على الإنسان، فإن هذا سيؤدي إلى نتائج تصيب عقل المرء بالدوران وسوف تقلب رأساً على عقب بعض المعطيات التقليدية التي تأسست عليها الأحكام القانونية (ندوة الأبحاث ١٣٧ بحث د. أحمد شرف الدين).

أما الجينات، فالجين جزء من الحامض النووي منزوع الأكسجين (DNA) الموجود في الكروموسوم، وعن الجينات تنشأ البروتينات التركيبية والوظيفية وهناك قواعد نتروجينية تتحكم في البروتين بيتاجلوئين، وأي خلل في تسلسلها قد يؤدي إلى مرض خطير.

والأزواج المتشابهة من الكروموسومات تحدد الصفات الوراثية للإنسان والطريقة التي يعمل بها جسمه، وهناك الكروموسومات الجينية المؤنثة (xx) أو المذكرة (xy) وإذا كان الجين مختلفاً في أحد الموضوعين المتماثلين يسمى (أليلاً) وبذلك يقع التمييز بين الأفراد بناء على هويتهم الوراثية أو البصمة الوراثية (بصمة الدنا) ولا يظهر المرض الوارثي إلا عندما يحمل الشخص الجين المعطوب من كلا الأبوين، أما إذا كان لديه جين واحد مصاب والجين الآخر سليم فإنه يعتبر حاملاً للمرض فقط<sup>(١)</sup>.

## التكاثر التكنولوجي

التكاثر التكنولوجي إما أن يطبق في مجال إنتاج المواد العلاجية، ومجال الحيوان والنبات وإما أن يطبق في المجال الإنساني.

أما في المجال الأول: فقد سبق [للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] أن طرحته في ندوتها الأولى المنعقدة في الدار البيضاء وصدر بشأن ذلك التوصية التالية:

"الاتفاق على جواز تطبيق تكنولوجيا التكاثر على مستوى الكائنات الدقيقة باستخدام بعض خصائص الحامض النووي معاود

(١) البصمة الوراثية، د. سفيان العسولي ٣، ونظرة فاحصة للفحوصات الجينية، د. محمد علي البار ١ و ٦.

الالتحام في مجال إنتاج مواد علاجية وفيرة، مع الحرص على استعمال خصائص الحامض المذكور في كل ما ينفع الأمة ويدفع عنها الضرر".

وأما في المجال الآخر ففيما يلي الكلام عن تطبيق التكاثر التكنولوجي على الإنسان، وأثر ذلك على الأسرة والأطفال.

لقد جعل الله تعالى تكاثر البشرية من خلال العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة، وجعل تلك العلاقة أساساً للتكاثر، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ سورة الروم/ ٢١.

ولم يجعل تلك العلاقة أمراً مادياً بحتاً بل حفها بسياج من المعاني القانونية والوجدانية العاطفية، عن طريق الزواج الذي جاء وصفه في القرآن الكريم بأنه ميثاق غليظ، ويمر التكاثر بمراحل لها أثرها العاطفي، بدءاً من الحمل ثم الوضع والرضاعة التي تثبت اللحم وتنشز العظم، والحضانة والتربية إلى أن يتجاوز المولود مرحلة الطفولة إلى البلوغ ثم الرشد.

والسؤال المطروح: ما مدى بقاء هذا الجو الأسرى العاطفي الحميم في حالة التكاثر التكنولوجي بوسائل بديلة عن النشاط الجنسي مع الانفصام بين هذه النتيجة نفسها في الحالتين؟ وهل تتوافر المعاني المشار إليها في حالة التكاثر التكنولوجي؟!

إن الجواب واضح: فالمرأة (وكذلك الرجل) لا توجد لديهما المشاعر التي تنطلق من الانتماء ومفهوم (الجزئية) الذي تنبثق عنه منظومة كاملة من الحقوق والواجبات تبدأ بالتحقق من أصرة النسب، وواجب الرعاية والاتفاق، وحقوق البر والتكافل .. الخ.

ومن هنا يظهر حسن الاختيار في التعبير عن ذلك بالانشقاق بين

النشاط الجنسي والتكاثر، فهذا التعبير أوضح في الدلالة من كلمات الفصام أو التمايز أو التباين.

والغرض من هذا تأكيد واجب الحفاظ على صحة الأنساب وتمايزها، والتبصر عند الإقدام على أي تصرف من شأنه المساس بهذه القضية الأساسية، وملازمة الطرق الطبيعية المرسومة بالفطرة لابتغاء ما كتب الله للإنسان من نسل صحيح صالح ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ سورة الأعراف / ١٨٩.

ومن هذه الآية وأمثالها يتبين أن الزواج هو السبيل الآمنة التي ألهمها الله خلقه لبقاء النوع الإنساني، وأن فيها وحدها يتحقق السكن والمودة والرحمة وأن العزوف عن هذه الطريق والتكبد عن هذه الجادة يعرض القاعدة الكلية الأساسية التي هي (بقاء النسل وحفظ النسب) إلى هزات عنيفة تجتثها من جذورها فتزهق معها حقائق ذات شأن، لأنها يرتكز عليها بقاء المجتمع الإنساني وسعادته كعلاقة الأبوة والأمومة وما يتصل بهما، وقواعد النفقة والميراث، وأصول التكافل الأسري وهو ما تنظمه أحكام الأحوال الشخصية للإنسان (حقوق العائلة).

### الحكم الشرعي التكليفي للهندسة الوراثية والعلاج الجيني :

القاعدة الشرعية المطبقة - هنا - وفي جميع وجوه التصرف الأشياء والطبائع هي المصلحة المرسله، بأن كان فيه منفعة ولم يرد نص خاص بمشروعيته ولا بتحريمه ويندرج تحت عموم النصوص المبيحة ونحوها. وقاعدة المصالح المرسله دليل شرعي أساسي في المستجدات، وهذه منها، وبقي البحث في الضوابط التي تحول دون وجود ملاسبات محرمة تجعل المفاسد غالبية على المصالح المبتغاة.



فإذا توافرت الضوابط الشرعية كان التصرف حلالا لتحقيق المصلحة الخالية من الشوائب، أما إذا لم تتحقق الضوابط فإن التصرف يحرم، لوجود الأضرار (المفاسد) ولاسيما أن المفاسد التي قد تقع هنا تؤدي إلى الإخلال بمقاصد الشريعة في واحد من الضروريات الخمس وهو (حفظ النسل).

وعليه فإن الحكم الشرعي بالتحريم شامل للممارسة والمعونة عليها؛ فلا يجوز الإقدام على ما حرم فعله ولا أن تقدم للمخلين بالضوابط الشرعية أي معونة من دعم معنوي أو مادي ولا يتاح لهم اتخاذ بيئتنا ساحة لتجاربيهم أو لممارساتهم بعد أن أصبح هذا ميسورا في عصر العلمنة والهيمنة.

والضوابط الشرعية لا داعي لسردها جميعها على سبيل التخمين أو الافتراض والمناسب أن يتداعى ذكرها بحسب الممارسات، وتختلف كما وكيفا تبعا لوسيلة كل منها<sup>(١)</sup>.

### الحكم الشرعي الوضعي (حكم آثار التصرف):

لا بد من مراعاة حكم الشريعة فيما ينجم من آثار عن أي

(١) يتبين وجه المصلحة في إبراز الحدود التي يتعين على الإنسان أن يراعيها في محاولته لتغيير ذاته وفي تقنين القيود التي ترد على استخدام أساليب البيوتكنولوجيا على مستوى الإنسان، وهي قيود تكفل انتقاء ما يحقق مصلحة البشرية كما أراد خالقها لها. وإذا كان بحثنا المبني هذا لمشاكل تكنولوجيا التكاثر قد يعطي انطباعا بأن أساليب محرمة في الشرع لا صطدامها ببعض أصوله، إلا أنه من المحتمل أن يظهر بعد بحث متأن ومتعمق لمكنون هذه الأساليب وآثارها أن بعضها يحقق مصالح يمكن رعايتها، متى قيد استخدامها بشروط تكفل عدم تعارضها مع النصوص قطعية الدلالة. وفي تقديري أننا في حاجة إلى مثل هذا البحث في عصر تتقدم فيه مكتبات العلم بسرعة مذهلة، ولا يعقل أن يترك بحث أحكامها الشرعية إلى وقت تستأثر فيه الأساليب (البيوتكنولوجية) بلباب الإنسان فيحكم أهواءه في استخدامها دون مراعاة لحكمها الشرعي بسبب تقاعسنا عن إبراز هذا الحكم.. ندوة الإنجاب: ١٤٣ (بحث د. أحمد شرف الدين).

تصرف، سواء كان حلالاً أم حراماً، ذلك أن ارتكاب ما حرم من أمور لا يعفى من النظر في النتائج المترتبة عليه، فالمحرمات لا يقتصر أثرها وضررها على مرتكبيها- وهم من غير المسلمين أو الملتزمين - بل يتعدى ليشمل الأفراد الآخرين والمجتمعات، وتترتب على ذلك حلول ومعالجات واعتبارات شرعية تتعلق بالصحة أو الفساد أو البطلان للنسب، فضلاً عن واجبات عديدة تطلب أو لا تثبت، كالتنفقات والإرث ونحوها مما له أكبر الخطر وأعظم الأثر في قيام علاقة القرابة أو المصاهرة.

### حكم الاختبارات في مجال الهندسة الوراثية:

لا نزاع في مشروعية البحث العلمي في المجالات التي يتوقع منها النفع، ولا سيما ما يتعلق بسلامة الإنسان من الأمراض والعلل، أو بتشخيص ما يطرأ على صحته من أدواء وما تتعرض له من أخطار للعلاج المبكر بما يؤمل معه زوال المعاناة أو تخفيفها وينطبق هذا على أي مشروع تبذل فيه جهود فردية مشتركة، ومن ذلك مشروع (الجينوم البشري) الذي يهدف إلى معرفة أسباب الأمراض الوراثية والعلاج الجيني لها وبخاصة سرطان الثدي وسرطان المبيض، ومعرفة التركيب الوراثي وقابلية حدوث أمراض معينة وإنتاج مواد بيولوجية وهرمونات يحتاجها جسم الإنسان للنمو والعلاج، لا سيما وقائمة الأمراض الوراثية تزداد يوماً باكتشاف المزيد منها بسبب تسارع البحث العلمي.

### التحكم الوراثي في جينات الأطفال في مرحلة الجنين

هذه القضية ذات صلة بالوراثة البشرية والتحكم فيها، والمطلوب بحثه هو إلى أي مدى ينظر إلى الأطفال كهديّة فريدة ذات طبيعة وشخصية مملوحة؟ ولأي درجة يترتب واجب ينشأ أو حق يترتب في

تعديل طبيعتهم وشخصيتهم؟ وهل اختيار خصائص الأطفال يحولهم إلى سلع مستهلكة؟

إن هذه المسألة تتعلق بقضايا فقهية قانونية وهي الولاية على الأطفال، ويشمل ذلك الأجنة مهما كانت المرحلة، وكذلك قضية التدخلات الطبية للعلاج أو للتحميل أو لتعديل الخصائص المورثة في الجينات.

ولهذا لا بد من تقديم بعض البيانات الشرعية عن (الحق) والعلاقة بينه وبين (الإذن) سواء كان إذناً شرعياً لإباحة التصرف من حيث المبدأ، أو كان إذناً شخصياً لممارسة التصرف من حيث التطبيق.

### الحق وعلاقته بالإذن الشرعي والشخصي :

إن من المبادئ المنظمة مبدأ (الحق) لا سيما إن كان للعباد أو في ملكهم، وهو شديد الصلة بمبدأ (الإذن)، وكل من الحق والإذن إما أن يرجع إلى الشارع (حق الله) و(الإذن الشرعي) أو إلى الإنسان (حق العبد) و(إذن المالك)، وإن للحقوق تقسيمات وأنواعا ليس من المناسب التوسع فيها بمجال كهذا، لا سيما أنها موضوع مشترك بين المعاملات المالية والتصرفات الجنائية، وإن ذلك يجر إلى الكلام عن المسؤولية، وهو جانب عولج على حدة لاتصاله بأمور أخرى غير الحق والإذن، كالقصد وطبيعة الفعل والخبرة.

### صاحب الإذن في التصرفات الوراثية :

الأصل أنه لا يختلف الأمر بشأن الإذن في إجراء التصرفات العلاجية بين الأمراض العادية والأمراض الوراثية . . . والإذن يتعلق بصاحب الحق سواء كان حقه فيه خالصاً أو مشتركاً . . . فإذا كان الأمر حقاً لله تعالى فالعبرة فيه بالإذن الشرعي (الجواز) وإذا كان حقاً للعباد

فالإذن فيه لهم، وهو مستند إما إلى الملك كإذن الإنسان لغيره بالتصرف بماله، أو التملك من الشرع بحكم الأولوية كإذن الإنسان بالانتفاع بعضو منه لا يضره نقله من بدنه، أو بحكم الولاية الخاصة الثابتة للولي أو الوصي أو القيم، أو الولاية العامة التي هي تصرف أولي الأمر في شؤون الرعية، وهو تصرف منوط بالمصلحة.

وهذا المبدأ العام بتفاصيله يعطي بعض الحالات التي يقع فيها التصرف على شخص عديم الأهلية أو ناقصها بسبب خلل وراثي، وحينئذ يأتي دور الأولياء المخولين بحكم الشرع أو باختيار القضاء لممارسة حق الإذن أو عدمه.

والإذن يترتب عليه أن ما تولد عنه لا يكون مضموناً إذا روعيت فيه المصلحة والمقتضيات الفنية طيباً مع الأهلية، فالطبيب لا ضمان عليه فيما يتلف بفعله إذا كان ذلك بالإذن ولم يجاوز الموضع المعتاد وكانت له بصنعتة بصارة ومعرفة.

والمبدأ العام في هذا المجال هو حماية حق الغير، وهو ما جاء في قاعدة شرعية نصها: " لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذن " وبدن الإنسان ملك لله عز وجل (الخالق) وفيه مع ذلك حق للعبد نفسه (المخلوق) فهو مما يجتمع فيه الحقان (حق الله وحق العبد) بالتعبير الفقهي المأثور وهذا من حكم التشريع، فهذا الاجتماع للحقين مما يستظهر به على صيانة محل الحق، بدلاً من سهولة سقوطه أو إسقاطه لاشتراط اجتماع الإذنين (إذن الشارع وإذن المالك). أما إذن المالك فهو بإطلاق التصرف ابتداء، أو إجازته بعد وقوعه وأما إذن الشارع فإنه يظهر في إحدى صورتين:

- الصورة الأولى: الأحكام الشرعية المنصوص عليها التي تبين ما يحل وما يجرم من التصرفات في أي مجال، وبخاصة مجال التطبيق لخطورته

والتباسه أحيانا بما يدخل في مجال الجناية على النفس أو ما دون النفس . (الأعضاء والحواس) ثم عمداً أو عن طريق الخطأ أو سوء الأداء أو الإهمال .

- الصورة الأخرى: التصرفات الرسمية المنوطة بالولاية العامة لكنها تصرفات مقيدة بعدم مخالفة الأحكام الشرعية المشار إليها، ولكونها في إطار تحقيق المصلحة العامة أو الخاصة بذوي العلاقة، وهذا ما عبرت عنه القاعدة الشرعية "التصرف على الرعية منوط بالمصلحة" .

على أن إذن الشارع سواء كان بالأحكام المنصوصة أو القواعد العامة هو المرجع في حال القصور أو العجز عن إصدار الإذن ممن كان الأصل أن يملكه، ولهذا كان إلى جانب الولاية العامة: الولاية الخاصة والوصاية والقوامة. ومن تطبيقات الولاية الخاصة ولاية الآباء على عديمي الأهلية أو ناقصيها ومنهم الجنين.

ومما يتصل بهذا المبدأ ما أبداه العلامة القرافي من فرق في الأثر، بين الإذن من صاحب الشرع (وهو في الغالب عام) وبين الإذن من قبل المالك (وهو من الإذن الخاص) بأن إذن المالك يسقط الضمان، أما إذن الشارع فالأصل فيه إسقاط التبعة الأخروية والعقوبة، دون الضمان (المسؤولية المدنية) وهذا تفضل من الله على عباده حيث جعل ما هو حق لهم لا يصح الإبراء فيه إلا برضاهم وإسقاطهم ضمانه .

### الحماية الشرعية للجنين، منذ طور النطفة

هناك مقولة للإمام أبي حامد الغزالي (الذي جمع بين الفقه لدرجة الإمامة فيه وعلوم أخرى منها الفلسفة، والأخلاق والتصوف) يقول فيها مبيناً أن الجنين يستحق الحماية منذ كونه نطفة:

"أول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية. فإن صارت مضغمة وعلقة ازدادت الجناية تفاحشاً، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً.

وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المنى في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل؛ لأن الولد لا يخلق من منى الرجل وحده، بل من الزوجين جميعاً من مائه ومائها.. وكما أن النطفة في الفقار (الصلب) لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يمتزج بماء المرأة"<sup>(١)</sup>.

### مدى حق الوالدين في تغيير طبيعة الطفل وراثياً

إن المرحلة الأولى لخلق الإنسان منذ العلق إلى الولادة أطلق عليها الفقهاء اسم (الاجتنان)<sup>(٢)</sup> أي كونه جنيناً، وهي تعتبر الطور الأول من أطوار نشأة الإنسان التي تم تقسيمها لغرض بيان مراحل أهلية الإنسان أي صلاحية الشخص للإلزام (ثبوت الحقوق له) والالتزام (ثبوت الحقوق عليه)، وهي خمسة أطوار متتالية في التكامل: طور الاجتنان، وطور الطفولة (أي الصبا)، وطور التمييز (أي المراهقة) وطور البلوغ، وطور الرشد.

(١) إحياء علوم الدين، لابي حامد الغزالي ٧٤/٢.

(٢) أطلق لفظ (الاجتنان) على طور الجنين الإمام النووي في " روضة الطالبين ٢٥٧/٩ حديث أورد بين منقصات الدية (الاجتنان).

وقد أحيا هذا الاستعمال العلامة الشيخ مصطفى الزرقا في المدخل الفقهي ٧٤٩/٢ لكنه لم يطلع على تعبير النووي ولذا قال: إن الفقهاء والأصوليين لم يستعملوا هذا اللفظ وأنهم يعبرون عن هذه المرحلة بلفظ (الحمل) وهو لذات الجنين وليس للمرحلة التي يناسبها هذا اللفظ المصدري.

وفي طور الاجتنان تثبت للحمل أهلية وجوب ناقصة تجعله قابلاً لإلزام الغير لصالحه دون الالتزام عليه فتثبت بعض الحقوق الضرورية له ولا يثبت شيء عليه، ويعلل الفقهاء ذلك: بأن الجنين ليس له وجود مستقل من كل وجه، بل يشبه أن يكون جزءاً من أمه كأنه عضو من أعضائها تابع لها، وهو من وجه آخر يمكن أن يعتبر مستقلاً عن أمه، لأن له حياة خاصة، وهو يتهاياً لأن يفصل عنها بعد حين ويصبح إنساناً مستقلاً<sup>(١)</sup> والحقوق الضرورية التي تثبت للجنين: النسب، والإرث، والوصية، والوقف.

- ١ - النسب.
  - ٢ - الإرث فيوقف للحمل من تركه مورثه أكبر النصيبين، على تقدير كون الحمل ذكراً أو أنثى.
  - ٣ - الوصية له، فيستحق ما يوصى له به، لأن الوصية تجوز لمن سيوجد ولو كان غير موجود عند الإيصاء.
  - ٤ - الوقف عليه فيستحق ما يوصى بوقفه عليه، لأن الوقف يجوز لمن سيوجد ولو كان غير موجود عند إنشاء الوقف.
- والجدير بالإشارة إليه أن الولاية على الجنين تختلف عن الولاية على عديمي الأهلية أو ناقصيها، فهي محددة الصلاحية بما فيه حفظ حقوق الجنين، في حين أن الولي على القاصر تختلف تصرفات الولاية بحسب كون التصرف نافعاً نفعاً محضاً فيقبل، أو ضاراً ضرراً محضاً فيرفض، أو دائراً بين النفع والضرر فيقع التصرف موقوفاً على الإذن ممن يملكه<sup>(٢)</sup>.

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ٢٣٩/٤ شرح المنار لابن ملك ٣٣٤ قواعد ابن رجب ١٧٧ والموسوعة الفقهية الكويتية ١٥٥/٧ والمدخل الفقهي للشيخ مصطفى الزرقا ٧٥٠/٢.

(٢) أحكام الإذن، د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء ١/٢٤١ و٢٤٢ و٢٤٣.

لكن مرحلة الاجتنان لا تخضع لنصب الولي الذي فيه التفصيل السابق، بل يكفي بتعيين (أمين) لحفظ ما يستحق له بالتصرفات النافعة نفعاً محضاً، وقد جاء في الموسوعة الفقهية (الكويتية) أن الشارع وإن أجاز إقامة أمين ليحافظ على مال الجنين، إلا أن هذا الأمين ليس في حكم الوصي، ولا يملك التصرف باسمه.

ومن هذا يتبين أن مرحلة الاجتنان محل رعاية حذرة من الشريعة لجلب المصالح المحضة فقط؛ فهي فرصة لتوفير الحق الأساسي للحمل وهو النسب، والحقوق المالية النافعة فقط، وليست تلك المرحلة صالحة للحقوق الضارة أو الدائرة بين النفع والضرر.

وإذا لم يكن هناك من يملك الإذن، سواء الولي (والداً كان أو غيره) فلم يبق إلا (الإذن الشرعي) وهو تطبيق الحكم الشرعي وهو المتعلق هنا بالعلاج للأمراض الوراثية.

وعليه؛ فإن التدخلات الطبية في معطيات الوراثة لا تجوز حتى مع إذن الأمين على الجنين، ويستثنى من ذلك حالة العلاج من الأمراض الوراثية لأن تلك الحالة هي نفع محض للجنين إذا توافرت دواعيه وضوابطه وما فيه نفع محض لا يحتاج إلى الإذن أصلاً، على ألا يترتب عليه أي عبء مالي على الجنين وإن كان له استحقاق بالإرث أو الوصية أو الوقف لأنه ثبت له الحقوق ولا يترتب عليه أي التزامات وبهذا تبين أن التدخلات الطبية غير مقبولة لأمر أخرى لا يظهر فيها وجه النفع المحض له، إذ ليس تغيير لون بدنه أو عيونه أو شكل بعض أعضائه صورة من صور النفع المحضة للجنين فلا يسوغ تعديل طبيعتهم وشخصيتهم، وكما جاء في ورقة العمل، فإن اختيار خصائص الأطفال يحولهم إلى أشياء مستهلكة.



## استيلاء أطفال بتكنولوجيا التكاثر وأثره على أصالة علاقة الأبوة والبنوة

هل عدم الخصوبة مرض، وهل من الملائم لزوجين غير مخصيين استخدام التكنولوجيا التكاثرية لإيجاد أطفال للحياة؟ وما هي حدود الاستخدام الملائم لهذه التكنولوجيا؟ ولأي مدى يغير استخدام التكنولوجيا التكاثرية من العلاقة الأصلية بين الوالدين والأبناء؟

إن عدم الخصوبة - بالمعنى الطبي مدرج بين الأمراض، وهو من زمرة الأمراض الوراثية إذا كان مصنفاً في حالات العقم الأولى سواء كان العقم في النساء أو في الرجال<sup>(١)</sup>

أما من المنظور الشرعي فإن هناك أمراضاً إذا أصابت أحد الزوجين أعطى الزوج الآخر الحق في فسخ الزواج لتجنب ما في تلك الأمراض من أذى، لكن عدم الخصوبة لا يعدّ من بين الأمراض بالاصطلاح الشرعي للمرض الذي له تأثير في الأحكام، سواء كان مرضاً اعتيادياً أم مرض الموت، ولا هو مما أطلق عليه الفقهاء عيوب الزوجية التي يترتب عليها الحق في فسخ عقد الزواج.

وقد أولى الفقهاء عناية كبيرة في بيان العيوب المرضية التي يثبت بها لأحد الزوجين الحق في فسخ الزواج، وكان ذلك في معرض الكلام عن السلامة من العيوب، ومع أنهم لم يُوردوها بين شروط الكفاءة بين الزوجين فقد أثبتوا بها حق الفسخ للزوج أو الزوجة، وهي إما عيوب تسبب النفرة بحيث يختل بها مقصود الزواج مثل: الجنون والجذام والبرص، وإما عيوب تناسلية تحول دون الاستمتاع الذي هو

(١) نشرة مركز الأمراض الوراثية، د. صديقة العوضي. نشر وزارة الصحة العامة - الكويت.

من أهداف الزواج ومحقق للإعفاف مثل: الرتق والقرن والعقل، وقد ألحق بعض الفقهاء بها الأمراض المستعصية كالسل ونحوه<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فإن الزواج بالعقيم - سواء كان رجلاً أو امرأة - غير مرغوب لأن ذلك يخل بواحد من أغراض الزواج وهو الإنجاب، وتحقيق مقصد النسل الذي هو أحد مقاصد الشريعة، وليس هناك شرعاً ما يمنع من السعي للإنجاب بالوسائل المشروعة سواء كانت بالعلاجات المعتادة، أم باستخدام طريقة (طفل الأنبوب).

### استخدام البدائل العلاجية:

هناك طرق لمعالجة العقم نشير إليها بإيجاز مع بيان الحكم الشرعي لممارستها:

غرس الخصية من جنين، وهي تنمو في الأسبوع السابع من الحمل، لكن استئصالها يكون بعد الشهر الأربعة أي بعد نفخ الروح (١٢٠) يوماً على أكثر الاحتمالات ويحصل عند التضحية بحياة الجنين لإنقاذ حياة الأم بإخراجه من الرحم وهو لا يخرج حياً إذا كان عمره أقل من ٢٥ أسبوعاً.

وهذه الطريقة محفوفة بالمحاذير الأخلاقية لسوء استخدام الأجنة بالحمل لهذا الغرض، بما يشبه تأجير الأرحام وكذلك المحذور الشرعي في الإجهاض بعد نفخ الروح<sup>(٢)</sup> فضلاً عن أن زرع الخصية ممنوع شرعاً لأن فيها الحقيبة الوراثية وهو تغيير واضح للنسب.

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي ٢٤٧/٧ و ٥١٦

(٢) مجلة (مجمع الفقه الإسلامي) العدد الرابع جزء ١ ص ١٢٨.

## استخدام طريقة أطفال الأنابيب :

لقد حظيت هذه الطريقة - منذ تطبيقها - بدراسات طبية وشرعية مؤصلة بعد عرضها على هيئات الفتوى، ومن ثم على المجامع الفقهية، وصدر بشأنها عن مجمع الفقه الإسلامي القرار رقم ١٦ (٣/٤) والمشمول على الصور الجائزة والصور الممنوعة شرعاً، من خلال استيفاء الضوابط الشرعية لهذه الطريقة وفيما يلي نص قرار المجمع :

### قرار ١٦ (٣/٤) بشأن أطفال الأنابيب

قرر ما يلي :

- **أولاً:** الطرق الخمس التالية محرمة شرعاً، وممنوعة منعاً باتاً لذاتها أو لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب وضياع الأمومة وغير ذلك من المحاذير الشرعية :
- **الأولى:** أن يجري التلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج وبيضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم زوجته .
- **الثانية:** أن يجري التلقيح بين نطفة الرجل غير الزوج وبيضة الزوجة ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة .
- **الثالثة:** أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها .
- **الرابعة:** أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي رجل أجنبي وبيضة امرأة أجنبية وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة .
- **الخامسة:** أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة الأخرى .

- **ثانياً:** الطريقتان السادسة والسابعة لا حرج من اللجوء إليهما عند الحاجة مع التأكيد على ضرورة أخذ كل الاحتياطات اللازمة وهما:
- **السادسة:** أن تؤخذ نطفة من زوج وبيضة من زوجته ويتم التلقيح خارجياً ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة.
- **السابعة:** أن تؤخذ بذرة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من مهبل زوجته أو رحمها تلقيحاً داخلياً.

### الاختبارات الجينية لانتقاء مولود سوى أو من نوع معين

للجينات دور كبير في حياة الإنسان، فهي وراء كثير من القضايا التي بعضها ظواهر صحية، وبعضها اختلالات أو أمراض، وجميع الأجهزة تقريباً معرضة للأمراض الوراثية، فهي قد تصيب الجهاز العصبي فينشأ عنها تشوهات أو التخلف العقلي وقد تصيب الجهاز الدوري أو الجهاز العضلي أو الجهاز العظمي والغدد الصماء أو الجلد أو الجهاز الهضمي أو الجهاز التناسلي .. الخ<sup>(١)</sup>.

والأمراض الوراثية - كما قرر المختصون - ليست فقط تلك التي سبق ظهورها في الأسرة، بل لها أسباب عديدة، منها: الاختلاف في الكروموسومات عدداً أو تركيباً، ومنها: العيوب في أحد الجينات، سواء أدى إلى مرض وراثي متنح أو سائد أو مرتبط بالجنس أو من طفرة في أحد الجينات.

غير أن ظهور هذه الأمراض وانتشارها بسرعة ليس ناتجا عن الوراثة وحدها أو عن خلل عضوي فهناك أسباب مباشرة لبعضها، وهي

---

(١) الأمراض والوراثة والبيئة، د. أحمد محمد الكباريتي ٢٢ - ٢٤ نشر جمعية حماية البيئة - الكويت ١٩٨١ ونشرة عن مركز الأمراض الوراثية، د. صديقة العوضي، وزارة الصحة العامة - الكويت.

الإرهاق العصبي المفروض على إنسان هذا العصر وتلوث البيئة، وطرق المعيشة، فالعامل الوراثي يوجد استعداداً للإصابة بالمرض بمجرد التعرض لبيئة ملوثة بمسببات المرض، مثل: حبوب اللقاح لبعض النباتات أو التعرض لهواء ملوث بغازات ومخلفات المصانع أو الدخان، وهناك أشخاص لديهم مناعة وراثية ضد الأجواء الملوثة.

والاختبارات ليست هي الخيار الوحيد فهناك الاسترشاد الوراثي بديلاً عن الاختبارات، حيث يرى البعض أنه لو كانت الحامل لايهمها إذا ما كان الجنين مصاباً أم لا، وأنها لا تفكر إطلاقاً بإسقاط الحمل وكان مصاباً فإنه يتضح للطبيب أنه ليس من الضروري إجراء هذه الفحوصات من الأصل والاكتفاء بإجراء الفحوصات الروتينية؛ فإن الاسترشاد الوراثي قد يكشف عن معلومات قيمة تتعلق بمرض وراثي ما في العائلة قد يمكن تجنب حدوثه أو الكشف عنه خلال الحمل.

بعد هذه التوطئة بشأن الاختبارات الجينية لانتقاء مولود سوى أو من نوع معين تثور في هذه القضية خمس نقاط، وهي:

أ - استخدام الوالدين الاختبارات الجينية لاختيار مولود سوى (الاستبدال) وصدى ذلك عند المعوقين.

ب - استخدام الاختبارات الجينية لتحديد حالة الجنين (التحكم في الجنس والنوع).

ج - استخدام الاختبارات الجينية لانتقاء مولود ذي خصائص مفضلة (الاستصفاء).

د - الحدود الفاصلة بين حالات الإعاقة القاسية والخفيفة.

هـ - انتقاء أطفال باستخدام (PGD)

## (أ) الاستبدال وصداه عند المعوقين إن كان لتفادي الإعاقة

لعل هذه الكلمة تصلح للتعبير عما تتطلع إليه المحاولات في مجال الوراثة بإيجاد ما يعتبر بدائل عن الوضع الأصلي من خصائص وخصال في الإنسان كانت ستظل معه لولا التدخل باستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير في الواقع وإن كان الغرض متجهاً إلى عكس ذلك.

والاستبدال هو كما عرفه المختصون: التعويل على ما للحامض النووي من خصائص ولاسيما خاصة الالتحام عند قصّه بحيث يمكن التحكم في إبدال المورثات من خلال عمليات معقدة يعود تحقق نتائجها إلى الخصائص في الحامض المذكور.

ينتج عن هذه التغييرات، بالبيئة أو بفعل الإنسان - كائنات جديدة تحتوى على صفات جديدة تتحكم فيها عوامل وراثية جديدة، ويكون التغير نهائياً، ولا يزول بزوال المؤثر، مثال ذلك: النباتات المعدلة وراثياً. وبناء على تأثر الحكم بالغرض من الفعل واعتبار الهدف فإنه يختلف الحكم على هذه التصرفات تبعاً للقصد فإن اتجه إلى العلاج من علة، سواء كانت مرضاً وراثياً قائماً بالجسم أو انحرافاً في الطبيعة الأصلية أو تقاصراً عن القدر المألوف فيها فإنه مما يندرج في التصرفات المشروعة إن لم يكن على سبيل الوجوب فعلى وجه الندب أو الإباحة، لأنه من جنس الأمور به في نصوص الشريعة الداعية إلى التداوي وإزالة الضرر ودرء المفسدة وتحصيل النفع والحرص عليه.

ولكن ما الحكم إن اتجه القصد أو أدت الوسيلة إلى تغيير الخليفة أو تبديل الفطرة على سبيل العبث والإفساد للانحطاط من الخلق السوي إلى أحد طرفي قصد الأمور من المبالغة في الطباع الحليمة الهادئة

المغرقة في الجانب الخير كالملائكة، أو الانحراف بالسجايا عن الوضع الطبيعي المحايد المحقق للتوازن إلى صفة العجز والاستخذاء والانقياد اللاإرادي، أو التوغل في الميول الشريرة التي تنحدر بالإنسان إلى حضيض الشياطين والمردة. وهذا كله خلاف ما خلق الله عليه الإنسان في فطرته من القابلية للخير والشر على حد سواء إلى أن يطراً مؤثر ما ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ سورة الروم/ ٣٠

مما لا يساور معه الشك أن في ذلك تبديلاً للفطرة المنهي عن تبديلها، وقد حرم الله كل ما يؤثر على الطبيعة الأصلية للإنسان سواء بأسباب مادية منضبطة كالإسكار والتخدير والإكراه المجهيء، أو بأسباب أخرى خاصة كالذي يتعاطاه السحرة النافثون في العقد، أو الحسد هواة الإصابة بالعين، أو المرجفون وأهل التحريض على الشر أو التشييط عن الخير باستغلال الهوى الجامح، أو الطيش البين، أو الغفلة والسذاجة، وما إلى ذلك من المؤثرات المعنوية أو النفسية السلبية أو المفسدة؛ فلا يقل عن هذه التصرفات في الخطورة ما يصل إليه الإنسان من نتائج بالوسائل المادية المختبرية والإجراءات الطبية؛ فكل من هذا وذاك استجابة لأمر الشيطان ومطاوعة لنزعته بالقيام بالتصرف المعترف سبباً ينشأ عنه مسببات منسجمة مع ذلك التغيير فإن الله ربط الأسباب بالمسببات، والحكم كما يتعلق بالفعل المباشر يتعلق بالتسبب إذا ما توافرت صلة السببية.

وعليه، فإن هناك تفصيلاً بين غرض العلاج - وهو يشمل الاستبدال للحفاظ على الفطرة (الخلقة السوية) أو لتصحيح الاختلال الواقع في العضو للعودة إلى الفطرة السليمة (للعلاج) - وبين الاستبدال للتشهي بغرض استبعاد غير المرغوب فيه من النتائج الطبيعية.

وقد صدرت توصية شرعية طبية عن الندوة الثالثة التي عقدتها [المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية]، ونصها:

"الجراحات التي يكون الهدف منها علاج المرض الخَلقي والحالات بعد الولادة لإعادة شكل أو وظيفة العضو السوية المعهود له جائزة شرعاً، ويرى الأكثرية أنه يعتبر في حكم العلاج إصلاح عيب أو دمامة تسبب للشخص أذى عضوياً أو نفسياً.

لا تجوز الجراحات التي تخرج بالجسم أو العضو عن خلقته السوية، أو يقصد بها التنكر فراراً من العدالة، أو للتدليس، أو لمجرد أتباع الهوى.

ما ظهر في بعض المجتمعات من جراحات تسمى عمليات تغيير الجنس استجابة للأهواء المنحرفة حرام قطعاً، ويجوز إجراء عمليات لاستجلاء حقيقة الجنس في الخنثى.

وكذلك تأكيد التوصية الرابعة من ندوة الإنجاب أيضاً بشأن التحذير من التجارب التي يراد بها تغيير فطرة الله أو استغلال العلم للشر والفساد والتخريب، وتوصي الندوة بوضع الضوابط الشرعية لذلك" (١).

## (ب) الاستصفاء بالتحكم في جنس الجنين

لعل هذه التسمية تؤدي المراد من عبارة التحكم في جنس الجنين بعد تشخيصه .. فهو من باب الاصطفاء لأحد الجنسين على الآخر.

وإن هذا التحكم إذا ما تم بوسائل صحيحة فهو سائغ كما يسوغ



الدعاء بطلب جنس معين ومن المقرر أن ما يحرم فعله يحرم طلبه وأن من شروط الدعاء ألا يسأل أمراً محرماً.

وقد سأل نبي الله زكريا عليه السلام أن يرزقه الله ذكراً وليس أنثى - ليصلح وليثايرث من ميراث النبوة.

وفضلاً عن ذلك فما كان يجري على مرأى ومسمع المفسرين والفقهاء وضمنوه بعض كتبهم ما كان يسلكه الناس من وسائل أخرى يظنون تأثيرها في الحصول على هذا المقصود بقطع النظر عن مدى صلتها بالحقيقة.

ومثل هذا المسعى إذا جاء على نطاق فردي شخصي لاغبار عليه وهو بمنأى عن توهم منافاته لحصر العلم بالأرحام في جملة الأمور الخمسة التي استأثر الله بعلمها في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ سورة لقمان/ ٣٤ فإن ذلك العلم ليس حاصلًا بوسيلة ولا هو مسبوق بجهل ولا هو محفوف بظن وتردد، كعلم الناس، فضلاً عن أن الآية جاءت في مورد التحذير مما كان مادة خصبة للكهان والمنجمين، ورتب عليها خطورة الجزم بذلك على أنه علم موهوب، أما إن كان الإخبار ناشئاً عن عادة أو وسائل فإنه ليس في حيز النفي.

وكما يقول القرطبي المفسر: قد تختلف التجربة وتنكسر العادة ويبقى العلم لله تعالى وحده<sup>(١)</sup>.

وهنا يثور اشتباه آخر هو المنافاة لإرادة الله وإيجاد الموانع من نفاذ المشيئة كما قيل، وهو ادعاء عجيب لأن مراد الله لا يُعْرَفُ

(١) تفسير القرطبي ٢/٧ وفيه نماذج ٨٢/١٤

للإنسان إلا بعد وقوعه، وإرادته تمضي طبقاً لما يشاء سبحانه ولا راد لأمره، وهذا مقتضى العقيدة الإيمانية الصحيحة في مسألة القضاء والقدر فالعلم بالمقدور علماً سابقاً لوقوعه هو مما اختص الله به ولا يتخلف عنه القضاء الواقع وإن الذي يقع فعلاً مهما تخللت من أسباب شتى أو قامت من موانع وصوارف هو المقدور المغيب سواء كان ظهوره إلى عالم الشهادة مباشرة للأسباب الظاهرة أو عقب تدخل أسباب غريبة عن مجرى الأمور المعتادة مما يستدفع به المكروه أو يستجلب به المرغوب وما قواعد الوراثة إلا نُظْمٌ وأسباب كونية أودعها الله في مخلوقاته يرفعها متى تعلقت بذلك إرادته سواء كان ارتفاعها حلالاً أو حراماً؛ ذلك أن الحرام وازعه هو ما في نفوس المؤمنين من منزلة الخطاب والقوى الرادعة عن عصيانه وليس هو الموانع القهرية في صورة المعجزة أو العقوبة المعجلة.

**والإرادة الإلهية نوعان:** إرادة كونية نافذة دون الحاجة إلى فعل يقدم عليه المخلوق أو كف يصدر منه بل يسخر الله من الأسباب ما يكفل نفاذ تلك الإرادة، وإرادة أخرى شرعية تقتضيها النصوص الآمرة أو الناهية وهي نافذة بالالتزام والمراعاة أو معطلة بالتمرد والعصيان أو الإهمال لأنها مناط التكليف وموضوع الخطاب.

وابن تيمية ممن أشار إلى الفرق بين نوعي الإرادة، وأوضح اللبس الناشئ عن عدم التمييز بينهما. وكمثال شرعي مشابه قضية التحكم في أصل الإنجاب نفسه بالعزل؛ فقد جاء فيه الحديث عن جابر: "أن رجلاً أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارياً هي خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال: اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قُدِّرَ لها" أخرجه مسلم في صحيحه.

وقد صدرت عن الندوة الرابعة التي عقدتها المنظمة الإسلامية

للعلوم الطبية التوصية التالية المعتمدة من الفقهاء والأطباء المشاركين في الندوة:

"اتفقت وجهة النظر الشرعية على عدم جواز التحكم في جنس الجنين إذا كان ذلك على مستوى الأمة، أما على المستوى الفردي فإن محاولة تحقيق رغبة الزوجين المشروعة في أن يكون الجنين ذكراً أو أنثى بالوسائل الطبية المتاحة، لا مانع منها شرعاً عند بعض الفقهاء المشاركين في الندوة، في حين رأى غيرهم عدم جوازه خشية أن يؤدي ذلك إلى طغيان جنس على جنس"<sup>(١)</sup>.

---

(١) الندوة الفقهية الرابعة ص ٣٤٩.

## المناقشات



## الجلسة العلمية السادسة

الرئيس: الدكتور حسين الجزائري

المقرر: الدكتور حامد أحمد

المتحدثون:

١ - الدكتور جيرالد ونسلو

٢ - الدكتور محمد على البار

٣ - الدكتور عبد الستار أبو غدة

الرئيس: الآن نفتح المجال للكلمات. الكلمات عبارة عن أسئلة محددة وسنجمع الأسئلة أولاً ثم نطرحها ونرجو ألا يكون التعليق مستفيضاً.

د. ماهر عبد القادر: مثل هذه الندوات تحتاج إلى نوع من إثراء الحوار بين المتحدثين والمتداخلين للنقاش، ومن بين الأمور التي تلفت النظر في هذه الندوة أن الندوة عن الوراثة والتكاثر البشري، وهي تجمع بين رؤية الأديان ووجهة النظر العلمانية، في تقديري أن هناك ميثاقين مختلفين، فرؤية الأديان هذه رؤية لها منظومة كاملة من المفاهيم والتصورات بينما الرؤية العلمانية لها رؤية أخرى لها منظومة كاملة من التصورات، فكيف يجوز لنا الانتقال من منظومة معرفية معينة إلى منظومة معرفية أخرى!!! فمن حيث البداية تقوم رؤية الأديان على الوحي سواء كان الدين الإسلامي أو الدين المسيحي أو اليهودي الديانات عموماً قائمة على الوحي والوحي قضاياها كلية، أما الرؤية

العلمانية فتقوم ابتداء على الخبرة؛ والخبرة قضاياها جزئية، فمثلا واحد مثل [توماس كول] يقول: أنا والذي سائر في الفكر الغربي لا يمكن أن نستدل من منظومة معينة تنتمي إلى نسق معرفي معين على منظومة أخرى تنتمي إلى نسق آخر، فما هو المشكل؟ المشكل هنا في نوع من التداخل حتى في بعض الاستدلالات بين الميثاقين أو النظامين، أنا أحدد أشياء مجموعة المفاهيم والتصورات الداخلة في نطاق الرؤية العلمانية، وهي مفاهيم قائمة على حصيلة العمل الأمريكي المعلن كله، على حين أن المفاهيم السائدة والقائمة في رؤية الأديان مفاهيم قائمة على قضايا الوحي والسنة والاجتهاد والرأي وما ينتج عنها، الجانب الثاني وهو الجانب المنهجي وهي نقطة أيضا مهمة، الرؤية العلمانية تعتمد على المنهج التجريبي أساسا وتنتقل انتقلا تجريبيا من قضايا جزئية إلى قضايا جزئية أخرى مهما اتصفت حتى بالعمومية.

الرئيس: نحن نريد أسئلة من أجل أن يجيب الناس عنها، هذا النقاش يستحق جلسة خاصة شكرا شكرا.

د. يماني طريف الخولي: السؤال الذي أريد أن أوجهه إلى الدكتور البار في اتجاه عام خصوصا تحريم استئجار الرحم، أريد أن أسأل - باعتبار أنني من الأمهات قبل أن أكون أستاذة فلسفة علوم - استئجار الرحم يحرم ويمنع بناء على ثلاثة أسباب [حرمة الجسد، ضياع الأمومة، واختلاط الأنساب]، وبناء على هذه المبررات الثلاثة، أسأل: ما الفرق بين استئجار الرحم واستئجار الثدي؟ الجسد كله له حرمة، ألم تحرم الشريعة الثدي بما ينطوي عليه اختلاط الأنساب؟ بدليل أن الشريعة وضعت قانونا لحماية الأنساب في هذه الحالة أي أم تعرف أن تجربة الرضاعة أكثر من الحمل، فما الفرق بين استئجار الرحم واستئجار الثدي؟! ولماذا لا نضع فقها عن استئجار الرحم

مثلما وضع الخلف معها لاستئجار الثدي؟ الآن اللبن الصناعي حل المشكلة وألغيت المشكلة هذا سؤال. شكرا.

الرئيس: شكراً، الكلمة الآن للدكتور. عجيل النشمي.

د. عجيل النشمي: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا عندي إضافة أعتقد أن الإضافة أهم من السؤال، أعتقد أن التكاثر التكنولوجي يهدم مقصدا من مقاصد الشرع وهو علاقة الزوجية بين الرجل والمرأة؛ وهي علاقة لها خصوصية كما ذكر في الآية، أما العلاقة التكنولوجية فهذه موطنها المعامل والكيمياء، بل هو عبث في الخصائص خصائص الحامض النووي، أريد أن أذكر آية من كتاب الله كنت أتمنى لو أن الدكتور عبد الستار أبو غدة ذكرها في البحث وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١). في ملخص هذه الآية وأنا أذكرها كدليل على رد قضية التكاثر التكنولوجي، والقرآن الكريم حينما يستخدم آياته وما بعدها يكون معجزاً، ويكون نعمة وتفضلاً، [ومن آياته] ورد في كتاب الله في أحد عشر موضعاً، سبعة منها في سورة الروم واثنان في الشورى واثنان في فصلت، وكلها حينما تتبعها تجد أن ما بعدها معجز، ومعنى أن هذه الآيات فيها إعجاز هذا الإعجاز يظهر في قضية أساسية هي: أن الله تبارك وتعالى كان بإمكانه أن يخلق حواء خلقاً مستقلاً، وهذا التسلسل الطبيعي خلق آدم ثم يخلق حواء خلقاً مستقلاً، لكن قال تعالى: (من أنفسكم) ثم بينت بالأحاديث بأن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا يوحي بقضية أساسية مرتبطة بهذا الموضوع وهي (أن العلاقة علاقة مودة ورحمة)، ولذلك جاءت الحكمة: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فقضية السكن فيها معنى الاطمئنان فيها معنى الراحة معنى التآلف والانسجام، وذلك يوحي أيضاً بقضية أخرى فيها تفضيل في معنى الرحمة والمودة ومن آياته أيضاً



من نعمه ممكن أن يرتب عليها ما ذكره بعض الفقهاء، فقد يدل ذلك هذا على أن الأصل في العلاقة الزوجية الاستمرارية وأن الطلاق خلاف الأصل؛ لأنه ردم لنعمة الله، فالطلاق قطع لنعمة الله لذلك كان الأصل فيه الحذر وليس الأصل فيه الجواز، وأعتقد أن هذه الآية هي الدليل على رد قضية التكاثر التكنولوجي، إذ لو فتح هذا الباب لا يمكن وضع الضوابط، لكن من الممكن أن نستثني قضية التحريم في الجانب النباتي والحيواني، ومن الممكن أن نضع قاعدة ربما ذكرت في الأبحاث في معناها أن تكنولوجيا التكاثر البشري بطريقة هندسة الجينات الأصل فيها عدم المشروعية ما لم يكن علاجاً دعت إليه الضرورة أو الحاجة الشديدة مثل التلقيح الصناعي، ومثل تحصين الأجنة من الأمراض وشكراً.

الرئيس: شكراً أنا أرى سؤالاً في الحقيقة الدكتور على مشعل.

د. على مشعل: سؤال وتعليق بسرعة.. الأول: موضوع زواج الأقارب مع أنني لست من المشجعين عليه لأنه يركز الصفات الممرضة أو السيئة، ولكن أيضاً يركز الصفات الجيدة إن وجدت. السؤال إلى الدكتور البار وهو: موضوع زرع الأرحام نحن نعرف أن زرع الأجهزة التناسلية مثل المبيض أو الخصيتين لها من دلالات للأجيال القادمة وهذا لا ينطبق على زرع الأرحام. الرحم عبارة عن عضو مستقل وهل يُبحث هذا الموضوع بحثاً منهجياً؟ وشكراً جزيلاً.

الرئيس: الكلمة للدكتورة. عايدة فلتفضل!

الدكتورة عايدة عقيل: أنا أحب أن أشكر الدكتور أبو غدة على مداخلته... إنه تطرق إلى مواضيع لم يتطرق إليها الباحثون السابقون ومن ضمنها: (الاستبدال الوراثي) ومن وجهة نظري - كدكتورة وراثة - توجد طريقتان للاستبدال الوراثي في الخلايا الجسدية والتي في

الخلايا التكاثرية التي هي المبيض والبويضة والحيوان المنوي، هناك اختلاف لما يحصل في التغيير الجيني، الاختلاف عندما تُغيّر في الخلايا الجسدية يكون هذا التغيير محدوداً لهذه الخلية من الناحية العلمية، هذا مهم مثل محاولتنا علاج مرض وراثي معين أو مرض نقص المناعة، فمن الناحية الإسلامية هذا ليس بمحرّم، إنما عندما نغير خلايا مثل: المبيض أو الحيوان المنوي فنحن نغير في نفس التكوين للجنين لهذا نعتبره محرماً وشكراً.

الرئيس: السيدة ليزا ليحمان!

د. ليزا ليحمان: شكراً جزيلاً لك . . . وأشكر المتحدثين على كلماتهم الرائعة، لدي أسئلة مختصرة يمكن للدكتور. وينسلو الإجابة عنها: ما هو منظورك، أو المنظور المسيحي، بشأن تجميد الأجنة بشكل كامل؟ وبالمثل د. على البار أتساءل: إن كان بوسعه أن يوضح لي المنظور الإسلامي بشأن تجميد الأجنة على وجه الخصوص، وهل التخصيب الصناعي حلال؟ وإن كان كذلك فلماذا من المحرم تجميد الأجنة؟ وما هو الحل المطروح فيما يتعلق بالأجنة بعد إجراء التخصيب الصناعي؟ كما كنت أتساءل إن كان د. على البار يمكنه التعقيب على حقيقة أن إجراء أبحاث على الفائض من البويضات غير مقبول من الناحية الأخلاقية. ، فإن كان البحث على البويضة - في أبحاث الخلايا الجذرية - هو بحث هادف يسعى إلى دفع الضرر في صورة الوقاية من الأمراض، فإنني لا أفهم كيف توصلتم إلى النتيجة القائلة بأن الأبحاث على البويضات حرام؟

الرئيس: الأسقف كاميللو!

الأسقف كاميللو: في موقفها في طريقة الإنجاب تعتمد الكنيسة الكاثوليكية على تمسكها الشديد باحترام النظام الذي وضعه الله في

الخلق؛ فلا تريد أن تتدخل في هذا النظام، ولا تريد أن تغير هذا النظام، فهذا هو المبدأ الذي وضعه الله في الخلق فلا تريد أن تتدخل في هذا النظام ولا نريد أن نغير هذا النظام، هذا هو المبدأ الذي تعتمد عليه (أن يكون هناك كيان يناقش الكنيسة على شيء ليس غريباً) وأظن أن هذا يحصل في كل دين في كل جماعة، ولكن ما أشرت إليه بحث طويل يصل إلى موقف واضح أظن أن هذا يأتي بعد بحث طويل شكراً.

الرئيس: شكراً الكلمة الآن للسيدة رافيتسكي.

د. فيرديت رافيتسكي: لقد ذكر الكثير من المتحدثين اليوم الموقف الإسلامي الذي يسمح بهذه التقنيات الإنجابية ويشجع عليها، غير أن هذا لا يتضمن الحيوانات المنوية أو البويضات الممنوحة من طرف ثالث، الآن في الكثير من الدول الغربية أصبح الاستخدام الرئيسي لمنح البويضات متعلق بقضية سن المرأة. فالنفسية الإنجابية للأنتى أقوى منها عند الرجل. ولقد ذكرت أن بعض الأسر المعذبة والمواقف الغربية التي يرغب فيها الزوج في الطلاق ليتزوج من أخرى أصغر سناً. فإذا ما أمعنا التفكير أظن أنه من الممكن أن يكون منح البويضات - وليس الحيوانات المنوية - محلاً في حالات معينة. في مثل هذه الحالات باعتبار حقيقة أنه في حال التبرع بالبويضة تقوم المرأة بحمل الجنين وبذلك تتكون رابطة بيولوجية وعاطفية قوية مع الجنين ومع عملية الحمل ذاتها.

الرئيس: أظن أن هناك أكثر من نقطة مثارة هنا. الأولى هي: أن الرجال يحبون الزواج من أخريات أصغر سناً بأي حال من الأحوال. أما النقطة الثانية فهي: أن المرأة تزوجت من شخص ما لمدة معينة ولسبب أو لآخر اختارت ألا تنجب، ويمكن لهذا أن يثير تساؤلاً. يمكن لمثل هذه المرأة أن تقوم بتجميد بويضة أو أكثر من بويضاتها

وعندما تكون مستعدة للإنجاب - ربما يكون هذا في سن اليأس- وتكون هذه السيدة متزوجة من نفس هذا الرجل فيمكنهما حينئذ الإنجاب. وهذا سؤال وليس إجابة. وأود أن يجيب الدكتور حسان تحتوت عن معظم التساؤلات، وإن لم يكن بوسعه ذلك نعود مرة أخرى إلى طرح الأسئلة. شكراً لكم.

د. حسان تحتوت: بالنسبة للسؤال الذي يقول: (إننا نستأجر مرضعة فلم لا نستأجر أرحاماً؟) الاسترضاع محلل لأنه مذكور في القرآن أنه حلال. ولا يمكننا أن نوسع التحليل؛ فمثلاً يخبرنا القرآن أننا نستحل الفروج في العملية الجنسية فلكل زوجته ليمارس معها هذا الحق فهو حلال. لكن هل يمكننا بنفس منطق السؤال أن نستأجر فروجاً لأغراض العملية الجنسية؟ بالطبع لا، وهذا النوع من الفتاوى يجب بعده الدعوة إلى أحكام توقيفية، وهي الأحكام التي لا نحاول توسيعها لتشمل غير ما ذكر فيها لفعل شيئاً آخر قائلين إن هذا يشبه ذلك.

في الطبيعة هناك الكثير من الطرق للتناسل، ومنها الكثير مما تخيره الله سبحانه وتعالى للإنسان. فمن كان يؤمن بالله ويرغب في طاعته فجزء من الأوامر التي أعطيت للإنسان أن يحيا وفقها هو التناسل من اجتماع رجل وامرأة ووضع معيار عقد الزواج، لذا لا يمكنني أن أقول: إنه إن كان الله تعالى قد حلل هذا من خلال الزواج فلم لا أتزوجها لمدة أسبوع أو شهر أو ساعة فهذا لن يغضب الله؟ ومن ثم فإن الأحكام الدينية لا يقصد التوسع فيها بحجة أن هناك مواقف أخرى مشابهة لها. فالوسيلة التي يجب للإنسان من خلالها أن يتكاثر هي من زوجين اثنين يربطهما عقد بين زوج وزوجة وكل ما كان من خارج هذا العقد فهو خارج عقدة النكاح، وهو أمر منتشر في العالم اليوم كما

نعرف. بيد أنني على يقين أن هذا مخالف لتعاليم الإسلام، وأعتقد أنه يخالف المسيحية واليهودية أيضاً. شكراً لكم!

الرئيس: الكلمة للدكتورة. يمى طريف الخولي.

د. يمى طريف الخولي: لم أطرح هذا السؤال إلا لاستئجار الثدي فهو مسموح به في القرآن قد يكون هناك في أصول الفقه القياس قياس الغائب على الشاهد، وعندى شاهد له: الظروف الطبية والحضارية للمجتمع الإسلامي الأول، وعليه أقيس غائبا فرضته مستجدات الحضارة التي نحن فيها، الشيء الثاني: المفروض وضع شرائع، فإذا كانت الأم الفقيرة في عصر الإسلام الأول تتكسب من الإرضاع فما المانع من أن تتكسب أرملة أو مطلقة فقيرة من استضافة الجنين لزوجين بعقد شرعي؟

الرئيس: إذا كانت السيدة التي حملت للاستئجار قالت: إن هذا ابني وأنا ولدته فهل نستطيع أن نقول لها لا خاصة لو أرضعته بحبها كالأم الأصلية؟ هذا موضوع آخر، هي تريد أن يصبح ابنها ترثه ويرثها وكل شيء.

الرئيس: الدكتور حسان تفضل.

د. حسان: أولاً أود مناقشة هذه القضية باللغة العربية، تعلمين أن هناك نوعين من الأحكام: هناك أحكام توقيفية وهناك أحكام تخضع إلى القياس الذي تتحدثين عنه؛ فالأحكام الخاضعة للقياس يقاس عليها، أما الأحكام التوقيفية المنصوص عليها فليست قابلة للمد والمط بطريقة القياس من غير قطع حديثك قالت العرب في السابق (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) جاء الإسلام وصرح بأن تأكل الحرة بثديها إن كانت ستطعم وليداً، وأنشأ لها الإسلام مركزاً خاصاً هو أمومة الرضاعة؛ لكن هذا غير قابل للمد، صرح لها أن تتبرع بثديها ولكن لم يصرح الإسلام لها أن تتبرع لأمهاتها ولا برحمها؛ فلا ينبغي قياس هذا على ذلك، القياس في مناطق أخرى، أما هذا الحكم فمن النوع التوقيفي الذي لا يخضع لمنطق القياس.

الرئيس: د. ديفيد بلويش .

د. ديفيد بلويش: أهتم أكثر للوسائل المتبعة في الأخلاقيات الإنسانية. أفترض أنه ليس هناك تحريم في الإسلام للتبرع بالدم وليس هناك أي تحريم فيما يتعلق بتأجير يد أو فم أو أي من أعضاء الجسد للعمل. أما عن تحريم الدعارة فهو تحريم للفعل الجنسي. ومالم أكن قد أسأت فهم الإجابة يمكن إعطاء مثالين مضادين لما ورد بها.

أولاً: مثال مشابه للاسترضاع - وسأجعله حول التبرع بالدم - والثاني: مثال مضاد للدعارة؛ فمن الجلي أن المثال المضاد للاسترضاع أقرب للفهم من مثال الدعارة. فهذا الفعل يتضمن فعلاً جنسياً محرماً في الكثير من السياقات المختلفة هاهو ببساطة سياق آخر.

لايمكنك بغتة تطهير فعل الدعارة بوصفه استئجار للفرج، فإيجار الفرج لا ينطوي على فعل جنسي - وإن كان محللاً - فلا أعلم ما الغرض من ورائه. غير أن هذه المضاهاة منطقية فأنا أستخدم الطريقة السيرة في وضع أسلوب للتفكير المشترك بين نظامي الشرع الإسلامي واليهودي. رأيي أن السيدة من حيث المشكلة التي طرحتها بدت مصيبة في رأيها. والآن قد يكون هناك أسباب أخرى لتحريم استئجار الأرحام، غير أنني لم أتحدث لأبدي هذه الأسباب. فقضيتي التي أردت توضيحها إنسانية في المقام الأول وتقوم على المضاهاة والقياس.

الرئيس: شكراً جزيلاً لك وأظن أن هذا الأمر بحاجة إلى مناقشة.

الكلمة للدكتور. عبد الستار أبو غدة.

د. أبو غدة: الحقيقة أن الرضاع ليس فيه تأجير للثدي وإنما فيه بذل للحليب، واللبن الذي يخرج من الثدي - والفقهاء يقولون هذا - من الزوائد المتجددة؛ لأن اللبن يتجدد وهو أيضاً من الضروريات لإيجاد قوت لهذا الطفل الرضيع، وهناك فارق كبير لأن القياس يتطلب

تحقق العلة، وهنا هذا الأمر غير معلوم وإنما - كما ذكر الدكتور حسان - منصوص عليه نصاً، والحكمة ظاهرة فلا نستطيع أن نقيس على أمر خفي في العلة، فمثلاً حينما نقول: الخمر محرم للإسكار هذه علة فأى شيء يسكر سواء اخترع الآن أو بعد مائة سنة تنطبق عليه العلة ويأخذ نفس الحكم، أما بالنسبة إلى اللبن فليس تأجيراً للثدي، وإنما الإمام أبو حنيفة يقول: فالرضاع إنما هو عناية بالطفل ويأتي اللبن تبعاً لأنه يعتبر من الزوائد وليس من الأمور الأساسية كالرحم، فالرحم عضو وحيد في الجسم ولا يمكن التصرف فيه لأنه من الأمور المتعلقة بالإنجاب وتأثير الطفل ولذلك يوجد فرق كبير بين الأمرين.

الرئيس: هناك عدة أسئلة يجب الإجابة عنها.

الدكتور البار. الدكتور على مشعل سأل عن زرع الرحم، وهذه قصة طويلة موجودة في جدة، وعلى كل حال فالمجمع الفقهي لم يمنع لا الرحم ولا الأنابيب ما عدا المبايض أو الخصيتين، المشكلة كانت مشكلة أخرى من الناحية التقنية فإذا كانت ممكنة من الناحية العلمية ومنضبطة علمياً فلا يوجد ما يمنع ذلك.

الدكتورة عائدة عقيل تحدثت عن: Genetic Engineering, Germ Cells And Somatic Cells. هذه الخلايا الجنسية والخلايا البدنية لأنه طبعا المخاطر ما يسمى الخلايا الناشئة أو الخلايا الجرثومية أصل الشيء مخاطرها كثيرة ستمتد لأجيال ونحن لا نزال في أول الطريق، ومن الناحية الشرعية لا يوجد ما يمنع إذا تأكدنا من فائدتها وعدم ضررها وكانت موثوقة في عدم الإضرار والإمكانية موجودة، الإمكانية غير موجودة الآن فهذه من الناحية العملية. الدكتورة ليزا ليحمان سألت رئيس الجلسة: لماذا منع المجمع الفقهي والمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية منعت تجميد الأجنة والأصح أن نقول: تجميد اللقائح، الغريون يسمونها الأجنة وهو اسم غير صحيح، إذ اللقائح هي التي تجمد،

والمشكلة الحقيقية في أن احتمالات الخطأ فيها وارد، ومن بريطانيا يقال: (نسبة احتمال الخطأ في اللقائح حوالي ١٠٪) و ١٠٪ نسبة كبيرة جدا، وما يسمى الحفاظ على النسب في الإسلام مهم جدا، الحفاظ على النسب مهم جدا ولو حتى ١٪ مهم جدا يؤدي إلى الحكم القاسي، بينما كان الدكتور جمال سرور يعمل مؤتمرا هنا مع الأزهر ووافقوا، وكان عدد المشايخ هنا قليل جدا وأنا حضرت هذا، وحضرت الذي بعده، لكن هذا كان ضمن القرارات الموجودة بإباحة التجميل وإباحة إجراء الأبحاث على اللقائح، مجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة أباح الفاض من مشاريع أطفال الأنابيب بدلا من رميها نستفيد منها في أبحاث الخلايا الجذعية، وهي مناقضة للفتوى السابقة؛ وفي اختلاف هذه الفتاوى الموجودة ما بين (المجمع الفقهي الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي ومعهم المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية) وبين (فتوى مجمع مكة وفتوى الأزهر) التي صدرت بإباحة الأبحاث في ثلاث فتاوى موجودة بالفعل واحد يمنع والثاني يسمح والثالث يسمح في حدود الأبحاث المحددة في هذا الميدان وشكرا.

الرئيس: أنا آسف: تأخرت عليكم حسب الوعد، وفضيلة الشيخ التسخيري ذكرني بالوعد فخمس دقائق أرجو مساعدتي وترفع الجلسة لصلاة المغرب إن شاء الله.





**البيان الختامي والتوصيات  
لندوة (الوراثة والتكاثر البشري  
وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية  
ووجهة نظر العلمانية)**



## البيان الختامي والتوصيات لندوة (الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية)

من ٧ إلى ١٠ محرم ١٤٢٧  
الموافق من ٦ إلى ٩ شباط/فبراير ٢٠٠٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع رسل الله وأنبيائه.

يمر العالم اليوم بثورة علمية هائلة في شتى العلوم التطبيقية  
والتكنولوجيا وهو يشق طريقه في هذا المجال بشغف ونهم ويواصل  
مبتكراته واكتشافاته بصورة مذهلة، لكنه في هذا الزخم من التقدم الهائل  
والإنجازات العظيمة والمكتسبات العلمية المتسارعة لم يعد في الغالب  
يلتفت إلى قيم وأخلاق ومبادئ سامية في نطاق الأبحاث والتجريب  
والتطبيق، كما أن البعض لم يعد يقيم وزناً للمثل العليا والرموز  
الشامخة في العالم كما حدث في الدنمارك عندما تصدت إحدى  
الصحف هناك لمقام الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم  
بالسخرية والاستهزاء وتبعته صحف في دول أخرى مما أوجع مشاعر  
الألم في العالم الإسلامي قاطبة وحرك فيه نوازع السخط والغضب،

وكان ذلك التصرف المشين محل استنكار واستهجان من عدد كبير من غير المسلمين.

والندوة إذ تعبر عن شديد أسفها لكون حرية الصحافة قد أصبحت تتخذ منطلقاً للهجوم والسخرية من رمز عظيم ونبي كريم، له وإخوانه جميع رسل الله وأنبيائه مكانة كبرى لا تدانيها مكانة في قلوب كافة المسلمين؛ فإن الندوة تشجب وتستنكر التعرض لأي منهم بالتناول أو التعريض أو النقد أو أي وسيلة أخرى مهما كانت المبررات ومهما يكن الهدف منها.

وبالنظر لما يشعر به المشاركون في الندوة من أهمية تدارس القضايا المصيرية التي تتعلق بحياة الإنسان فقد بادرت الندوة بطرح موضوع "الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها واستعراض رؤية الأديان السماوية ووجهات النظر الأخرى".

لاسيما وأن النصف الأخير من القرن العشرين قد شهد تطوراً هائلاً في مجال العلوم عامة والعلوم الطبية والبيولوجية بوجه خاص، فظهرت آفاق جديدة وواسعة في مجال الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري والاستنساخ، وسيشهد القرن الحادي والعشرون آفاقاً أكثر اتساعاً من التطبيقات العلمية لاسيما على الإنسان.

وقد أثارت هذه الاكتشافات جدلاً واسعاً في الأوساط العلمية والدينية والأخلاقية بين مؤيد لها جميعاً وبين رافض لبعض منها ومتحفظ حذرٍ ومتحيرٍ.

وانطلاقاً من حرص المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على ضرورة دراسة مثل هذه المستجدات للتعرف على آراء العلماء المتخصصين في هذه المجالات المستحدثة، وتعريف العلماء من كل الأديان والمعتقدات بها، وإسماع وجهات نظر كل فريق منهم إلى نظرائهم في الفرق

الأخرى، بُعِيَتْ الوصول إلى صورة صحيحة للمسائل المستجدة في كل فرع من فروع هذه العلوم، فقد رأت المنظمة أن أفضل السبل لتحقيق ذلك، هو التعاون في هذا الصدد مع المكتب الإقليمي لشرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية، ومع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومع المجلس الدولي لمنظمات العلوم الطبية CIOMS، لعقد ندوة عالمية يدعى لها نخبة من أتباع الأديان السماوية، ومن الفلاسفة والعلمانيين، لمناقشة جملة من هذه المواضيع تحت عنوان "الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها، رؤية الأديان السماوية ووجهات النظر العلمانية".

وقد تمَّ بحمد الله وتوفيقه، عَقِدَ هذه الندوة بالقاهرة في الفترة ما بين ٧ إلى ١٠ محرم ١٤٢٧ هجرية الموافق من ٦ إلى ٩ شباط/فبراير ٢٠٠٦ في قاعة الكويت بمقر المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية وبرعاية كريمة من معالي وزير الصحة الأستاذ الدكتور حاتم الجبلي وبحضور فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور شيخ الجامع الأزهر محمد سيد طنطاوي، ومجموعة من العلماء العاملين من سائر البلدان العربية والإسلامية، وبمشاركة العديد من العلماء الأعلام المشهورين في التخصصات المختلفة من علماء البلدان الإسلامية، وعلماء الأديان السماوية، وغيرهم من فلاسفة واجتماعيين وعلماء نفس وسياسيين ومن أصحاب القرار بلغ عددهم ما يقارب (١٥٠) مشاركاً وذلك لتدارس هذه المواضيع المختلفة وانعكاساتها على الإنسان من حيث هو إنسان، وآثارها المختلفة من الجوانب المادية والاقتصادية وتبعاتها على الأجيال القادمة، وما يتمخض عنه ذلك كله من مشكلات تلقي بظلالها على المجتمعات الإنسانية في أنحاء المعمورة.

وقد اشتملت الندوة على المحاور الآتية:

## المحور الأول: الإنسانية والخلق/العالم على الفطرة

وقد استهدف هذا المحور، البحث عن إجابات شافية للموضوعات التالية:

١ - وجهة نظر المعتقدات الدينية والعلمانية والفلسفية حول علاقة الإنسان بسائر المخلوقات، وما هي الحدود التي ينبغي أن يقف التدخل البشري عندها، في ما يعتقد أنه تعديل أو تحسين للمخلوقات من حوله، وأي الجوانب البيولوجية يمكن تعديلها، وأي منها يُنظر إليه على أنه تدخل غير منتهك لحرمتها؟

٢ - نظرة العقائد المختلفة إلى مكانة الإنسان، ومناقشة احتمال تغييرها إذا أصبح تبديل الطبيعة البشرية أمراً ممكناً، وهل للإنسان مكانة مختلفة عن بقية المخلوقات، وهل يجب حماية البشرية على نحو خاص؟

٣ - أحاطت الأديان السماوية والمبادئ الأخلاقية، الجينين برعاية خاصة، فما حدود مكانة الإنسان في المراحل الأولى والأخيرة للجينين؟

٤ - مفهوم الكرامة الإنسانية مفهومٌ رائع حرصت الأديان السماوية والمذاهب الفلسفية على إبرازه. فما هي الكرامة كما يراها الباحثون من الثقافات المختلفة، وإلى أي مدى سوف تؤثر المعالجة التكنولوجية البارعة، بما فيها انتقاء وتصميم مواصفات الأجنّة، على كرامة الإنسان ومكانته؟

٥ - النظرة إلى العلم والتكنولوجيا في الثقافات المختلفة، وهل هناك حقاً بعض المجالات التي يُفضّل عدم الخوض فيها؟ وإذا كان كذلك نصيب من الصحة فما هي هذه المجالات؟ وهل هناك اتجاه يميل للحفاظ وآخر ليبرالي يميل للانطلاق مع العصر والتحرُّر؟ أم أن القضية برمتها تتعلق بالمنهجية ومدى صرامتها ووضوحها؟

٦ - في مجال استخدام التكنولوجيا الجينية من أجل العلاج الذي يؤمل منه

استعادة الصحة أو الوعي، والعلاج الذي يؤمل منه الارتقاء بقدرات الأداء إلى درجة تفوق المتوسط قليلاً أو كثيراً، أو الوصول إلى مجموعة من القدرات الجديدة، تفاوتت الرؤى والاجتهادات فكان من الأجدى إثارتها ومعرفة موقف كل فريق.

## المحور الثاني: الجينات وتكنولوجيا التكاثر، والأسرة، والإجابة عن التساؤلات التالية:

- ١ - لقد أصبحت التكنولوجيا الإنجابية جزءاً من التطبيقات اليومية الحياتية، فهل سيؤدّي ذلك إلى انقسام بين النشاط الجنسي وبين الإنجاب، وكيف يؤثر ذلك على الأسرة والأطفال؟
- ٢ - الأطفال منحة من الله عزّ وجل، فهل يحق للوالدين التدخل في تكوين طبيعتهم وخصائصهم؟
- ٣ - تغيّرت نظرة الأطباء إلى الإنجاب والعقم في أيامنا الحاضرة، وهل على الزوجين اللذين لم يرزقا أطفالاً من حرج إذا قررا استخدام التكنولوجيا الحديثة للإنجاب؟ وما هي حدود الاستخدام الملائم لهذه التكنولوجيا؟ وإلى أيّ مدى يغيّر استخدام التكنولوجيا الإنجابية من العلاقة الأصلية بين الوالدين والأبناء؟
- ٤ - الاختبارات الجينية قبل الإنجاب وبعده من الأساليب المستحدثة، فهل هناك من حرج على الوالدين في استخدام الاختبارات الجينية قبل الإنجاب لاختيار طفل بمواصفات معيّنة؟ وهل يمثل ذلك صورة من صور التمييز ضدّ المُعَوِّقين لأنه يعتبر ضمناً أن حياتهم أقل قيمة؟ وما هو القول الفصل في استخدام الاختبارات الجينية في مراحل الحمل الأولى أو الأخيرة للتعرف على الجنين الذي يُحتمل جداً أن يولد مصاباً بضعف شديد أو عاهة مستديمة، أو في استخدام هذه الاختبارات لانتقاء طفل يتمتع بخصائص مرغوب فيها كالذكورة أو



الأنوثة؟ وما هي الحدود الفاصلة بين حالات الإعاقة الشديدة والخفيفة؟ وهل يجوز انتقاء أطفال باستخدام تقنيات التشخيص الوراثي قبل انغراس البيضة الملقحة PGD من متبرعين بالأنسجة؟

٥ - التعليم والتأديب جزءٌ من الممارسة اليومية من الآباء لأطفالهم، فهل هناك فرق أصيل من وجهة النظر الأخلاقية بين استخدام التعليم والتأديب الأبوي لتعديل وتنمية قدرات الطفل، وبين استخدام التكنولوجيا الجينية في تحقيق نفس الغايات؟ وهل للوالدين الحق في إجراء اختبارات للتأكد من وجود الاضطرابات الجينية التي تتأخر في الظهور حتى وقت البلوغ؟

٦ - لقد شكّلت تكنولوجيا الاستنساخ صدمة علمية وأخلاقية، وقوبلت بمواقف مختلفة بين رافض ومتحفّظ ومؤيد، فهل سيؤثر الاستنساخ الإيجابي على الأسرة؟

### المحور الثالث: الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا الجينية والإنجابية

١ - ما ملامح المجتمع الصالح، وما العلاقة المثلى بين الأفراد والمجتمع، ومواطن اختلاف الرؤية الدينية عن الرؤية العلمانية لمجتمع يتّصف أفراده بالتفكير المنطقي ويهتم بمصالح المجتمع ومصالح أفراده، ويتّسم بالاستقلال واحترام الحرية الشخصية؟ وإلى أي مدى تكون قضايا العدالة الاجتماعية ذات شأن في الاعتبار الأخلاقي؟

٢ - لتكنولوجيا الجينات والتكاثر آثارٌ على العلاقة بين الأفراد والمجتمع، فهل صحيحٌ أنها تشجّع على قدر أكبر من المنافسة غير الكريمة بين الأفراد، وبالتالي على قدر أكبر من الظلم، وقدرٍ أقل من التضامن الاجتماعي؟

- ٣ - هل اختيارُ جنس الأطفال ومواصفاتهم يَمَسُّ بالكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان؟
- ٤ - لا تفرِّق الأديان والمذاهب الفلسفية الأخلاقية بين الناس على أساس الجنس أو اللون أو المُعْتَقَد، ولا على أساس ما يحملونه من جينات، فما مدى انعكاس ذلك على فرص العمل والتأمين؟
- ٥ - عدالةُ توزيع الموارد أمرٌ بالغ الأهمية في الأديان والفلسفات المختلفة، فهل لنقص الموارد دورٌ في إحداث نوع من التفرقة في تقديم الخدمات للفئات المختلفة؟
- ٦ - لعلم الوراثة وتكنولوجيا الإنجاب فوائدٌ كبرى إذا أحسن استخدامها، ولكن المشكلة تكمن في إساءة الاستعمال، كأن تظهر صورة جديدة من صُور تحسين السلالة البشرية، يتم فيها تخليص المجتمع تدريجياً من البشر المُعَوِّقِينَ وغيرهم ممن يتمتَّعون بنصيب أقل من القدرات التي يحدِّدها المجتمع، فكيف نحتاط لمواجهة مثل هذا الاحتمال؟

### المحور الرابع: كيف وأين نضع الحدود الفاصلة؟

لقد دخلت التكنولوجيا حياة الإنسان وفرضت عليه أنماطاً لم يعرفها من قبل، مما استدعى أن تعمل الندوة على تحديد الحدود الفاصلة التي يجب عدم تجاوزها في تطوير واستخدام التكنولوجيا، ولاسيما في المجالات الآتية:

- أبحاث الأجنة وتكنولوجيا الخلايا الجذعية؛
- الاختبارات التشخيصية بالأشعة في مرحلة ما قبل الولادة؛
- التشخيص الجيني لزراعة الأعضاء؛
- الاستنساخ بقصد الإنجاب؛
- العلاج بالجينات وبالهندسة الوراثية للخلايا الجنسيّة؛

● التخصيب المجهري (أطفال الأنايب).

وقد دارت المناقشات على مدى أربعة أيام أدلى فيها كل فريق برأيه، في جوٍّ تسوده الحرية والأخوة والصدقة والاحترام المتبادل، والحرص الصادق على تحريّ الحقيقة وتقبُّلها.

ولم يكن خافياً منذ بداية الندوة أن الأمر على جانب كبير من الخطورة، لأنه يمس ((الإنسان)) أشرف المخلوقات في الأرض ويعرّضه لمختلف التجارب التي لا تُعرف مَعَبَّتُها.

وحرصاً من المساهمين في الندوة على تجنُّب الوقوع في أية تجاوزات على الإنسان عن قصد أو عن غير قصد، أثناء التطبيق أو أثناء التجريب؛ وخشية من وقوع تلك الإنجازات الهائلة في أيدي بعض النفوس الضعيفة الواقعة تحت شهوة حب الاستطلاع واستجلاء الغامض، ولو كان ذلك على حساب إنسانية الإنسان؛ وتأكيداً على كرامة الإنسان وقدسيتها حياته، وإحاطته بسياج من الأمن والأمان، وتوفير حياة هانئة له لا تخلو من الحد الأدنى من متطلبات الحياة الكريمة التي تليق بإنسانيته؛ لما كان الأمر كذلك رأّت الندوة التوصية بعدم البدء بالتجارب في بحوث الوراثة والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الإنجابية على الإنسان، إلا بعد إحاطة هذه التجارب بالضمانات الكافية، وأخذ الاحتياطات اللازمة وفقاً للمواثيق العالمية والدولية، ومنها الميثاق العالمي الإسلامي للأخلاقيات الطبية والصحية الذي أصدرته المنظمة في عام ٢٠٠٤.

وتأكيداً على التضامن العالمي لمواجهة خطر سوء استخدام تلك الإنجازات، وضرورة إصدار تشريعات عالمية ملزمة للجميع تتوافق مع مبادئ الأديان السماوية وحقوق الإنسان ضماناً لإنقاذ الشعوب الفقيرة

من الاستغلال بجعلها حقلاً للتجارب. فقد اتفق المجتمعون على إصدار إعلان المبادئ الآتية:

### إعلان مبادئ

- ١ - الإنسان مخلوق مكرّم. والعبث بمكوّنات الإنسان وإخضاعه لتجارب الهندسة الوراثية بلا هدف مشروع، أمرٌ يتنافى مع الكرامة الإنسانية.
- ٢ - لا يفرض الدين أيّ حجر على العقل الإنساني في مجال البحث العلمي البحت، ولكن حصيلة هذا البحث ونتائجه لا يجوز أن تنتقل تلقائياً إلى مجال التطبيقات العملية إلا بعد أن تُعرض على الضوابط الدينية.
- ٣ - إن الحرص على الصحة والتوقّي من المرض مما يُوصي به الدين، والتداوي في أصله مطلوبٌ ديناً، لا فرق في ذلك بين مرض مكتسب ومرض وراثي. ولا يتعارض ذلك مع فضيلة الصبر واحتساب الأجر والتوكّل على الله.
- ٤ - لكلّ إنسان الحقّ في أن تُحترم كرامته وحقوقه أيّاً كانت سمّاته الجينية أو صفاته الوراثية.
- ٥ - لا يجوز إجراء أيّ بحث أو القيام بأيّ معالجة أو تشخيص على جينوم genome شخص ما، إلا بعد إجراء تقييم صارم ومُسبّق، للأخطار المحتملة المرتبطة بهذه الأنشطة، مع الالتزام بالضوابط الدينية والأخلاقية في هذا الشأن، والحصول على القبول المسبق والحر والواعي من الشخص المعني. وفي حالة عدم أهليّته للإعراب عن هذا القبول، يجب الحصول على القبول أو الإذن من وليّه، مع الحرص على المصلحة العليا للشخص المعني.
- ٦ - ينبغي احترام حقّ كل شخص في أن يقرّر ما إذا كان يريد أو لا يريد أن يُحاط علماً بنتائج أيّ فحص وراثي يُجرى له، أو بعواقبه.

- ٧ - تُحاط بالسرية الكاملة كافة التشخيصات الجينية المعدّة أو المحفوظة لأغراض البحث أو لأيّ غرض آخر، ولا تُفُشَى إلا في الحالات المبيّنة في موثيق الأخلاقيات الطبية حول سرّ المهنة .
- ٨ - لا يجوز أن يُعرّض أيّ شخص، لأيّ شكل من أشكال التمييز القائم على صفاته الوراثية، والذي يكون غرضه أو نتيجته النيل من حقوقه وحرياته الأساسية أو المساس بكرامته الإنسانية .
- ٩ - لا يجوز لأيّ بحوث تتعلق بالجينوم البشري، أو لأيّ من تطبيقات هذه البحوث، ولاسيّما في مجالات البيولوجيا وعلم الوراثة والطب، أن يخرق الالتزام بالضوابط الدينية واحترام حقوق الإنسان، ولا أن يتتقّص من الحريات الأساسية والكرامة الإنسانية لأيّ فرد أو مجموعة أفراد .
- ١٠ - يجوز استعمال الهندسة الوراثية في اتقاء المرض أو علاجه أو تخفيف أذاه، وكذلك إيداع جين من كائن غير بشري في كائن غير بشري آخر للحصول على كميات كبيرة من إفراز هذا الجين لاستعماله دواءً لبعض الأمراض . وينبغي أن تتولّى الدولة توفير مثل هذه الخدمات لرعاياها المحتاجين لها من ذوي الدخل المتواضع نظراً لارتفاع تكاليف إنتاجها .
- ١١ - لا يجوز استعمال الهندسة الوراثية في الأغراض الشريرة والعدوانية، أو في تَخْطِي الحاجز الجيني بين أجناس مختلفة من المخلوقات، قَصْدَ تخليق كائنات مختلطة الخلق، بدافع التسلية أو إشباع حب الاستطلاع العلمي .
- ١٢ - لا يجوز استخدام الهندسة الوراثية سياسةً لتبديل البنية الجينية فيما يُسمّى بتحسين السلالة البشرية Eugenics، فأبى محاولة للعبث الجيني بشخصية الإنسان، أو إهدار أهليته للمسؤولية الفردية أمرٌ محظور ديناً .

- ١٣ - لا يجوز أن يكون التقدم العلمي مجالاً للاحتكار، ولا أن يكون الحصول على الربح هو الهدف الأكبر لهذه الأنشطة العلمية.
- ١٤ - لا يجوز القيام بأي إجراء تكنولوجي في مجال الإنجاب البشري أو الهندسة الوراثية إذا كان ينطوي على ضرر محقق أو مُرَجَّح. أما إذا كان احتمال الضرر محدوداً فالأولى تحاشيه، ما لم تتوافر المسوّغات الكافية.
- ١٥ - لا حَرَج من استخدام الهندسة الوراثية في حقل الزراعة وتربية الحيوان، شريطة اتّخاذ أقصى الحيطة لتفّاء احتمالات حدوث أضرار على المدى البعيد، تضرُّ بالإنسان أو الحيوان أو النبات أو البيئة.
- ١٦ - من واجب الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية، ذات المصدر الحيواني أو النباتي، أن تبين للجمهور في ما يعرض للبيع: ما هو محضّر بالهندسة الوراثية، وما هو طبيعي مئة بالمئة، ليكون استعمال المستهلكين لها عن بيّنة. ومن واجب الدول التحلّي باليقظة العلمية التامة في رصد تلك النتائج، والأخذ في وقتٍ معاً بتوصيات وقرارات منظمة الأغذية والأدوية الأمريكية، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة الأغذية العالمية في هذا الخصوص.

## الكلمات الختامية

الدكتور إبراهيم بدران: بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين: أنا أرجو إضافة قضية وضع مخلوقات الله في إطار الملكية الفكرية، لابد من صياغة جملة في هذا التوجيه العلمي الديني العقائدي الصادر من هذا الاجتماع، قضية تحويل خلق الله من جينات أو خلايا أو أي أصول لتقع تحت مفهوم الملكية الفكرية وشكرا.

الرئيس: د. العوضي: أرجو أن تكتب لنا اقتراحاتك، ونحن سنضيفها إن شاء الله.

د. عبد الغفار الشريف: شكرا أنا أتكلم عن المقدمة الجيدة التي بدأنا بها، جزاكم الله كل خير، وأضيف استنكار ما يحدث من بعض المسلمين المتحمسين، من تخريب وتعرض لبعض الأبرياء من مواطني الدول الغربية، نتيجة ما حدث من اعتداء، أيضا مطالبة الأمم المتحدة باستصدار قانون يمنع الاستهزاء بأي دين، أو رمز ديني، واعتبار ذلك جريمة، وأظن أن الرئيس بوش تقدم بهذا الطلب فمن باب أولى أن نتقدم به وشكرا.

الرئيس: د. العوضي: شكرا إذا لم يكن هناك تعليق مباشر، تفضل دكتور جمال

الدكتور جمال: طبعا قضية التهجم على شخص الرسول (ﷺ) في الحقيقة المذكور هنا مختصر شديد، وأنا أعطيت د. الجندي دراستي

باللغة الإنجليزية حتى يخاطب الغرب بسطور قليلة، لو سمحتم لي أن يقرأها لعله يضيفها.

الرئيس: إن شاء الله، أي إضافة سوف نضيفها تفضل، دكتور ممدوح جبر.

د. ممدوح جبر: في الحقيقة أنا عندي سؤال بسيط، الهندسة الوراثية هنا مذكورة عموماً، ومقصود بها البحوث في مجالات الوراثة أو الهندسة الوراثية نفسها، يمكن اللغة فقط توضح البحوث في مجالات الوراثة وتكون أوسع وأوضح من الهندسة الوراثية شكراً.

الرئيس: إن شاء الله، حاضر، نشكركم على هذه المبادرات، ولقد طلب بعض المشاركين الكلمة، ولكنني أرجو أن يتفضل الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالكلمة قبل الختام.

فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر. بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وشفيعنا رسول الله (ﷺ) وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد، ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه اللقاءات خالصة لوجه الله الكريم، وفي ميزان حسناتنا جميعاً يوم نلقاه، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله، والإنسان منا عندما يجد نفسه في مجلس من مجالس العلم يفرح كثيراً، ويشعر بالسعادة النفسية، لأن هذه المجالس التي يتلاقى فيها المتخصصون، وكل منهم يدلي برأيه، والكل يتعاون من أجل خدمة دينه ومن أجل خدمة أمته، والعقول الإنسانية مثلها مثل تلك الثريات التي نراها من حولنا، فكلما تقاربت، وكلما تلاصقت - كما يقولون - كلما ازداد نورها وازداد ضوؤها، والقرآن الكريم أمرنا بأن نتعلم كل في مجال تخصصه، وبين الرسول (ﷺ) أن طلب العلم فريضة، وأن البحث



الذي يأتي عن طريق الطب، أو عن طريق الصناعة، أو عن طريق الزراعة، عندما تكون هذه البحوث من المتخصصين من أجل خدمة مكارم الأخلاق، ومن أجل خدمة الإنسان، وفي حدود ما أحل الله سبحانه وتعالى فهي مطلوبة ونافعة.

فعندما يتلاقى العلماء كل في مجال تخصصه، وكل يتعلم من الآخر، والأمة التي يكثر فيها عدد المتخصصين، وهؤلاء المتخصصون كل في مجال تخصصه يتعاون مع الآخر، ولا يتصادم مع الآخر، وإنما يتعاون معه فهذا خير للبشرية، وأنا كثيرا ما أقول في ندواتي التي يحضرها كثيرا أستاذنا الدكتور إبراهيم بدران، والدكتور ممدوح جبر، كثيرا ما أقول: شيخ الأزهر تلميذ لسيادة الدكتور بدران، وسيادة الدكتور ممدوح في تخصصهما، ولا مانع أن يكون غير المتخصص في العلوم الشرعية تلميذا لشيخ الأزهر، فكل واحد ينتفع بعلم الآخر، وكل واحد يتعاون مع الآخر، فالمجال الشرعي يتعاون مع المجال الطبي، والمجال الطبي يتعاون مع المجال الصناعي، والمجال الصناعي يتعاون مع المجال الزراعي، وكلنا نكون في موكب واحد من المتخصصين، الكل يبين وجهة نظره، والكل يقول رأيه، والكل يتعاون مع غيره والكل يأخذ من علم غيره، والأمم عندما يكثر فيها هذا اللون من التعاون لابد أن ترقى، ولابد أن تنال منزلتها وتتقدم وترقى، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بهذا التعاون، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

سورة المائدة آية ٢، فالإنسان منا عندما يجلس ويتعلم ويسمع ويسأل عما خفي عليه في أمر طبي، شيخ الأزهر يسأل الأطباء في هذا الأمر، الأطباء يسألون العلماء فيما يتعلق بالأمور الشرعية، وكلنا نقصد من وراء ذلك بيان ما أحله الله، وبيان ما حرمه الله، وبيان ما ينفع الأمة، وبيان ما يضر الأمة، وبيان ما يحمل العقلاء على أن يجتهدوا في طلب

العلم، وفي معرفة ما خفي عليهم، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْٓ إِلَيْهِمْ فَسَئَلُوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣) سورة النحل آية ٤٣. وأنا شخصياً في هذه الجلسات المحدودة التي استطعت أن أتشرف بحضور هذه الندوات استفدت كثيراً والحمد لله، وأدعو الله سبحانه وتعالى، أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، وأشكر الذين أقاموا هذه الندوات، أشكرهم شكراً جزيلاً، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن تكون في ميزان حسناتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس: الكلمة الآن للشيخ التسخيري ..

الشيخ التسخيري: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد البشرية، المحمود الأحمد أبي القاسم، محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ليسمح لي إخوتي وأخواتي الذين اشتركوا في هذه الندوة، أن أقدم شكرهم للإخوة والسادة الذين أشرفوا على الإعداد لهذه الندوة وإدارتها حتى بلغت النتيجة المرجوة، وفي طليعتهم الأستاذ الدكتور العوضي، والأستاذ الدكتور الجندي، والأستاذ الدكتور الجزائري، وغيرهم من السادة والسيدات، فلهم منا - نحن الحاضرين - كل شكر، وكل تقدير، لقد كانت جلساتنا جلسات أخوية ودية متخصصة علمية حضارية، لأنها اشتملت على ممثلين لكل الأديان الإبراهيمية، وحتى على أناس علمانيين نعتقد أنهم لا بد أن ينتموا في فكرهم إلى دين سماوي ينسجم مع فطرتهم، الحمد لله كانت المناقشات أخوية، وكانت الجلسات متعبة وشاقة، ولكن أقول بالنسبة للآخرين إخواني وأخواتي شاعر عربي يقول:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وأسأل الله أن يجعل نفوسكم كبيرة، وأذهانكم متفتحة،  
وصدوركم منشرحة للعلم، وأسأل الله أن يوفقكم جميعاً لصياغة الغد  
الأمثل، وأنا أريد أن أشكر المنظمات التي اشتركت في الإعداد، وهي  
[المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية] و [المكتب الإقليمي لشرق المتوسط  
لمنظمة الصحة العالمية] و [المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة  
(الإيسيسكو)] و [المجلس الدولي الطبي CIOMS] وشكراً.

## أسماء المشاركين



## أسماء المشاركين في ندوة الوراثة والتكاثر البشري وانعكاساتها رؤية الأديان السماوية ووجهة نظر العلمانية ٦-٩ فبراير ٢٠٠٦ القاهرة

- ١ - الدكتور/ إبراهيم بدران  
جمهورية مصر العربية
- ٢ - الدكتور / أبو الفضل محسن إبراهيم  
جنوب أفريقيا
- ٣ - الدكتور / أحمد الطيب  
جمهورية مصر العربية
- ٤ - الدكتور/ أحمد بن عبد القادر الغساني  
سلطنة عمان
- ٥ - الدكتور / أحمد رجائي الجندي  
الكويت
- ٦ - الأستاذ / أحمد عبد الرحيم  
الكويت
- ٧ - الدكتور/ أحمد عمر هاشم  
جمهورية مصر العربية

- ٨ - الدكتور/ أحمد كمال أبوالمجد  
جمهورية مصر العربية
- ٩ - الدكتور/ أحمد مستجير  
جمهورية مصر العربية
- ١٠ - الدكتور / أحمد ناصر  
الكويت
- ١١ - الدكتور/ أسعد السحمراني  
لبنان
- ١٢ - الدكتور/ أشرف الكردي  
المملكة الأردنية الهاشمية
- ١٣ - الدكتور/ أيمن رمضان  
سويسرا
- ١٤ - الأستاذ / أيوب علي خان  
الكويت
- ١٥ - الاستاذة/ باكينام الشرقاوي  
جمهورية مصر العربية
- ١٦ - الأستاذ / بدر الحسن القاسم  
الكويت
- ١٧ - الدكتور. بروس فولتر  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ١٨ - الدكتور/ بناصر المعزاتي  
المغرب

- ١٩ - الدكتورة / تي جي وتتر  
المملكة المتحدة
- ٢٠ - الدكتور/ تيد بيترز  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ٢١ - الدكتور/ جعفر إدريس  
المملكة العربية السعودية
- ٢٢ - الدكتور/ جمال أبو السرور  
جمهورية مصر العربية
- ٢٣ - الدكتور/ جمال بدوي  
كندا
- ٢٤ - الدكتور/ جمال عصمت  
جمهورية مصر العربية
- ٢٥ - الدكتور/ جمال يوسف الدعيج  
الكويت
- ٢٦ - السيدة / جميلة الشهاب  
الكويت
- ٢٧ - الدكتور/ جون براينت  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ٢٨ - الدكتور/ جيرلاد وينسلو  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ٢٩ - الدكتور / حامد أحمد  
المملكة المتحدة



- ٣٠- الدكتورة/ حبيبة الشعبوني  
تونس
- ٣١- الدكتور/ حسان حتحات  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ٣٢- الدكتور حسن شافعي  
جمهورية مصر العربية
- ٣٣- الدكتور/ حسين الجزائري  
جمهورية مصر العربية
- ٣٤- الأستاذ/ حلمي كمال رشوان  
الكويت
- ٣٥- الدكتورة/ حنان حمامي  
المملكة الأردنية الهاشمية
- ٣٦- الدكتور/ خالد المذكور  
الكويت
- ٣٧- الأستاذ/ خورشيد أحمد  
جمهورية مصر العربية
- ٣٨- الدكتور/ ديفيد كينج  
المملكة المتحدة
- ٣٩- الدكتور/ ربي ديفيد بلوسن  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ٤٠- الأستاذ/ رفعت معظم زمان  
باكستان

٤١ - الأستاذة/ ربحانة كمال

باكستان

٤٢ - الدكتور/ زكريا جاد

جمهورية مصر العربية

٤٣ - الأستاذ/ زين العابدين عبدالحافظ

الكويت

٤٤ - الدكتورة/ زينب إبراهيم

جمهورية مصر العربية

٤٥ - الدكتور/ سداد صبري

الكويت

٤٦ - الدكتور/ سعد الدين هلالى

جمهورية مصر العربية

٤٧ - الدكتور/ سليمان إبراهيم

جمهورية مصر العربية

٤٨ - الأستاذ/ سيد إبراهيم

الكويت

٤٩ - الدكتور/ سيرل تنت

المملكة المتحدة

٥٠ - الدكتور/ شاهد أظهر

الولايات المتحدة الأمريكية

٥١ - الأستاذ/ صالح إمام سليمان

الكويت

- ٥٢ - الدكتورة/ صديقة العوضي  
الكويت
- ٥٣ - الدكتور/ صلاح العتيقي  
الكويت
- ٥٤ - الدكتور/ صوفي أبو طالب  
جمهورية مصر العربية
- ٥٥ - المستشار/ طارق البشري  
جمهورية مصر العربية
- ٥٦ - الأستاذ/ طارق رمضان  
المملكة المتحدة
- ٥٧ - الدكتور/ طه عبدالرحمن  
المغرب
- ٥٨ - الدكتورة/ عايدة عقل  
المملكة العربية السعودية
- ٥٩ - الدكتور/ عبدالحافظ حلمي  
جمهورية مصر العربية
- ٦٠ - الدكتور/ عبدالرحمن سلامة الرفاعي  
جمهورية مصر العربية
- ٦١ - الدكتور/ عبدالرحمن عبدالله العوضي  
الكويت
- ٦٢ - الدكتور/ عبدالستار أبو غدة  
المملكة العربية السعودية

٦٣ - الدكتور/ عبدالعزيز التويجري  
المغرب

٦٤ - الدكتور/ عبدالعزيز سويلم  
المملكة العربية السعودية

٦٥ - الدكتور/ عبدالعظيم فاروق جاد  
ماليزيا

٦٦ - الدكتور/ عبدالله العوضي  
الكويت

٦٧ - المستشار/ عبدالله العيسى  
الكويت

٦٨ - الدكتور/ عبدالله الغنيم  
الكويت

٦٩ - الدكتور/ عبدالله باسلامة  
المملكة العربية السعودية

٧٠ - الدكتور/ عبدالله عمر نصيف  
المملكة العربية السعودية

٧١ - الدكتور/ عبدالمجيد الصغير  
المغرب

٧٢ - الدكتور/ عبدالمنعم أبو الفتوح  
جمهورية مصر العربية

٧٣ - الأستاذ/ عبدالمولى سليمان  
الكويت

٧٤- الدكتور/ عجيل جاسم الشمي  
الكويت

٧٥- الدكتور/ عزالدين إبراهيم مصطفى  
دولة الإمارات العربية المتحدة

٧٦- الدكتور/ عزام التميمي  
المملكة المتحدة

٧٧- الدكتور/ عصام العريان  
جمهورية مصر العربية

٧٨- الدكتور/ عصام غنام  
المملكة المتحدة

٧٩- المهندس/ علاء الدين لولح  
سوريا

٨٠- الدكتور/ علي أحمد مشعل  
المملكة الأردنية الهاشمية

٨١- الدكتور/ علي الحاج  
جمهورية مصر العربية

٨٢- الدكتور/ علي يوسف السيف  
الكويت

٨٣- الدكتور/ عمار الطالبي  
الجزائر

٨٤- الدكتور/ عمر الألفي  
الولايات المتحدة الأمريكية

٨٥ - الدكتور/ عمر سليمان  
السودان

٨٦ - فارديت رافيسكي  
الولايات المتحدة الأمريكية

٨٧ - الدكتور/ فتحي طاش  
جمهورية مصر العربية

٨٨ - الدكتور/ فرحان معظم  
باكستان

٨٩ - الدكتور/ قدرة الله علي زاده  
إيران

٩٠ - القس/ كامليو بالين  
الكويت

٩١ - الدكتور/ ليزا لحمان  
الولايات المتحدة الأمريكية

٩٢ - الأستاذة/ لينا القاسم  
مملكة البحرين

٩٣ - الدكتور/ مالك البدري  
ماليزيا

٩٤ - الدكتور/ ماهر حتحوت  
الولايات المتحدة الأمريكية

٩٥ - الدكتور/ ماهر عبدالقادر  
جمهورية مصر العربية

- ٩٦ - الدكتور/ مايكل برايد  
الولايات المتحدة الأمريكية
- ٩٧ - الدكتور/ محقق الداماد  
إيران
- ٩٨ - الدكتور/ محمد أبو بكر السمان  
المملكة العربية السعودية
- ٩٩ - الدكتور/ محمد الشابوري  
جمهورية مصر العربية
- ١٠٠ - الدكتور/ محمد الهواري  
ألمانيا
- ١٠١ - الدكتور/ محمد تقي الدين عثمان  
باكستان
- ١٠٢ - الدكتور/ محمد حسن تبرائيان  
إيران
- ١٠٣ - الدكتور/ محمد سراج  
جمهورية مصر العربية
- ١٠٤ - الدكتور/ محمد سليم العوا  
جمهورية مصر العربية
- ١٠٥ - الدكتور/ محمد عبدالعزيز المسعود  
الكويت
- ١٠٦ - الدكتور/ محمد عبدالغفار الشريف  
الكويت

١٠٧- الدكتور/ محمد عبدالوهاب جلال

جمهورية مصر العربية

١٠٨- الدكتور/ محمد علي البار

المملكة العربية السعودية

١٠٩- الدكتور/ محمد علي التسخيري

إيران

١١٠- الدكتور/ محمد محمود غالي

جمهورية مصر العربية

١١١- الشيخ/ محمد مختار السلامي

تونس

١١٢- محمد هيثم الخياط

جمهورية مصر العربية

١١٣- الدكتور/ محمود المناوي

جمهورية مصر العربية

١١٤- الدكتور/ محمود عبد النبي

جمهورية مصر العربية

١١٥- الدكتور/ محمود فهمي فتح الله

جمهورية مصر العربية

١١٦- الدكتور/ محمود قنواطي

جمهورية مصر العربية

١١٧- الدكتور/ محمود محفوظ

جمهورية مصر العربية



١١٨- الدكتور/ مصطفى اكيول

تركيا

١١٩- الدكتور/ مظفر إقبال

كندا

١٢٠- الدكتور/ ممدوح جبر

جمهورية مصر العربية

١٢١- الدكتورة/ منال بوحמיד

الكويت

١٢٢- الدكتور/ منير فرج عبدالمحسي

جمهورية مصر العربية

١٢٣- الدكتور/ موريان كويجلي

المملكة المتحدة

١٢٤- الدكتور/ موسى محمود نورالدين

ماليزيا

١٢٥- الدكتورة/ نادية أبو ريذة

جمهورية مصر العربية

١٢٦- الدكتورة/ نادية العوضي

جمهورية مصر العربية

١٢٧- الدكتورة/ ناهدة البقمصي

الكويت

١٢٨- الدكتور/ نصر فريد واصل

جمهورية مصر العربية

١٢٩- الدكتورة/ نيرفانا حسين

جمهورية مصر العربية

١٣٠- الدكتور/ وجدي رياض

جمهورية مصر العربية

١٣١- الدكتور/ وحيد دوس

جمهورية مصر العربية

١٣٢- الدكتور/ يسري رشدي جابر

جمهورية مصر العربية

١٣٣- الأستاذة/ يمنى طريف الخولي

جمهورية مصر العربية

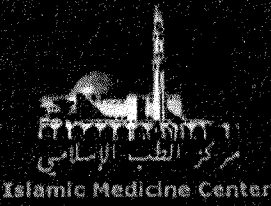


Islamic Organization for Medical Sciences

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

# الاسلام ست

علوم  
بيئة  
تقنية



## ISLAM SET

Science  
Environment  
Technology

Contact us

English

عربي

## تعرف على

- أثر العلماء المسلمين على الحضارة العالمية.
- النباتات الطبية واستخداماتها.
- الإيدز - الاستنساخ - طفل الأنابيب والرحم الظئر - بنوك الحليب البشري - التحكم في جنس الجنين - زراعة الأعضاء - البصمة الوراثية - العلاج الجيني - أبناء الهندسة الوراثية.

<http://www.islamset.com>

## هل تريد أن تتعرف على

- أثر العلماء المسلمين على العلوم.
  - أثر العلماء المسلمين على الحضارة العالمية.
  - النباتات الطبية واستخداماتها.
  - المحدثات الطبية والإسلام:
- الإيدز والإسلام، الاستنساخ، طفل الأنابيب والرحم الظئر؛  
بنوك الحليب البشري، التحكم في جنس الجنين، الإجهاض في  
الدين والطب والقانون؛ استخدام الأجنة في البحث والعلاج،  
زراعة الأعضاء التناسلية من الناحية الطبية والفقهية؛ البصمة  
الوراثية من منظور إسلامي، العلاج الجيني من منظور إسلامي،  
مخاطر الهندسة الوراثية في الغذاء والمواد المحرمة والنجسة في  
الغذاء والدواء.

أدخل الإنترنت

<http://www.islamset.com>









مطابع دار السياسة  
تلفون : ٢٤٨٤٣١٥١